





وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أُنْبَاءِ الزَّمَانِ

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون كان
المولود في سنة ٦٠٨ ، والمتوفى في سنة ٦٨١ من الهجرة

حقه ، وعلق حواشيه ، وضع فهرسه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ

مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الأول

الناشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

١٩٤٩

كتاب ليلى بنت أبي

نائلة بنت أبي

نائلة بنت أبي

الطبعة الأولى

في سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٩ م

جميع حق الطبع محفوظ

كتاب ليلى بنت أبي

مطبعة النعادة بجوار مكتبة مصر

حرف النون

(٧٢٧)

أبو عبد الله نافع
مولى ابن عمر

أبو عبد الله نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهم !

كان دليلاً ، وأصابه مولاة عبد الله بن عمر فى غزاته ، وهو من كبار التابعين ، سمع مولاة وأبا سعيد الخدرى ، وروى عنه الزهرى وأيوب السختياني ومالك بن أنس ، رضى الله عنهم ! .

وهو من المشهورين بالحديث ، ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ، ومعظم حديث ابن عمر عليه دار ، وقال مالك : كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لأبالي ألا أسمع من أحد غيره ، وأهل الحديث يقولون : رواية الشافى عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة .

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى - رحمه الله تعالى ! - فى كتاب المهذب فى باب الوليمة والنثر عن نافع قال : كنت أسير مع عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما ! - فسمع زمارة راع ، فوضع أصبعيه فى أذنيه ، ثم عدل عن الطريق ، فلم يزل يقول : يا نافع أسمع ؟ حتى قلت : لا ، فأخرج أصبعيه عن أذنيه ثم رجع إلى الطريق ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى هذا الأثر إشكال تسأل عنه الفقهاء ، وهو أن ابن عمر كيف سد أذنيه عن استماع صوت الزمارة ، ولم يأمر مولاة نافعاً بمثل ذلك ^(١) ، بل مكنه منه ، وكان يسأله فى كل وقت : هل انقطع الصوت أم لا ؟ وقد أجابوا عن الإشكال بأن نافعاً حينئذ كان صبياً ، فلم يكن مكلفاً حتى يمنعه عن الاستماع ، ويرد على هذا الجواب سؤال آخر ، وهو أن الصحيح أن إخبار الصبي غير مقبول ، فكيف ركن ابن عمر إلى إخباره فى انقطاع الصوت ؟ وهذا الأثر يعضد حجة من قال :

(١) فى ب « بفعل ذلك »

إن رواية الصبي مقبولة ، وفي ذلك خلاف مشهور ، وليس هذا موضع الكلام عليه .

وأخبار نافع كثيرة .

وتوفي سنة سبع عشرة ، وقيل : سنة عشرين ومائة ، رضى الله عنه ١ .

(٧٢٨)

أبو رويم
نافع بن
عبد الرحمن
الشجعي
المقرئ

أبو رُوَيْم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، مولى جَعَوْنَةَ بن شعُوب
الشَّجْعِي ، المقرئ ، المدني ، أحد القراء

كان إمام أهل المدينة والذي صاروا إلى قراءته ورجعوا إلى اختياره ، وهو
من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله عليهم ! وكان محتسبافيه دُعابة ، وكان
أسود شديد السواد ، قال ابن أبي أويس : قال لي مالك رضى الله عنه : قرأت على
نافع ، وقال الأصمعي : قال لي نافع : أصلي من أصبح ، هكذا قاله الحافظ
أبو نعيم في تاريخ أصبحان ، وكان [قد] قرأ على أبي ميمونة مولى أم سلمة زوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له راويان : وَرْش ، وقالون ، وقد سبق ذكرهما في
حرف العين .

وتوفي نافع المذكور سنة تسع وستين ومائة ، وقيل : سنة تسع وخمسين ،
وقيل غير ذلك ، بالمدينة ، والأول أصح .

وقيل : إن كنيته أبو الحسن ، وقيل : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الرحمن
وقيل : أبو نعيم ، والله أعلم بالصواب .

وجَعَوْنَةُ - بفتح الجيم ، وسكون العين المهملة ، وفتح الواو والنون ، وبعدها
هاء ساكنة - وهو في الأصل الرجل القصير ، ثم سمي به الرجل وإن لم يكن

قصيراً ، وجعل عليه علماً ، وكان جَعَوْنَةُ حليف حمزة بن عبد المطلب ، وقيل :
حليف العباس بن عبد المطلب ، رضى الله عنهما ! وقيل : حليف بنى هاشم .
وشهُوب - بفتح الشين المعجمة ، وضم العين المهملة ، وسكون الواو ، وبعدها
باء موحدة - وهو فى الأصل اسم المنية .
والشَّجْعِيّ - بكسر الشين المعجمة ، وسكون الجيم ، وبعدها عين مهملة -
هذه النسبة إلى بنى شَجْع ، وهم من بنى عامر بن ليث ، ولم يتعرض ابن السمعاني
إلى ذكر هذه النسبة .

(٧٢٩)

أبو الفتح ناصر بن أبي المسكارم عبد السيد بن على ، المطرُزى ، الفقيه
الحنفى ، النحوى ، الأديب ، الخوارزمى

أبو الفتح نصر
ابن عبد السيد
المطرزى
الخوارزمى
الأديب

كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب ، قرأ ببلده على أبيه
وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد بن مكى ^(١) خطيب خوارزم وغيرها ، وسمع
الحديث من أبي عبد الله محمد بن على بن أبي سعيد التاجر وغيره ، وكان تام
المعرفة بفنه ، رأساً فى الاعتزال ، داعياً إليه ، يفتحل مذهب الإمام أبى حنيفة
- رضى الله عنه ! - فى الفروع ، فصيحاً ، وكان فى الفقه فاضلاً ، وله عدة تصانيف نافعة
منها : شرح المقامات للحريرى ، وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود ، وله كتاب
« المغرب » تسكلم فيه على الألفاظ التى يستعملها الفقهاء من الغريب ، وهو
للحنفية بمثابة كتاب الأزهرى للشافعية ، وما أقصر فيه ، فانه أتى جامعاً للمقاصد
وله غير ذلك ، وانتفع الناس به وبكتبه ، ودخل بغداد حاجاً سنة إحدى وستمائة
وكان معتزلى الاعتقاد ، وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء ، وأخذ

(١) فى ب « بن محمد المسكى »

أهل الأدب عنه ، وكان سائر الذكر ، مشهور السمعة ، بعيد الصيت .

وله شعر : فمن ذلك - وفيه صناعة - قوله [من الوافر] :

وَزَنْدُ نَدَى فَوَاضِلِهِ وَرَى وَرَنْدُ رُبَا فَوَاضِلِهِ نَضِيرُ
وَدَر جَلَالِهِ أَبَدًا ثَمِين وَدَر نَوَالِهِ أَبَدًا غَزِيرُ

وله [من الطويل] :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي مِنَ الْمَجْدِ أَنْ أَرَى حَلِيفَ غَوَانٍ أَوْ أَلِيفَ أَغَانِي

وله [من الطويل] :

تَعَامَى زَمَانِي عَنْ حَقُوقِي وَإِنِّهِ قَبِيحٌ عَلَى الزَّرَقَاءِ تَبَدَّى تَعَامِيَا
فَان تَنَكَّرُوا فَضْلِي فَاِنْ رَغَاءُهُ كَفَى لَذَوِي الْأَسْمَاعِ مِنْكُمْ مَنَادِيَا

وله أشعار كثيرة يستعمل فيها التجانس .

وكانت ولادته في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم ، وهو كما يقال

خليفة الزمخشري ، فانه توفي في تلك السنة بتلك البلدة كما سبق في ترجمته .

وتوفي المطرزي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة عشر وستمائة ، بخوارزم أيضا ، رحمه الله تعالى ! ورثى بأكثر من ثلثمائة قصيدة .

والمطرزي - بضم الميم ، وفتح الطاء المهملة ، وتشديد الراء وكسرها ، وبعدها

زاي - هذه النسبة إلى من يطرز الثياب ويرقمها ، ولا أعلم هل كان يتعاطى ذلك

بنفسه ، أم كان في آبائه من يتعاطى ذلك فنسب له ، والله أعلم .

(٧٣٠)

أبو منصور نزار، الملقب العزيز بالله، بن المعز بن المنتصور بن القائم بن
المهدي، العبّيدى، صاحب مصر وبلاد المغرب

أبو منصور
العزيز بالله
نزار بن المعز
العبّيدى
صاحب مصر

قد تقدم ذكر والده وأجداده وولده وأحفاده .

ولى العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة
واستقل بالأمر بعد^(١) وفاة أبيه ، وكان يوم الجمعة حادى عشر الشهر المذكور ، وفيه
الخلافة المذكور فى ترجمة وسيرة أبيه ، وسلم عليه بالخلافة ، وكان كريماً شجاعاً
حسن العفو عند القدرة ، وقصته مع أفتكين التركى غلام معز الدولة مشهورة ، وعفا
عنه لما ظفر به ، وكان قد غرم فى محاربتة مالا جزيلا ، ولم يؤاخذه بما صدر منه ،
وقد سبق فى ترجمة عضد الدولة بن بُوَيّه المقدم ذكره فى حرف الفاء طرف من
خبره فلا حاجة إلى إعادته ، وهى قضية تدل على حلمه وحسن عفوّه .

وذكر الأمير المختار المعروف بالمسبحى أنه الذى اختط أساس الجامع بالقاهرة
مما يلى باب الفتوح ، وحفره ، وبدأ بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة فى شهر رمضان ،
ثم قال المسبحى أيضا : وفى أيامه بنى قصر البحر بالقاهرة الذى لم يبن مثله فى
شرق ولا غرب ، وقصر الذهب ، وجامع القرافة والقصور بعين شمس

وكان أسمر ، أصهب الشعر ، أعين ، أشهل العين ، عريض المنكبين ، حسن
الخلق ، قريبا من الناس ، لا يؤثر سفك الدماء ، يصيد بالخيول ، والجارح من
الطير ، مجيدا للصيد^(٢) مغرى به وبصيد السباع ، ويعرف الجوهز والبز ، وكان
أديبا فاضلا .

وذكره أبو منصور الثعالبي فى كتاب « يتيمة الدهر » وأورد له شعرا قاله
فى بعض الأعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه الماتم ، وهو [من المنسرح] :

(١) فى ب « يوم وفاة أبيه » (٢) فى ب « محبا للصيد »

نحن بنو المصطفى ذوو محن يَجْرَعُهَا فِي الْحَيَاةِ كَاظِمُنَا
عجيبة في الأنام محنتنا أولُنَا مُبْتَلَى وخاتمنا
يفرح هذا الوري بعيدهم طرا وأعيادنا مَا تَمْنَا

ثم قال بعد فصل طويل : وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكى أن المرواني صاحب
الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوّه ، فكتب إليه
«أما بعد ، فانك قد عرفتنا فهجوتنا ، ولوعرفناك لأجبنك ، والسلام» فاشتد على
نزار وأخفه عن الجواب .

وذكر أبو الحسن الروحى فى كتاب « تحفة الظرفاء » ، فى تاريخ الخلفاء «
أن هذه الواقعة للحاكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وهو
المرواني صاحب الأندلس وبين العزيز المذکور ، وأن المستنصر كتب إلى العزيز
يسبه ويهجوّه ، فكتب إليه العزيز هذه الكلمات ، والله أعلم بالصواب .

وقد تقدم فى ترجمة جده المهدي عبيد الله طرف من أخبار نسبهم والطعن
فيه ، وأكثر أهل العلم بالنسب لا يصححونه ، وقد تقدم فى ترجمة الشريف
أبى محمد عبد الله بن طبرطابما ما دار بينه وبين المعز والده هذا العزيز فى أمر النسب
وما أجاب به المعز ، وصار هذا كالمستفيض بين الناس ، وفى مبادئ ولاية العزيز
المذكور صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها مكتوب [من
السريع] :

إنا سمعنا نسباً منكراً يُتلى على المنبر فى الجامع

إن كنت فيما تدعى صادقاً

فاذكر أباً بعد الأب الرابع

وإن ترد تحقيق ما قلته

فانسب لنا نفسك كالطائع

أولا دع الأنساب مستورة

وادخل بنا في النسب الواسع

فإن أنساب بني هاشم

يَقْصُرُ عنها طمع الطامع

وإنما قال : « فأنسب لنا نفسك كالطائع » لأن هذه القصيدة جرت في

خلافة الطائع لله خليفة بغداد

وصعد العزيز يوماً آخر المنبر ، فرأى فيه ورقة ، مكتوب فيها [من

مخلع البسيط] :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحقارة

إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة

وإنما كتب هذا لأنهم كانوا يدعون علم المغيبات ، وأخبارهم في ذلك

مشهورة ، وقد تقدم لأبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي ، المقدم ذكره ، قصيدة

رائية يمدح بها العزيز المذكور ، وأجود مدائح فيه ، وزادت مملكته على

مملكة أبيه ، وفتحت له حمص وحمّة وشيزر وحلب ، وخطب له المقلد

ابن المسيب العقيلي ، صاحب الموصل بالموصل وأعمالها في الحرم سنة اثنتين

وثمانين وثلثمائة ، وضرب اسمه على السكة والبنود ، وخطب له باليمن ، ولم يزل

في سلطانه وعظم شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجها إلى الشام ، فابتدأت

به العلة في العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ولم يزل مرضه

يزيد وينقص ، حتى ركب يوم الأحد لحس بقين من شهر رمضان من السنة

المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس ، وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبي الفتوح

برجوان المقدم ذكره ، وكان صاحب خزائنه بالقصر — فأقام عنده ، وأصبح

يوم الاثنين ، فاشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثاء ، وكان مرضه

من حصة وقولنج ، فاستدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار

الكتامى الملقب أمين الدولة ، وهو أول من تلقب من المغاربة ، وكان شيخ
كتامة وسيدها ، وخاطبهما بما خاطبهما به فى أمر ولده الملقب الحاكم المقدم
ذكره ، ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضا بذلك ، ولم يزل العزيز فى
الحمام والأمر يشتد به إلى بين الصلاتين فى ذلك اليوم ، وهو نهار الثلاثاء الثامن
والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة ، فتوفى فى مسلخ الحمام ،
هكذا قال المسبحى .

وقال صاحب تاريخ القيروان : إن الطبيب وصف له دواء يشر به فى حوض
الحمام ، وغلط فيه ، فشر به ، فمات من ساعته ، ولم ينسكتم موته ساعة واحدة ،
وترتب موضعه ولده الحاكم أبو على المنصور المقدم ذكره ، وبلغ الخبر أهل
القاهرة ، فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقى الحاكم ، فدخل البلد وبين يديه
البنود والرايات ، وعلى رأسه المظلة ، يحملها ريدان^(١) الصقلي المذكور فى ترجمة
برجوان ، فدخل القصر بالقاهرة عند اصفرار الشمس ، ووالده العزيز بين يديه
فى عمارية ، وقد خرجت قدماء منها ، وأدخلت العمارية القصر ، وتولى غسله
القاضى محمد بن النعمان ، ودفن عند أبيه المعز فى حجرة من القصر ، وكان دفنه
عند العشاء الأخيرة ، وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر ، والأحوال
مستقيمة ، وقد نودى فى البلد : أن لا مؤنة ولا كلفة ، وقد أمنكم الله تعالى على
أموالكم وأرواحكم ، فمن عارضكم أو نازعكم فقد حل ماله ودمه .

وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس رابع عشر المحرم ، سنة أربع
وأربعين وثلثمائة ، بالمهدية من أرض إفريقية .

وقال المختار المسبحى صاحب التاريخ المشهور : قال لى الحاكم ، وقد جرى
ذكر والده العزيز : يا مختار ، استدعائى والدى قبل موته ، وهو عارى الجسم ،
وعليه الخرق والضاد ، فاستدنانى ، وقبلنى وضمنى إليه ، وقال : واغنى عليك

(١) وقع فى ب ، ز ، هنا « زيدان » محرفا ، وانظر الترجمة رقم ١٠٩

أولا دع الأنساب مستورة

وادخل بنا في النسب الواسع

فإن أنساب بني هاشم

يَقْصُرُ عنها طمع الطامع

وإنما قال : « فأنسب لنا نفسك كالطامع » لأن هذه القصيدة جرت في

خلافة الطائع لله خليفة بغداد

وصعد العزيز يوماً آخر المنبر ، فرأى فيه ورقة ، مكتوب فيها [من

مخلع البسيط] :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحقارة

إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة

وإنما كتب هذا لأنهم كانوا يدعون علم المغيبات ، وأخبارهم في ذلك

مشهورة ، وقد تقدم لأبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي ، للمقدم ذكره ، قصيدة

رائية يمدح بها العزيز المذكور ، وأجود مدائح فيه ، وزادت مملكته على

مملكة أبيه ، وفتحت له حمص وحماة وشيخز وحلب ، وخطب له المقلد

ابن المسيب العقيلي ، صاحب الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم سنة اثنتين

وثمانين وثلثمائة ، وضرب اسمه على السكة والبنود ، وخطب له باليمن ، ولم يزل

في سلطانه وعظم شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجها إلى الشام ، فابتدأت

به العلة في العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ولم يزل مرضه

يزيد وينقص ، حتى ركب يوم الأحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة

المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس ، وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبي الفتوح

برجوان المقدم ذكره ، وكان صاحب خزائنه بالقصر — فأقام عنده ، وأصبح

يوم الاثنين ، فاشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثاء ، وكان مرضه

من حصاة وقولنج ، فاستدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار

الكتامى الملقب أمين الدولة ، وهو أول من تلقب من المغاربة ، وكان شيخ
كتامة وسيدها ، وخاطبهما بما خاطبهما به فى أمر ولده الملقب الحاكم المقدم
ذكره ، ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضا بذلك ، ولم يزل العزيز فى
الحمام والأمر يشتد به إلى بين الصلاتين فى ذلك اليوم ، وهو نهار الثلاثاء الثامن
والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، فتوفى فى مسلخ الحمام ،
هكذا قال المسيبى .

وقال صاحب تاريخ القيروان : إن الطبيب وصف له دواء يشر به فى حوض
الحمام ، وغلط فيه ، فشر به ، فمات من ساعته ، ولم ينكتم موته ساعة واحدة ،
وترتب موضعه ولده الحاكم أبو على المنصور المقدم ذكره ، وبلغ الخبر أهل
القاهرة ، فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقى الحاكم ، فدخل البلد وبين يديه
البنود والرايات ، وعلى رأسه المظلة ، يحملها ريدان^(١) الصقلي المذكور فى ترجمة
برجوان ، فدخل القصر بالقاهرة عند اصفرار الشمس ، ووالده العزيز بين يديه
فى عمارية ، وقد خرجت قدماه منها ، وأدخلت العمارية القصر ، وتولى غسله
القاضى محمد بن النعمان ، ودفن عند أبيه المعز فى حجرة من القصر ، وكان دفنه
عند العشاء الأخيرة ، وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر ، والأحوال
مستقيمة ، وقد نودى فى البلد : أن لا مؤنة ولا كلفة ، وقد أمنكم الله تعالى على
أموالكم وأرواحكم ، فمن عارضكم أو نازعكم فقد حل ماله ودمه .

وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس رابع عشر الحرام ، سنة أربع
وأربعين وثلاثمائة ، بالمهدية من أرض إفريقية .

وقال المختار المسيبى صاحب التاريخ المشهور : قال لى الحاكم ، وقد جرى
ذكر والده العزيز : يا مختار ، استدعائى والذى قبل موته ، وهو عارى الجسم ،
وعليه الخرق والضاد ، فاستدنانى ، وقبلنى وضمنى إليه ، وقال : واعمى عليك

(١) وقع فى ب ، ز ، هنا « زيدان » محرفا ، وانظر الترجمة رقم ١٠٩

يا حبيب قلبي ، ودمعت عيناه . ثم قال : امض يا سيدي والعب فأنا في عافية ،
قال : فمضيت والتهيت بما يلتهى به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله سبحانه
وتعالى العزيز إليه ، قال : فبادر إلى برجوان وأنا في أعلى جُميزة كانت في الدار
فقال : انزل ويحك ، الله الله فينا وفيك ، قال : فنزلت ، فوضع العمامة بالجواهر
على رأسي ، وقبل لي الأرض ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله
تعالى وبركاته ، قال : وأخرجني حينئذ إلى الناس على تلك الهيئة ، فقبل جميعهم
لي الأرض ، وسلموا على بالخلافة .
وأخباره كثيرة ، والاختصار أولى .

(٧٣١)

أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون ، البصري ،
المعروف بالخبز أرزي ، الشاعر المشهور

أبو القاسم
نصر بن أحمد
الخبز أرزي
البصري
الشاعر

كان أميا ، لا يتهجى ولا يكتب ، وكان يخبز خبز الأرز بمر بد البصرة
في دكان ، وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل ، والناس يزدهجون عليه ،
ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره ، وكان أبو الحسين محمد بن محمد
المعروف بابن لَنسكك ، البصري ، الشاعر المشهور — مع علو قدره عندهم —
ينتاب دكانه ليسمع شعره ، واعتنى به ، وجمع له ديوانا ، وكان نصر المذكور قد
وصل إلى بغداد ، وأقام بها دهرًا طويلا .

وذكره الخطيب في تاريخه ، وقال : قرأ عليه ديوانه ، وروى عنه مقطعات
من شعره المعاني بن زكريا الجريري^(١) ، وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري ،
وعند جماعة رَووا عنه .

(١) وقع في ب ، ز ، هنا « الجريري » بالحاء المهملة ، وقد مضت ترجمته
(رقم ٩٩٧) وضبطت فيها هذه النسبة

وذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وأورد له مقاطيع ، فمن ذلك قوله
[من الطويل] :

خَلِيلِيْ هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا

بَأَكْرَمِ مَنْ مَوْلَى تَمَشَّى إِلَى عَبْدِ

أَتَى زَائِرًا مِنْ غَيْرِ وَعَدَ وَقَالَ لِي :

أَجَلَّكَ عَنْ تَعْلِيْقِ قَلْبِكَ بِالْوَجْدِ

فَمَا زَالَ نَجْمُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

يَدُورُ بِأَفْلَاكِ السَّعَادَةِ وَالسَّعْدِ

فَطَوْرًا عَلَى تَقْبِيلِ نَرْجَسٍ نَاطِرِ

وَطَوْرًا عَلَى تَعْضِيْضِ تَفَاحَةِ الْخَدِ

وأورد له أيضاً [من الطويل] :

أَلَمْ يَكْفِنِيْ مَا نَالَنِيْ مِنْ هَوَا كَمْ

إِلَى أَنْ طَفَقْتُمْ بَيْنَ لَاهٍ وَضَاكِ

شَمَاتُكُمْ بِي فَوْقَ مَاقِدِ أَصَابِنِيْ

وَمَا بِي دُخُولِ النَّارِ فِي طَرْمَالِكِ

وله أيضاً [من الخفيف] :

كَمْ أَنَاسٌ وَفَّوْا لَنَا حِينَ غَاوَا وَأَنَاسٌ جَفَّوْا وَهُمْ حُضَّارُ

عَرَضُوا ثُمَّ أَعْرَضُوا وَاسْتَمَالُوا ثُمَّ مَالُوا وَجَاوَرُوا ثُمَّ جَارُوا

لَا تَلَهُمْ عَلَى التَّجْنِيْ فُلُوْا لَمْ يَتَجَنَّوْا لَمْ يَحْسِنِ الْإِعْتِدَارُ

ومن شعره أيضاً [من المتقارب] :

وَكَانَ الصَّدِيقُ يَزُورُ الصَّدِيقَ لَشَرِّ الْمَدَامِ وَعَزَفِ الْقِيَانِ

فصار الصديق يزور الصديق

لبثَّ الهموم وشكوى الزمان

وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري : أنشدنا أبو القاسم نصر
ابن أحمد الخبز أَرزى لنفسه [من مجزوء الكامل] :

بات الحبيب منادى والسكر يَصْبِغُ وَجَنَّتِيهِ
ثم اغتدى وقد ابتدا صنعُ الخُمَارِ بِمَقْلَتِيهِ
وهبَتْ له عيني السكرى وتعوضت نظرا إليه
شكراً لإحسان الزمان كما يساعدني عليه

ومن شعره أيضاً [من الخفيف] :

كم أقامى لديك قالاً وقيلاً وعِدَاتٍ تَتَرَى ومطلاً طويلاً
جمعة تنقضى وشهر يولى وأمانيك بكرة وأصيلاً
إن يُفْتِنِي منك الجميل من الفعل تعاطيت عنك صبراً جميلاً
والهوى يستزيد حالا فحالا وكذا ينسلى قليلاً قليلاً
ويكلاً ما مننْ صروف الليالى إنها تترك العزيز ذليلاً
فكأنى بحسن وجهك قد صاحت به الاحية الرحيل الرحيل
فتبدلت حين بدلت بالنو ر ظلاماً ، وساء ذاك بديلاً
فكأن لم تكن قضيباً رطيباً وكأن لم تكن كثيباً مهيلاً
عندها يشمت الذى لم تَصِلْهُ ويكون الذى وصلت خليلاً

وله أيضاً [من المتقارب] :

رأيت الهلال ووجهَ الحبيب

فكانا هلالين عند النظر

فلم أدر من حيرتى فيهما
 هلال الدجى من هلال البشر
 وَلَوْلَا التَّورْدُ فِي الْوَجْنَتَيْنِ
 وَمَا رَاعِنِي مِنْ سَوَادِ الشَّعْرِ
 لَكُنْتُ أَظُنُّ الْهَلَالَ الْحَبِيبَ
 وَكُنْتُ أَظُنُّ الْحَبِيبَ الْقَمَرَ

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ، ماثله : حكى أبو محمد عبد الله بن محمد
 الألفاني البصري ، قال : خرجت مع عمي أبي عبد الله الألفاني الشاعر ،
 وأبي الحسين بن كُتْكُك ، وأبي عبد الله المفجع ، وأبي الحسن السماك ، في بطولة
 عيد ، وأنا يومئذ صبي أصحابهم ، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبزأرزي ،
 وهو جالس بخبز على طابقه ، فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ،
 ويتعرفون خبره ، وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود ، فدخلهم ،
 فتهضمت الجماعة عند تزايد الدخان ، فقال نصر بن أحمد لأبي الحسين بن كُتْكُك :
 متى أراك يا أبا الحسن ؟ فقال له أبو الحسين : إذا اتسخت ثيابي ، وكانت ثيابه
 يومئذ جُدداً على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد ، فشيننا في
 سكة بني سمرة ، حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد بن المثنى ، فجلس أبو الحسين
 ابن كُتْكُك ، وقال : يا أصحابنا إن نصراً لا يدخل هذا المجلس الذي مضى لنا
 معه من شيء يقوله فيه ، ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا ، واستدعى دواة
 وكتب [من الوافر] :

لنصرفي فؤادي فَرَطُ حَبْ أَنْيْفَ بِهِ عَلَى كُلِّ الصَّحَابِ
 أَتَيْنَاهُ فَبَحَّرْنَا بِخُورًا مِنْ السَّعْفِ الْمَدْحَنِ لِلثِّيَابِ
 قَعَمْتُ مَبَادِرًا وَظَنَنْتُ نَصْرًا
 أَرَادَ بِذَلِكَ طَرْدِي أَوْ ذَهَابِي

فقال : متى أراك أبا حسين ؟ فقلت له : إذا اتسخت ثيابي
وأنفذ الأبيات إلى نصر ، فأملى جوابها ، فقرأناه فإذا هو قد أجاب [من الوافر] :

منحت أبا الحسين صميم ودى فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقنير شيب فعُدَّ له كزيعان الشباب
ظننت جلوسه عندي لعرس فجدت له بتمسيك الثياب

فقلت : متى أراك أبا حسين ؟ فجوابني : إذا اتسخت ثيابي
فإن كان الترفه فيه خير فلم يُكِنِّي الوصي أبا تراب^(١)
وحكى الخالديان الشاعران المشهوران في كتاب « الهدايا والتحف » أن

الخبز أرزى أهدي إلى ابن بزداد وإلى البصرة فصا ، وكتب معه [من السريع] :

أهديت مالو أن أضاعفه مُطَرَّحٌ عندك ما بانا
كمثل بلقيس التي لم يهن إهداؤها عند سليمان
هذا امتحان لك إن ترضه بانَ لنا أنك ترضانا

والشيء بالشيء يذكر - وجدت في هذا الكتاب نادرة ظريفة فأحببت
ذكرها ، وهي : أنه كان بأصبهان رجل حسن النعمة ، واسع النفس ، كامل المروءة ،
يقال له سماك بن النعمان ، وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومغنى تعرف
بأم عمرو ، فلإفراط حبه إياها وصَبَّأَته بها وهبها عدة من ضياعه ، وكتب عليه
بذلك كتباً ، وحمل الكتب إليها على بغل ، فشاع الخبر بذلك ، وتحدث الناس
به ، واستعظموه ، وكان بأصبهان رجل متجلف بَيْنَ الركاكة يهوى مغنية أخرى
فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن سماكا إنما أهدي إلى أم عمرو جلوداً
بيضا لا كتابة فيها ، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويحلُّ موقعها عند من
تهدى إليه ، فابتاع جلوداً كثيرة ، وحملها على بقلين لتكون هديته ضعف هدية
سماك ، وأنفذها إلى التي يحب ، فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها

(١) في ب « فإن كان التفرّد فيه خير »

تعيّظت عليه ، وكتبت إليه رقعة تشتمه وتحلف أنها لا تكلمه أبداً ، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتاً في هذا المعنى لتودعها الرقعة ، ففعل ، وكانت الأبيات [من مجزوء الكامل] :

لأعاد طوعك من عصا كا وحرمت من وصلي منّا كا
فلقد فضحت العاشقين بقبح ما فعلت يدا كا
أرأيت من يُهدى الجلو د إلى عشيقته سوا كا
وأظن أنك رمت أن تحكي بفعلك ذا سما كا
ذاك الذي أهدى الضيا ع لأم عمرو والصكا كا
فبعثت منقنة كأنك قد مسحت بهن فا كا
من لي بقربك يارقىـع ، ولست أهوى أن أرا كا
لكن لعل أن أقطع ما بعثت على قفا كا

ونقلت من هذا الكتاب أيضاً أن اللبادى الشاعر خرج من بعض مدن أذربيجان يريد أخرى ، وتحتة مهرله رائع ، وكانت السنة مجدبة ، فضمه الطريق وغلاما حدثا على حماره ، قال : فحدثته ، فرأيتيه أديباً راوية للشعر ، خفيف الروح ، حاضر الجواب ، جيد الحجة ، فسرنا بقية يومنا ، فأمسينا إلى خان على ظهر الطريق ، فطلبت من صاحبه شيئاً نأكله ، فامتنع أن يكون عنده شيء ، فرفقت به إلى أن جاءنى برغيفين ، فأخذت واحداً ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر ، وكان غمى على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمى على نفسى ، فسألت صاحب الخان عن الشعير ، فقال : ما أقدر منه على حبة واحدة ، فقلت : فاطلب لى ، وجعلت له جعيلة على ذلك ، فمضى وجاءنى بعد طويل ، وقال : قد وجدت مَكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا ينقصهما عن مائة درهم ، فقلت : ما بعد يمين الطلاق كلام ، فدفعت إليه خمسين درهماً ، فجاءنى بمكوك ، فعلقته على ذابقي

وجلست أحداث الفقى وحماره واقف بغير علف ، فأطرق مليا ثم قال : تسمع
- أيدك الله !- أبيتاً حضرت الساعة ؟ فقلت : هاتها ، فأنشد [من الكامل] :

ياسيدى شعرى نفاية شعركا فلذاك نظمى مايقوم بنشركا
وقد انبسطت إليك فى إنشادما هو فى الحقيقة قطرة من بحركا
آنستنى وسررتنى وبررتنى وجعلت أمرى من مقدم أمركا
وأريد أذكر حاجة إن تقضها أك عبد مدحك ما حيت وشكركا
أنا فى ضيافتك العشية ههنا فاجعل حمارى فى ضيافة مهركا

فضحككت واعتذرت إليه من إغفالى أمر حماره ، وابتعت المكوك الآخر
بخمسين درهما ، ودفعته إليه

وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود . وأخبار نصر المذكور ونوادره كثيرة .

وتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! وتاريخ وفاته فيه نظر ، لأن
الخطيب ذكر فى تاريخه أن أحمد بن منصور النوشرى المذكور سمع منه سنة خمس
وعشرين وثلثمائة .

والخيز أرمى - بضم الخاء المعجمة ، وسكون الباء الموحدة ، وفتح الزاى ،
وبعدها همزة ثم راء ثم زاي - وفتح الهمزة وضمها وتشديد الزاى وتخفيفها فى
الأرز يختلف باختلاف اللغات فى هذه الكلمة ، وفيها ست لغات : الواحدة
بضم الهمزة والراء وتشديد الزاى ، والأخرى بفتح الهمزة والباقي مثل الأولى ،
والثالثة أرز - بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاى - والرابعة مثل الثالثة لكن
الراء مضمومة ، والخامسة رز - بضم الراء وتشديد الزاى - والسادسة رنز - بضم الراء
وسكون النون وتخفيف الزاى - وإنما نسب نصر المذكور هذه النسبة لأنه كان
يتعاطى هذه الحرفة كما تقدم ذكره فى أول هذه الترجمة .

وابن آننكك — بفتح اللام ، وسكون النون ، وكافين متواليين — وهو لفظ أعجمي ، معناه بالعربي أعيرج ، تصغير أعرج ، لأن كلمة لك معناها أعرج ، وعادة العجم إذا صغروا اسما ألحقوا في آخره كافا .

ومرّ بد البصرة — بكسر الميم ، وسكون الراء ، وفتح الباء الموحدة ، وبعدها دال مهملة — وهو اسم موضع بالبصرة مشهور ، وهو في الأصل اسم لكل مكان يجبس فيه الإبل وغيرها ، ثم صار علما على الموضع المذكور .

(٧٣٢)

أبو المرفف
نصر بن منصور
الخميري الضريير
الشاعر

أبو المرفف نصر بن منصور بن الحسن بن جوش بن حميد بن أثال
ابن ورد بن عطاف بن بشر بن جندل بن عبيد الراعي بن الحصين
ابن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث
ابن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان ، الخميري ، الضريير ، الشاعر المشهور

قدم بغداد في صباه ، وسكنها إلى حين وفاته ، وحفظ القرآن المجيد ، وتفقّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ! وسمع الحديث من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأتصامي ، وأبي الفضل محمد بن ناصر ، وغيرهم ، وقرأ الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي ، وقال الشعر ، ومدح الخلفاء والوزراء والأكابر ، وحدث ، وكان زاهدا ورعا ، حسن المقاصد في الشعر ، له ديوان شعر .

وذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » وذكر شيئا من شعره ،

وأورد نسبه على هذه الصورة ، وقال : هو الذى أملاه على .

وعُبَيْدُ الراعى المذكور فى عمود نسبه هو الشاعر المشهور ، صاحب الديوان الشعر ، وكان بينه وبين جرير مهاجاة .

وكان أبوالمهف المذكور قد كف بصره بالجدري ، وعمره أربع عشرة سنة ، وذكر له العماد فى الخريدة هذا المقتطوع من شعره ، وهو [من الوافر] :

ترى يتألفُ الشملُ الصديقُ وآمنُ من زمانٍ ما يروغُ
وتأنسُ بعد وحشتنا بنجد منازلنا القديمة والربوعُ
ذكرتُ بأيمن العلمين عصرًا مضى والشملُ ملتئمُ جميعُ
فلم أملكُ لدمعى ردَّ غرْبٍ وعند الشوق تعصيك الدموعُ
ينازعنى إلى خنساء قلبي ودون لقاءها بلد شسوعُ
وأخوفُ ما أخاف على فؤادى إذا ما أنجد البرقُ اللموعُ
لقد حُمِلْتُ من طول التناي عن الأحباب مالا أستطيع

وشعره فيه رقة وجزالة ، وكان ببغداد كثير الانقطاع إلى الوزير عون الدين ابن هُبَيْرَة ، الآتى ذكره إن شاء الله تعالى ، وله فيه مدائح .

وكانت ولادته يوم الثلاثاء بعد العصر ، ثالث عشر جمادى الآخرة ، سنة إحدى وخمسمائة ، بالركة .

وتوفى يوم الثلاثاء ، الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى ! .

والنميرى — بضم النون ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها راء — هذه النسبة إلى نمير بن عامر المذكور فى عمود النسب فى أول الترجمة ، والباقي معروف .

(٧٣٣)

أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي
ابن قلاقس ، اللخمي ، الأزهرى ، الإسكندرى ، الملقب القاضى الأعز ،
الشاعر المشهور

وكان شاعراً مجيداً ، وفاضلاً نبيلاً ، صاحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد
ابن محمد السلفى المقدم ذكره ، وانتفع بصحبته ، وله فيه غرر المسدأح ، وقد
تضمنها ديوانه ، وكان الحافظ المذكور كثيراً ما يثنى عليه ويتقاضاه بمدحيه ،
وقصد القاضى الفاضل عبد الرحيم المقدم ذكره بقصيدة موسومة ، أحسن فيها كل
الإحسان ، وأولها [من السريع] :

ماضر ذاك الرِّيمَ أن لا يَرِيمَ	لو كان يرى لسليم سليم
وما على مَنْ وَصَلَهُ جَنَّةٌ	ألا أرى من صده في جعيم
أغيدُ ما همت به روضة	أعل جسمى لا كون النسيم
رقيمُ حد نام عن ساهر	ما أجدر النوم بأهل الرقيم
وكيف لا يصرم ظبى وقد	سمعت في النسبة ظبى الصريم
وعاذل دَامَ ودَامَ الدجى	بهيمة نادمتها في بهيم
يغيظنى وهو على رسله	والمرء في غيظ سواء حلیم
قلت له لما عدا طَوْرُهُ	والقلب منى في العذاب الأليم
اعذر فؤادى إنه شاعر	من حبه في كل واد يهيم
يا رب خمر فَمُهُ كأسها	لم أقتنع من شرها بالشميم
أتبت رشفاً قُبَلاً عندها	وقلت هذا زمزم والحطيم
فافتَرَّ إما عن أفاح الرُّبَا	يضحك أو در العقود النظيم

القاضى الأعز
أبو الفتوح
نصر الله ابن
عبد الله (ابن
قلاقس)
الأزهرى
الإسكندرى
الشاعر

أو كان قد قبل مستحسننا ما قبل الفاضل عبد الرحيم
وكان كثير الحركات والأشعار ، وفي ذلك يقول [من البسيط] :
والناس كنز ولكن لا يُقدَّر لى إلا مرافقة الملاح والحادى

وفي آخر وقته دخل بلاد اليمن ، وامتدح بمدينة عدن أبا الفرج ياسر
ابن أبى الندى بلال بن جرير المحمدى وزير محمد وأبى السعود ولدى عمران
ابن محمد الراعى سبأ بن أبى السعود بن زريع بن العباس النامى ، صاحب بلاد
اليمن ، فأحسن إليه ، وأجزل صلته ، وفارقه وقد أثرى من جهته ، فركب البحر ،
فانكسر المركب به ، وغرق جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك
وذلك يوم الجمعة ، خامس ذى القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، فعاد إليه ،
وهو عريان ، فلما دخل عليه أنشده قصيدته التى أولها [من الطويل] :

صدرنا وقد نادى السماح بنارِدُوا
فعدنا إلى مغناك والعودُ أحمدُ

وهذه القصيدة من القصائد المختارة ، ولولم يكن فيها سوى هذا البيت
لكفاه ، ثم أنشده بعد ذلك قصيدة ، يصف فيها غرقه ، وأولها [من
مجزوء الكامل] :

سافر إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ماجرى طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسة بُدِّلْتُ بالبحر نحرا
يا راويا عن ياسر خبراً ولم يعرفه خبراً
اقرأ بغرة وجهه صحف المنى إن كنت تقرا
والنم بنان يمينه وقل السلام عليك بحرا
وغلظت فى تشبيهه بالبحر ، فالهم غفراً

أوليس نلتُ بذا غنيَّ جَمًّا ونلت بذاك فقراً
وعهدت هذا لم يزل مداً ، وذاك يعود جزراً

وهي قصيدة طويلة ، أحسن فيها كل الإحسان ، ومعنى البيت الثاني منها مأخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات ، المقدم ذكره في حرف الهمزة ، في أول رسالة قد ذكرتها في ترجمته ، وهي « الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه » ، والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضاً مأخوذ من قول صردُّ ، الشاعر ، المقدم ذكره في حرف العين ، وهو [من مجزوء الكامل] :

فَلَقِلْ رِكَابَكَ فِي الْفَلَا ودع الغماني للحدور
فمخالفو أوطانهم أمثال سكان القبور
لولا التنقل ما ارتقت درر البحور إلى النحور

وله في جارية سوداء ، وهو معنى غريب [من الخفيف] :

رب سوداء وهي بيضاء معنى نَافَسَ الْمَسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مثلُ حَبِّ الْعَيُونِ يَحْسِبُهُ النَّاسُ سُوَادًا ، وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ
ومحاسن ابن قلاقس نادرة .

وكانت ولادته بغير الإسكندرية ، يوم الأربعاء ، رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

وتوفي ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب ، رحمه الله تعالى ! ودخل صقلية في شعبان ، سنة ثلاث وستين ، وكان وصوله إلى المين سنة خمس وستين ، وكان بصقلية بعض القواد ، يقال له : القائد أبو القاسم بن الحجر فاتصل به ، وأحسن إليه ، وصنف له كتاباً سماه « الزهر الباسم » ، في أوصاف أبي القاسم ، وأجاد فيه ، ولما فارق صقلية راجعاً إلى الديار المصرية ، وكان في زمن الشتاء ، رده الريح إلى صقلية ، فكتب إلى أبي القاسم المذكور قوله [من مجزوء الكامل] :

منع الشتاء من الوصو ل مع الرسول إلى ديارى
فأعادنى وعلى اختيا رى جاء من غير اختياري
ولربما وقع الحما روكان من غرض المكاري

وقلّ أقس — بقافين : الأولى مفتوحة ، والثانية مكسورة ، وبينهما لام ألف
وفى آخره سين مهملة — وهو جمع قلقاس ، وهو معروف .

واللاخمي : تقدم الكلام عليه ، وكذلك الأزهرى .

وعيدآب — بفتح العين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح
الذال المعجمة ، وبعد الألف باء موحدة — وهى بليدة على شاطئ بحر جدة ،
يعدى منها الركب المصرى المتوجه إلى الحجاز ، على طريق قوص ، فى ليلة
واحدة ، فى أغلب الأوقات ، فيصل إلى جدة ، ومنها إلى مكة — حرسها الله
تعالى ! — مسافة يوم ، وبجدة قبر أم البشر حواء ، رضى الله عنها ! على ما يقال ،
وقبرها هناك ظاهر يزار .

وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه ، المقدم ذكره عند
دخوله اليمن .

(٧٣٤)

ضياء الدين
أبو الفتح
نصر الله
ابن أبي الكر
(ابن الأثير)
الجزري

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بضياء الدين كان مولده بجزيرة ابن عمر، ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل، وحصل العلوم، وحفظ كتاب الله الكريم، وكثيراً من الأحاديث النبوية، وطرقاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئاً كثيراً من الأشعار حتى قال في أول كتابه الذي سماه «الوشى المرقوم» ما مثاله: وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدث ما لأحصيه كثرة، ثم اقتضرت بعد ذلك على شعر الطائيين: حبيب بن أوس — يعني أبا تمام — وأبي عبادة البحتري، وشعر أبي الطيب المتنبي، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين، حتى تمسكنت من صوغ المعاني، وصار الإدمان لي خلقاً وطبعاً، وإنما ذكرت هذا الفصل في معرض: أن المنشئ ينبغي أن يجعل دأبه في الترسل حلّ المنظوم، ويعتمد عليه في هذه الصناعة. ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين — تغمده الله برحمته! — في شهر ربيع الأول، سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة، من السنة، وأقام عنده إلى شوال من السنة، ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده، فغيره صلاح الدين بين الإقامة في خدمته، والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له باقياً عليه، فاختر ولده، فمضى إليه، وكان يومئذ شاباً، فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على المقدم ذكره، رحمه الله تعالى! وحسنت حاله عنده، ولما توفي السلطان صلاح الدين، واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق، استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة، وردت أمور الناس إليه، وصار الاعتماد في جميع الأحوال

عليه ، ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل ، وانتقل إلى صرخد ، حسبما شرحناه في ترجمته ، وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها ، فهموا بقتله ، فأخرجوه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيا في صندوق مقل عليه ، ثم صار إليه ، وصحبه إلى مصر لما استدعى لنيابة ابن أخيه الملك المنصور ، وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الأفضل ، فأغنى عن الإعادة ، ولما قصد الملك العادل الديار المصرية ، وأخذها من ابن أخيه ، كما ذكرناه هناك ، وتعرض الملك الأفضل البلاد الشرقية ، وخرج من مصر ، لم يخرج ضياء الدين في خدمته ، لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها مستترا ، وله في كيفية خروجه مستخفيا رسالة طويلة ، شرح فيها حاله ، وهى موجودة في ديوان رسائله ، وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة ، ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته ، وأقام عنده مدة ، ثم فارقه في ذى القعدة من سنة سبع وستمائة ، واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، المقدم ذكره ، فلم يطل مقامه عنده ، ولا انتظم أمره ، وخرج مغاضبا ، وعاد إلى الموصل ، فلم يستقم حاله ، فورد إربل ، فلم يستقم حاله ، فسافر إلى سنجار ، ثم عاد إلى الموصل ، واتخذها دار إقامته ، واستقر ، وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه ، المقدم ذكره في حرف الهمزة ، وأتابك يومئذ الأمير بدر الدين أبو الفضائل النورى ، وذلك في سنة ثمانى عشرة وستمائة ، ولقد ترددت إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات ، وهو مقيم بها ، وكنت أود الاجتماع به لأخذ عنه شيئا ، ولما كان بينه وبين الوالد ، رحمه الله تعالى - من المودة الأكيدة ، فلم يتفق ذلك ، ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت إلى الشام ، وأقيمت به مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم بلغنى بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة ، وسيأتى تاريخه

في أواخر الترجمة إن شاء الله تعالى .
ولضياء الدين من التصانيف الذالة على غزارة فضله وتحقيق نبذه ، كتابه
الذي سماه « المثل السائر » ، في أدب الكتّاب والشاعر » ، وهو في مجلدين ،
جمع فيه فأوعى ، ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ، ولما فرغ من
تصنيفه كتبته الناس عنه ، فوصل إلى بغداد منه نسخة ، فانتدب له الفقيه
الأديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي
الحديد المدائني ، وتصدى لمؤاخذته والرد عليه ، وعنته ، وجمع هذه المؤاخذات
في كتاب ، سماه « الفلك الدائر » ، على المثل السائر » فلما اكمله وقف عليه
أخوه موفق الدين أبو المعالي أحمد ، ويدعى القاسم أيضا ، فكتب إلى أخيه
المدكور قوله [من السريع] :

المثل السائر ياسيدي صنف فيه الفلك الدائر

لكن هذا فلك دائر تصير فيه المثل السائر

وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمداين ، يوم السبت مستهل ذي الحجة
سنة ست وثمانين وخمسمائة .

وتوفي في بغداد ، سنة خمس وخمسين وستمائة .

وتوفي أخوه موفق الدين المذكور ببغداد ، في سنة ست وخمسين وستمائة ،
بعد أن أخذها التتر بقليل .

وكانا فقيهين أديبين فاضلين ، لهما أشعار مليحة .

ومولد الموفق المذكور في جمادى الآخرة — وقيل : في شهر ربيع الأول ،

سنة تسعين وخمسمائة ، بالمداين

وله كتاب « الوشى المرقوم » ، في حل المنظوم وهو مع وجازته في غاية الحسن
والإفادة ، وله كتاب « المعاني المخترعة ^(١) » ، في صناعة الإنشاء » ، وهو أيضا نهاية

(١) في ب « المعالي المخترعة »

في بابه ، وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام ، والبحترى ، وديك الجن ، والمتنبي ، وهو في مجلد واحد كبير ، وحفظه مفيد ، وقال أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل : نقلت من خطه ، في آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله [من الطويل] :

تمتع به علقا نفيسا فإنه اختيار بصير بالأمور حكيم
أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى إلى الشعر من نهج إليه قويم

وله أيضا ديوان ترسل في عدة مجلدات ، والمختار منه في مجلد واحد .

ومن جملة رسائله ، ما كتبه إلى مخدمه ، وقد سافر في زمن الشتاء والبرد الشديد : وينهى أنه سار عن الخدمة ، وقد ضرب الدجُن فيه مضاربه ، وأسبل عليه ذوائبه ، وجعل كل قرارة خفيراً ، وكل ربوة غديراً ، وخط كل أرض خطأ ، وغادر كل جانب شطاً ، كأنه يوازي يدَ مولانا في شيمة كرمها ، والنشاث صوبَ ديمها ، والمملوك يستغفر الله من هذا التمثيل ، العارى عن فائدة التحصيل ، وفرق بين ما يملأ الوادى بمائه ، ومن يملأ النادى بنعمائه ، وليس ما ينبت زهرا ينذهب المصيف ، أو تمراً يأكله الخريف ، كمن ينبت ثروة تفوت الأعطاف ، ويأكل المرتب والمصطاف ، ثم استمر على مسير يقاسى الأرض ووحلها ، والسماء ووبلها ، ولقد جاد حتى أكثر ، وواصل حتى أضجر ، وأسرف حتى اتصل بره بالعقوق ، وما خاف المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ، ولم يزل من مواقع قطره في حرب ، ومن شدة برده في كرب ، والسلام .

ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام ، المعروف بالحاجرى الإربلى ، المقدم ذكره ، هذا المعنى ، وهو قوله « ومن شدة برده في كرب » أعجبه ونظم أبياتاً ، ومن جملتها بيت أودعه هذا المعنى ، وهو [من السريع] :

ويلاه من برد رُضابٍ له أشكو إلى العذال منه الحريق

ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق إلى الوقوف على بقية الأبيات ،

وهي قليلة فلا بأس بذكرها ، وهي :

بين لوى الجزع ووادى العقيق مَنْ لا إلى السلوان عنه طريق
جانٍ جَنَى النحلة مِنْ ريقه حلو التثني والثنايا رشيق
لو لم تكن وجنته جنة ما أنبتت ذاك العذار الأنيق
ويلاه من برد رُضَابٍ له أشكو إلى العذال منه الحريق
واعجبا يفعل بي فى الهوى ما تفعل الأعداء وهو الصديق
روحي فدى الظبي الذى قدَّهُ يفعل فعل السمهرى الدقيق
وقد سبق فى ترجمة النفيس القطرُ سعى فى حرف الهمة^(١) بيت من جملة
أبياته الكافية يتضمن هذا المعنى ، وهو قوله [من مجزوء الكامل] :

أحرقْت يا ثغر الجيد بحشاكى لما ذُقْتُ بُردك

وأصل هذا المعنى لابن التعاوىذى ، المقدم ذكره فى بيت من جملة قصيدته
النونية المشهورة ، وهو [من البسيط] :

يدكى الجوى بارد من ثغره شَبَّمْ

ويوقظ الوجد طرف منه وسمان

ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدمه إلى الديوان العزيز ، من
جملة رسالة ، وهى : ودولته هى الضاحكة ، وإن كان نَسَبُها إلى العباس ، فهى
خير دولة أخرجت للزمن ، كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ، ولم يجعل
شعارها من لون الشباب إلا تفاؤلا بأنها لا تهرم ، وأنها لا تزال محبوبة من أبكار
السعادة بالحب الذى لا يسلى والوصل الذى لا يصرم ، وهذا معنى اخترعه الخادم
للدولة وشعارها ، وهو مما^(٢) لا تخطه الأقلام فى صحفها ، ولا أجالته الخواطر
فى أفكارها .

(١) انظر الترجمة رقم ٦٥ فى الجزء الأول ص ١٤٨ من هذا الكتاب

(٢) فى ب « وهو مما تخطه » وليس بشيء

أقول : لعمرى ما أنصف ضياء الدين فى دعواه الاختراع لهذا المعنى ، وقد سبقه إليه ابن التعاوىذى أيضاً فى قصيدته السينية ، التى مدح بها الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد أول يوم جلس فى دَسْتِ الخلافة ، وهو يوم الأحد مستهل ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وأول القصيدة [من الخفيف] :

طاف يَسْعَى بها على الجلاس كقضيبي الأراكة الميَّاس

ومنها عند الخُلاص ، وهو المقصود بالذكر هنا :

يا نهار المشيب من لى وهىها ت بلبيل الشميبة الديماس
حال بينى وبين كهوى وأطرا بى دهرُ أحال صبغة راسى
ورأى الفانيات شيبى فأعرضن وقلن السواد خير لباس
كيف لا يفضل السواد وقد أضحى شعاراً على بنى العباس

ولاشك أن ضياء الدين زاد على هذا المعنى ، لكن ابن التعاوىذى هو الذى فتح الباب ، وأوضح السبيل ، فسهل على ضياء الدين سلوكة .

وله من جملة رسائله فى ذكر العصا التى يتوكأ عليها الشيخ الكبير ، وهو معنى غريب : وهذا لمبتدأ ضعفى خبر ، ولقوس ظهري وثَر ، وإن كان إلقاؤها إقامة فإن حملها دليل على السفر .

وله فى وصف المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو : فسلبوا وعارضتهم الدماء عن اللباس ، فهم فى صورة عاروزيهم زى كاس ، وما أسرع ما خيَّطَ لهم لباسُها المحمر ، غير أنه لم يُجب عليهم ولم يزر ، وما لبسوه حتى ألبس الإسلام شعار النصر ، الباقى على الدهر ، وهو شعار نسجه السنان الخارق ، لا الصنع الخاذق ، ولم يغب عن لابسهِ إلا ريتما غابت البيض فى الطللى والهلام ، وألف الطعن بين ألف الخط واللام .

وأول هذا الفصل مأخوذ من قول البحترى [من الكامل] :

سلبوا وأشرقتِ الدماء عليهمُ محمرة فسكانهم لم يسلبوا

وله رسالة يصف فيها الديار المصرية ، وهى طويلة ، ومن جملة ما فيها فصل فى صفة نيلها وقت زيادته ، وهو معنى بديع غريب ، لم أقف لغيره على أسلوبه ، وهو قوله : وعذب رضابه فضاهى جنى النحل ، واحمر صفيحه فعلمت أنه قد قتل المحل .

وهذا المعنى نهاية فى الحسن ، ثم إنى وجدت هذا المعنى لبعض العرب ، وقد أخذ ضياء الدين منه ، وهو قوله [من الكامل] :

لله قلب ما يزال يرؤؤه برق الغمامة منجداً أو مغورا

ما احمر فى الليل البهيم صفيحة متبحراً إلا وقد قتل الكرى

ولقد أحسن فى أخذه وتلطف فى نقله إلى هذا المعنى ، ومثله قول عبد الله ابن المعتز المتقدم ذكره فى غلام أرم [من المنسرح] :

قالوا اشتكت عينه ، فقلت لهم : من كثرة القتل مسها الوصبُ

حمرتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهد عجبُ

وله كل معنى مليح فى الترسل ، وكان يعارض القاضى الفاضل فى رسائله ، فاذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها ، وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات ، ولم يكن له فى النظم شئ حسن ، وسأذكر منه أمودجا ، وهو [من مجزوء الكامل] :

ثلاثة تعطى الفرح كأس وكوب وقح

ما ذبح الزق لها إلا ولهم ذبحُ

وكان كثيراً ما ينشد [من الكامل] :

قلب كفاه من الصبابة أنه لبس دعاء الطاعنين وما دعى

ومن الظنون الفاسدات توهمى بعد اليقين بقاؤه فى أضلعي

وهذان البيتان من جملة أبيات للفقير عمارة البني المقدم ذكره .

ومحاسنه كثيرة ، وقد طال الشرح .

وذكره أبو البركات ابن المستوفى في تاريخ إربل ، وبالغ في الثناء عليه ، وقال : ورد إربل في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستمائة ، وكانت ولادته بمجيزة ابن عمر في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وتوفي في إحدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ببغداد ، وقد توجه إليها رسولاً من جهة صاحب الموصل ، وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، ودفن بمقابر قریش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر ، رضى الله عنهما !

قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في تاريخ بغداد :

توفي يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وهو أخير ، لأنه صاحب هذا الفن ، وقد مات عندهم وقد تقدم ذكر أخويه : محمد الدين أبي السعادات المبارك ، وأبي الحسن على الملقب عز الدين ، وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء ، لكل واحد منهم تصانيف نافعة ، رحمهم الله تعالى !

وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه ، له النظم والنثر الحسن ، وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ، ورأيت له مجموعاً جمعه له الملك الأشرف بن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمته ونثره ، ورسائل أبيه ، ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وتوفي بكرة نهار الإثنين ثلثي جمادى سنة اثننتين وعشرين وستمائة ، واسمه محمد ، ولقبه الشرف ، رحمه الله تعالى !

(٧٣٥)

أبو الحسن النضر بن شميل بن خَرْشَة بن يزيد بن كُلْثُوم بن عبدة
ابن زهير السَّكَب ، الشاعر ، ابن عروة بن حَلِيمَة بن حُجْر
ابن خُزَاعِي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ،
التميمي ، المازني ، النحوي ، البصري

أبو الحسين
النضر بن شميل
المازني البصري
النحوي

كان عالماً بفنون من العلم ، صدوقاً ثقة ، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة
بأيام العرب ورواية الحديث ، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد
ذكره أبو عبيدة في كتاب « مثالب أهل البصرة » فقال : ضاقت المعيشة
على النضر بن شميل البصري بالبصرة فخرج يريد خراسان ، فشيعة من أهل
البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ، ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو
عروضي أو أخباري ، فلما صار بالربد جلس وقال : يا أهل البصرة ، يعز على
فراقكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلي ما فارقتكم ، قال : فلم يكن أحد
فيهم يتكلف له ذلك ، فسار حتى وصل خراسان ، فأفاد بها مالا عظيماً ، وكانت
إقامته بمرور .

وقد سبق في أخبار القاضي عبد الوهاب المالكي نظير هذه الحكاية لما
خرج من بغداد (١) .

وسمع من هشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وحميد الطويل وعبد الله
ابن عون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين ، وروى عنه يحيى بن معين وعلى
ابن المديني وكل من أدركه من أئمة عصره ، ودخل نيسابور غير مرة ، وأقام بها
زماناً ، وسمع منه أهلها ، وله مع المأمون بن هرون الرشيد لما كان مقيماً بمرو
حكايات ونوادر ، لأنه كان يجالسه ، فمن ذلك ما حكاه الحريري في كتاب « درة
العواص ، في أوهام الخواص » في قوله : ويقولون هو سيداد من عوز ، فيلحنون

(١) انظر الترجمة رقم ٣٧٣ في الجزء الثاني ص ٣٨٧

في فتح السين ، والصواب أن يقال بالكسر (١) :

وقد جاء في أخبار النحويين أن النضر بن شميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم ، وساق خبره ، وذكر إسناداً انتهى فيه إلى محمد بن ناصح الأهوازي ، قال : حدثني النضر بن شميل ، قال : كنت أدخل على المأمون في سمره ، فدخلت ذات ليلة وعلى ثوب مرقوع ، فقال : يا نضر ، ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ ضعيف ، وحرٌّ مرؤ شديد ، فأتبرد بهذه الخلقان ، قال : لا ، ولكنك كشف ، ثم أجرينا الحديث ، فأجرى هو ذكر النساء ، فقال : حدثنا هشيم عن خالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهها كان فيه سداد من عوز » فأورده بفتح السين ، قال : فقلت : صدق يا أمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهها كان فيها سداد من عوز » قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : يا نضر ، كيف قلت سداد ؟ قلت : لأن السداد ههنا لحن ، قال : أو تُلحني ؟ قلت : إنما لحن هشيم ، وكان لحانة ، فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد — بالفتح — القصد في الدين والسبيل ، والسداد — بالكسر — البلغة ، وكل ما سدت به شيئاً فهو سداد ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم ، هذا العرجي يقول [من الوافر] :

أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كرية وسداد نقر
فقال المأمون : قبح الله من لا أدب له !! وأطرق ملياً ، ثم قال : ما مالك يا نضر ؟ قلت : أريضة لي بمرو أنصابها وأتمزها ، قال : أفلا نفيدك مالا معها ؟ قلت : إني إلى ذلك محتاج ، قال : فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ، ثم

(١) أجاز ابن السكيت وابن قتيبة والجوهري الوجهين ، لكن الكسر أفصح

قال : كيف تقول إذا أمرت أن يترب ؟ قلت : أثر به ، قال : فهو ماذا ، قلت : مُتَرَب ، قال فمن الطين ؟ قلت : طِنُهُ ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مَطِين ، قال : هذه أحسن من الأولى ، ثم قال : يا غلام ، أثر به وطِنُهُ ، ثم صلى بنا العشاء ، وقال لخادمه : تبليغ معه إلى الفضل بن سهل ، قال : فلما قرأ الفضل القرطاس قال : يا نضر ، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم ، فما كان السبب فيه ؟ فأخبرته ولم أكذب ، فقال : لحنت أمير المؤمنين ؟ فقلت : كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ، ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم ، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني

والبیت الذی استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي العرجي الشاعر المشهور ، وهو من جملة أبيات له ، وهي هذه الأبيات [من الوافر] :

أضاعوني وأتى قتي أضاعوا	ليوم كريمة وسداد تغر
وصبر عند معرك المنايا	وقد شرعت أسننها لنحري
أجرر في الجوامع كل يوم	فيالله مظلما قتي وقسري
كأني لم أكن فيهم وسيطا	ولم تك نسبي في آل عمرو
عسى الملك المجيب لمن دعاه	سيمنجني فيعلم كيف شكري
فأجزى بالكرامة أهل ودّي	وأجزى بالصفائن أهل وترّي

وكان سبب عمله هذه الأبيات أن محمد بن هشام بن إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لأنه كان يشبب بأمة جيّداء ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ولم يكن ذلك لمحبه إياها ، بل ليفضح ولدها المذكور ، وأقام في حبسه تسع سنين ، ثم مات فيه بعد أن ضربه بالسياط وشهره بالأسواق ، فعمل هذه الأبيات في السجن

وقد خرجنا عن المقصود ، ونرجع الآن إلى تنمة أخبار النضر ، فمن ذلك ما حكاه الحريري في «درة النعواص» أيضا في أوائل الكتاب في قوله : ويقولون

للمريض : مَسَحَ اللهُ ما بك — بالسَّينِ ، والصَّواب فيه مَصَحَ^(١) — بالصاد —
ويحكى أن النضر بن شُمَيْل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه ، فقال له
رجل منهم يكنى أبا صالح : مسح الله ما بك ، فقال : لا تقل مسح بالسَّين ولكن
قل مَصَح بالصاد ، أي أذهب وفرقه ، أما سمعت قول الأعشى [من الرمل] :
وإذا ما الحُجر فيها أزدت أفل الإزباد فيها ومصح

فقال له الرجل : إن السَّين قد تبدل من الصاد ، كما يقال : الصراط ،
والسراط ، وسقر ، وصقر ، فقال له النضر : فإذا أنت أبو صالح .

وتشبه هذه النادرة ما حكى أيضا : أن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير
أبي الحسن بن الفرات : أن تقام السَّين مقام الصاد في كل موضع ، فقال له
الوزير : أتقرأ (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم) أم من صلح ؟
فجبل الرجل وانقطع ، انتهى كلام الحريري .

قلت أنا : والذي ذكره أرباب اللغة في جواز إبدال الصاد من السَّين :
أن كل كلمة كان فيها سَّين ، وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة — وهى : الطاء ،
والخاء ، والغين ، والقاف — فيجوز إبدال السَّين بالصاد ، فنقول في « السراط »
الصرط ، وفي « سخر لكم » صخر ، وفي « مسغبة » مصغبة ، وفي « سيقل » صيقل ،
وقس على هذا كله ، ولم أر في كتب اللغة من ذكر هذا ، وحكى فيه خلافا ، سوى
الجوهري في كتاب الصحاح ، في لفظة صدغ ، فانه قال : وربما قالوا السدغ بالسَّين .

قال محمد بن المستنير : إن قوما من بني تميم ، يقال لهم : بَلْعَنَبَر ، يقلبون
السَّين صاداً عند أربعة أحرف ، عند الطاء والقاف والغين والخاء ، إذا كن
بعد السَّين ، ولا يبالى : أثنائية كانت ، أم ثالثة ، أم رابعة ، إن يكن بعدها ،
يقولون : سراط وصرط ، وبسطة وبصطة ، وسيقل وصيقل ، وسرقت وصرقت ،
ومسغبة ومصغبة ، ومسدغة ومصدغة ، وسخر لكم وصخر لكم ، والسخب

(١) أجاز ابن برى والصاغاني والهروى الوجهين ، لكن بالصاد أعلى

والصخب ، انتهى كلامه في هذا الفصل .
وأخبار النضر كثيرة ، والاختصار أولى .
وله تصانيف كثيرة ، فمن ذلك : كتاب في الأجناس على مثال الغريب ،
وسماه : « كتاب الصفات » . قال على بن السكوفى : الجزء الأول منه يحتوى
على خلق الإنسان ، والجود ، والكرم ، وصفات النساء . والجزء الثانى يحتوى
على الأخبية ، والبيوت ، وصفات الجبال والشعاب . والجزء الثالث يحتوى
على الإبل فقط . والجزء الرابع يحتوى على الغنم والطير والشمس والقمر والليل
والنهار والألبان والسكأة والآبار والحياض والأرشيّة والدلاء وصفة الخمر .
والجزء الخامس يحتوى على الزرع والكرم والعنب ، وأسماء البقول والأشجار
والرياح والسحاب والأمطار . وله كتاب « السلاح » ، وكتاب « خلق الفرس »
وكتاب « الأنواء » وكتاب « المعانى » وكتاب « غريب الحديث » وكتاب
« المصادر » وكتاب « المدخل » ، إلى كتاب العين للخليل بن أحمد ، وغير
ذلك من التصانيف .

وتوفى فى سلخ ذى الحجة ، سنة أربع ومائتين ، وقيل : فى أولها ، وقيل :
سنة ثلاث ومائتين ، بمدينة صرّو من بلاد خراسان ، وبها ولد ، ونشأ بالبصرة
فلذلك نسب إليها ، رحمه الله تعالى .

والنّضر : بفتح النون ، وسكون الضاد المعجمة ، وبعدها راء .
وشميل : بضم الشين المعجمة ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها لام .

وخرّشة : بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة .
وكُثُوم : بضم الكاف والياء المثناة ، وبينهما لام ساكنة .
وعبدة : بفتح العين والdal المهملة ، وبينهما باء موحدة ، وهاء ساكنة .

والسكب : بفتح السين المهملة ، وسكون الكاف ، وبعدها باء موحدة ،
وإنما قيل له « سكب » لقوله [من البسيط] :

* برق يضيء خلال البيت أسكوب *

وحليمة : بفتح الحاء المهملة ، وكسر اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها .
وقال ابن الجوزي في كتاب الألقاب في ترجمة السكب : هو زهير بن عروة بن
جُلْهَمَة ، والله أعلم بالصواب .

وَجُلْهَمَة : بضم الجيم والهاء ، وبينهما لام ساكنة ، وهو في الأصل : اسم
لجنب الوادي ، يقال له : جُلْهَمَة ، وَجَلْهَمَة : بفتح الجيم والهاء بغير ميم — وبه
سمى الرجل .

وحَجْرٌ : بضم الحاء المهملة ، وبعدها جيم ساكنة ، ثم راء .

وخَزْأَعِي : بضم الخاء المعجمة ، وفتح الزاي ، وبعد الألف عين مهملة
مكسورة ، ثم ياء مشددة تشبه ياء النسب .

والباقي معروف ، فلا حاجة إلى ضبطه .

(٧٣٦)

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت — رضى الله عنه ! — ابن زوطى
ابن ماه ، الإمام ، الفقيه ، الكوفي ، مولى تيم الله بن ثعلبة ، وهو من
رهط حمزة الزيات
أبو حنيفة
النعمان بن ثابت
ابن زوطى
إمام أهل
الرأى

كان خزازاً ، يبيع الخبز ، وجده زوطى من أهل كابل ، وقيل : من
أهل بابل ، وقيل : من أهل الأنبار ، وقيل : من أهل نسا ، وقيل : من أهل
ترمذ ، وهو الذى مسه الرق فأعتق ، وولد ثابت على الإسلام .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن
النعمان ابن المرزبان ، من أبناء فارس من الأحرار ، والله ما وقع علينا رق قط .
ولد جدى سنة ثمانين ، وذهب ثابت إلى على بن أبى طالب — رضى
الله عنه ! — وهو صغير ، فدعاه بالبركة فيه وفى ذريته ، ونحن نرجو أن يكون
الله تعالى قد استجاب ذلك لعلى فينا ، والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو
الذى أهدى لعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه ! — الفالودج فى يوم مهرجان ،
فقال : مهر جونا كل يوم ، هكذا قال الخطيب فى تاريخه ، والله تعالى أعلم .

وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ! وهم :
أنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدى
بالمدينة ، وأبو الطفيل عامر بن وائلة بمكة ، ولم يلق أحداً منهم ، ولا أخذ عنه ،
وأصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، ولم يثبت ذلك عند
أهل النقل .

وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك ، رضى الله عنه ! .
وأخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان ، وسمع عطاء بن أبى رباح ،

وأبا إسحاق السبيعي ، ومحارب بن دثار ، والهيثم بن حبيب الصراف ، ومحمد ابن المنكدر ، ونافعا مولى عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهم ! وهشام بن عروة ، وسماك بن حرب ، وروى عنه عبد الله بن المبارك ، ووکیع بن الجراح ، والقاضي أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وغيرهم .

وكان عالماً ، عاملاً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً ، تقياً ، كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى ، ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد ، فأمره على أن يوليه القضاء ، فأبى ، فخلف عليه ليفعلن ، فخاف أبو حنيفة أن لا يفعل فخلف المنصور ليفعلن ، فخلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، وقال : إني لن أصلح إلى قضاء ، فقال الربيع بن يونس الحاجب : ألا ترى أمير المؤمنين يخلف ؟ فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين على كفارة أيامه أقدر منى على كفارة أيامي ، فأمر به إلى الحبس في الوقت ، والعوام يدعون أنه تولى عدد اللين أياما ليكفر بذلك عن يمينه ، ولم يصح هذا من جهة النقل . وقال الربيع : رأيت المنصور ينزل أبا حنيفة في أمر القضاء ، وهو يقول : اتق الله ، ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف الله ، والله ما أنا مأمون الرضا ، فكيف أكون مأمون الغضب ؟ ولو اتجه الحكم عليك ، ثم تهددني أن تفرقني في الفرات أو تلى الحكم لاخترت أن أغرق ، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ، ولا أصلح لذلك ، فقال له : كذبت ، أنت تصلح ، فقال له : قد حكمت لي على نفسك ، كيف يحل لك أن تولى قاضيا على أمانتك وهو كذاب ؟

وحكى الخطيب أيضا في بعض الروايات : أن المنصور لما بنى مدينته ، ونزلها ، ونزل المهدي في الجانب الشرقي ، وبنى مسجد الرصافة ، أرسل إلى أبي حنيفة ، فجيء به ، فعرض عليه قضاء الرصافة ، فأبى ، فقال له : إن لم تفعل ضربتك بالسياط ، قال : أو تفعل ؟ قال : نعم ، فقعده في القضاء يومين ، فلم

يأتيه أحد ، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفّار ، ومعه آخر ، فقال الصفّار : لي على هذا درهمان وأربعة دنانق فمن تورّ صُفّر ، فقال أبو حنيفة : اتق الله ، وانظر فيما يقول الصفّار ، قال : ليس له على شيء ، فقال أبو حنيفة للصفّار : ما تقول ؟ فقال : استحلّفته لي ، فقال أبو حنيفة للرجل : قل والله الذي لا إله إلا هو ، فجعل يقول ، فلما رآه أبو حنيفة معتمداً على أن يقول قطع عليه ، وضرب بيده إلى مكه ، فحلّ صرة وأخرج درهمين ثقيلين ، وقال للصفّار : هذان الدرهمان عوض عن باقي تورّك ، فنظر الصفّار إليهما ، وقال : نعم ، فأخذ الدرهمين ، فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة ، ففرض ستة أيام ، ثم مات .

وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة الفزّاري ، أمير العراقين ، أراحه أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، فأبى عليه ، فضربه مائة سوط ، وعشرة أسواط ، كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله .

وكان أحمد بن حنبل - رضى الله عنه ! - إذا ذكر ذلك بكى ، وترحم على أبي حنيفة ، وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : مررت مع أبي بالكُنْأسة ، فبكي ، فقلت له : يا أبت ما يبكيك ؟ فقال : يا بني ، في هذا الموضع ضرب ابن هُبيرة أبي عشرة أيام ، في كل يوم عشرة أسواط ، على أن يلي القضاء ، فلم يفعل .

والكُنْأسة - بضم الكاف - موضع بالكوفة .

وكان أبو حنيفة حسن الوجه ، حسن المجلس ، شديد الكرم ، حسن المواساة لإخوانه ، وكان ربعة من الرجال ، وقيل : كان طوّالاً تعلوه سمرة ،

أحسن الناس منطقاً ، وأحلامهم نعمة .

وذكر الخطيب في تاريخه أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث من سأل ابن سيرين ، فقال ابن سيرين : صاحب هذه الرؤيا يشور علماً ، لم يسبقه إليه أحد قبله .

قال الشافعي - رضي الله عنه - : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم ، رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته .

وروى حرّملة بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه ، أنه قال : الناس عيال على هؤلاء الخمسة ، من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى ، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان ، هكذا نقله الخطيب في تاريخه .

وقال يحيى بن معين : القراءة عندي قراءة حمزة ، والفقه فقه أبي حنيفة ، على هذا أدركت الناس .

وقال جعفر بن ربيع : أقت على أبي حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول صمتاً منه ، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي ، وسمعت له دَوِيّاً وجهارة في الكلام .

وكان إماماً في القياس ، وقال علي بن عاصم : دخلت على أبي حنيفة وعنده حجج يأخذ من شعره ، فقال للحجج : تَتَبَّعُ مواضع البياض ، فقال الحجج : ولا تزد ، فقال : ولم ؟ قال : لا يكثر ، قال : فتتبع مواضع السواد لعله يكثر ، وحكى لشريك هذه الحكاية ، فضحك ، وقال : لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجج .

وقال عبد الله بن رجاء : كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف ، يعمل نهاره أجمع ، حتى إذا جَنَّهُ الليل رجع إلى منزله ، وقد حمل لهما فطبخه أو سمكة فيشويها ، ثم لا يزال يشرب ، حتى إذا دب الشراب فيه غرَّد بصوت ، وهو يقول :

أضاعوني وأى فقى أضاعوا ليوم كـريهة وسداد ثغر^(١)
فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يسمع جَلْبَتَه كل ليلة ، وأبو حنيفة كان يصلى الليل كله ، ففقد أبو حنيفة صوته ، فسأل عنه ، فقيل : أخذه العَسَسُ منذ ليلال ، وهو محبوس ، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من الغد ، وركب بغلته ، واستأذن على الأمير ، فقال الأمير : ائذنوا له ، وأقبلوا به راكبا ، ولا تدعوه ينزل حتى يطا البساط ببغلته ، ففعل ، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه ، وقال : ما حاجتك ؟ فقال : لى جار إسكاف أخذه العسس منذ ليلال ، يأمر الأمير بتخليته ، فقال : نعم ، وكل من أخذ فى تلك الليلة ، إلى يومنا هذا ، فأمر بتخليتهم أجمعين ، فركب أبو حنيفة ، والإسكاف يمشى وراءه ، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه ، وقال : يا فقى أضعنك ؟ فقال : لا ، بل حفظت ورعيت ، جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق ! وتاب الرجل ، ولم يُعَدَّ إلى ما كان عليه .

وقال ابن المبارك : رأيت أبا حنيفة فى طريق مكة ، وقد شوى لهم فصيل سمين ، فاشتبهوا أن يأكلوه بخُلٍّ فلم يجدوا شيئا يصبون فيه الخلل ، فتحيروا ، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر فى الرمل حفرة وبَسَطَ عليها السفرة ، وسكب الخلل على ذلك الموضع ، فأكلوا الشواء بالخل ، فقالوا : تحسن كل شيء ، فقال : عليكم بالشكر ، فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم

وقال ابن المبارك أيضا : قلت لسفيان الثورى : يا عبد الله ، ما أبعد أبا حنيفة

(١) البيت للعرجى ، وقد تقدم مع أبيات فى ترجمة النضر بن شميل قبل هذه

عن الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدوًّا له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها

وقال أبو يوسف : دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة ، فقال الربيع صاحب المنصور ، وكان يُعَادَى أبا حنيفة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبو حنيفة يخالف جدَّك ، كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول : إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين ، فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جُندك بَيْعَة ، قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستمنون فتبطل أيمانهم ، فضحك المنصور وقال : ياربيع ، لا تتعرَّض لأبي حنيفة ، فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تسيط بدمي ، قال : لا ، ولكنك أردت أن تسيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي

وكان أبو العباس الطوسي سيئ الرأي في أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك ، فدخل أبو حنيفة على المنصور ، وكثر الناس ، فقال الطوسي : اليوم أقتل أبا حنيفة ، فأقبل عليه فقال : يا أبا حنيفة ، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ماهو ، أيسمعه أن يضرب عنقه ؟ فقال : يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل ؟ فقال : بالحق ، قال : أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه : إن هذا أراد أن يؤثني فربطته

وقال يزيد بن الكميت : كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا على بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة (إذا زلزلت) وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس ، فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه بي ، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ

بلحية نفسه ، وهو يقول : يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيراً ، ويا من يجزى بمثقال ذرة شر شراً ، أجز النعمان عبدك من النار ، ومما يقرب منها من السوء ، وأدخله في سعة رحمتك ، قال : فأذنت وإذا القنديل يزهو وهو قائم ، فلما دخلت قال لي : تريد أن تأخذ القنديل ، قلت : قد أذنت لصلاة الغداة ، فقال : اكنم على ما رأيت ، وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل

وقال أسد بن عمرو : صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكان عامة ليله يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة ، وكان يُسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف ختمة

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه : لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمار أن يتولى غسله ، ففعل ، فلما غسله قال : رحمك الله وغفر لك ! لم تفتطر منذ ثلاثين سنة ، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة ، وقد أتعبت من بعدك ، وفضحت القراء

ومناقبه وفضائله كثيرة ، وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيئاً كثيراً ، ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق تركه والإضراب عنه ، فمثل هذا الإمام لا يشك في دينه ، ولا في ورعه وتحفظه ، ولم يكن يُعَاب بشيء سوى قلة العربية ، فمن ذلك ما روى أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي المتقدم ذكره سأله عن القتل بالمثل : هل يوجب القود أم لا ؟ فقال : لا ، كما هو قاعدة مذهبه خلافاً للإمام الشافعي رضي الله عنه ! فقال له أبو عمرو : ولو قتله بحجر المنجنيق ، فقال : ولو قتله بأبا قُبَيْسٍ ، يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى ! وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول : إن الكلمات الست المعربة بالحروف

وهي — أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال — إعرابها يكون في الأحوال
الثلاث بالآلف ، وأنشدوا في ذلك :

إن أباه وأبا أباه قد بلغنا في المجد غايتها
وهي لغة الكوفيين ، وأبو حنيفة من أهل الكوفة ، فهي لغته ، والله أعلم
وهذا وإن كان خروجاً عن المقصود لكن الكلام ارتبط ببعضه ببعض
فانتشر .

وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة ، وقيل : سنة إحدى وستين ،
والأول أصح

وتوفي في رجب ، وقيل : في شعبان ، سنة خمسين ومائة ، وقيل : ثلاث
 وخمسين ، والأول أصح

وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل ، هذا هو الصحيح ،
وقيل : إنه لم يمِت في السجن ، وقيل : توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي
رضي الله عنهما ! ودفن في مقبرة الخيزران ، وقبره هناك مشهور يزار .

وزُوطى — بضم الزاى ، وسكون الواو ، وفتح الطاء المهملة ، وبعدها ألف
مقصورة — وهو اسم نبطى

وكأبل — بفتح الكاف ، وضم الباء الموحدة بعد الألف ، وبعدها لام —
وهي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب إليها جماعة من العلماء وغيرهم

وأما بابل والأنبار فهما معروفان فلا حاجة إلى الكلام عليهما
وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفى مملكة
السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً وقبة ، وبني عنده
مدرسة كبيرة للحنفية ، ولما فرغ من عمارة ذلك ركب إليها في جماعة من الأعيان
ليشاهدوها ، فبيناهم هناك إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف
بالبياضى الشاعر المقدم ذكره وأنشده [من الطويل] :

ألم تر أن العلم كان مُبَدَّداً فجمعه هذا المغيَّبُ في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض مَيِّتَةً فأنشروها فعملُ العميد أبي سعد
فأجازهُ أبو سعد جائرةً سنية ، ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مَرَوْ ، وله عدة
رُبط وخانات في المغاوز ، وكان كثير الخير ، وعمل المعروف ، وانقطع آخر عمره
عن الخدمة ولزم بيته ، وكانوا يراجعونه في الأمور ، وتوفي في المحرم سنة أربع
وستين وأربعمائة بأصبهان ، رحمه الله تعالى ! وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع
 وخمسين وأربعمائة ، وقد تقدم في ترجمة ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه
 أنه بنى مشهداً على قبر الإمام أبي حنيفة ، وكذلك وجدته في بعض التواريخ ،
 وقد غاب عني الآن من أين نقلته ، ثم وجدت بعد ذلك أن الذي بنى المشهد والقبة
 أبو سعد المذكور ، والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور ،
 وهو كان المباشر ، كما جرت عادة النواب مع ملوكهم ، فحسبت العمارة إليه بهذه
 الطريق ، ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام ألب أرسلان ، وأبو سعد كان
 مستوفياً في أيامه ، ثم استمر على وظيفته في أيام ولده ملك شاه ، وهذا إنما ذكرته
 لنجمع بين النقلين ، والله أعلم .

(٧٣٧)

أبو حنيفة
النعمان بن
محمد الفقيه
المالكي ثم
الإمامي

أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون ،
أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم
ذكره الأمير المختار المسبّحي في تاريخه فقال : كان من أهل العلم والفقه
والدين والنبيل على مالا يزيد عليه ، وله عدة تصانيف : منها كتاب « اختلاف
أصول المذاهب » وغيره ، انتهى كلام المسبّحي في هذا الموضع
وكان مالكي المذهب ، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية ، وصنف كتاب
« ابتداء الدعوة للعتيدين » وكتاب « الأخبار » في الفقه ، وكتاب « الاقتصار »^(١)
في الفقه أيضاً

وقال ابن زولاق في كتاب « أخبار قضاة مصر » في ترجمة أبي الحسن على
ابن النعمان المذكور ، ما مثاله : وكان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل
من أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالمًا بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ، واللغة
والشعر الفحلّ والمعرفة بأيام الناس ، مع عقل وإنصاف ، وألف لأهل البيت من
الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب
كتاباً حسناً ، وله ردود على المخالفين ، له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي
وعلى ابن سريج ، وكتاب « اختلاف الفقهاء » وينتصر فيه لأهل البيت رضي
الله عنهم ! وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة

وكان أبو حنيفة المذكور ملازماً صحبة المعز أبي تميم معد بن منصور المقدم
ذكره ، ولما وصل من إفريقية إلى الديار المصرية كان معه ، ولم تطل مدته ،
ومات في مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، بمصر ، وذكر أحمد بن محمد
ابن عبد الله الفرغاني في سيرة القائد جوهر أنه توفي في ليلة الجمعة سلخ جادى
الآخرة من السنة ، وصلى عليه المعز ، وذكر ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر وفاة

(١) كذا في ب ، ولعله « الاقتصار » أو « الاتصار »

المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال : قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان ابن محمد الداعى ، ولما وصل إلى مصر وجد جوهرًا قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلى البغدادى فأقره ، انتهى كلام ابن زولاق

وكان والده أبو عبد الله محمد قد عُمر ، ويحكى أخباراً كثيرة نفيسة حفظها وعمره مائة وأربع سنين ، وتوفى في رجب سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وصلى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ، ودفن في باب سلم ، وهو أحد أبواب القبروان ، وكان عمره مائة وأربع سنين

وكان لأبى حنيفة أولاد نجباء سرّاة ، فمنهم أبو الحسن على بن النعمان ، أشرك المعز المذكور بينه وبين أبى طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير بن صالح بن أسامة الذهلى قاضى مصر فى الحكم ، ولم يزلَا مشتركين فيه إلى أن توفى المعز ، وقام بالأمر ولده العزيز نزار ، وقد تقدم ذكره أيضاً ، فرد إلى القاضى أبى الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب ، وهما على الاشتراك فى الحكم ، واستمر على ذلك إلى أن لحقت القاضى أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته من الحركة والسعى إلا محمولا ، فركب العزيز المذكور إلى الجزيرة التى بين مصر والجزيرة فى مستهل صفر سنة ست وستين وثلثمائة ، فحمل أبو طاهر إليه ، فلقبه والشهود معه عند باب الصناعة ، فرآه نحىلا ، وسأله استخلاف ولده أبى العلاء بسبب ما يجده من الضعف ، فسكى عن العزيز أنه قال : مابق إلا أن تقلدوه ، ثم قلد العزيز ثالث هذا اليوم القاضى أبا الحسن على بن النعمان المذكور القضاء مستقلا فركب إلى جامع القاهرة ، وقرأ سجله ، ثم عاد إلى الجامع العتيق بمصروقرأ سجله وكان القارىء أخاه أبا عبد الله محمد بن النعمان ، وكان فى سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والإمامة والعيارى الذهب والفضة ، والموازن والمسكايل ، ثم انصرف إلى داره فى جمع عظيم ، ولم يتأخر عنه أحد ، وأقام القاضى أبو طاهر المذكور منقطعا فى بيته عليلًا ، وأصحاب الحديث

يترددون إليه ويسمعون عليه ، إلى أن توفي سالخ ذى القعدة سنة سبع وستين
وثلاثمائة ، وسنه ثمان وثمانون سنة ، ومدة ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر
يوماً ، وأذن له العزيز أيضاً أن ينظر في الأحكام في هذه المدة ، فلم يكن فيه فضل ،
وكان قد حكم في الجانب الغربي ببغداد أيضاً ، ثم انتقل إلى مصر ، ثم إن القاضي
أبا الحسن استخلف في الحكم أخاه أبا عبد الله محمداً ، وفوض إليه الحكم بدمياط
وتنيس والفرما والجفار ، فخرج إليها واستخلف بها ثم عاد ، ثم سافر العزيز إلى
الشام في سنة سبع وستين ، وسافر معه القاضي أبو الحسن المذكور ، وجلس أخوه
محمد مكانه للحكم بين الناس

وكان القاضي أبو الحسن المذكور مفتحاً في عدة فنون ، منها علم القضاء ،
والقيام به بوقار وسكينة ، وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر ، وأيام الناس ، وكان
شاعراً مجيداً في الطبقة العليا ، ومن شعرة ما رواه أبو منصور النعماني في كتاب
« يتيمة الدهر » وهو قوله [من المنسرح] :

ولى صديق ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدم
أغنى وأقنى وما يكلفنى تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمرى لما قدمت به ونمت عن حاجتى ولم يَم

وأورد له النعماني أيضاً في المعنى [من مجزوء الوافر] :

صديق لى له أدب صداقة مثله نَسَبُ
رعى لى فوق ما يُرعى وأوجب فوق ما يجب
فلو نُقِدَتْ خلائقه لبهرجَ عندها الذهب

وأورد له أبو الحسن الباخري المقدم ذكره في كتابه « دمية القصر » — وأوردها
أيضاً أبو محمد بن زولاق في كتاب « أخبار قضاة مصر » في ترجمة أبي الحسن المذكور —
أبياتاً أحسن فيها كل الإحسان ، وهى [من الخفيف] :

رب خَوَدِ عرفت في عرفات سَلَبَتْنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي
حَرَمَتْ حِينَ أُحْرِمَتْ نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحَتْ حِمَايَ بِاللَّحْظَاتِ
وَأَفَاضَتْ مَعَ الْحَجِيجِ فَمَاضَتْ مِنْ جُفُونِي سَوَابِقُ الْعَبَرَاتِ
وَلَقَدْ أَضْرَمَتْ عَلَى الْقَلْبِ جَمْرًا مُحَرِّقًا إِذْ مَشَتْ إِلَى الْجَمَرَاتِ
لَمْ أَنْلِ مِنْ مَنَى مَنَى النَّفْسِ حَتَّى خَفْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمراً على أحكامه ، وافر الحرمة عند العزيز ، حتى أصابته الحمى وهو بالجامع ينظر في الأحكام ، فقام من وقته ، ومضى إلى داره ، وأقام عليلًا أربعة عشر يوماً ، وتوفي في يوم الإثنين لست خلون من رجب سنة أربع وسبعين وثلثمائة ، وأخرج تابوته من الغد إلى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند الموضع المعروف الآن بالبركة ، فوضع التابوت في المسجد المعروف بالبئر والجميزة ، وسار العزيز إليه من 'مُحَيِّمِهِ' حتى صلى عليه في المسجد ، وردت الجنازة إلى داره بالحراء ، فدفن فيها

والحراء : محلة بمصر ، وهي ثلاث حمراوات ، وإمّا قيل لها الحراء لنزول

الروم بها

وأرسل العزيز إلى أخيه أبي عبد الله محمد المذكور في هذه الترجمة ، وكان ينوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا ، فقال له : إن القضاء لك من بعد أخيك ، ولا تخرجه من هذا البيت

وكانت مدة ولاية أبي الحسن تسع سنين ، وخمسه أشهر ، وأربعة أيام وكانت ولادته بالمغرب ، في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! وأقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوماً لأن أبا عبد الله كان مريضاً ، ثم خف عنه المرض ، فركب في وقته إلى معسكر العزيز يوم الخميس ثمان بقين من رجب ، ثم عاد من عنده إلى الجامع العتيق بمصر في يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء ، وخلع عليه ، وقلده سيفاً ، فلم يقدر على النزول في الجامع لضعفه

من العلة ، فسار إلى داره ، ونزل ولده وجماعة من أهل بيته إلى الجامع العتيق بمصر ، وقرأ سجده بعد صلاة الجمعة ، وكان مثل سجل أخيه أبي الحسن في جميع ولايته .

وفي ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة استخلف ولده أبو القاسم عبد العزيز على القضاء بالإسكندرية بأمر العزيز ، وخلع عليه العزيز .

وفي يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى سنة خمس وسبعين عقد القاضي محمد ابن النعمان المذكور نكاح ولده أبي القاسم عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبي الحسن جوهر المقدم ذكره في حرف الجيم ، وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره إلا خواصه ، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار ، والكتاب ثوباً مصمتاً .

وكان المعز أبو تميم مع والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب إلى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة ، وأن يُجَلِّس مع الصائغ أحد ثقاته ، فأجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمداً ، فلما فرغ الاسطرلاب حمّله أبو حنيفة إلى المعز ، فقال له : من أجلست معه ؟ فقال : ولدى محمداً ، فقال : هو قاضى مصر ، فكان كما قال ، لأن المعز كانت تحدّثه نفسه أبداً بأخذ مصر ، فلهمذا تلفظ بهذا الكلام ، ووافقته السعادة مع المقادير .

وقال القاضي محمد المذكور : كان المعز إذا رآنى وأنا صبى بالمغرب يقول لولده العزيز : هذا قاضيك .

وكان محمد جيد المعرفة بالأحكام ، متفنناً في علوم كثيرة ، حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس ، وله شعر ، فمن ذلك قوله [من المتقارب] :

أيا مُشَبَّه البدر بدر السماء لسمع وخمس مضت واثنتين
ويا كامل الحسن في نعته شملت فؤادى وأسهرت عيني

فهل لى من مَطْمَعٍ أرتجيه وإلا انصرفت بخفى حُنين
ويشمت بى شامت فى هواك ويفصح لى ظالت صفر اليدين
فاما مننت ، وإما قتلت ، فأنت القدير على الحالتين
وكتب إليه عبد الله بن الحسن الجعفرى السمرقندى [من الوافر] :

تعادلتِ القضاة على أما أبو عبد الإله فلا عدل
وحيد فى فضائله غريب خطير فى مفاخره جليل
تألق بهجة ومضى اعتزاما كما يتألق السيف الضميل
فيقضى والسداد له حليف ويعطى والغمام له رَسِيلُ
لو اخترت قضاياه لقالوا يؤيده عليها جبرئيل
إذا رقى المنابر فهو قس وإن حضر المشاهد فاخليل

فكتب إليه القاضى محمد المذكور [من الوافر] :

قرأنا من قر يضك ما يروق بدائع حا كما طبع رقيق
كأن سطورها روض أنيق تَضَوُّعٌ بينها مسك فتيق
إذا ما أنشدت أَرَجَّتْ وطابت

منازلها بها حتى الطريق
وإنّا تائقون إليك فاعلم وأنت إلى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها فى كل يوم فأنت بكل مكرمة حقيق

وقال ابن زولاق فى « أخبار قضاة مصر » : ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ، ووافق ذلك استحتماقا ، لما فيه من العلم ، والصيانة ، والتحنظ ، وإقامة الحق ، والهيبة .

وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الأحكام بالقاهرة ومصر على الدوام ، بعد أن كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير ، فصار يسمع البيئات ويحكم ويسجل ، وكان يخلفه أولاً ولد أخيه ، وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان ، فصرفه لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ، واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاثنين والخميس خاصة .

وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصبحه معه إلى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ، ولما توفي العزيز في التاريخ المذكور في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور ، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم المقدم ذكره ، فأقر القاضي محمداً على أشغاله ، وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده

ولما حصلت له المنزلة عنده والمسكنة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج ، فكان أكثر أوقاته عليلاً ، والأستاذ أبو الفتوح برجوان المقدم ذكره في جلالته وعظم شأنه يعود [في] كل وقت ، ثم تزايدت علته ، وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وركب الحاكم إلى داره بالقاهرة ، وصلى عليه [فيها] ، ووقف على دفنه ، ثم انصرف إلى قصره وكانت ولادته يوم الأحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة بالمغرب .

وهب الحاكم داره لبعض أصحابه ، فنقل القاضي محمد المذكور إلى داره التي بمصر يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من هذه السنة ، ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور إلى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة ، رحمه الله تعالى ! .

ولما مات القاضي محمد أبو عبد الله المذكور أقامت مصر بغير قاض أكثر من شهر ، ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن

النعمان الذي كان ينوب عن عمه القاضي محمد أبي عبد الله المذكور وصرفه واستخاف ولده أبا القاسم عبد العزيز ، وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمة ، وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، واستمر في الحكم إلى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين ، فصرف بآب عمه أبي القاسم عبد العزيز بن محمد المتقدم ذكره ، ثم ضربت عنق الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الأحد سادس المحرم سنة خمس وتسعين في حجرته ، وأحرقت جثته ، وذلك بأمر الحاكم ، لقصة يطول شرحها واستقل أبو القاسم في الأحكام ، وضم إليه الحاكم النظر في المظالم ، ولم يجتمعوا قبله لأحد من أهله ، وعلمت رتبته عند الحاكم وأصعده معه على المنبر يوم عيد الفطر بعد قائد القواد ، وكذلك في عيد النحر ، وتصلب في الأحكام ، وتشدد على من عانده من رؤساء الدولة ، ورسم على جماعة ممن وجب عليه حق فامتنع من الخروج منه .

ولم يزل قاضياً في جميع ما فوضه إليه الحاكم ، إلى أن صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وفوض القضاء إلى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي ، وأخرجه عن أهل بيت النعمان .

ثم إن الحاكم أمر الأتراك بقتل القاضي أبي القاسم عبد العزيز المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وأبي علي إسماعيل أخى القائد فضل بن صالح ، فقتلوهم ضرباً بالسيوف في ساعة واحدة ، لأمس يطول شرحه ، وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة إحدى وأربعمائة ، رحمهم الله تعالى !

وكانت ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل ربيع الأول الأول سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

وأما القاضى أبو طاهر المذكور ، فقال أبو منصور أحمد بن عبد الله بن أحمد
الفرغانى المصرى فى تاريخه : إنه كان كثير الرواية ، حسن المجالسة ، شيخ مع
الشيخ ، كهل مع الكهول ، شاب مع الشباب .
وتوفى ليلة بقيت من ذى القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة ، رحمه الله
تعالى .

(٧٣٨)

السيدة نفيسة ابنة أبى محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن
أبى طالب ، رضى الله عنهم أجمعين !

السيدة نفيسة
بنت الحسن بن
زيد بن الحسن
ابن على

دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضى الله عنه ! وقيل :
دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر ، لكنه غير مشهور ، وإنه كان والياً
على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور ، وأقام بالولاية مدة خمس سنين ، ثم غضب
عليه فعزله واستصفى كل شئ له ، وحبسه ببغداد ، فلم يزل محبوساً حتى مات
المنصور وولى المهدي فأخرجه من محبسه ، ورد عليه كل شئ ذهب له ، ولم
يزل معه .

فلما حج المهدي كان فى جملة ، فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك ، وذلك
فى سنة ثمان وستين ومائة ، وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وصلى عليه على
ابن المهدي .

والحاجر : على خمسة أميال من المدينة ، وقيل : إنه توفى ببغداد ، ودفن فى
مقبرة الخيزران ، والصحيح أنه مات بالحاجر ، هكذا قاله الخطيب فى تاريخه ،
والله أعلم .

وكانت نفيسة من النساء الصالحات النقيات ، ويروى أن الإمام الشافعي - رضي الله عنه ! - لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر إليها ، وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد كبير^(١) ، وهو إلى الآن باق كما كان ، ولما توفي الإمام الشافعي - رضي الله عنه ! - أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها ، وكانت في موضع مشهدها اليوم ، ولم تزل به إلى أن توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين .

ولما ماتت عزم زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك ، فسأله المصريون بقاءها عندهم ، فدفنت في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد ، وهذا الموضع يعرف يوم ذاك بدرب السباع ، فحرب الدرب ولم يبق هناك سوى المشهد ، وقبرها معروف بإجابته الدعاء عنده ، وهو مجرب ، رضي الله عنها !

* * *

(٧٣٩)

أبو حذيفة واصل بن عطاء ، المعتزلى ، المعروف بالغزال ،

مولى بنى ضبة ، وقيل : مولى بنى مخزوم

أبو حذيفة
واصل بن عطاء
الغزال، المعتزلى

كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين فى علوم الكلام وغيره ، وكان يلشغ
بالراء فيجعلها غيناً

قال أبو العباس المبرد فى حقه فى كتاب الكامل : كان واصل بن عطاء أحد
الآعاجيب ، وذلك أنه كان ألشغ قبيح اللشغة فى الراء ، فكان يخلص كلامه من الراء ،
ولا يفظن لذلك ، لاقتداره على الكلام ، وسهولة ألفاظه ، فى ذلك يقول شاعر من
المعتزلة وهو أبو الطروق الضبى يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء ، على كثرة
ترددها فى الكلام ، حتى كأنها ليست فيه [من الطويل] :

علم بابدال الحروف ، وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطلة
وقال آخر [من البسيط] :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً ، والقول يعجله ، فعاد بالقيث إشفاقاً من المطر

ومما يحكى عنه ، وقد ذكر بشار بن برد ، فقال : أما لهذا الأعشى المكتنى
بأبى معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه
من يبعج بطنه على مضجعه ، ثم لا يكون لاسدوسيا ولا عقيليا ، فقال « هذا
الأعشى » ولم يقل بشار ولا ابن برد ولا الضرير ، وقال « من أخلاق الغالية » ولم
يقول المغيرة ولا المنصورىة^(١) ، وقال « لبعثت » ولم يقل لأرسلت ، وقال « على مضجعه »
ولم يقل على مرقده ولا على فراشه ، وقال « يبعج » ولم يقل يبقر ، وذكر بنى عقيل
لأن بشاراً كان يتوالى إليهم ، وذكر بنى سدوس لأنه كان نازلاً فيهم

(١) المغيرة : فرقة تنسب إلى المغيرة بن سعد ، ومن رأيهم جواز اغتيال من يخالفهم

وذكر السمعاتي في كتاب «الأنساب» في ترجمة المعتزلي أن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري رضى الله عنه ! فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر ، فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين ، وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه ، فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو ابن عُبيد ، فقبل لها ولأتباعهما : معتزلون ، وقد أحلت في ترجمة عمرو بن عبيد على هذا الموضع في تبين الاعتزال ، ولأى معنى سمو بهذا الاسم ، وقد ذكرت في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي أنه الذي سماهم بذلك

وكان واصل بن عطاء المذكور يضرب به المثل في إسقاطه حرف الراء من كلامه ، واستعمل الشعراء ذلك في أشعارهم كثيراً ، فنه قول أبي محمد الخازن من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عبّاد المقدم ذكره ، وهو [من البسيط] :

نعم تجنب لا يوم العطاء ، كما تجنب ابن عطاء لفظه الراء
وقال آخر في محبوب له ألغ [من الطويل] :

أعد لئغة لو أن واصل حاضرٌ ليسمها ما أسقط الراء واصل
وقال آخر [من الكامل] :

أجعلت وصلّى الراء لم تنطق به وقطعتني حتى كأنك واصل
لله دره ما أحسن قوله :

* وقطعتني حتى كأنك واصل *

وقال آخر [من الطويل] :

فلا تجعّلني مثل همزة واصل فتلحقني حذفاً ولارئ واصل

وقال أبو عمر يوسف بن هرون الكندي الأندلسي القرطبي الرمادي الشاعر

المشهور ، إلا أنه لم يتعرض إلى ذكر واصل ، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة [من الكامل] :

لا الرأء تطمع في الوصال ، ولا أنا ، الهجرُ يجمعنا ، فنعنُ سواءُ
فاذا خلوت كتبتها في راحتي وقعدتُ مُنتحِباً أنا والرأءُ
وهذا الباب متسع ، فلا حاجة إلى الإطالة فيه ، ويكفي منه هذا الأ نموذج .
وقد عمل الشعراء في اللغة التي هي إبدال الراء من السين شعراً كثيراً ،
فمن ذلك ما يُعزى لأبي نواس ، ولم أجدها في ديوانه ، والله أعلم ، إلا أن
تكون في رواية على بن حمزة الأصبهاني ، فإنها أكثر الروايات ، ولم أكشف
هذه الأبيات منها ، وهي أبيات حلوة طريفة [من السريع] :

وشادن سألته عن اسمه فقال لي باللغ عباث^(١)
بَاتَ يُمَاطِينِي سَحَامِيَّةُ وقال لي : قد هَجَّعَ النَّاثُ
أَمَّا تَرَى حُسْنَ أَكَلِيلِنَا زِينَهَا النَّسْرَيْنِ وَالْآثُ
فَعَدْتُ مِنْ لُغْتِهِ الثُّغَا فَقُلْتُ : أَيْنَ الطَّائِثُ وَالْكَاثُ

ولو شرعت في ذكر ما قيل على هذا النمط لطال الشرح ، ولم أجده
في لغة الرأء إلا قليلاً ، فمن ذلك قول بعضهم [من الطويل] :

أما وبياض الثغر ممن أحبه ونقطة خال الخد في عطفة الصدغ
لقد فنتني لغة مؤصلية رمتني في تيار بحر هوى اللغ
ومستعجم الألفاظ عقرَبُ صدغه مسلطة دون الأنام على لدغ
يكادُ أصمُّ الصمِّ عندَ حديثه إلى اللغفة الغنَّاء من لفظه يُصغى
يقول وقد قَبَّلْتُ واضِحَ ثغره وكان الذي أهرى ونلت الذي أبغى
وقد نفضت كأس الحياة وأظهرت على خده من لونها أحسن الصبغ

(١) كذا ، وصدر البيت غير مستقيم الوزن ، ولعل أصله هكذا :

وشادن سألته : ما اسمه فقال لي باللغ : عباث

تَفَقَّقْ فَشُغِبُ الْجَمْعِ مِنْ كَثْمٍ غِيَقِي يَزِيدُكَ عِنْدَ الشُّغْبِ شُكْنًا عَلَى شُكْنٍ^(١)
ولقد أجاد هذا الشاعر وجمع في البيت الأخير را آت كثيرة وأبدلها بالغين
وللخبز أرزى الشاعر المقدم ذكره في غلام يلثغ بالراء أيضاً لكنه لم يستعمل
اللغة إلا في آخر البيت الأخير من الأربعة أبيات [من السريع]:

وشادن بالكرخ ذى لثغة وإنما شرطى فى اللثغ
ما أشبه الزنبور فى خصره حتى حكى العقب فى الصدغ
فى فميه درياق لدغ إذا أحرق قلبى شدة اللدغ
إن قلت فى ضمى له: أين هو تفديك روحى قال لا أدغى

وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من أخبار واصل بن عطاء
وكان طويل المتن جداً بحيث كان يعاب به ، وفيه يقول بشار بن برد الشاعر
المشهور المقدم ذكره | من البسيط |:

ماذا مُنِيتُ بَغَزَالٍ لَهُ عُنُقُ كَنَفَقِ الدُّوَانِ وَلَّى وَإِنْ مَثَلًا
عُنُقُ الزَّرَافَةِ ، مَا بَالِي وَبِالْكَمِ تَكْفُرُونَ رَجُلًا كَفَرُوا رَجُلًا؟

وكانت بينهما منافسات وأحقاد ، وقد تقدم كلام واصل فى حق بشار
وقال المبرد فى كتاب «الكامل»: لم يكن واصل بن عطاء غزالا ، ولكنه
كان يلقب بذلك لأنه كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل
صدقته لهن ، ثم قال : وكان طويل العنق ، ويروى عن عمرو بن عبَّيد أنه نظر
إليه من قبل أن يكلمه ، فقال : لا يصلح هذا مادامت له هذه العنق

وله من التصانيف كتاب «أصناف المرجئة» وكتاب فى التوبة ، وكتاب
«المنزلة بين المنزلتين» وكتاب خطبته التى أخرج منها الراء ، وكتاب «معانى
القرآن» وكتاب «الخطب فى التوحيد والعدل» وكتاب «ما جرى بينه وبين عمرو

(١) يريد :

ترفق فشرب الخمر من كرم ريقى يزدك عند الشرب شكراً على شكر

ابن عبيد » وكتاب « السبيل إلى معرفة الحق » وكتاب في « الدعوة » وكتاب
« طبقات أهل العلم والجهل » وغير ذلك
وأخباره كثيرة
وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة ! .

(٧٤٠)

أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات ، الوشاء ،
الفارسي ، الفسوي

أبو يزيد
وثيمة بن
موسى الوشاء
الفارسي
الفسوي

وكان قد خرج من بلده إلى البصرة ، ثم سافر إلى مصر ، وارتحل منها إلى
الأندلس تاجراً ، وكان يتجر في الوشي ، وصنف كتاباً في أخبار الردة ، وذكر
فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، والسرايا التي سيرها
إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ! وصورة مقاتلتهم ، وما جرى بينهم وبين
المسلمين في ذلك ومن عاد منهم إلى الإسلام ، وقتال مانعي الزكاة ، وما جرى
لخالد بن الوليد المخزومي - رضي الله عنه - مع مالك بن نويرة البربوعي أخى ممتهم
ابن نويرة الشاعر المشهور صاحب المرائي المشهورة في أخيه مالك وصورة قتله ،
وما قاله ممتهم من الشعر في ذلك ، وما قاله غيره ، وهو كتاب جيد يشمل على
فوائد كثيرة ، وقد تقدم في ترجمة أبي عبد الله محمد الواقدي أنه صنف في الردة
كتاباً أيضاً أجاد فيه ، ولم أعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا
الكتاب ، وهو رجل مشهور ، ذكره أبو الوليد بن الفرّضي صاحب تاريخ
الأندلس في كتابه ، وذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس »

وأبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر ، وأبو سعيد السمعاني في كتاب «الأنساب» في ترجمة الوشاء ، فقال : كان يتجبر في الوشي ، وهو نوع من الثياب المعمولة من الإبريسم ، فعرف به جماعة منهم وثيمة المذكور

ثم إن وثيمة عاد من الأندلس إلى مصر ، ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين ومائتين ، رحمه الله تعالى !

وقال أبو سعيد بن يونس المصري في تاريخه : كان لوثيمة ولد يقال له أبورفاعه عمارة بن وثيمة ، حدث عن أبي صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة وغيرهما ، وصنف تاريخاً على السنين ، وحدث به ، ومولده بمصر ، وتوفي ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين !

ووثيمة - بفتح الواو ، وكسر الراء المثلثة ، وسكون الياء المشناة من تحتها ، وفتح الميم ، وبعدها هاء ساكنة - والوثيمة في الأصل الجماعه من الحشيش ، والطعام ، والوثيمة : الصخرة ، وبها سمي الرجل ، والله أعلم بالصواب ، والوثيمة أيضاً : الحجر الذي يقدح النار . تقول العرب في أيمانها : والذي أخرج العذق من الجريمة ، والنار من الوثيمة

العذق - بفتح العين المهملة - النخلة ، والجريمة : النواة .

وأما الفارسي والفسوي فقد تقدم الكلام عليهما في ترجمة الشيخ أبي على الفارسي النحوي وأرسلان البساسيري فأغنى عن الإعادة وإذ ذكرنا متمم بن نويرة وأخاه مالكا فلا بد من ذكر طرف من أخبارهما ، فإنها مستملحة

كان مالك بن نويرة المذكور رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك ، والردافة موضعان أحدهما : أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من مواضع الأنس ، والموضع الثاني أنبل ، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده ، وهو الذي يضرب به المثل ، فيقال : مرعى ولا كالسعدان ، وماء ولا

كَهْدَاءَ ، وَفِي وَلَا كَلَالِكَ ، وَكَانَ فَارِسًا شَاعِرًا مَطَاعًا فِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ فِيهِ خِيَلَاءٌ وَتَقَدَّمَ ، وَكَانَ ذَا لِمَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْجَفُولُ ، وَقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ قَدِمَ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَسْلَمَ فَوَلَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةَ قَوْمِهِ ، وَلَمَّا ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَعَ الزَّكَاةَ كَانَ مَالِكُ الْمَذْكُورِ مِنْ جَهْلَتِهِمْ ، وَلَمَّا خَرَجَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِقَاتِلَاهُمْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَزَلَ عَلَى مَالِكٍ وَهُوَ مُقَدِّمُ قَوْمِهِ بَنَى يَرْبُوعَ وَقَدْ أَخَذَ زَكَاتَهُمْ وَتَصَرَّفَ فِيهَا ، فَكَلِمَهُ خَالِدٌ فِي مَعْنَاهَا ، فَقَالَ مَالِكُ : إِنِّي آتِي بِالصَّلَاةِ دُونَ الزَّكَاةِ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ مَعًا لَا تَقْبَلُ وَاحِدَةٌ دُونَ أُخْرَى ، فَقَالَ مَالِكُ : قَدْ كَانَ صَاحِبُكَ يَقُولُ ذَلِكَ ، قَالَ خَالِدُ : وَمَاتَرَامَكَ صَاحِبًا ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَكَ ، ثُمَّ تَجَاوَلَا بِالْكَلَامِ طَوِيلًا ، فَقَالَ لَهُ : خَالِدُ إِنِّي قَاتِلُكَ ، قَالَ : أَوْ بِذَلِكَ أَمْرُكَ صَاحِبُكَ ؟ قَالَ : وَهَذِهِ بَعْدَ تِلْكَ ؟ وَاللَّهِ لَا قَاتِلَ لَكَ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاضِرِينَ فَكَلِمَا خَالِدًا فِي أَمْرِهِ ، فَسَكَرَهُ كَلَامُهُمَا ، فَقَالَ مَالِكُ : يَا خَالِدُ ، ابْعَثْنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَيَكُونُ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَنَا ، فَقَدْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ غَيْرَنَا مِنْ جَرْمِهِ أَكْبَرَ مِنْ جَرْمِنَا ، فَقَالَ خَالِدُ : لَا أَقَالُنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْلُكَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى ضَرَارِ بْنِ الْأَزْوَْرِ الْأَسَدِيِّ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فَالْتَفَتَ مَالِكُ إِلَى زَوْجَتِهِ أُمِّ مَتَمٍ وَقَالَ لَخَالِدٍ : هَذِهِ الَّتِي قَتَلْتَنِي ، وَكَانَتْ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدُ : بَلِ اللَّهُ قَتَلَكَ بِرَجُوعِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ مَالِكُ أَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ خَالِدُ : يَا ضَرَارُ اضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَضَرْبَ عُنُقِهِ وَجَعَلَ رَأْسَهُ أَثْفِيَةً تَقْدَرُ وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شَعْرًا ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَكَانَتْ الْقَدَرُ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى نَضَجَ الطَّعَامُ ، وَمَا خَلَصَتْ لِلنَّارِ إِلَى شَوَاهُ مِنْ كَثْرَةِ شَعْرِهِ

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي جُمُوعَةِ النَّسَبِ : قَتَلَ مَالِكُ يَوْمَ الْبُطَاحِ ، وَجَاءَ أَخُوهُ مَتَمٌ فَكَانَ يَرِثِيهِ ، وَقَبِضَ خَالِدُ أَمْرَاتِهِ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ اشْتَرَاهَا مِنَ الْفَيْءِ وَتَزَوَّجَ بِهَا ، وَقِيلَ : إِنَّهَا اعْتَدَتْ بِثَلَاثِ حَيْضٍ ثُمَّ خَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَأَجَابَتْهُ ، فَقَالَ لَابْنَ عُمَرَ

وأبى قتادة رضى الله عنهما يحضران النكاح ، فأبيا ، وقال له ابن عمر رضى الله عنه : تكتب إلى أبى بكر رضى الله عنه وتذكر له أمرها ، فأبى وتزوجها ، فقال فى ذلك أبو زهير السعدى [من الطويل] :

ألا قل لى أوطئوا بالسنايك تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه لعرسه وكان له فيها هوًى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا ممالك
وأصبح ذا أهل ، وأصبح مالك إلى غير شىء هالكاً فى الهواك
فمن لليتامى والأرامل بعده ومن للرجال المعمدى الصعالك
أصيبت تميم غثها وسمينها بفارسها المرجو سحب الحواك
ولما بلغ الخبر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، قال عمر لأبى بكر رضى الله عنه : إن كان خالد قد زنى فارجه ، قال : ما كنت لأرجه فانه تأول فأخطأ ، قال : إنه قتل مسلماً فاقتله به ، قال : ما كنت لأقتله به فانه تأول فأخطأ ، قال : فاعزله ، قال : ما كنت لأشيم سيفاً سله الله عليهم أبداً ، هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدى فى كتابيهما ، والعهدة عليهما .

وكان أخوه متمم بن نويرة ، وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور ، كثير الانقطاع فى بيته قليل التصرف فى أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك ، وكان أعور دميماً ، فلما بلغه مقتل أخيه حضر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى الصبح خلف أبى بكر الصديق ، فلما فرغ من صلاته وانفقل من^(١) محرابه قام متمم فوقف بجذائه واتسكأ على رسيمة قوسه ثم أنشد [من الكامل] :

نعم القتيلى إذا الرياحُ تنأواحت

خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور

أدعوته بالله ثم غدوته لو هو دعاك بئمة لم يغدر

(١) فى ب « وانفقل فى محرابه »

وأوماً إلى أبي بكر رضى الله عنه ، فقال : والله مادعوته ولا غدوته ، ثم أنشد
[من الكامل] :

ولنعم جشو الدرع كان وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المتزر

ثم بكى وانحط عن سِمة قوسه ، فما زال يبكي حتى دمت عينه العواء ، فقام إليه
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ! فقال : لوددت أنك رثيت زيداً أخى بمثل
ما رثيت به مالكا أخاك ، فقال : يا أباحفص ، والله لو علمت أن أخى صار
بمحيط صار أخوك ما رثيته ، فقال عمر رضى الله عنه : ما عزانى أحد عن أخى
بمثل تعزيتيه ، وكان زيد بن الخطاب رضى الله عنه قتل شهيداً يوم اليمامة ، وكان
عمر رضى الله عنه يقول : إني لأهش للصبا لأنها تأتيني من ناحية أخى زيد ،
ويروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخى
كما رثيت أخاك .

ويروى أن متما رثى زيدا فلم يُجد ، فقال له عمر رضى الله عنه : لم لم ترث
زيداً كما رثيت مالكا ؟ فقال : إنه والله ليحركنى لمالك ما لا يحركنى لزيد .
وقال له عمر رضى الله عنه يوماً : إنك لجزل فأين كان أخوك منك ؟ فقال :
كان والله أخى فى الليلة ذات الأزيز والشراد يركب الجمل الثقال ، ويجنب الفرس
الجرور ، وفى يده الرمح الثقيل ، وعليه الشملة الفلوت ، وهو بين المزادتين ، حتى
يصبح وهو متبسّم .

والأزيز — بفتح الهمزة وزاءين الأولى منهما مكسورة وبينهما ياء مثناة من
تحتها — صوت الرعد .

والشراد — بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها ، وبعد الألف دال
مهملة — غيم رقيق لاماء فيه .

والثفال - بفتح الثاء المثلثة والفاء - وهو الجمل البطيء في سيره ، ولا يكاد يمشى من ثقله .

والجُرُور - بفتح الجيم على وزن فَعُول - الفرس الذي يمنع القياد .
والشملة الفلوت : التي لا تكاد تثبت على لابسها .
والمزادة : الراوية ، وهي معروفة .

وقال له عمر رضى الله عنه يوماً : أخبرنا عن أخيك ، قال : يا أمير المؤمنين ، لقد أسرت مرة في حى من أحياء العرب ، فأخبر أخى ، فأقبل ، فلما طلع على الحاضرين ما كان أحد قاعداً إلا قام على رجليه ، وما بقيت امرأة إلا وتطلعت من خلال البيوت ، فما نزل عن جملة حتى لقوه بى برمتى فخلنى هو ، فقال عمر رضى الله عنه : إن هذا هو الشرف .

والرمة - بضم الراء المهملة - الجبل البالى ، ومنه قولهم « دفع إليه الشئ برمته » وأصله : أن رجلاً دفع إلى رجل بغيراً بجمل في عنقه ، فقبل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته .

وقال متمم أيضاً لعمر رضى الله عنه : أغار حى من أحياء العرب على حى أخى مالك وهو غائب ، فجاءه الصريح ، فخرج فى آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى ، حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون ، فما هو إلا أن رأوه فأرسلوا ما فى أيديهم من الأسرى والنعم وهربوا ، فأدركهم أخى ، فاستسلموا جميعاً حتى كتفهم ، وصدر بهم إلى بلاده مكتوفين ، فقال عمر رضى الله عنه : قد كنا نعلم سخاءه وشجاعته ، ولم نعلم كل ما تذكره .

وله فيه المراثى النادرة ، فمن ذلك أبياته الكافية ، وهي فى كتاب الحماسة فى باب المراثى [من الطويل] :

لقد لامنى عند القبور على البكا

رفيقى لتذراف الدموع السوافك

فقال : أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادك ؟

فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا

فدعنى فهذا كله قبر مالك

وله فى قصيدته العينية ، وهى طويلة بديعة ، ومن جملتها قوله [من

الطويل] :

وكنا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وعشنا بخير فى الحياة ، وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا بطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب إلى الوقوف على شىء من أخبار

جذيمة المذكور ونديمه ، وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المشناة

من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة ، وكنيته أبو مالك جذيمة بن مالك بن

فهم بن دؤس بن الأزد الأزدى ، صاحب الحيرة وما والاها ، وهو الأبرش والوضاح ،

وإنما قيل له ذلك لأنه كان أبرص ، فكانت العرب تهابه أن تنسبه إلى البرص

فعرفته بأحد هذين الوصفين .

خبر جذيمة
الأبرش
ونديمه

وهو من ملوك الطوائف ، وكان بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة ، وكان

من تبهه لا ينادم إلا الفرقدن ، وكان له ابن أخت يقال له عمرو بن عدى بن نصر

ابن ربيعة بن الحارث بن مالك اللخمي ، ويقال له عم لأنه أول من اعتم كارة

من نحم ، وبقية النسب معروف ، واسم الأخت المذكورة رقاش .

وكان جذيمة شديد المحبة له ، فاستهوته الجن ، وأقام زماناً يتطلبه ، فلم يجد ،

فأقبل رجلان من بنى القين يقال لأحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فارج ، فصادفا

عمراً فى البرية وهو أشعث الرأس طويل الأنف سبيء الحال ، فعرفاه ، وحملاه

إلى خاله جذيمة بعد أن لما شعته وأصلحا حاله ، فقال لهما جذيمة من فرط

سروره به : احتكما على ، فقالا : منادمتك ما بقيت وبقينا ، فقال : ذلك لكما ،
فهما نديماه اللذان يضرب بهما المثل ، ويقال : إنهما نادماه أربعين سنة لم
يعيدا عليه حديثا حدثاه به ، وإياها عنى أبو خراش الهذلى بقوله فى مرثية
أخيه عروة [من الطويل] :

يقول أراه بعد عروة لاهياً وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبى أنى تناسيت عهدى ولكن صبرى يا أيمم جميل

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا نديما صفاء مالك وعقيل

هذه خلاصة حديثهم ، وإن كان فيه طول ، وإنما قصدت الإيجاز .

وذكر أبو على القالى فى كتابه الذى جعله ذيلأ على أماليه أن متما المذكور قدم

على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان به معجباً ، فقال : يا متمم ، ما يمنعك من
الزواج لعل الله تعالى أن ينشر منك ولداً ، فانكم أهل بيت قد درجتم ؟ فنزوج
امراًة من أهل المدينة ، فلم تحظ عنده ، ولم يحظ عندها ، فطلقها ، ثم قال [من
الطويل] :

أقول لهند حين لم أرض عقلها :

أهذا دلال العشق ، أم أنت فارك ؟

أم الصرم تهوين فكل مفارق

على يسير بعد ما مات مالك

فقال له عمر رضى الله عنه : ما تنفك تذكر مالكاً على كل حال ، فلم

يمض على هذا الأمر إلا قليل حتى طعن عمر رضى الله عنه ومتمم بالمدينة ، فرنى

عمر رضى الله عنه ، وبالجمللة فانه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه بكى

على ميتة ما بكى متمم على أخيه مالك .

حكى الواقدى فى كتاب الردة أن عمر رضى الله عنه قال لمتمم : ما بلغ من حزنك

على أخيك ؟ فقال له : لقد مكثت سنة لا أنام بليل حتى أصبح ، ولا رأيت ناراً

رفعت ليليل الإظننت نفسى ستخرج ، أذ كربها نار أخى ، كان يأمر بالنار فتوقد
حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريباً منه ، فتى يرى النار يأوى إلى الرجل ،
ولهو بالضيف يأتي مجتهداً أسراً من القوم يقدم عليهم القادم لهم من السفر
البعيد ، فقال عمر رضى الله عنه : أكرم به .

وحكى الواقدي أيضاً أنه قال له : ما لقيت على أخيك من الحزن والبكاء ؟
قال : كانت عيني هذه قد ذهبت ، وأشار إليها ، فبكيت بالصريحة وأكثرت
البكاء حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع ، فقال عمر رضى الله عنه : إن
هذا الحزن شديد ، ما يحزن أحد هكذا على هالكه .

وقد ضربت الشعراء الأمثال بمالك وأخيه متمم في أشعارهم ، فمن ذلك قول
ابن حنّوس الشاعر المقدم ذكره من جملة قصيدة [من الطويل] :

وفجعة بين مثل صرعة مالك

ويقبح بى أن لا أكون متمم

ومنه قول أبى بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة فى قصيدته التى
يرثى بها المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين حسبما
شرحناه فى ترجمة المعتمد ، وهو قوله [من الطويل] :

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا

ومن ولهى أحكى عليك متمم

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم ، وأظنه ابن منير المذكور فى حرف الهمزة ،
وهو أيضاً من جملة أبيات ، ثم حققت قائله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف بن
الحسين بن محمد عرف بابن المجاور الدمشقى [من الطويل] :

أيا مالكى فى القلب منك نوية

وإنسان عيني فى هواك متمم

ومنه قول أبى الغنائم بن المعلم الشاعر المقدم ذكره من جملة أبيات يصف

فيها منزلا ويدعوله بالسقيا ، فقال [من الطويل] :

سقاء الحيا قبلي وجئت متمما

فلو مالك فيه دُعيتُ متمما

ومنه قول القاضي السعيد بن سناء الملك [من الطويل] :

بكيت بكتنا مقلتي كأنتي أتم ما قد فات عيني متمما

وهذا باب يطول شرحه ، وقد جاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصدد

ومتتم : بضم الميم ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعدها ميان الأولى

منهما مشددة مكسورة .

وصدّأ في قولهم « ماء ولا كصدّا » فيه ثلاث لغات : صدّا : بضم الصاد

المهملة ، وتشديد الدال المهملة ، وألف مقصورة ، وصدّاء مثل الأول لكن الصاد

مفتوحة ، والألف ممدودة ، فمن ضم قصر ومن فتح مد ، واللغة الثالثة صدّاء :

بتخفيف الدال ، وهمزتين متواليتين ، والصاد مفتوحة ، وهي بئر معروفة مشهورة

وماؤها عذب نير ، والله تعالى أعلم .

(٧٤١)

أبو عبادة
الوليد بن عبيد
البحترى
الشاعر

أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شمال بن جابر
ابن سلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبي حارثة بن جدى
ابن بدول بن بختر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو
ابن الغوث بن جلهمة ، وهوطى ، بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، الطائى ، البحترى ، الشاعر المشهور

ولد بمنبج ، وقيل : بزردفنة ، وهى قرية من قراها ، ونشأ وتخرج بها ،
ثم خرج إلى العراق ، ومدح جماعة من الخلفاء ، أولهم المتوكل على الله ، وخلقاً
كثيراً من الأكابر والرؤساء ، وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ، ثم عاد إلى الشام ،
وله أشعار كثيرة ، فيها ذكرك حلب ونواحيها ، وكان يتفضل بها ، وقد روى عنه
أشياء من شعره : أبو العباس المبرد ، ومحمد بن خلف بن المرزبان ، والقاضى
أبو عبد الله الحاملى ، ومحمد بن أحمد الحكيمى ، وأبو بكر الصولى ، وغيرهم .

قال صالح بن الأصبغ التنوخى المنبجى : رأيت البحترى ههنا عندنا قبل أن
يخرج إلى العراق ، يجتاز بنا فى الجامع من هذا الباب ، وأوماً إلى جنبى المسجد
يمدح أصحاب البصل والبادنجان ، وينشد الشعر فى ذهابه وجيئه ، ثم كان منه
ما كان فى علوة التى شرب بها فى كثير من أشعاره ، وهى بنت زريقة الحلبية ،
وزريقة : أمها .

وحكى أبو بكر الصولى فى كتابه الذى وضعه فى أخبار أبي تمام الطائى أن
البحترى كان يقول : أول أمرى فى الشعر ونباهتى فيه أنى صرت إلى أبي تمام
وهو بمحصر ، فعرضت عليه شعرى ، وكان يجلس ، ولا يبقنى شاعر إلا قصده
وعرض عليه شعره ، فلما سمع شعرى أقبل على وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا
قال لى : أنت أشعر من أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت خلّة ، فكتب إلى

أهل معرة النعمان ، وشهد لي بالحنق ، وشفع لي إليهم ، وقال لي : امتدحهم ،
فصرت إليهم ، فأكرموني بكتابته ، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت
أول مال أصبته .

وقال أبو عبادة المذكور : أول ما رأيت أبا تمام ، وما كنت رأيته قبلها ، أنى
دخلت إلى أبي سعيد محمد بن يوسف ، فامتدحته بقصيدتي التي أولها :

أأفاق صب من هوى فأفيقا أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

فأنشدته إياها ، فلما أتممتها سرّ بها ، وقال لي : أحسن الله إليك يا قتي ،
فقال له رجل في المجلس : هذا - أعزك الله ! - شعري علقه هذا الفتى ، فسبقني
به إليك ، فتغير أبو سعيد ، وقال لي : يا قتي ، قد كان في نسبك وقرابتك
ما يكفيك أن تمت به إلينا ، ولا تحمل نفسك على هذا ، فقلت : هذا شعري
أعزك الله ! فقال الرجل : سبحان الله يا قتي ! لا تقل هذا ، ثم ابتداء ، فأنشد من
القصيدة أبياتاً ، فقال لي أبو سعيد : نحن نبغك ما تريد ، ولا تحمل نفسك على
هذا ، فخرجت متحيراً ، لا أدري ما أقول ، ونويت أن أسأل عن الرجل من
هو ، فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ، ثم قال لي : جنيت عليك فاحتمل ،
أندري من هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا ابن عمك ، حبيب بن أوس الطائي
أبو تمام ، فقم إليه ، فقمته إليه ، فمأنته ، ثم أقبل على يقرظني ، ويصف
شعري ، وقال : إنما مزحتُ معك ، فلزمته بعد ذلك ، وكثر عجبى من
سرعة حفظه .

وروى الصولى أيضاً في كتابه المذكور أن أبا تمام راسل أم البحتري في التزوج
بها ، فأجابته ، وقالت له : اجمع الناس للأملأك ، فقال : الله أجل من أن يذكروا
بيننا ، ولكن نتصافح ونتسامح .

وقيل للبحتري : أيما أشعر أنت أم أبو تمام ؟ فقال : جيده خير من جيدي ،

وردني خير من رديته .

وكان يقال لشعر البحترى : سلاسل الذهب ، وهو في الطبقة العليا .
ويقال : إنه قيل لأبي العلاء المعري : أى الثلاثة أشعر ، أبو تمام ، أم
البحترى ، أم المتنبي ؟ فقال : المتنبي وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحترى .
ولمعري ما أنصفه ابن الرومي في قوله [من الخفيف] :

والقى البحترى يسرق ما قال ابن أوس في المدح والتشبيب
كل بيت له يُجودُ معنا ه فمعناه لابن أوس حبيب
وقال البحترى : أنشدت أبا تمام شيئاً من شعري ، فأنشدني بيت أوس
ابن حجر [من الطويل] :

إذا مقرر من ذرى حدّ نابه تخمطُ فينا نابُ آخر مقرر
وقال : نعمت إلى نفسي ، فقلت : أعينك بالله من هذا ، فقال : إن عمرى ليس
يطول ، وقد نشأ لطيفاً مثلك ، أما علمت أن خالد بن صفوان المنقرى رأى
شبيب بن شبة - وهو من رهطه - وهو يتسكلم ، فقال : يا بني ، نعى نفسي إلى
إحسانك في كلامك ، لأننا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله ،
قال : فمات أبو تمام بعد سنة من هذا .

وقال البحترى : أنشدت أبا تمام شعراً لى في بعض بنى حميد وصلت به
إلى مال له خطر ، فقال لى : أحسنت ، أنت أمير الشعراء بعدى ، فكان قوله
هذا أحب إلى من جميع ما حويته .

وقال ميمون بن هارون : رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود
البلاذرى المؤرخ ، وحاله متماسكة ، فسألته ، فقال : كنت من جلساء المستعين
فقصده الشعراء ، فقال : لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل
[من الكامل] :

فَلَوْ أَن مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرِ
فَرَجَعْتَ إِلَى دَارِي ، وَأَتَيْتَهُ ، وَقُلْتَ : قَدْ قُلْتَ فَيْكَ أَحْسَنَ مِمَّا قَالَهُ الْبَحْثَرِيُّ
فِي الْمُتَوَكَّلِ ، فَقَالَ : هَاتِهِ ، فَأَنْشَدْتَهُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
وَلَوْ أَنَّ بُرْدَ الْمُصْطَفَى إِذْ لَبِسْتَهُ يَظُنُّ لَظَنَ الْبَرْدُ أَنَّكَ صَاحِبُهُ
وَقَالَ - وَقَدْ أُعْطِيْتَهُ وَلَبِسْتَهُ - : نَعَمْ ، هَذِهِ أُعْطَاوُهُ وَمَنَاكِبُهُ
فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ ، وَافْعَلْ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ، فَرَجَعْتَ ، فَبَعَثَ إِلَى سَبْعَةِ
آلَافٍ دِينَارٍ ، وَقَالَ : ادْخِرْ هَذِهِ لِلْحَوَادِثِ مِنْ بَعْدِي ، وَلَكَ عَلَى الْجَرَايَةِ
وَالْكَفَايَةِ مَا دُمْتَ حَيًّا .

وَالْمُتَنَبِّي فِي هَذَا الْمَعْنَى [مِنْ الْكَامِلِ] :
لَوْ تَعَقَّلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مُحِيَّةٌ إِلَيْكَ الْأَغْصَانَا
وَسَبَقَهُمَا أَبُو تَمَامٍ بِقَوْلِهِ [مِنْ الْخَفِيفِ] :
لَوْ سَمِعَتْ بَقْعَةً لِأَعْظَامٍ نَعَمِي لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْجَدِيدُ^(١)
وَالْبَيْتَ الَّذِي لِلْبَحْثَرِيِّ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ أَحْسَنَ فِيهَا كُلَّ الْإِحْسَانِ ،
يَمْدَحُ بِهَا أَبَا الْفَضْلِ جَعْفَرَ الْمُتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ، وَيَذْكُرُ خُرُوجَهُ لَصَلَاةِ عِيدِ الْفِطْرِ ،
وَأَوَّلَهَا [مِنْ الْكَامِلِ] :

أَخْفَى هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ وَأَظْهَرُ
وَأَلَامَ مِنْ كَمَدٍ عَلَيْكَ وَأَعْذَرُ
وَالْأَبْيَاتُ الَّتِي يَرْتَبِطُ بِهَا الْبَيْتُ الْمَقْدَمُ ذِكْرُهُ ، هِيَ :
بِالْبَرِّ صَمْتُ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وَبِسُنَةِ اللَّهِ الرِّضْيَةِ تَفْطَرُ
فَالنَّعَمُ يَوْمَ الْفِطْرِ عَيْنًا ، إِنَّهُ يَوْمٌ أَغْرَ مِنَ الزَّمَانِ مَشْهُرُ
أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمَلِكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ لَحِيبٍ يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيَنْصَرُ

(١) وَقَعَ عَجْزُهُ فِي ب « لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْحَدِيثُ » مُحَرَفًا ، وَالْبَيْتُ ثَانِي
أَيَّاتِ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ فِيهَا الْوَزِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت

عدداً يسير بها العديد الأكثر

فانخليل تصهل والفوارس تدعى

والبيض تلمع والاسنة تزهو

والأرض خاشعة تميد بنقلها

والجو معسكر الجوانب أغبر

والشمس طالعة توقد في الضحى

طوراً ويطفئها العجاج الأكر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلي

ذاك الدجى وانجاب ذاك العشير

فافتن فيك الناظرون فأصبع

يومي إليك بها وعين تنظر

يجدون رؤيتك التي فازوا بها

من أنعم الله التي لا تكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهلوا

لما طلعت من الصفوف وكبروا

حتى انتهيت إلى المصلى لباساً

نور الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيت مشية خاشع متواضع

لله لا يزهي ولا يتكبر

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما

في وسعه لمشي إليك المنبر

أبدت من فضل الخطاب بحكمة

تنبي عن الحق المبين وتخبر

ووقفت في برد النبي مذكراً

بِاللهِ تَنْذِرُ تَارَةً وَتَبْشُرُ

هذا القدر هو المقصود مما نحن فيه ، وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة ، والسهل الممتنع ، والله دره ١ ما أسلس قياده ، وأعذب ألفاظه ، وأحسن سبكه ، وألطف مقاصده ، وليس فيه من الحشوشى ، بل جميعه نُخب ، وديوانه موجود ، وشعره سائر ، فلا حاجة إلى الإكثار منه هنا .

لكن نذكر من وقائعه ما يستظرف ، فمن ذلك : أنه كان له غلام اسمه نسيم فباعه ، فاشتراه أبو الفضل الحسن بن وهب ، الكاتب ، وقد سبق ذكر أخيه سليمان في حرف السين ، ثم إن البحترى ندم على بيعه ، وتبعته نفسه ، فكان يعمل فيه الشعر ، ويدكر أنه خدع ، وأن بيعه لم يكن من مراده ، فمن ذلك قوله [من الكامل] :

أنسيم هل للدهر وعد صادق فيما يؤمله المحب الوامق

مالى فقدتك في المنام ولم تزل عون المشوق إذا جنه الشائق

أمنعت أنت من الزيارة رقة منهم فهل منع الخيال الطارق

اليوم جازى الهوى مقداره فى أهله وعلمت أنى عاشق

فليهنأ الحسن بن وهب أنه يلقى أحبته ونحن نفارق

وله فيه أشعار كثيرة .

ومن أخباره أنه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي ، مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار ، فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله ، فقصده البحترى من العراق ، فلما وصل إلى حلب قيل له : إنه قد قعد في بيته لديون ركبته ، فاغتم البحترى لذلك غما شديداً ، وبعث المدحة إليه مع بعض مواليه ، فلما وصلته ووقف عليها بكى ، ودعا بغلام له ، وقال له : بع دارى ، فقال له : أتبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس ، فقال : لا بد من بيعها ، فباعها

بثلثمائة دينار، فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار، وأنفذها إلى البحتري، وكتب إليه معها رقعة فيها هذه الأبيات [من الخفيف] :

لو يكون الحباء حسب الذي أنت لدينا به محل وأهل
لخيت اللجين والدر واليا قوت حثواً وكان ذاك يقل
والأديب الأريب يسمح بالعد ر إذا قصّر الصديق المقل
فلما وصلت الرقعة إلى البحتري رد الدنانير، وكتب إليه [من الخفيف] :
بأبي أنت والله للبر أهل والمساعي بعد وسعيك قبل
والنوال القليل يكثر إن شا مر جيئ والكثير يقل
غير أني رددت برك إذ كا ن رباً منك، والرب لا يحل
وإذا ماجزيت شعراً بشعر قضى الحق، والدنانير فضل
فلما عادت الدنانير إليه حل الصرة، وضم إليها خمسين ديناراً أخرى،
وحلف أنه لا يردها عليه، وسيرها، فلما وصلت إلى البحتري، أنشأ يقول
[من الطويل] :

شكرتك إن الشكر للعبد نعمة

ومن يشكر المعروف فله زائدة

لكل زمان واحد يقتدى به

وهذا زمان أنت لا شك واحدة

وكان البحتري كثيراً ما ينشد هذا الشعر ويعجبه، وهو [من المتقارب] :

حمام الأراك ألا فآخبرينا لمن تندبين ومن تعولينا

فقد شقت بالنوح منا القلوب وأبكيت بالندب منا العيون

تعالى نغم مأمماً للهموم ونعول إخواننا الظاعنين

ونسعدكن وتسعدتنا فان الحزين يؤاسي الحزين

ثم إنني وجدت هذه الأبيات لنبهان الفقعسي من العرب .

وكان البحترى قد اجتاز بالموصل ، وقيل : برأس عين ، ومرض بها مرضاً شديداً ، وكان الطبيب يختلف إليه ويداويه ، فوصف له يوماً مزورة ، ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه ، فقال للغلام : اصنع هذه المزورة ، وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا ، وقد جاء يعوده ، فقال ذاك الرئيس : هذا الغلام ما يحسن طبخها ، وعندى طباخ من نعته وصنعتة ، وبالغ فى حسن صنعتة ، فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس ، وقعد البحترى ينتظرها ، واشتغل الرئيس عنها ، ونسى أمرها ، فلما أبطأت عنه وفات وقت وصولها إليه ، فكتب إلى الرئيس [من البسيط] :

وجدتُ وعدك زورا فى مزورة حلفت مجتهدا إحكام طاهيها
فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها ولا علت كف مُلقٍ كفةً فيها
فاحبس رسولك عني أن يجيء بها فقد حبست رسولى عن تقاضيتها
وأخباره ومحاسنه كثيرة ، فلا حاجة إلى الاطالة .

ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولى ، ورتبه على الحروف وجمعه أيضا على بن حمزة الأصبهاني ، ولم يرتبه على الحروف ، بل على الأنواع كما صنع بشعر أبى تمام .

وللبحترى أيضا كتاب حماسة ، على مثال حماسة أبى تمام ، وله كتاب معانى الشعر وكانت ولادته سنة ست ، وقيل : خمس ومائتين .

وتوفى سنة أربع وثمانين ، وقيل : خمس وثمانين ، وقيل : ثلاث وثمانين ومائتين ، والأول أصح ، والله أعلم .

وقال ابن الجوزى فى كتاب « أعمار الأعيان » : توفى البحترى ، وهو ابن ثمانين سنة ، والله أعلم بالصواب ، وكان موته بمنبج ، وقيل : بحلب ، والأول أصح .

وقال الخطيب في تاريخ بغداد : إنه كان يكنى أبا الحسن ، وأبا عبادة ، فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة ، فانها أشهر ، ففعل ، وأهل الأدب كثيراً ما يسألون عن قول أبي العلاء المعري :

وقال الوليدُ : النبع ليس بمثمر

وأخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

فيقولون : مَنْ هو الوليد المذكور ؟ وأين من قال النبع ليس بمثمر ؟ ولقد سألتني عنه جماعة كثيرة ، والمراد بالوليد هو البحترى المذكور ، وله قصيدة طويلة يقول فيها [من البسيط] :

وَعَيْرَتْنِي سَجَالُ الْعُدْمِ جَاهِلَةٌ

وَالنَّبْعُ عُرْيَانٌ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرٌ

وهذا البيت هو المشار إليه في بيت المعري ، وإنما ذكرت هذا لأنه فائدة تستفاد .

وعبيد الله ، وأخوه أبو عبادة ، ابنا يحيى بن الوليد ، البحترى ، اللذان مدحهما المتنبي في قصائده ، هما حفيدا البحترى الشاعر المذكور ، وكانا رئيسين في زمانهما .

والبحترى : بضم الباء الموحدة ، وسكون الحاء المهملة ، وضم التاء المشناة من فوقها ، وبعدها راء ، هذه النسبة إلى بحتر ، وهو أحد أجداده ، كما تقدم ذكره في عمود نسبه .

وَزَرْدَقْنَةُ : بفتح الزاى ، وسكون الراء ، وفتح الدال المهملة ، وسكون الفاء وفتح النون ، وبعدها هاء ساكنة ، وهى قرية من قرى منبج ، بالقرب منها .

ومنبج : بفتح الميم ، وسكون النون ، وكسر الباء الموحدة ، وبعدها جيم ، وهى بلدة بالشام بين حلب والفرات ، بناها كسرى لما غلب على الشام ، وسماها

منبّه ، فعبت ، فقيل : منبج ، ولسكونها وطن البحتری كان يذكرها في شعره كثيراً ، فمن ذلك قوله في آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح ، وهو أبو جعفر محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي [من الكامل] :

لا أنسينَ زمناً لديك مهذباً وظلال عيش كان عندك سحسج
في نعمة أوطنتها وأقت في أفيائها فكأنني في منبج
وكان البحتری مقيماً بالعراق ، في خدمة المتوكل ، والفتح بن خاقان ، وله الحرمة التامة ، فلما قتلا كما هو مشهور في أمرهما ، رجع إلى منبج ، وكان يحتاج للترداد إلى الوالي بسبب مصالح أملاكه ، ويخاطبه بالأمير لحاجته إليه ، ولا تطاوعه نفسه إلى ذلك ، فقال قصيدة منها ^(١) [من الطويل] :

مضى جعفر والفتح بين مرمل وبين صبيغ بالدماء مخرج
أطلب أنصاراً على الدهر بعدما نوى منهما في التربأوسى وخزرجى
أولئك ساداتي الذين بفضلهم حلبت أفلايق الربيع المتججج
مضوا أئمة قصداً وخلفت بعدهم أخاطب بالتمأمير وإلى منبج
وذكر المسعودي في « مروج الذهب » أن هارون الرشيد اجتاز ببلاد منبج ومعه عبد الملك بن صالح ، وكان أفصح ولد العباس في عصره ، فنظر إلى قصر مشيد وبستان معتم ^(٢) بالأشجار كثير الثمار ، فقال : لمن هذا ؟ فقال : هو لك ولي بك يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف بناء هذا القصر ؟ قال : دون منازل أهلى ، وفوق منازل الناس ، قال : فكيف مدينتك ؟ قال : عذبة الماء ، باردة الهواء ، صلبة الموطن ، قليلة الأدواء ، قال : فكيف ليلها ؟ قال : سحر كله ، انتهى كلام المسعودي .
وعبد الملك المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ! وكانت منبج إقطاعاً له وكان مقيماً بها .

(١) أقننا اعوجاج هذه الأبيات عن الديوان

(٢) كذا ، ولعل الأصل « معتم بالأشجار »

وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة ، بالرقّة ، رحمه الله تعالى ! وله بلاغة وفصاحة
أضربت عن ذكرها خوف الإطالة .

وذكر ياقوت الحموى فى كتابه « المشترك » باب السقيا خمسة مواضع ، ثم
قال فى آخر هذا الباب : والخامس قرية على باب منبج ، ذات بساتين ، وهى
وقف على ولد البحترى الشاعر ، وقد ذكرها أبو فراس بن حمدان فى شعره .

(٧٤٢)

الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سبيجان بن عمر بن مالك
الشيبانى ، الشارى

الوليد بن
طريف بن
الصلت
الشيبانى
الشارى

هكذا ذكره أبو سعيد السمعانى فى كتاب الأنساب فى موضعين أحدهما فى
ترجمة الأرقام ، والآخر فى ترجمة السبيجان - بكسر السين المهملة - الشارى .

أحد الشجعان الطغاة الأبطال ، كان رأس الخوارج وكان مقبياً بنصيبين
والخابور وتلك النواحي ، وخرج فى خلافة هارون الرشيد ، وبغى ، وحشد جموعاً
كثيرة ، فأرسل إليه هارون الرشيد جيشاً كثيفاً مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن
زائدة الشيبانى ، وسيّأى ذكره فى حرف الياء إن شاء الله تعالى ، فجعل يخسّأته
وبما كره ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد ، فأغروا به الرشيد ، وقالوا : إنه
يراعيه لأجل الرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يواعدده وينتظر ما يكون
من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب ، وقال : لو وجهت أحد الخدم لقام
بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن
أخرت مناجزة الوليد لبيعنن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ، فلقى
الوليد فظهر عليه فقتله ، وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة عشية أول خميس فى

شهر رمضان ، وهى واقعة مشهورة تضمنتها التواريخ .

وكان للوليد المذكور أخت تسمى الفارعة ، وقيل : فاطمة ، تحب الشعر ،
وتسلك سبيل الخنساء فى مرانها لأخيها صخر ، فرثت الفارعة أخاها الوليد
بقصيدة أجادت فيها ، وهى قليلة الوجود ، ولم أجد فى مجاميع كتب الأدب
إلا بعضها ، حتى إن أبا على القالى لم يذكر منها فى أماليه سوى أربعة أبيات ،
فاتفق أنى ظفرت بها كاملة فأثبتها لعرابتها مع حسننها ، وهى هذه [من
الطويل] :

بتل نهاكى رسم قبر كأنه	على جبل فوق الجبال منيف
تضمن مجداً عدلياً وسوددا	وهمة مقدم ورأى حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقاً	كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى	ولا المال إلا من قنأ وسيوف
ولا الذخر إلا كل جرءاء صلدم	معاودة للسكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ، ولم تقم	مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لورد كريهة	من السرّدى خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب ، والحرب لاقح	

وسمّر القنأ ينكزها بأنوف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى

فان مات لا يرضى الندى بحليف

فقدناك فقدان الشباب ، وليتنا

وما زال حتى أزهر الموت نفسه

ألا يا لقومى للحمام واللبلى

ألا يا لقومى للنوائب والردى

وللأرض كهمت بعده برجوف

ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر من بين الكواكب إذ هوى

والشمس لما أزمعت بكسوف

ولليث كل الليث إذ يحملونه إلى حفرة ملاحودة وسقيف

ألا قاتل الله الحشى حيث أضمرت فتى كان للمعروف غير عيوف

فان يك أرداه يزيد بن مزيد فرب زخوف لفها بزخوف

عليه سلام الله وقفنا فأننى أرى الموت وقاعا بكل شريف

ولها فيه مراث كثيرة ، فمن ذلك قولها فيه أيضا [من المتقارب] :

ذ كرت الوليد وأيامه إذ الأرض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه في السماء كما يبتغى أنفه الأجدع

أضاعك قومك فلم يطلبوا إفادة مثل الذى ضيعوا

لو أن السيوف التى حدها يصيدك تعلم ما تصنع

نبت عنك إذ جعلت هيبة وخوفا لصولك لا تقطع

وكان الوليد يوم المصاف ينشد [من الرجز] :

أنا الوليد بن طريف الشارى قسورة لا بضطلي بنارى

* جوركم أخرجنى من دارى *

ويقال : إنه لما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله ، وأخذ رأسه ، ولما قتله وعلمت بذلك أخته المذكورة لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج فضرب بالرمح فرسها ، وقال : اغربى غرب الله عينك ، فقد فضحت العشيرة ، فاستحيت وانصرفت .

وطريف : بفتح الطاء المهملة ، وكسر الراء ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها فاء .

وتل نها كى - أظنه فى بلد نصيين - وهو موضع الواقعة المذكورة
والخابور : نهر معروف ، أوله من رأس عين ، وآخره عند قرقيسيا ، يصب
فى الفرات ، وعلى هذا النهر مدن صغار تشبه السكبار فى عمارة بلادها وأسواقها
وكثرة خيراتها ، وهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه .
والشارى : بفتح الشين المعجمة ، وبعد الألف راء ، وهو واحد الشراة ،
وهم الخوارج ، وإنما سموا بذلك لقولهم : إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى
بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة .

والخنساء : اسمها تماضر - بضم التاء المثناة من فوقها ، وفتح الميم ، وبعد
الألف ضاد مكسورة معجمة ، وبعدها راء - وهى ابنة عمرو بن الشريد السلمى
والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع الأرنبة ، ولذلك قيل لها الخنساء ،
لأنها كانت على هذه الصفة ، وأخبارها مع أخيها مشهورة فى مراثيها وغيرها ،
وقد سبق طرف من أخبار أخيها صخر فى ترجمة أبى أحمد العسكري فى حرف
الحاء ، وقد اختلف فى موضع قبره ، فقيل : إنه مدفون عند عسيب ، وهو جبل
مشهور ببلاد الروم ، وإن القبر الذى هناك ينسب إلى امرئ القيس بن حنجر
السكندى الشاعر المشهور ليس لامرئ القيس ، وإنما هو لصخر المذكور ، وقيل :
إن كل واحد من امرئ القيس وصخر مدفون هناك ، وقال الحافظ أبو بكر الحازمى
المقدم ذكره فى كتاب « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » : إن عسيبا جبل حجازى ،
ودفن عنده صخر أخو الخنساء ، فعلى هذا يكون عسيب اسما لجبلين : أحدهما
بالروم وهو الأشهر ، والآخر بالحجاز ، وكان من لوازم ياقوت الحموى أن يذكره
فى كتابه الذى وضعه فى البلاد المشتركة الأسماء ، ولم أجده ذكره فيه ، والله
تعالى أعلم .

(٧٤٣)

أبو عبد الله وهب بن منبه ، اليماني ،
صاحب الأخبار والقصص

أبو عبد الله
وهب بن منبه
الأخباري

وكانت له معرفة بأخبار الأوائل ، وقيام الدنيا ، وأحوال الأنبياء ،
- صلوات الله وسلامه عليهم - وسير الملوك ، وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب
« المعارف » أنه كان يقول : قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا ،
ورأيت له تصنيفا ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير ، وأخبارهم وقصصهم ،
وقبورهم وأشعارهم ، في مجلد واحد ، وهو من السكتب المفيدة ، وكان له إخوة ، منهم :
همام بن منبه ، كان أكبر من وهب ، وروى عن أبي هريرة ، رضى الله عنه !
وهو معدود من جملة الأبناء .

ومعنى قولهم : « فلان من الأبناء » أن أبا مرة سيف بن ذى يزن الحميري
صاحب اليمن ، لما استولت الحبشة على مدائن مكة ، توجه إلى كسرى أنوشروان
ملك الفرس ، يستنجده عليهم ، وقصته في ذلك مشهورة ، وخبره طويل .
وخلاصة الأمر أنه سیر معه سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس ،
وجعل مقدمهم وهرز ، هكذا قاله ابن قتيبة .

وقال محمد بن إسحاق : لم يسير معه سوى ثمانمائة فارس ، ففرق منهم في
البحر مائتان ، وسلم ستمائة .

قال أبو القاسم السهيلي : والقول الأول أشبه بالصواب ، إذ يبعد مقاومة
الحبشة بستمائة فارس

فلما وصل الجيش إلى اليمن جرت الواقعة بينهم وبين الحبشة ،
فاستظهرت الفرس عليهم ، وأخرجوهم من البلاد ، وملك سيف

ابن ذى يزن ووهرز ، وأقاموا أربع سنين ، وكان سيف بن ذى يزن قد اتخذ من أولئك الحبشة خدماً ، فخلوا به يوماً وهو فى متصيد له ، فزرقوه بحرابهم ، فقتلوه ، وهربوا فى ربوس الجبال ، وطلبهم أصحابه ، فقتلهم جميعاً ، وافتشر الأمر باليمن ، ولم يملكوا عليهم أحداً ، غير أن أهل كل ناحية ملكوا عليهم رجلاً من حمير ، فكانوا كملوك الطوائف ، حتى أتى الله بالإسلام ، ويقال : إنها بقيت فى أيدي الفرس ونواب كسرى فيها ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وباليمن من قواد أبرويز عاملان ، أحدهما : فيروز الديلمى ، والآخر زاذويه وأساما ، وهما اللذان دخلا على الأسود العنسى مع قيس بن المكشوح لما ادعى الأسود النبوة باليمن وقتلوه ، والقصة فى ذلك مشهورة ، فلا حاجة إلى ذكرها .

والمقصود من هذا كله أن جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا ، ورزقوا الأولاد ، فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون الأبناء ، لأنهم من أبناء أولئك الفرس .

وكان طاوس العالم المتقدم ذكره منهم أيضاً ، وقد أومات إلى ذلك فى ترجمته ، ولم أشرحه كما فعلت ههنا .

وأخبار وهب شهيرة فلا حاجة إلى ذكر شيء منها ، ويكفى فى هذا الموضع ذكر هذه الفائدة .

وتوفى وهب المذکور فى المحرم سنة عشر ، وقيل : أربع عشرة ، وقيل : ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن ، وعمره تسعون سنة ، رضى الله عنه !

وقد تقدم الكلام على صنعاء فى ترجمة عبد الرزاق الصنعائى .

وفى هذه الترجمة أسماء أعجمية ، لو قيدها ، ل طال الشرح ، وهى مشهورة فتركتها .

(٧٤٤)

أبو البختري وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زَمْعَة

ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي

بن كلاب ، القرشي ، الأسدي ، المدني

أبو البختري

وهب بن وهب

القرشي

الأسدي المدني

حدث عن عبيد الله بن عمر العمرى وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر

ابن محمد الصادق وغيرهم ، وروى عنه رجاء بن سهل الصاغاني وأبو القاسم بن سعيد

ابن المسيب وغيرهما ، وكان متروك الحديث مشهوراً بوضعه ، انتقل من المدينة

إلى بغداد في خلافة هرون الرشيد ، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرق بغداد ،

وقد تقدم الكلام على هذا الموضع في ترجمة الواقدي في حرف الميم ، ثم عزله وولاه

القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيري ، وجعل

إليه ولاية حربها مع القضاء ، ثم عزله ، فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة القاضي أبي يوسف يعقوب بن

إبراهيم الحنفي أنه كان قاضي القضاة في بغداد ، فلما مات ولي الرشيد مكانه

أبا البختري وهب بن وهب القرشي ، وكان فقيهاً أخبارياً ناسباً جواداً سرياً سخياً

يحب المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل ، وكان إذا أعطى قليلاً أو كثيراً أتبعه

عذراً إلى صاحبه ، وكان يتهمّل عند طلب الحاجة إليه حتى لو رآه من لا يعرفه

لقال هذا الذي قضيت حاجته ، وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر المقدم ذكره

قد تزوج بأمه بالمدينة ، وله عنه روايات وأسانيد ، واسم أمه عبدة بنت علي بن

يزيد بن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت

عقيل بن أبي طالب

وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وبالع في تقريره والثناء عليه ، وقال :

دخل عليه شاعر فأنشده [من الطويل] :

إذا افتر وهبُ خلاته بَرَقَ عارضُ
تبعق في الأرضين أسعدَه السُّكْبُ
وما ضرَّ وهباً ذمُّ مَنْ خالف المَلَأَ
كما لا يضر البدرَ ينبجُه الكَلْبُ

لكلِّ أناسٍ مِنْ أَيْبِهِمْ ذَخِيرَةٌ
وَذُخْرُ بَنِي فَهْرٍ عَقِيدُ النَّدَى وَهْبُ
قال : فاستهل أبو البختري ضاحكا وسر سرورا شديداً ، ثم دعا عوناً له
فأسر إليه شيئاً ، فأتاه بَصْرَةَ فيها خمسمائة دينار ، فدفعها إليه
وحكى أبو الفرج الأصهباني في كتاب الأغاني في ترجمة أبي دُلْفَ العجلي ،
قال : أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار ، قال : كنا عند أبي العباس المبرد يوماً
وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه ، وفتى
من ولد أبي دُلْفَ العجلي شبيه به في الجلال ، فقال المبرد لأبي البختري :
أعرف لجدك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يُسَبِّقَ إليها ، فقال : وما هي ؟
قال : دعى رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذاً غير الذي كانوا
يشربون منه ، فقال فيهم [من المتقارب] :

نبيذان في مجلس واحد	لا يثار مثر على مُقْتَر
فلو كان فعلك ذا في الطَّعام	لزمت قياسك في المسكر
ولو كنت تطلب شأواً للكرام	صنعت صنيع أبي البختري
تتبع إخوانه في البلاد	فأغنى المقلَّ عن المكثري

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلمائة دينار ، قال ابن عمار :
وقلت له : قد فعل جدُّ هذا الفتى في مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا ، قال :
وما فعل ؟ قلت : بلغه أن رجلاً افتقر بعد ثروة ، فقالت له امرأته : اقترض في
الجند ، فقال [من البسيط] :

إليك عنى فقد كلفتني شَطَطًا حَمَلَ السَّلاحَ وَقَوْلَ الدَّارِعينَ قِفْ
أَمِنْ رِجالِ المَنايا خِلَتِني رَجُلًا أُمِيسِي وَأَصْبَحَ مُشْتاقًا إلى النَّفْ
تَمَشِي المَنايا إلى غَيرِي فأَكرَها فَكَيْفَ أُمَشِي إليها بارِزَ الكِثْفِ
حَسِبْتُ أنْ نَزَالَ القَرْنَ مِنْ خُلُقِي أوْ أنْ قَلْبِي في جَنَبِي أُنِي دَلْفِ
فأَحْضَرَهُ أبو دَلْفٍ نَمَ قال : كَمَ أَمَلْتُ امْرَأَتَكَ أنْ يَكُونَ رِزْقُكَ ؟ قال : مائَةٌ
دِينَارَ ، وقال : وَكَمَ أَمَلْتُ أنْ تَعِيشَ ؟ قال : عَشرِينَ سَنَةً ، قال : فَلكَ ما أَمَلْتُ بِهِ
امْرَأَتَكَ في مالِنا ، دُونَ مالِ السُّلطانِ ، وأَمَرَ بِإِغْطائِهِ إِيَّاهُ ، قال : فَرَأَيْتَ وَجْهَهُ
وَلَدَ أُنِي دَلْفٍ يَتَهَلَّلُ ، وانكَسَرَ ابْنُ أُنِي البَخْتَرى انكَسارًا شَدِيدًا ، انْتَهَى كَلامُ
صاحبِ الأَغاني في هَذا الفِصلِ

وقد سبق في ترجمة أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ذكر هذه الأبيات وقائلها وصورة الحال ، وبينها وبين هذه الرواية اختلاف يسير (١)

وأما الأبيات الأولى التي في أبي البختري ، فهي لأبي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عطية العطوي الشاعر المشهور ، ونسبته — بالعطوي — إلى جده عطية المذكور ، وهو من البصرة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وكان معتزلياً ، وله ديوان شعر

وروى الخطيب أيضاً في تاريخه أن أبا البختري ، قال : لَأَنْ أكون في قوم أعلم مني أحب إلي من أن أكون في قوم أما أعلم منهم

وروى أيضاً في تاريخه أن هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم أن يرق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء ومنطقة ، فقال أبو البختري : حدثني جعفر ابن محمد الصادق عن أبيه قال : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة مخنجرًا بخنجر ، فقال المعافي التميمي [من السريع] :

وَيْلٌ وَغَوْلٌ لِأَبِي البَخْتَرى إِذا تَوَأفَى الناسُ لِلْمَحْشَرِ

(١) انظر الجزء الثاني ص ٢٣٨ في أثناء الترجمة رقم ٥١١

من قوله الزُّورَ وإِعلانه
والله ما جالسه ساعةً
ولا رآه الناسُ في دهره
يا قاتلَ الله ابنَ وهبٍ لقد
يزعمُ أن المصطفى أحمدًا
عليه خف وقبًا أسود
بالكذب في الناس على جعفر
للفقه في بدو ولا محضر
يمُرُّ بين القبر والمنبر
أعلن بالزُّور وبالمنكر
أناه جبريلُ التقي البري
مُخَنَجِرًا في الحقور بالخنجر

وحكى جعفر الطيالسي أن يحيى بن معين وقف على خلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق ، فقال له : كذبت يا عدوَّ الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فأخذني الشرط ، فقلت لهم : هذا يزعم أن رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ، قال : فقالوا لي : هذا والله قاضٍ كذاب ، وأفرجوا عني

وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف : وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث وقال الخطيب في تاريخه : قال إبراهيم الحربي : قيل لأحمد بن حنبل : تعلم أحداً روى « لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح » ؟ فقال : ما روى هذا إلا ذاك المكذاب أبو البختري

وله من التصانيف كتاب « الروايات » وكتاب « طسم وجديس » وكتاب « صفة النبي صلى الله عليه وسلم » ، وكتاب « فضائل الأنصار » وكتاب « الفضائل الكبير » ويحتوى على جميع الفضائل ، وكتاب « نسب ولد إسماعيل عليه السلام » ويحتوى على قطعة من الأحاديث والقصص وأخباره ومحاسنه كثيرة

وتوفى سنة مائتين للهجرة ، ببغداد ، في خلافة المأمون ، رحمه الله تعالى ! وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في موضعين ، عقد له ترجمة أولاً ،

وتكلم على حاله ، ثم ذكره في ثلاثه أسماء في نسق أبو البختري وهب بن وهب بن وهب ، وعد معه في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ، وفي الطالبين حسن بن حسن بن حسن ، وفي غسان الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج بن الحرث الأكبر ، هؤلاء الذين ذكرهم ابن قتيبة ، وقد جاء في المتأخرين أبو حامد الغزالي وهو محمد بن محمد بن محمد ، وقد سبق ذكره في الحمدين

وأبو البختري : بفتح الباء الموحدة ، وسكون الخاء المعجمة ، وفتح الناء المثناة من فوقها ، وبعدها راء ، وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء وهو يتصفح على كثير من الناس بالبختري الشاعر المقدم ذكره .

وزمعة : بفتح الزاي والميم والعين المهملة ، وبعدها هاء ساكنة ، وهي في الأصل اسم للهنّة الزائدة من وراء الظلف وبها سمى الرجل . وقد تقدم الكلام على الأسدي والمدني .

قلت : وبعد الفراغ من هذه الترجمة ظفرت بنكتة ينبغي إلحاقها بها ، وهي أن أبا البختري المذكور قال : كنت أدخل على هارون الرشيد وابنه القاسم الملقب بالموثق بين يديه ، فسكنت أدمن النظر إليه عند دخولي وخروجي ، فقال له بعض ندمائه : ما أرى أبا البختري إلا يحب رؤوس الحملان ، ففطن له الرشيد ، فلما دخلت عليه قال : أراك تدمن النظر إلى أبي القاسم ، تريد أن تجعل انقطاعك إليه ، قلت : أعينك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في ، وأما إدماني النظر إليه فلأن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه روى بإسناده عن آبائه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث يزدن في قوة النظر : النظر إلى الخضرة ، وإلى الماء الجاري ، وإلى الوجه الحسن » نقلتها من خط القاضي كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(٧٤٥)

الشریف أبو السعادات هبة الله بن علی بن محمد بن حمزة، الحسنى ،
المعروف بابن الشجرى ، البغدادى

أبو السعادات
هبة الله بن علی
(ابن الشجرى)

الحسينى
البغدادى
النحوى

كان إماماً فى النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها ، كامل النضائل ،
متضلعا من الأدب ، صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب « الأمالى » ،
وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة ، أملاه فى أربعة وعثمانين مجلسا ، وهو يشتمل
على فوائد جمّة من فنون الأدب ، وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر
أبى الطيب المنبجى تسكلم عليها وذكر ماقاله الشراح فيها وزاد من عنده ماسنح له
وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله
المعروف بابن الخشاب المقدم ذكره ، والتبس منه سماعه عليه ، فلم يجبه إلى ذلك
فعاداه وردّ عليه فى مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات
المذكور على ذلك الرد ، فرد عليه فى رده ، وبين وجوه غلطه ، وجمعه كتاباً
وسماه « الانتصار » وهو على صغر حجمه مفيد جداً ، وسمعه عليه الناس ، وجمع
أيضاً كتاباً سماه « الحماسة » ضاهى به حماسة أبى تمام الطائى ، وهو كتاب
غريب مليح أحسن فيه ، وله فى النحو عدة تصانيف « ما اتفق لفظه واختلف
معناه » وشرح « اللع » لابن جنى ، وشرح « التصريف الملوکى »

وكان حسن الكلام ، حلوا الألفاظ ، فصيحاً ، جيد البيان والتفهيم ، وقرأ
الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبى الحسن المبارك بن
عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفى ، وأبى على محمد بن سعيد بن شهاب
الکاتب وغيرها

وذكره الحافظ أبوسعید بن السمعانى فى كتاب « الذيل » ، وقال : اجتمعنا فى دار
الوزير أبى القاسم على بن طراد الزينبى وقت قراءتى عليه الحديث ، وعلقت عنه

شيئاً من الشعر في المدرسة ، ثم مضيت إليه ، وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوى .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى النحوى ، المتقدم ذكره ، في كتابه الذى سماه « مناقب الأدباء » أن العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري المتقدم ذكره لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات بن الشجرى ، فمضينا معه إليه ، فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي [من الطويل] :

وأستكثر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغرَ الخبرِ الخبرُ
ثم أنشده بعد ذلك [من البسيط] :

كانت مُسألة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا ، فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قد رأى بصرى

وهذان البيتان قد تقدم ذكرهما في ترجمة جعفر بن فلاح ، وهما منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هانئ الأنداسى ، وقد تقدم ذكره أيضاً ، وينسبان إلى غيره أيضاً ، والله تعالى أعلم .

قال ابن الأنبارى : فقال العلامة الزمخشري : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخليل قال له : « يا زيد ، ما وصف لى أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيتك دون ما وصف لى ، غيرك » .

قال ابن الأنبارى : فخرجنا من عنده ونحن نعجب ، كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل أعجمى ؟ .

وهذا الكلام — وإن لم يكن عين كلام ابن الأنبارى فهو في معناه — لأننى لم أنقله من الكتاب ، بل وقفت عليه منذ زمان ، وعلق معناه بخاطرى ، وإنما ذكرت هذا لأن الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الأنبارى فيجد بين

الكلامين اختلافا فيظن أني تسامحت في النقل .

وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبين بالسرخ نيابة عن والده الطاهر
وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي
ابن محمد بن جهر ، وأولها [من الكامل] :

هذي السديرة والغدير الطافح فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
ياسدرة الوادي الذي إن ضله الساري هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل الممات لمغرم عيش تقضي في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة لمادعا مصفى الصبابة طامح
شط المزار به وبؤى منزلا بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه الذسيم وفوقه قمر يحف به ظلام جانح
وإذا العيون تساهمته لحاظها لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبكي فكم من مضمهر وجداً أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما تلك العراص المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حيثما وسقى دياركما الميث الرائح
أدُمى بدت لعيوننا أم ربرب أم خرد أكفالهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنت لنا خلل البراقع أم قنا وصفائح
لم يبق جارحة وقد واجهننا إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى

ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة ما أترت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه ليستدل به على طريقته فيه .

ومن شعره أيضا [من الطويل]

هل الوجد خاف والدموع شهودٌ وهل مكذب قول الوشاة جحودٌ
وحق متى تَفَنَّى شئونك بالبكا وقد حد حداً للبكاء لبيد
وإني وإن خفت قناتي كبرة لذو مرة في النائبات جليد
وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العاصري ، وهي [من الطويل] :
تمنى ابتئى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فنوحا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا : هو المرء الذى لا صديقه أضاع ، ولا خان العهد ولا غدر
إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ومن يَبْكُ حولاً كاملاً فقد اعتذر
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله [من الطويل] :

ظعنوا فـكـل بكاء حولٍ بعدهم ثم ارعويت وذلك حكم لبيد
وقال الشريف أبو السعادات المذكور : أنشدني أبو إسماعيل الحسين
الطغرائي - قلت : قد تقدم ذكره - لنفسه :

إذا ما لم تكن ملسكا مطاعا فكُن عبداً لـمـالـكـه مطيعا
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فاطرهما جميعاً (١)
هما سببان من ملك ونسكٍ يذيلان القى الشرف الرفيعاً (٢)
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش بهما وضيعا
وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد

(١) في ب « فاطرهما جميعاً »

(٢) كلمة « ونسك » سقطت من جميع الأصول وأثبتناها عن ديوان الطغرائي

(ص ٦٧ الجواب ١٣٠٠)

ابن جكيننا البغدادي الحريري الشاعر المشهور ، وهو المذكور في ترجمة أبي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات ، تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل ، فلما وقف على شعره عمل فيه قوله [من المنسرح] :

ياسيدي والذي يعينك من نظم قريض يصدا به الفكر
مالك من جدك النبي سوى أنك ما ينبغي لك الشعر
وشعره وما جرياته كثيرة ، والاختصار أدنى .

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة .

وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، ودفن من القدر في داره بالكرخ من بغداد ، رحمه الله تعالى ! .

والشجري — بفتح الشين المعجمة والجيم ، وبعدها راء — هذه النسبة إلى شجرة ، وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ! وشجرة أيضاً اسم رجل ، وقد سميت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما هل هو نسبة إلى القرية ، أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ، والله أعلم . وقد تقدم الكلام على الكرخي ، رضى الله عنه ! فأغنى عن الإعادة .

(٧٤٦)

أبو القاسم
هبة الله بن
الحسين البديع
الأسطرلابي
الأديب

أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف ، وقيل : أحمد ، المنعوت
بالبديع الأسطرلابي ، الشاعر المشهور ، أحد الأدباء الفضلاء
كان وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية ، متقناً لهذه الصناعة ، وحصل
له من جهة عماله مال جزيل في خلافة الإمام المسترشد ، ولما مات لم يخلفه في شغله
مثله ، وقد ذكره أبو المعالي الخطيري في كتابه الذي سماه « زينة الدهر » وذكره
العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة » ، وكل منهما أثني عليه ، وأورد
عدة مقاطيع من شعره ، فمن ذلك قوله [من السكامل] :

أَهْدَى لِمَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ ، وَإِنَّمَا أَهْدَى لَهُ مَا حَزَتْ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ وَمَالُهُ فَضُلٌّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
وهذان البيتان من أحسن شعره ، وقد قيل : أنهما لغيره
وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

أَذَاقَنِي حُمْرَةَ الْمَنَايَا لَمَّا كُتِسَى خُضْرَةُ الْعَنَابِ
وَقَدْ تَبَدَّى السَّوَادُ فِيهِ وَكَارَتِي بَعْدُ فِي الْعِيَارِ

هكذا وجدت هذين البيتين في « زينة الدهر » تأليف أبي المعالي الخطيري
منسويين إلى البديع المذكور ، ورأيت في موضع آخر أنهما لأبي محمد بن جكينا
المذكور في ترجمة الشريف أبي السعادات بن الشجري ، والله أعلم ، وهذه
العبارة من اصطلاح البغاددة ، فإنهم يقولون : « وكارتني بعد في العيار » بمعنى
أنه ناشب معه لم يتخلص منه ، والسكرادة عندهم في الدقيق بمثابة الحملة في ديار مصر
ومن شعره أيضاً [من الخفيف] :

قَالَ قَوْمٌ عَشِيقَتَهُ أَمْرَدَ الْخُشْدَ وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ نَكَرِشَ
قُلْتُ قَرُخُ الطَّائِوُسِ أَحْسَنُ مَا كَانَ إِذَا مَا عَلَا عَلَيْهِ الرِّيشُ

قوله « نكريش » لفظة أعجمية ، والأصل فيها نيك ريش ، معناها حية جيدة ، وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم أنهم يقدمون ويؤخرون في ألفاظهم المركبة ، فنيك : جيد ، وريش : حية

وكان كثير الخلاعة ، يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به إلى الفحش في اللفظ ، فلهذا اقتضرت له على هذه النبذة مع كثرة شعره ، وكان قد جمعه ودوّنّه ، واختار ديوان ابن حجاج ورتبه على مائة وأحد وأربعين باباً ، وجعل كل باب في فن من فنون شعره ، وقفاه وسماه « درة التاج » ، من شعر ابن حجاج وكان ظريفاً في حركاته

وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، بعلّة الفالج ، ودفن بمقبرة الوردية ، بالجانب الشرقي من بغداد ، رحمه الله تعالى !

والأُسْطُرْلَابي - بفتح الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وضم الطاء المهملة وبعدها راء ، ثم لام ألف ، ثم باء موحدة - هذه النسبة إلى الأُسْطُرْلَاب ، وهو الآلة المعروفة ، قال كوشيار بن لبنان بن باشمري الجبلي صاحب كتاب « الزيج » في رسالته التي وضعها في علم الأُسْطُرْلَاب : إن الأُسْطُرْلَاب كلمة يونانية ، معناها ميزان الشمس ، وسمعت بعض المشايخ يقول : إن لاب اسم الشمس بلسان اليونان فكأنه قال : أسطر الشمس ، إشارة إلى الخطوط التي فيه ، وقيل : إن أوّل مَنْ وضعه بطليموس صاحب المجسطى ، وكان سبب وضعه له أنه كان معه كرة فلكية وهو راكب ، فسقطت منه ، فداستها دابته ، فحسفتها ، فبقيت على هيئة الأُسْطُرْلَاب ، وكان أرباب علم الرياضة يعتقدون أن هذه الصورة لا ترسم إلا في جسم كرى على هيئة الأفلاك ، فلما رآه بطليموس على تلك الصورة علم أنه يرسم في السطح ، ويكون نصف دائرة ، ويحصل منه ما يحصل من الكرة ، فوضع الأُسْطُرْلَاب ، ولم يسبق إليه ، وما اهتدى أحد من المتقدمين إلى أن هذا القدر يتأتى في الخط ، ولم يزل الأمر مستمراً على استعمال الكرة والأُسْطُرْلَاب إلى أن

استنبط الشيخ شرف الدين الطوسي المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين بن
يونس رحمهما الله تعالى وهو شيخه في فن الرياضة أن يضع المقصود من الكرة
والأسطرلاب في خط فوضعه وسماه « العصا » وعمل له رسالة بديعة
وكان قد أخطأ في بعض هذا الوضع ، فأصلحه الشيخ كمال الدين المذكور ،
وهذه ، والطوسي أول من أظهر هذا في الوجود ، ولم يكن أحد من القدماء يعرفه ،
فصارت الهيئة توجد في الكرة التي هي جسم لأنها تشتمل على الطول والعرض
والعمق ، وتوجد في السطح الذي هو مركب من الطول والعرض بغير عمق ، وتوجد
في الخط الذي هو عبارة عن الطول فقط بغير عرض ولا عمق ، ولم يبق سوى
النقطة ، ولا يتصور أن يعمل فيها شيء لأنها ليست جسماً ولا سطحاً ، ولا خطاً ،
بل هي طرف الخط ، كما أن الخط طرف السطح ، والسطح طرف الجسم ، والنقطة
لا تتجزأ ، فلا يتصور أن يرسم فيها شيء ، وهذا وإن كان خروجاً عما نحن بصدد
لكنه أيضاً فائدة ، والاطلاع عليه أولى من إهماله ، وسياق الكلام جره
والله تعالى أعلم .

(٧٤٧)

أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين
ابن علي بن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم، المعروف
بأبن القطان، الشاعر المشهور، البغدادى

أبو القاسم
هبة الله
ابن الفضل
(ابن القطان)
البغدادى
الشاعر

قد سبق شيء من شعره وطرف من خبره في ترجمة حيض بيض في حرف
السين، وفي ترجمة ابن السوادى في أواخر حرف العين.
وكان أبو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ، وسمع
عليه، وكان غاية في الخلاعة والمجون، كثير المزاح والمداعبات، مغرى بالولوع
بالمعجرفين والهجاء لهم، وله في ذلك نواذر ووقائع وحكايات ظريفة، وله ديوان
شعر، وقد ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب «الذيل» فقال: شاعر، مجود،
مليح الشعر، رقيق الطبع، إلا أن الغالب عليه الهجاء، وهو ممن يتقى لسانه، ثم
قال: كتبت عنه حديثين لا غير، وعلقت عنه مقطعات من شعره، وذكر
الحافظ السلفي أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العزيز، وقال: إن بعض أولاد
المحدثين سأله عن مولده فقال: سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ليلة الجمعة رابع
عشر رجب.

وقال أبو غالب شجاع بن فارس الدهلي: مات يوم الأربعاء، ودفن من
الغد لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، بمقبرة معروف
السكرخى، رضى الله عنه!

وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب «الخريدة» أبا القاسم المذكور فقال:
وكان مجمعا على ظرفه ولطفه، وله ديوان شعر أكثره جيد، وعبت فيه بجماعة
من الأعيان وتكلمهم، ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره.
وأخبرني بعض المشايخ أنه رآه وقال: كنت يومئذ صبيا فلم آخذ عنه شيئا

لكنني رأيته قاعداً على طرف دكان عطار ببغداد ، والناس يقولون : هذا ابن الفضل الهجاء .

وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني ، وأبو الفضل أحمد بن الحسن جبرون الأمين ، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان السكرخي ، وغيرهم .

وله مع حَيْضَ بَيْضَ ماجريات ، فمن ذلك أن الحيص بيض خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي ، فنبج عليه جرو كلب وكان متقلداً سيفاً ، فوكره بعقب السيف ، فمات ، فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتاً ، وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابناً له ، فقُدِمَ إليه ليقبض منه فألقى السيف من يده وأنشدهما ، والبيتان المذكوران يوجدان في الباب الأول من كتاب الحماسة ، ثم إن ابن الفضل المذكور عمل الأبيات في ورقة وعلقها في عنق كلمة لها أحررتب معها مَنْ يطردها وأولادها إلى باب دار الوزير كالمستغنية فأخذت الورقة من عنقها ، وعرضت على الوزير فاذا فيها [من البسيط] :

يا أهل بغداد إن الحيصَ بَيْضَ آتَى

بفعلة أكسبته الخزى في البلد

هو الجبان الذي أبدى تشاجعه على جرئٍ ضعيف البطش والجلد

وليس في يده مال يَدِيهِ به ولم يكن بمَوَّاء عنه في القود

فأنشدت جعدة من بعد ما احتسبت

دم الأيلق عند الواحد الصمد

(أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم تُرد

كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذاولدي

والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم :

قوم إذا ما جنى جانبهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قوداً
وهو من جملة أبيات في السكراس الذى أوله لقي بشار وينظر فى الحماسة ،
وهذا التضمين فى غاية الحسن ، ولم أسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء
التضمين فى أشعارهم ، إلا ما أنشدنى الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف
بابن الخيمى المذكور فى ترجمة الشيخ تاج الدين السكندى فى حرف الراء لنفسه
وأخبرنى أنه كان بدمشق وقد رسم السلطان بخلق لحية شخص له وجاهة بين
الناس ، فخلق نصفها ، وحصلت فيه شناعة ، فعفى عنه فى الباقى ، فعمل فيه ولم
يصرح باسمه ، بل رمزه وستره ، وهو [من البسيط] :

زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا جميع لحيته من بعد ما ضربا
فلم أر النصف مخلوقاً فعدت له مهنئاً بالذى منهاله وهباً
فقام ينشدنى والدمع يخنقه بيتين ما نظماً ميناً ولا كذباً
(إذا أتتك الخلق الذقن طائفة فاخلع ثيابك منها مُمعناً هرباً
وإن أتوك ، وقالوا : إنها نصف فإن أطيّب نصفها الذى ذهباً)
والبيتان الأخيران منها فى كتاب الحماسة أيضاً فى باب مذمة النساء ، لكن
الأول منهما فيه تغيير ، فإن بيت الحماسة

لا تنكحن عجوزاً إن أتيت بها واخلع ثيابك منها مُمعناً هرباً
وحضر ليلة الخيص بيّص وابن الفضل المذكور على السباط عند الوزير فى
شهر رمضان ، فأخذ ابن الفضل قطاة مشوية ، وقدمها إلى الخيص بيّص ، فقال
الخيص بيّص للوزير : يا مولانا هذا الرجل يؤذنى ، فقال الوزير : كيف ذلك ؟
قال : لأنه يشير إلى قول الشاعر [من الطويل] :

يُيمُّ بطرق اللؤم أهدى من القطا وكوسلكت سبيل المكارم ضلّت
وكان الخيص بيّص تميمياً كما تقدم فى ترجمته ، وهذا البيت للطرماح بن

حكيم الشاعر ، وهو من جملة أبيات ، وبعد هذا البيت :

أرى اللَّيْلَ يَجْلُو النَّهَارُ ، وَلَا أَرَى خِلَالَ الْخَازِي عَنْ تَمِيمٍ تَجَلَّتْ
وَلَوْ أَنَّ بُرْغُوثًا عَلَى ظَهْرِ قَلَةٍ يَكْثُرُ عَلَى صَفِّي تَمِيمٌ لَوَلَّتْ

ودخل ابن الفضل المذكور يوما على الوزير المذكور الزينبي ، وعنده الحيص بيص ، فقال : قد عملت بيتين ، ولا يمكن أن يعمل لهما ثالث ، لأنني قد استوفيت المعنى فيهما ، فقال له الوزير : هاتهما ، فأنشده [من البسيط] :

زَارَ الْخِيَالَ نُحَيْلًا مِثْلَ مَنْ سَلَهُ فَمَا شَفَانِي مِنْهُ الضَّمُّ وَالْقَبْلُ
مَا زَارَنِي قَطُّ إِلَّا كَيْ يُوَافِقَنِي عَلَى الرُّقَادِ فَيَنْفِيهِ وَيَرْتَحِلُ

فالتفت الوزير إلى الحيص بيص ، وقال له : ما نقول في دَعَوَاهُ ؟ فقال : إن أعادهما سمع الوزير لهما ثالثًا ، فقال له الوزير : أعدهما ، فأعادهما ، فوقف الحيص بيص لحظة ، ثم أنشد :

وَمَا دَرَى أَنَّ نَوْمِي حِيلَةٌ نُصِبَتْ لَطِيفُهُ حِينَ أَعْيَا الْيَقْظَةُ الْخَيْلُ
فَاسْتَحْسَنَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ مِنْهُ

وسمعت لبعض المعاصرين ، ولم أتأكد أنها له حتى أعينه ، وقد أخذ هذا المعنى ونظمه وأحسن فيه ، وهو [من الكامل] :

يَا ضَرَّةَ الْقَمَرَيْنِ مَنْ لِمَتِيمٍ أُرْدَيْتَهُ وَأَحَلَّتْ ذَاكَ عَلَى الْقَضَا
وَحَيَاةَ حُبِّكَ لَمْ يَنْمَ عَنْ سَكْوَةٍ بَلْ كَانَ ذَلِكَ لِلْخِيَالِ تَعْرِضَا
لَا تَأْسَفِي إِنْ زَارَ طَيْفُكَ فِي الْكَرَى مَا كَانَ إِلَّا مِثْلَ شَخْصِكَ مُعْرِضَا

ثم وجدت هذه الأبيات لأبي العلاء بن أبي الندى المعروف ولما بها قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها في ترجمة ابن السوادى ، ولولا طولها لذكرتها ، سير إليه أحد الغلمان فأحضره وصفقه وحبسه ، فلما طال حبسه كتب إلى محمد الدين بن الصاحب أستاذ دار

الخليفة أبياتاً يقول فيها [من الوافر] :

إليك أظُلُّ مجدَ الدين أشكو بلاء حلّ لست له مطيقا
وقوماً بَلَّغُوا عني مُحالاً إلى قاضي القضاة النَّدْب سيقا
فأحضرني بيباب الحكم خَصَمٌ غليظٌ جرّني كما وزيقا
وأخفق نعله بالصفع رأسى إلى أن أوجس القلب الخفوقا
على الخصم الأداء وقد صفعنا إلى أن ما تهدينا الطريقا
فيامولاي هَبْ ذا الإفك حقاً أيُحْبَسُ بعد ما استوفى الحقوقا

ولما خرج من السجن أنشد [من السريع] :

عند الذي طرف بي أنه قد غص من قدرى وآذاني
فالجس ما غير لي خاطراً والصفع ما لين آذاني

وقد سبق في ترجمة الحيص بيص أبياته اليممية في هجوه ، وجواب الحيص بيص عنها .

ولما ولي الزينبي المذكور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والجلس محتفل بأعيان الرؤساء ، وقد اجتمعوا للهناء ، فوقف بين يديه ودعا له ، وأظهر الفرح السرور ، ورقص ، فقال الوزير لبعض من يفضى إليه بسرّه : قبّح الله هذا الشيخ ! فانه يشير برقصة إلى ما تقول العمامة في أمثالها « ارقص للقرد في زمانه » .

وقد نظم هذا المعنى في أبيات ، وكتبها إلى بعض الرؤساء ، وهى [من من مجزوء الخفيف] :

يا كمال الدين الذى هو شخص مشخص
والرئيس الذى به ذنب دهري يمخص
خذ حديثي فانه نبأ سوف يرخص

كلما قلت قد تبغ — دقومي تحمصوا

ليس إلا ستريشا ل وباب مجصص

وغواش على الرؤ س عليها المقرص

والرواشن والمنا ظر واخيل ترقص

وأنا القرد كل يو م لكب أبصص

كل من صفق الزما ن له قت أرقص

محن لايفيد ذا النون منها التبرصص

فمقى أسمع النداء ء وقد جاء مخلص

ومثل هذا قول بعضهم [من مخلص البسيط] !

إذا رأيت أمراً وضعياً قد رفع الدهر من مكانه

فكن له سامعاً مطيعاً معظماً من عظيم شأنه

فقد سمعنا بأن كسرى قد قال يوماً لترجمانه

إذا زمان السباع ولّى فارقص إلى القرد فى زمانه

وحكى أنه دخل مرة على بعض أهل بغداد وقد تولى ولاية كبيرة ، ولم يكن من أهلها ، فسلم عليه ودعاه وهناه بالولاية ، وأظهر الفرح والسرور ، ثم خرج ، فقال بعض الحاضرين : هذا يشير إلى قول الناس فى أمثالهم : « ارقص للقرد فى زمانه » .

وله القصيدة الرائية المشهورة التى جمع فيها خلقاً من الأكابر ونيز كل واحد منهم بشئ ، وفيها يقول [من السكامل] :

تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا نعضى لناخذ ترمذا من سنجر

ومنها البيت السائر ، وهو :

نسب إلى العباس ليس شبيهه في الضعف غير الباقلاء الأخضر
وأنشدني له بعض أصحابنا المتأدبين قوله [من الهزج] :

سعى إحسانه بيني وبين الدهر بالصلح
أياد ملأت ببقى على بيت من المدح

ودخل يوما على الوزير ابن هُميرة وعنده نقيب الأشراف ، وكان ينسب
إلى البخل ، وكان في شهر رمضان ، والحر شديد ، فقال له الوزير : أين كنت ؟
فقال : في مطبخ سيدى النقيب ، فقال له : ويحك ! أيش عملت في شهر رمضان
في المطبخ ؟ فقال : وحياة مولانا كسرت الحر فيه ، فتبسم الوزير ، وضحك
الحاضرون ، وخجل النقيب .

وهذا الكلام على اصطلاح أهل تلك البلاد ، فانهم يقولون : كسرت الحر
في الموضع الفلانى ، إذا اختار موضعا باردا يقيم فيه .

وقصد دار بعض الأكابر في بعض الأيام ، فلم يؤذن له في الدخول ، فعز عليه
فأخرجوا من الدار طعاما وأطعموه كلاب الصيد وهو يُبصره ، فقال : مولانا
يعمل بقول الناس « لعن الله شجرة لا تظل أهلها »

وقعد يوما مع زوجته يأكل طعاما ، فقال لها : اكشفي رأسك ، ففعلت ،
وقرأ (قل هو الله أحد) فقالت له : ما الخبر ؟ فقال : إن المرأة إذا كشفت
رأسها لم تحضر الملائكة عليهم السلام ، وإذا قرئ (قل هو الله أحد) هربت
الشياطين ، وأنا أكره الزحمة على المائدة .

وأخباره كثيرة

وكانت ولادته سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وقال السمعاني : سأله عن مولده
فقال : ولدت ضحى نهار الجمعة السابع من ذى الحجة سنة ثمان وسبعين
وتوفى يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان ، وقيل : يوم عيد الفطر ،

سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ببغداد ، ودفن بمقبرة معروف الكرخي ، رحمه الله تعالى !

وقال السمعاني : توفي يوم عيد الفطر ، والله أعلم .

ولولا إشار الاختصار لذكرت من أحواله ومضحكاته شيئا كثيرا ، فانه

كان آية في هذا الباب

وقوله في الأبيات الدالية « ولم يكن ببؤاء عنه في القود » فالبؤاء - بفتح

الباء الموحدة ، وبعدها الواو والهمزة ممدودة - ومعناه السواء ، يقال : دم فلان

بؤاء لدم فلان ، إذا كان مكافئاً له

وجعدة المذكورة في هذه الأبيات أيضا - بفتح الجيم ، والدال المهملة

وبينهما عين مهملة ساكنة - وهو اسم من أسماء الكلبة ، هكذا سمعته ،

ولم أره في شيء من كتب اللغة ، بل الذي قاله أرباب اللغة أن « أبا جعدة » كنية

الذئب ، و « جعدة » اسم النعجة ، كنى الذئب بها لمحبتة إياها ، والله أعلم .

(٧٤٨)

القاضي السعيد بن سناء الملك، هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل
جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن
محمد، السعدي، الشاعر المشهور، المصري

القاضي السعيد
هبة الله بن
جعفر السعدي
المصري الشاعر

صاحب الديوان [له] الشعر البديع والنظم الرائق، أحد الفضلاء [الأدباء] الرؤساء
النبلاء، وكان كثير التخصص والتنعم، وافر السعادة، محظوظا من الدنيا، أخذ
الحديث عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السافى الأصبهاني رحمه الله تعالى
واختصر كتاب «الحيوان» للجاحظ، وسمى المختصر «روح الحيوان» وهي
تسمية لطيفة، وله ديوان جميعه موشحات سماه «دار الطراز» وجمع شيئا من
الرسائل الدائرة بينه وبين القاضي الفاضل، وفيه كل معنى مليح.

واتفق في عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين، وكان لهم مجالس يجري
بينهم فيها مفاكهات ومحاورات يروق سماعها.

ودخل في ذلك الوقت إلى مصر شرف الدين بن عنين المقدم ذكره في
المحمدين، فاحتفلوا به، وعملوا له دعوات، وكانوا يجتمعون على أرغد عيش،
وكانوا يقولون: هذا شاعر الشام، وجرت لهم محفل سطرت عنهم، ولولا خشية
الإطالة لذكرت بعضها

ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل رحمه
الله تعالى، وهما [من الطويل]:

ولو أبصر النظم جوهراً نغرها لما شك فيه أنه الجوهر الفرد
ومن قال إن الخيزرانة قدّها فقولوا له إياك أن يسمع القدّ
ومن [محاسن] شعره أيضا [من السريع]:

لا الفضن يحكيك ولا الجؤذرُ حُسْنُكَ مما كثروا أكثر
يا باسماً أبدي لنا ثغره عقداً ، ولكن كله جوهر
قال لى اللاحي : أَلَمْ تَسْمَعْ فقلت : يا لاحي أما تبصر^(١)
وله يتغزل بجارية عمياء [من السريع] :

شمسي بغير الشعر لم تحتجب وفي سوى العيين لم تكسف
مُعَمَّدة المرفف ، لكنها تجرح بالجن بلا مرفف
رأيت منها الخلد في جؤذر ومقلتي يعقوب في يوسف
وله في غلام ضرب ثم حبس [من الطويل] :

بنفسي من لم يضربوه لريية ولكن ليدو الورد في سائر الغصن
ولم يؤدِعْهُ السجن إلا مخافة من العين أن تعدو على ذلك الحسن
وقالوا له شاركت في الحسن يوسف

فشاركه أيضاً في الدخول إلى السجن
وله من جملة أبيات [من الطويل] :
وما كان تركي حبه عن ملالة

ولكن لأمر يوجب القول بالترك
أراد شريكاً في الذي كان بيننا
وإيمان قلبي قد نهاني عن الشرك

وله أيضاً [من البسيط] :
يا عاطل الجيد إلا من محاسنه
عَطَلْتُ فيك الحشا إلا من الحزن

في سلك جفني دُرُّ الدمع منتظم
فهل لجيدك في عقد بلا ثمن

(١) اللاحي : العاتب ، وفي الأصل « أما تسمع » ولا عامل لجزم « تسمع »

لا تخش منى فانى كالنسيم ضنى

وما النسيم بمخشي على الفصن

وهذا البيت مأخوذ من قول ابن قلاؤس ، وقد تقدم ذكره فى ترجمته ، وهو [من السريع] :

أغيد ما همت به روضة أعلّ جسمى لا كوز النسيم

ومن نثره فى وصف النيل فى سنة كان ناقصا ، ولم يوف الزيادة التى جرت بها العادة ، ويقال : إنه كتبه من جملة رسالة إلى القاضى الفاضل ، وهو : وأما أمر الماء فانه نضبت مشارعه ، وتقطعت أصابعه ، وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء ، وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء ، وهذا من أحسن ما يوصف به نقصان النيل .

وكان بمصر شاعر ، يقال له أبوالمكارم هبة الله بن وزير بن مقلد ، الكاتب ، فبلغ القاضى السعيد المذكور عنه أنه هجاء ، فأحضره إليه ، وأدبه ، وشتمه ، وكتب إليه نشو الملك أبو الحسن على بن مفرج ، المغربى الأصل ، المصرى الدار والوفاء ، المعروف بابن المنجم ، الشاعر المعروف [من البسيط] :

قل للسعيد أدام الله نعمته صديقنا ابن وزير كيف تظلمه

صفعته إذ غدا يهجوك منتقما

فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه

هجو بهجو ، وهذا الصفع فيه ربّا ،

والشرع ما يقتضيه ، بل يحرمه

فان نقل ما لهجو عنده ألم

فالصفع والله أيضاً ليس يؤله

ولما مدح السعيد المذكور شمس الدولة توران شاه أخا السلطان صلاح الدين
المقدم ذكره في حرف التاء بقصيدته التي أولها [من الطويل] :

تقنعتُ لِسكنٍ بالحبيبِ المعممِ

وفارقت لِسكن كل عيش مذم

تعصب عليه جماعة من شعراء مصر ، وعابوا هذا الاستفتاح ، وهجنوه ،
فكتب إليه ابن الدروي الشاعر المذكور في ترجمة سيف الدولة المبارك بن منقذ
[من الكامل] :

قل للسعيد مقال من هو معجب منه بكل بديعة ما أعجبا

لقصيدك الفضل المبين ، وإبما شعراؤنا جهلوا به المستغربا

عابوا التقنع بالحبيب ولو رأى الطائي ما قد حكته لتعصبا

ونواد القاضى السعيد كثيرة .

وتوفى في العشر الأول من شهر رمضان ، سنة ثمان وستمائة ، بالقاهرة ،
وذكر صاحب الكمال في « عقود الجمان » أنه توفى يوم الأربعاء ، رابع الشهر
المذكور ، رحمه الله تعالى ١ .

وذكره العماد الكاتب ، في كتاب « الخريدة » ، فقال : كنت عند
القاضى الفاضل فى خيمته بمرج الذهبية ، ثامن عشر ذى القعدة ، سنة سبعين
وخمسمائة ، فأطلعنى على قصيدة له ، كتبها إليه من مصر ، وذكر أن سنة لم
يبلغ العشرين سنة ، فأعجبت بنظمه ، ثم ذكر القصيدة العينية ، التي أولها
[من الطويل] :

فراقٌ قضى اللهم والقلب بالجمع

وهجرٌ تولى صلح عيني مع الدمع

وعلى هذا التقدير يكون مولده في حدود سنة خمسين وخمسمائة ، وقيل :
إنه توفي ^(١) سنة ثمان وأربعين ، والله أعلم .

ثم قال العماد بعد الفراغ من ذكر هذه القصيدة : ثم وصل — يعني
القاضي السعيد المذكور — إلى الشام ، في شهر رمضان ، سنة إحدى وسبعين
 وخمسمائة في الخدمة الفاضلية ، فوجدته في الذكاء آية ، قد أحرز في صناعة
النظم والنثر غاية ، تلقى عرابة العربية له باليمين راية ^(٢) ، وقد ألحقه الإقبال الفاضل
في الفضل قبولا ، وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولا ، وأنا أرجو أن ترقى
في الصناعة رتبته ، وتفرز عند تمامي أيامه في العلم بقيته ، وتصفو من الصبا
منقبته ، وتروى بماء الدارياة رويته ، وتستكثر فوائده ، وتؤثر قلائده .
وتوفي والده جعفر في منتصف شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة .

ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن أنه توفي يوم الثلاثاء
خامس ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين ، ومولده منتصف شوال ، سنة خمس
وعشرين وخمسمائة ، والله أعلم .

وأبو المسكارم هبة الله بن وزير بن مقلد ، الشاعر المصري المذكور في هذه
الترجمة ، فإن العماد الأصمباني ذكره في كتاب « الخريدة » وقال : مررت إلى
مصر في سنة ست وتسعين وخمسمائة فسألت عنه فأخبرت بوفاته ، رحمه الله تعالى ١

(١) كذا ، وأحسبه محرفا عن « وقيل : إنه ولد سنة ثمان وأربعين » فقد سبق
أنه توفي سنة ثمان وستائة .

(٢) أخذ هذه الفقرة من قول الشماخ يمدح عرابة الأوسى :
إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(٧٤٩)

أبو القاسم
هبة الله بن علي
المنستيرى
المصرى
البوصيرى

أبو القاسم ، وأبو السكرم : هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت
ابن هاشم بن غالب بن ثابت ، الأنصارى ، الخزرجى ، المُنَسْتِيرى
الأصل ، المصرى المولد والدار ، المعروف بالبوصيرى

كان أديبا كاتباً ، له سماعات عالية ، وروايات تفرد بها ، وألحق الأصاغر
بالأكابر فى علو الإسناد ، ولم يكن فى آخر عصره فى درجته مثله ، وسمع بقراءة
الحافظ أبى طاهر السلفى ، وإبراهيم بن حاتم الأسدى ، على أبى صادق مرشد
ابن يحيى بن القاسم المدينى ، إمام الجامع العتيق بمصر ، رحمهم الله تعالى .
والبوصيرى المذكور آخر من روى فى الدنيا كلها عن أبى صادق مرشد بن يحيى
ابن القاسم المدينى المذكور ، وأبى الحسين على بن الحسين بن عمر الفراء الموصلى
وأبى عبد الله محمد بن بركات هلال السعيدى النحوى سماعاً ، وروى أيضاً عن
أبى الفتح سلطان بن إبراهيم بن المسلم ، المقدسى ، وهو آخر من روى عنه
سماعاً فى الأرض كلها ، وسمع عليه الناس ، وأكثروا ، ورحلوا إليه من
البلاد ، وكان جده مسعود قدم من المُنَسْتِير إلى بوصير ، فأقام بها إلى أن
عرف فضله فى دولة المصريين ، فطلب إلى مصر ، وكتب فى ديوان الإنشاء
وولد له على والد أبى القاسم المذكور بمصر ، واستقروا بها ، وشهروا .

وكان أبو القاسم يسمى « سيد الأهل » أيضاً ، لكن هبة الله أشهر .

وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر ، وقيل : بل ولد يوم الخميس ،

خامس ذى القعدة سنة خمسمائة .

وتوفى الليلة الثانية من صفر ، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، ودفن

بسفح المقطم .

وقال ياقوت الحموى فى كتاب البلدان المشتركة الأسماء : إنه مات فى شوال
رحمه الله تعالى ! .

والخزرجى — بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الزاء ، وفتح الراء ،
وبعدها جيم — هذه النسبة إلى الخزرج ، وهو أخو الأوس — بفتح الهمزة ،
وسكون الواو ، وبعدها سين مهملة — وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو
مزقياء بن عامر ماء السماء ، وتمام النسب معروف ، وهما ابنا قبيلة : بفتح
القاف ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح اللام ، وبعدها هاء ساكنة . ومن
ذريتهما أنصار النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

والمُتَسْتِير : بضم الميم ، وفتح النون ، وسكون السين المهملة ، وكسر التاء
المثناة من فوقها ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها راء ، وهى بليدة
بافر يقية ، بناها هرمة بن أعين الهاشمى فى سنة ثمانين ومائة . وكان هارون الرشيد
قد ولاه إفريقية ، وقدم إليها يوم الخميس اثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة
تسع وسبعين ومائة ، وقد تقدمت الحوالة على هذا الموضع فى ترجمة الأمير تميم
ابن المعز بن باديس .

وبوصير ، بضم الباء الموحدة ، وسكون الواو ، وكسر الصاد المهملة ، وسكون
الياء المثناة من تحتها ، وبعدها راء ، وتعرف ببوصير قور يدس ، ويقال كوريدس ،
وهى بليدة بأعمال البهنسا من صعيد مصر ، وقد تقدم الكلام فى ترجمة عبد الحميد
الكاظم على بوصير الفيوم ، وبالجزيرة أيضا بليدة يقال لها بوصير السدر ، وبكورة
السمنودية أيضا بليدة يقال لها بوصير ، فهذا الاسم يشترك فيه أربعة بلاد ،
والكل بالديار المصرية .

والمُتَسْتِير معبد بين المهديّة وسوسة يأوى إليه الصالحون المنقطعون للعبادة ،
فيه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ، ذكره ياقوت فى كتابه .

(٧٥٠)

أمين الدولة
أبو الحسن
هبة الله بن
التلميذ الطيب
البغدادي

أبو الحسن هبة الله بن أبي الغنائم بن التلميذ الطيب صاعد بن هبة الله
ابن إبراهيم بن علي ، المعروف بابن التلميذ ، النصراني ، الطيب ،
الملقب أمين الدولة ، البغدادي

ذكره العماد الأصهباني في كتاب « الخريدة » فقال : سلطان الحكماء ،
وبالغ في الثناء عليه ، وقال : هو مقصد العالم في علم الطب ، بقراط عصره و جالينوس
زمانه ، ختم به هذا العلم ، ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب ، عمرطويلا
وعاش نبيلًا جليلا ، ورأيت به وهو شيخ بهي المنظر ، حسن الرواء ، عذب المجتلي
والمجتني ، لطيف الروح ، ظريف الشخص ، بعيد الهم ، عالي الهمة ، ذكي الخاطر
مصيب الفكر ، حازم الرأي ، شيخ النصاري وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم ، وله
في النظم كلمات رائقة ، وحلاوة جنية ، وغزارة بهية ، ومن شعره لغزا في الميزان
[من الرجز] :

ما واحد مختلف الأسماء يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الإرشاد كل راء
أخرس لا من علة وداء يغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء بالرفع والخفض عن النداء
يفصح إن علّق في الهواء

فقوله « مختلف الأسماء » يعني ميزان الشمس ، وهو الاسطرلاب ، وسائر
آلات الرصد ، وهو معنى قوله « يحكم في الأرض وفي السماء » وميزان الكلام
النحو ، وميزان الشعر العروض ، وميزان المعاني المنطق ، وهذه الميزان ، والمكيال ،
والذراع ، وغير ذلك ، ثم ذكر بعد ذلك جملة من مقاطيع شعره تأتي بذكر

بعضها إن شاء الله تعالى .

وذكر في ترجمة الحكيم معتمد الملك أبي الفرج يحيى بن التلميذ النصراني الطبيب ما مثاله : وكان أبو الحسن ابن صاعد حين توفي معتمد الملك أبو الفرج قام مقامه ، وهو ابن بنته ، فنسب إليه ، وعرف به .

وذكر في كتاب « أتمودج الأعيان » ، من شعراء الزمان ، فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان « أن ابن التلميذ المذكور كان متفنناً في العلوم ذارأى رصين ، وعقل متين ، وطالت خدمته للخلفاء والملوك ، وكانت منادمته أحسن من التبر المسبوك ، والدر في السلوك ، اجتمعت به مراراً في آخر عمره ، وكنت أعجب في أمره ، كيف حرم الإسلام مع كمال فهمه ، وغزارة عقله وعلمه ، والله يهدي من يشاء بفضل ، ويضل من يريد بحكمه ، وكان إذا ترسل استطال وسطاً ، وإذا نظم وقع بين أرباب النظم وسطاً ، وأورد شيئاً من شعره أيضاً .

وذكره أبو المعالي الخطيري المقدم ذكره في حرف الشين في كتابه « زينة الدهر » وأورد له مقاطيع ، فمن ذلك قوله [من المنسرح] :

يامن رماني عن قوس فرقته بسهم هجر على تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

وذكر العماد في « الخريدة » البيت الثاني منسوباً إلى محمد بن جكين البغدادى ، وضم إليه بعد هذا قوله :

لوم ينله من العقاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه

وذكر له الخطيري أيضاً [من المنسرح] :

عائبت إذ لم يزر خيالك والسنوم بشوق إليك مسلوب
فزارني منها وعائني كما يقال المنام مقلوب

ومما ذكره العماد [الكاتب] في الخريدة فقال : وأنشدني أبو المعالي هبة الله

ابن الحسن بن محمد بن عبد المطلب فقال : أنشدني أبو الحسن بن التميمي لنفسه
[من الكامل] :

كانت بلهنية الشبية سكرة

فصحوت واستأنفت سيرة مجمل

وقعدت أرتقب الغناء كراكب

عرف المحل فبات دون المنزل

والثاني منهما ذكره ابن المنجم في كتاب « البارع » لمسلم بن الوليد
الأنصاري ، وذكر أن محمد بن جكين المذكور مرض فقصده ليعالجه ، فعالجه ،
فلما عوفي أعطاه دراهم ، فعمل فيه شعراً [من المنسرح] :

لما تيممته وبني مرض إلى التداوي والبرء محتاج

آسى وواسى فعدت أشكره فعمل امرئ اللهم فراج

فقلت إذ برّني وأبرائي هذا طبيب عليه زرياج

وعمل فيه أيضاً في المعنى [من الخفيف] :

جاد واستنقذ المريض وقد كان دضني أن يلف ساقا بساق^(١)

والذي يدفع المنون عن النفس جدير بقسمة الأرزاق

وقصد مرة أن يعبر إليه دجلة ليداويه ، فكتب إليه شعراً [من مجزوء الرجز] :

إن امرأ القيس الذي هام بذات الحمل

كانت شفاه عبرة وعبرة تصلح لي^(٢)

وكان ابن جكين المذكور قد عفى في آخر عمره ، وجرت بينهما منافرة في أمر

واشتهى مصالحته ، فكتب إليه [من الخفيف] :

(١) يلف ساقا بساق : كناية عن الموت

(٢) عبرة - بفتح العين - الأولى الدمع ، وهو إشارة إلى قول امرئ القيس

* وإن شفاؤني عبرة مهراقة * والثانية المرة من العبور

وإذا شئت أن تصالح بشا ر بن برد فاطرح عليه أباه
فسير إليه ما طلب واسترضاه، وكانت له معه وقائع كثيرة، وإنما كتب إليه
هذا البيت لأن بشار بن برد كان أعمى، كما تقدم ذكره في ترجمته، فلما عمى
شبه نفسه به، وكان مطلوبه برداً.

ومعنى قوله « فاطرح عليه أباه » لأن عادة أهل بغداد إذا أراد الإنسان أن
يصالح من خاصمه، والخصم ممتنع، يقال له: اطرح عليه فلاناً، بمعنى ادخل عليه
به، ليشفع له، وقد حصلت له التورية في هذا البيت.

ومن الشعر المنسوب إليه وهو مشهور قوله، ثم وجدتُهما للناصح بن الدهان
النحوى الموصلى [من الكامل]:

تَعِسَ الزمان فللغرام قضية ليست على نهج الحجي تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم عَرَضٌ وتفتى دونه الأجساد
وله أيضاً، وذكر العماد في «الخريدة» أن هذين البيتين لأبى على المهندس
المصرى، وهما [من الطويل]:

تقسم قلبي في محبة معشر بكل فتى منهم هواي منوطُ
كأن فؤادي مركز، وهم له محيط، وأهواؤى إليه خطوط
وله أيضاً [من الخفيف]:

جودة كالطبيب فيها يداوى سوء أحوالنا بحسن الصنيع
فهو كالوميا إذا انكسر العظام، ومثل الترياق للملوسع
ثم وجدت هذين البيتين في ديوان ابن الحجاج الشاعر.
وقوله في ولده سعيد [من السريع]:

حي سعيداً جوهر ثابت وحيه لى عرض زائل
به جهاتى الست مشغولة وهو إلى غيرى بها مائل

وكان أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر المقدم ذكره قد نقه من المرض وهو يعالجه ، فكتب إليه يشكو جوعه ، وقد نهى عن استعمال الغذاء إلا بأمره ، والذي كتبه [من مجزوء الرمل] :

أنا جوعان فأنقذني من هذى المجاعة
فرجى في الكسرة الخبز ولو كانت قطاعه
لا تقل لي ساعة تصبر ، مالى صبر ساعه
فخوإى اليوم لا يقبل في الخبز شفاعه
فوقف ابن التلميذ على هذه الأبيات وكتب إليه جوابها [من مجزوء الرمل] :

هكذا أضياف مثلى يتشاكون المجاعة
غير أنى لست أعطيك مضرأً بشفاعه
فتعمل بسويق فهو خير من قطاعه
بجياتى قل لسانى سمع سمعاً وطاعه
فلما وصلت الأبيات إلى ابن أفلح كتب إليه الجواب [من مجزوء الرمل] :

إن مرسومك عندى قد توخيت استماعه
غير أنى لم أقل من نيتى سمعاً وطاعه
ودفعت الجوع والله فلم أسطع دفاعه
فاكفى كلفته الآن وجنبنى صداعه
فكتب إليه ابن التلميذ [من مجزوء الرمل] .

أنا فى الشعر ضعيف الطبع منزور البضاعة
ولك الخاطر قد أوتى طبعاً وصناعه
ومنى لم تكف شر الجوع لم تكف صداعه
فعلى اسم الله قدم أخذه من بعد ساعه

وكان بين ابن التلميذ المذكور وبين أوجد الزمان أبي البركات هبة الله بن علي بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب «المعتبر» في الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين أهل كل فضيلة وصنعة ، ولهما في ذلك أمور ومجالس مشهورة ، وكان يهوديا ثم أسلم في آخر عمره ، وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده بعد أن جوعها ، فبالغت في نهشه ، فبرىء من الجذام وعفى ، وقصته في ذلك مشهورة ، فعمل فيه ابن التلميذ المذكور [من البسيط] :

لنا صديق يهودي حماقة
إذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتيه والكلب أعلى منه منزلة
كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ كثير التواضع ، وأوجد الزمان متكبرا ، فعمل فيهما البديع الأسطرلابي المقدم ذكره [من الوافر] :

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه
أبو البركات في طرفي تقيض

فهذا بالتواضع في الثريا
وهذا بالتكبر في الخضيض

ولابن التلميذ في الطب تصانيف مليحة ، فمن ذلك كتاب «أقرا باذين» وهو نافع في بابه ، وبه عمل أطباء هذا الزمان ، وله كتابان وحواش على كليات ابن سينا ، وغير ذلك ، وكان شيخه في الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد صاحب التصانيف المشهورة ، منها كتاب «التلخيص» و«المغنى» في الطب وهو جزء واحد ، وكتاب «الإقناع» وهو أربعة أجزاء ، وقد انتقدوا عليه هذه التسمية ، وقالوا : كان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس ، لأن المغنى هو الذي يغنى عن غيره ، فكان الكتاب الأكبر أولى بهذا الاسم ، والإقناع هو الذي تقع القناعة به ، فال مختصر أولى بهذا الاسم ، وله كل شيء مليح من تصنيف في طب أو أدب ، وكان حسن السمعة كثير الوقار ، حتى قيل : إنه لم يسمع منه بدار الخلافة مدة ترداده إليها شيء من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفي الخليفة ، وذلك أنه كان له راتب بدار القوارير ببغداد ، ففقط ، ولم يعلم الخليفة بذلك ،

فاتفق أنه كان عنده يوما ، فلما عزم على القيام لم يقدر عليه إلا بكلفة ومشقة من السكر ، فقال له المقتفى : كبرت يا حكيم ، فقال : نعم يا مولانا ، وتكسرت قواريري ، وهذا في اصطلاح أهل بغداد أن الإنسان إذا كبر يقال « تكسرت قواريره » فلما قال الحكيم هذه اللفظة ، قال الخليفة : هذا الحكيم لم أسمع منه هزلا منذ خدمنا ، فاكشفوا قضيته ، فكشفوها فوجدوا راتبه بدار القوارير قد انقطع ، فطالعوا الخليفة بذلك ، فتقدم بردها عليه ، وكان الذي قد قطعه الوزير عون الدين بن هُبَيْرَة ، وزاده إقطاعا آخر ، وأخباره كثيرة

وتوفي في صفر سنة ستين وخمسمائة ، ببغداد ، وقد ناهز المائة من عمره ، وقال ابن الأزرقي الفارقي في تاريخه : مات ابن التلميذ في عيد النصرى ، وكان قد جمع من سائر العلوم ما لم يجتمع في غيره ، ولم يبق ببغداد من الجانبين من لم يحضر البيعة ، وشهد جنازته !

وليس في هذه الترجمة ما يحتاج إلى التقييد سوى مملكان جدّ أوحد الزمان - وهو بفتح الميم والكاف ، وبينهما لام ساكنة ، وبعد الألف نون . وقد تقدم في ترجمة ابن الجواليقي ما دار بينهما بحضرة الإمام المقتفى

قلت : وبعد فراغى من ترجمة أمين الدولة بن التلميذ المذكور وقفت على كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى ، وجعله سيرة لنفسه ، وجمعه بخطه ، وذكر في أوائله ابن التلميذ ، ووصفه بالعلم في صناعة الطب وإصابته ، ثم قال : ومنها أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدتها ، وصب عليها الماء المبرد صبّا متتابعاً كثيراً ، ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفى : قد بُخِّر بالعود والند ، ودفت بأصناف الفراء ساعة ، فعمطت وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها .

ومنها : أنه أتى مرة بمر يض يعرق دما في زمن الصيف ، فسأل تلاميذه قدر

خسین نفساً ، فلم يعرفوا المرض ، فأمره بأكل خبز شعير مع باذنجان مشوى ،
ففعل ذلك ثلاثة أيام ، فبرئ ، فسأله أصحابه عن العلة ، قال : إن دمه قد رق ومسامه
قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .

ومن مروءته أن ظهر داره كان يلى المدرسة النظامية ، فإذا مرض فقيه
نقله إليه ، وقام فى مرضه عليه ، فإذا أبل صرفه .

وذکر شيخنا موفق الدين قبل أن هذا ولد أمين الدولة المذكور كان
شيخه قد انتفع به ، وكان شيخنا قد ناهز ثمانين سنة ، ولديه تجربة فاضلة
وغوص على أسرار الطبيعة ، يرى الأمراض كأنها وراء زجاج ، لا يعتربه فيها
ولا فى مداواتها شك ، وكان أكثر ما يصف المفردات أو ما يقل تركيبة ، ولم أر
من يستحق الطب غيره .

وكان يقول : ينبغي للعاقل أن يختار من الثياب ما لا يحسده عليه العامة ،
ولا تحتقره فيه الخاصة ، وكان لباسه الأبيض الرفيع .

ثم قال : وخنق فى دهليز داره الثلث الأول من الليل ، وكان قد أسلم قبل
موته ، وفى نفسى عليه حسرات ، رحمه الله تعالى ! نقلته ماخصا .

(٧٥١)

أبو عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور، المنجم، البغدادي
الأديب الفاضل

أبو عبد الله
هارون بن علي
البغدادي

وقد تقدم ذكر ولده علي في حرف العين، وكان هارون المذكور حافظاً راوية المنجم الأديب للأشعار، حسن المتأدبة، لطيف المجالسة، صنف كتاب «البارع» في أخبار الشعراء المولدين، وجمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار ابن برد العقيلي، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه، وقال في أوله: إني لم أعلمت كتابي في أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم، وتحرّيت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي، والعلماء يقولون: دل على عاقل اختياره، وقالوا: اختيار الرجل من وفور عقله، وقال بعضهم: شعر الرجل قطعة من كلامه، وظنه قطعة من عقله، واختياره قطعة من علمه، وطول الكلام في هذا، وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن، وأنه كان طويلاً فحذف منه أشياء، فاختصر على هذا القدر، وبالجملة فإنه من الكتب النفيسة، فإنه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم، فإنه اختصر أشعارهم، وأثبت منها زبدتها، وترك زبدتها وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة الهادي الكاتب الأصبهاني وقلت: إن كتاب الخريدة وكتاب الخطيري والباخرزي والتمالي فروع عليه، وهو الأصل الذي نسجوا على منواله.

وله كتاب «النساء»، وما جاء فيهن من الخبر، ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن، ولم أظفر له بشيء من الشعر حتى أورده، وذكر هو في كتابه «البارع» المذكور أباه أبا الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور، وسرد له مقاطيع وقد ذكرته في ترجمة مفردة في حرف العين فليُنظر هناك، ثم أورده بذكر أخيه

يحيى بن على بن يحيى ، وعد له جملة مقاطيع أوردها ، ولا حاجة بنا إلى ذكرها في هذا الموضع ، بل نذكرها في ترجمته ، إن شاء الله تعالى .
وتوفي أبو عبد الله المذكور سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وهو حدث السن ، رحمه الله تعالى !.

وسمائي ذكر أخيه يحيى بن على في حرف الياء إن شاء الله تعالى .
وكان أبو منصور جد أبيه منجم أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين ، وكان مجوسياً ، وكان ابنه يحيى متصلاً بندي الرياستين الفضل بن سهل المقدم ذكره وكان الفضل يعمل برأيه في أحكام النجوم ، فلما حدثت الكائنة على الفضل حسبما ذكرناها في ترجمته صار يحيى المذكور منجم المأمون ونديمه ، فاجتبه واختص به ، ورغبه في الإسلام ، فأسلم على يده ، فصار بذلك مولاه ، وهم أهل بيت منهم ^(١) جماعة من الفضلاء والأدباء والشعراء ، وجالسوا الخلفاء ونادموهم ، وقد عقد لهم الشعالي في كتاب « اليتيمة » باباً مستقلاً ، وذكر فيه جماعة منهم ، رحمهم الله تعالى !.
وتوفي يحيى المذكور بحلب عند خروج المأمون إلى طرسوس ، ودفن بها في مقابر قریش ، وقبره هناك مكتوب عليه اسمه .

(٧٥٢)

أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، القرشي ، الأسدي

أبو المنذر
هشام بن عروة
ابن الزبير
القرشي
الأسدي

وقد تقدم ذكر أبيه في حرف العين .

وكان هشام أحد تابعي المدينة المشهورين المسكتين في الحديث ، المعدودين من أكابر العلماء وجلة التابعين ، وهو معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة ، رضى الله عنهم ! وسمع من عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر ، رضى الله عنهما ! ورأى جابر بن عبد الله الأنصاري وأنس بن مالك وسهل بن سعيد ، وقيل : إنه رأى ابن عمر ولم يسمع منه ، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري ومالك بن أنس وأيوب السختياني وابن جريج وعبيد الله بن عبد الله بن عمر والليث بن سعد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ، ووكيع ، وغيرهم ، وقدم الكوفة أيام أبي جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون وكانت ولادته سنة إحدى وستين للهجرة ، وقال أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد الذهلي : ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهرى وفتادة والأعشى ليالى قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ! وكان قتله يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة .

وقدم بغداد على المنصور ، وتوفي بها سنة ست وأربعين ومائة ، وقيل : خمس وأربعين ، وقيل : سنة سبع ، رضى الله عنه ! وصلى عليه المنصور .

ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقى ، وقيل : قبره بالجانب الغربى بخارج السوق نحو باب قطر بل وراء الخندق على مقابر باب حرب ، وهو ظاهر هناك معروف ، وعليه لوح منقوش أنه قبر هشام بن عروة ، ومن قال إنه بالجانب الشرقى قال : إن القبر الذى بالجانب الغربى هو قبر هشام بن عروة المروزي صاحب عبد الله ابن المبارك ، والله أعلم بالصواب .

وله عقب بالمدينة وبالبصرة ، وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد » أن المنصور قال له يوما : يا أبا المنذر ، تذكر يوم دخلت عليك أنا وإخوتي الخلائف وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع ، فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا : اعرفوا لهذا الشيخ حقه ، فإنه لا يزال في قومكم بقية ما بقي ، فقال : لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين ، فلما خرج هشام قيل له : يذكرك أمير المؤمنين ما تمت به إليه فنقول لا أذكره ، فقال : لم أكن أذكر ذلك ، ولم يعودني الله في الصدق إلا خيرا .

وروى عنه أنه دخل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، اقض عني ديني ، قال : وكم دينك ؟ قال : مائة ألف ، قال : وأنت على فقهك ^(١) وفضلك تأخذ دين مائة ألف ليس عندك قضاؤها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين شب فتیان من فتیاننا ، فأجبت أن أبوءهم ، وخشيت أن ينشر على من أمرهم ما أكره ، فبسواهم ، واتخذت لهم منازل ، وأولت عنهم ، ثقة بالله وبأمر المؤمنين ، قال : فردد عليه مائة ألف ؟ استعظاما لها ، ثم قال : قد أمرنا لك بعشرة آلاف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس ، فإني سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أعطى عطية وهو بها طيب النفس بورك للمعطي والمعطى له » قال : فإني طيب النفس بها ، وأهوى إلى يد المنصور يريد أن يقبلها ، فمنعه وقال : يا ابن عروة ، إنا نكرمك عنها ، ونكرمها عن غيرك وأخباره كثيرة ، رضى الله عنه .

(١) في ب « وأنت في فقهك - إلخ » .

(٧٥٣)

أبو المنذر هشام
ابن عبد الكلي
النسابة
الكوفي

أبو المنذر هشام بن أبي النصر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو،
الكلي، النسابة، الكوفي

قد تقدم ذكر أبيه في الحمدین، وما جرى له مع الفرزدق الشاعر.
وحدث هشام عن أبيه، وروى عنه ابنه العباس، وخليفة بن خياط، ومحمد
ابن سعد كاتب الواقدي، ومحمد بن أبي السري البغدادي، وأبو الأشعث أحمد
ابن المقدم، وغيرهم.

وكان هشام من أعلم الناس بعلم الأنساب، وله كتاب «الجمهرة» في النسب
وهو من محاسن الكتب في هذا الفن، وكان من الحفاظ المشاهير.

وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» عنه أنه دخل بغداد وحدث بها، وأنه قال:
حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسبت ما لم ينسبه أحد^(١)، كان لي عم يعاتبني على حفظ
القرآن، فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في
ثلاثة أيام، ونظرت يوماً في المرأة فقبضت على لحيتي لأخذ ما دون القبضة،
فأخذت ما فوق القبضة.

وله من التصانيف شيء كثير، فمن ذلك كتاب «حلف عبد المطلب
وخزاعة» وكتاب «حلف الفضول» وكتاب «حلف تميم وكنب» وكتاب
«المنافرات» وكتاب «بيوتات قريش» وكتاب «فضائل قيس بن عيلان»
وكتاب «الموردات»^(١) وكتاب «بيوتات ربيعة» وكتاب «الكنى» وكتاب
«شرف قصي وولده في الجاهلية والإسلام» وكتاب «ألقاب قريش» وكتاب
«ألقاب اليمن» وكتاب «المثالب» وكتاب «النوافل» وكتاب «ادعاء معاوية
زياداً» وكتاب «أخبار زياد بن أبيه» وكتاب «صنائع قريش» وكتاب
«المشاجرات» وكتاب «المعاتبات» وكتاب «ملوك الطوائف» وكتاب

(١) كذا في جميع النسخ، وأحسبه «ونسيت ما لم ينسبه أحد».

(٢) قد يكون محرفاً عن «الموردات»

« ملوك كندة » وكتاب « افتراق ولد نزار » وكتاب « تفريق الأزد » وكتاب « طسم وجديس » وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفاً ، وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الأنساب ، ولم يصنف في بابه مثله ، وكتابه الذي سماه « المنزل » في النسب أيضاً ، وهو أكبر من الجمهرة ، وكتاب « الموجز » في النسب ، وكتاب « الفريد » صنفه للمأمون في الأنساب ، وكتابه « الملوك » صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي في النسب أيضاً .

وكان واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم ، فمن روايته أنه قال : اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان ، فعاتبوه في تفضيل عمرو بن العاص وادعاء زياد ابن أبيه ، فتكلم معاوية ، ثم حرك عمرًا على الكلام ، فقال في بعض كلامه : أنا الذي أقول في يوم صفين [من الرجز] :

إذا تخازرت وما بي من خَزَزٍ ثم كسرتُ العين من غير عَوَزٍ
ألفيتني ألقى بعيد المستمر أحمل ما حُمِلْتُ من خير وشر
كالحية الصماء في أصل الشجر

أما والله ما أنا بالواني ولا العاني ، وإني أنا المرء إن همزت كسرت ، وإن كويت أنضجت ، فمن شاء فليشاور ، ومن شاء فليؤامر ، مع أنهم والله لو عاينوا من يوم الهريز ما عاينت أولولوا ما وليت لضاق عليهم الخرج ، ولتفاقم بهم المنهج ، إذ شد علينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المباشرون من أهل البصائر وكرام العشائر ، فهناك والله شخصت الأبصار ، وارتفع الشرار ، وتقلصت الخصى إلى موضع الكلى ، وقارعت الأمهات عن ثكلاها ، وذهلت عن حملها ، واحمر الحدق ، واغبر الأفق ، وأجم العرق ، وسال العلق ، وثار القتام ، وصبر الكرام ، وحام اللثام ، وذهب الكلام ، وأزبدت الأشداق ، وكثر العناق ، وقامت الحرب على ساق ، وحضر الفراق ، وتضاربت الرجال بأغمد سيوفها بعد فناء نبليها ، وتقصفت رماحها ، فلا

يسمع يومئذ إلا التغمغم من الرجال ، والتحمحم من الخيل الجياد ، ووقع السيوف
على الهام كأنه دق غاسل بخشبتة على منصته ، فدأب ذلك يوما حتى ظعن الليل
بفسقه ، وأقبل الصبح بفلقه ، ثم لم يبق من القتال إلا الهريز والزئير ، لعلمهم
أنى أحسن بلاء ، وأعظم عناء ، وأصبر على اللاأواء ، وإني وإياكم ككأقال الشاعر
[من الطويل]:

وأغضى على أشياء لو شئت قلتها
ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا
وإن كان عودى من أنصارك فأننى
لأكرمه من أن أخطر خروعا

والمأثور عنه كثير .

وتوفى سنة أربع ومائتين — وقيل : سنة ست — والأول أصح ، والله
تعالى أعلم بالصواب .



(٧٥٤)

أبو عبد الله هشام بن معاوية
الضرير ، النحوى ، السكوفى

أبو عبد الله
هشام بن
معاوية
الضرير ،
النحوى ،
السكوفى

صاحب أبى الحسن على بن حمزة الكسائى ، أخذ عنه كثيرا من النحو ،
وله فيه مقالة تُعزى إليه ، وله فيه تصانيف عديدة ، فمن ذلك كتاب « الحدود »
وهو صغير ، وكتاب « المختصر » وكتاب « القياس » وغير ذلك .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب قد كلم المأمون يوما ، فلحن فى بعض
كلامه ، فنظر إليه المأمون ، ففطن لما أراد ، فخرج من عنده ، وجاء إلى هشام
المدكور وتعلم^(١) عليه النحو .

قال أبو مالك السكندى : توفى هشام بن معاوية الضرير النحوى سنة تسع
ومائتين ، رحمه الله تعالى !

(١) فى ب « فتعلم عليه النحو »

(٧٥٥)

أبو فراس ، هام الفرزدق

أبو فراس
هام بن غالب
الفرزدق

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : هميم بالتصغير ، ابن غالب ، وكنيته أبو الأخطل بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم واسمه بحر بن عوف سمي بذلك لجوده ، ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مر ، التميمي ، المعروف بالفرزدق ، الشاعر المشهور ، صاحب جرير .

كان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم ، وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس ، ولأبيه مناقب مشهورة ، ومحامد مأثورة ، فمن ذلك أنه أصاب أهل الكوفة مجاعةً وهو بها فخرج أكثر الناس إلى البوادي ، فكان هو رئيس قومه ، وكان سحيم بن وثيل الرياحي رئيس قومه ، واجتمعوا بمكان يقال له صوّار في أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة ، وهو بفتح الصاد المهمل وسكون الواو وفتح الهمزة وبعدها راء ، فعقر غالب لأهله ناقةً وضع منها طعاماً ، وأهدى إلى قوم من بني تميم لهم جلالةً جفاناً من ثريد ، ووجه إلى سحيم جفنة ، فكفأها وضرب الذي أتاه بها ، وقال : أنا مفتقر إلى طعام غالب ؟ إذا نحر هو ناقةً نحرنا أنا أخرى ، فوقعت المنافرة بينهما ، وعقر سحيم لأهله ناقةً ، فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين ، فعقر سحيم لأهله ناقتين ، فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثاً ، فعقر سحيم ثلاثاً ، فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقةً ، فلم يكن عند سحيم هذا القدر ، فلم يعقر شيئاً وأسرّها في نفسه ، فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عار الدهر ، هلا نحرنا مثل ما نحر ، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ، فاعتذر بأن إبله كانت غائبة ، وعقر ثلثمائة ناقة ، وقال للناس : شأنكم والأكل وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ! فاستفتى في حل الأكل منها

إِذَا آنَسُوا نَارًا ، يَقُولُونَ إِنَّهَا

وَقَدْ خَصَرَتْ أَيْدِيَهُمْ نَارُ غَالِبٍ (١)

فأعرض سليمان عنه كالمغضب ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ، ألا
أُنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها ، قال : هات ، فأنشده [من الطويل] :

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لِقِيَّتِهِمْ

قَفَا ذَاتَ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ

قِفُوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي

لَمَعْرُوفٍ بِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَانَ طَالِبُ

فَعَا جُوا فَاتَسَوَّا بِالذِي أَنْتَ أَهْلُهُ

وَكُلُّهُ سَكْتُوا أَنْتَ عَلَيْهِمُ الْحَقَائِبُ

فقال سليمان للفرزدق : كيف تراه ؟ فقال : هو أشعر أهل جلبدته ، ثم
قام وهو يقول [من الوافر] :

وَحَيْرَ الشَّعْرِ أَشْرَفُهُ رَجَالًا وَشَرَّ الشَّعْرِ مَا قَالُ الْعَبِيدُ

وكان نصيب عبداً أسود لرجل من أهل وادي القرى ، فكتب على
نفسه ، ومدح عبد العزيز بن مروان ، فاشترى ولأه ، وكنيته أبو الحجناء ،
وقيل : أبو محجن .

وللفرزدق في مفاخر أبيه أشياء كثيرة .

وأما جده صَعْصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ ، فإنه كان عظيم القدر في الجاهلية ، واشترى
ثلاثين مؤودة ، منهن بنت لقيس بن عاصم المنقري ، وفي ذلك يقول الفرزدق
يفتخر به :

وَجِدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَأْنِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْسِدَ فَلَمْ يُوَادَّ

(١) في ب « وقد حضرت أيديهم »

وهو أول من أسلم من أجداد الفرزدق ، وقد ذكره في كتاب
« الاستيعاب » في جملة الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين !.

وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجريز ، والمفاضلة بينهما ،
والأكثر على أن جريزاً أشعر منه ، وكان بينهما من المهاجة والمعاداة
ما هو مشهور ، وقد جمع لهما كتاب يسمى « النقائض » وهو من الكتب
المشهورة ، وكان جريز قد هجاه بقصيدته الرائية ، التي من جملتها
[من الوافر] :

وكنْتَ إذا حلَّتْ بدار قوم ظننتْ بخزية وتركت عارا
فاتفق بعد ذلك أن الفرزدق نزل بامرأة من أهل المدينة ، وجرى له
معهما قضية يطول شرحها .

وخلاصة الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن كانت قد أضافته وأحسنّت
إليه ، فامتنعت عليه ، فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ! وهو
يومئذ والى المدينة ، فأمر باخراجه من المدينة ، فلما خرج وأركبوه ناقته
لينفوه ، قال : قاتل الله ابن المراغة ! يعنى جريزاً ، كأنه شاهد هذا الحال ،
حيث قال :

* وكنْتَ إذا حلَّتْ بدار قوم *

وأُشِدَّ البيت المذكور .

وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة ، فقال له : قد أجزنا شهادتك
ثم قال لأصحاب القضية : زيدونا في الشهود ، فقبل للفرزدق حين انفصل عن
مجلس القاضى : إنه لم يُجزِ شهادتك ، فقال : وما يمنعه من ذلك ، وقد قدفت
ألف مُحَصَّنَةً !.

ومن شعره المشهور قوله ، وهو مقيم بالمدينة [من الطويل] :

هما دلتاني من ثمانين قامة

كما انتقض باز أقم الریش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا

أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

فقلت : ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا

وأفلت فى أعجاز ليل أباده

أحاذر بوابين قد وكلا بنا

وأسود من ساج تصر مسامره

فلما بلغت جسريراً الأبيات ، عمل من جملة قصيده طويلة ،

[من الطويل] :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجراً

فجاءت بوزوازٍ قصير القوادم

يوصل حبليه إذا جن ليله

ليرقى إلى جاراته بالسلام

تدليت تزنى من ثمانين قامة

وقصرت عن باع العلا والمكارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا

مداخل رجس بالخبيثات علم

لقد كان إخراج الفرزدق عنكم

طهوراً لما بين المصلى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول فى

جملتها [من الطويل] :

وإن حراماً أن أسب مقاييساً بأبائى الشم الكرام الخضارم

ولكن نصفاً لو سببت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم وأعتد أن أهجو كلياً بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق المذكورة أولاً ، اجتمعوا وجاءوا إلى مروان بن الحكم الأموى ، وكان يومئذ والى المدينة من قبل معاوية ابن أبى سفيان الأموى ، فقالوا له : ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أوجب على نفسه الحد ، فقال مروان : لست أحده أنا ، ولكن أكتب إلى من يحده ، ثم أمره بالخروج من المدينة وأجله ثلاثة أيام ، وفى ذلك يقول الفرزدق [من الوافر] :

توعدننى وأجلننى ثلاثاً كما وعدت لمهلكها نمود

ثم كتب مروان إلى عامله يأمره فيه أن يحده ويسجنه ، وأوهمه أنه قد كتب له بمجازرة ، ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجه عنه سفيراً ، وقال : إنى قلت شعراً فاسمعه ، ثم أنشد [من الكامل] :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها

إن كنت تارك ما أمرتكَ فاجلس

ودع المدينة إنهما مرهوبة

واقصد مكة أو لبيت المقدس

وإذا اجتنبت من الأمور عظيمة

فخذن لنفسك بالدفاع الأكيس

قوله « فاجلس » أى اقصد الجلساء ، وهى : نجد ، وسميت بذلك

لارتفاعها ، لأن الجلوس في اللغة هو الارتفاع .

ولما وقف الفرزدق على الأبيات فطن لما أراد مروان ، فرمى الصحيفة وقال [من الكامل] :

يامرو ، إن مطيقي محبوسة ترجو الحباء وربها لم يياس
وحبوتني بصحيفة مختومة يخشى على بها حباء النقرس
ألقى الصحيفة يا فرزدق لا تكن نسكنا كمثل صحيفة المتلمس (١)

وإذ ذكرنا صحيفة المتلمس ، فقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب قصة صحيفة المتلمس أن يعلم قصتها ، ومن خبرها أن المتلمس — واسمه جرير بن عبيد المسيح ابن عبد الله بن زيد بن ذوقل (٢) بن حرب بن وهب بن جلي بن أحس بن ضبيعة الأصحم بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وإنما لقب بالمتلمس لقوله من جملة قصيدة [من الطويل] :

فهذا أوان العرض طن ذبابه زنا بیره والأزرق المتلمس
وهو بضم الميم ، وفتح التاء المثناة من فوقها واللام ، وكسر الميم الثانية ، وتشديدها ، وبعدها سين مهملة .

كان قد هجأ عمرو بن هند اللخمى ، ملك الحيرة ، وهجأ أيضا طرفة ابن العبد البكرى ، الشاعر المشهور ، وهو ابن أخت المتلمس المذكور ، فاقصلا هجوهما بعمرو بن هند المذكور ، فلم يُظهر لهما شيئاً من التغير ، ثم مدحاه بعد ذلك ، فكتب لكل منهما كتاباً إلى عامله بالحيرة ، وأمره بقتلهما إذا وصلا إليه ، وأوهمهما أنه قد كتب لهما بصلة ، فلما وصلا إلى الحيرة ، قال المتلمس لطرفة : كل واحد منا قد هجأ الملك ، ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ، ولم يكتب لنا إلى الحيرة ، فهل ندفع كتبنا إلى من يقرؤها ،

(١) حفظنى في عجز هذا البيت * نكداء مثل صحيفة المتلمس *

(٢) في المؤتلف والمختلف « زيد بن دوفن » وكذلك في جمهرة أنساب العرب

فإن كان فيها خير دخلنا الحيرة ، وإن كان فيها شر فررنا قبل أن يعلم بمكاننا فقال طرفة بن العبد : ما كنت لأفتح كتاب الملك ، فقال المتلمس : والله لأفتح كتابي ، ولأعلمن ما فيه ، ولا أكون كمن يحمل حنقه بيده ، فنظر المتلمس ، فإذا غلام قد خرج من الحيرة ، فقال له : أنقرأ يا غلام ؟ فقال : نعم ، فقال : هلم ، فاقرأ هذا الكتاب ، فلما نظر إليه الغلام ، قال : ثكلت المتلمس أمه ، فقال لطرفة : افتح كتابك ، فما فيه إلا مثل ما في كتابي ، فقال : إن كان اجتراً عليك فلم يكن ليجتريء على ويوغر صدور قومي بقتلي ، فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة ، وفر إلى الشام ، ودخل طرفة الحيرة فقتل ، وقصته في ذلك مشهورة ، فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس لسكل من قرأ صحيفة فيها قتله .

وإلى هذا أشار الحريري في المقامة العاشرة بقوله « ففضضتها فعل المتلمس (١) من مثل صحيفة المتلمس » .

وللأبله الشاعر ، المقدم ذكره في الحمدین ، قصيدة يقول فيها ،
[من السكامل] :

يقرا المتيم من صحيفة خده في الهجر مثل صحيفة المتلمس
رجعنا إلى تنمة خبر الفرزدق :

ثم خرج هارباً حتى أتى سعيد بن العاص الأموي ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم ! فأخبره الخبر ، فأمر له كل واحد منهم بمائة دينار وراحلة ، وتوجه إلى البصرة ، وقيل لمروان : أخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر ، فوجه وراءه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة ، خوفاً من هجائه .

(١) المتلمس المتخلص ووقع في الأصول « المتلمس » محرفاً

ومن أخبار الفرزدق ما حكى أنه نزل في بعض أسفاره في بادية ، وأوقد ناراً
فراها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده وأنشده [من الطويل] :

وأطلس عسال وما كان صاحباً

دعوت بنارى مَوْهِنًا فَأَتَانِي

فلما أتى قلت : ادن دونك إني

وإياك في زادى لمشتركان

فبتُّ أقدُّ الزاد بيني وبينه

على ضوء نار مرةً ودخانٍ

وقلت له لما تكشر ضاحكاً

وقائم سيفي في يدي بمكان

تَعَشَّ ، فان عاهدتني لا تخونني

نكن مثل مَنْ ، ياذئب ، يصطحبان

وأنت امرؤ ياذئب والغدر كنتمما

أُخَيَّيْنِ كانا أرضيعاً بلبان

ولو غَيْرَنَا نبهت تلحس القرى

رماك بسهم أو شبة سِنان

وكان قد أنشد سليمان بن عبد الملك الأموى قصيدة ميمية ، فلما انتهى

منها إلى قوله [من الوافر] :

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى شِئامى

فبتن بجاني مصرعات وبت أفض أخلاق الختام (١)

كأن مغالق الرمان فيه وجهر غضى قعدن عليه حام (٢)

(١) في ابن قتيبة « فبتن جنابى مطرحات »

(٢) عند ابن قتيبة « كأن مغالق الرمان فيها »

فقال له سليمان : قد أقررت عندى بالزنا ، وأنا إمام ، ولا بد من إقامة الحد عليك ، فقال الفرزدق : ومن أين أوجبت على يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بقول الله تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) فقال الفرزدق : إن كتاب الله يدرؤه عنى بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون) فأنا قلت ما لم أفعل ، فتبسم سليمان ، وقال : أولى لك .

وتنسبُ إليه مكرمة يرجى له بها الجنة ، وهى : أنه لما حج هشام ابن عبد الملك فى أيام أبيه ، فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه ، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام ، فنصب له منبر ، وجلس عليه ينظر إلى الناس ، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام ، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ! وقد تقدم ذكره ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم أرجاءً ، فطاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر تمنحى له الناس حتى استلم ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام فيملكوه ، وكان الفرزدق حاضراً ، فقال : أنا أعرفه ، فقال الشامى : من هو يا أبا فراس ؟ فقال [من البسيط] :

هذا الذى تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهمُ	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
إذا رآتهُ قریشُ قال قائلها :	إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
ينمى إلى ذروة العرالتى قصُرت	عن نيلها عربُ الإسلام والعجمُ
يكادُ يمسكهُ عرفانُ راحته	ركنُ الخطيم إذا ما جاء يستلم
فى كفه خبزُ رانٍ ريمهُ عبقُّ	من كف أروع فى عِرْنينه شممُ

يَغْضَى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
يَنْشَقُّ نُورَ الْهُدَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ
اللَّهُ شَرَفَهُ قَدَمًا وَعَظَمَهُ
فَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
كَلِمَاتُ يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تَخْشَى بَوَادِرُهُ
تَحْمَلُ أُنْقَالَ أَقْوَامٍ إِذَا فِدَحُوا
مَا قَالَ لَا قُطْعًا إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ مَأْمُونٌ نَقِيبَتُهُ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
مِنْ مَعْشَرِ حَبِيْبِهِمْ دِينٌ وَبَعْضُهُمْ
إِنْ عَدَا أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُّ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
هُمْ الْغِيُوْثُ إِذَا مَا أَزْمَتْ
لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الدَّمُ سَاحَتِهِمْ
أَيُّ الْخُلَاقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّتَهُ

فَمَا يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ ^(١)
بِحَسْبِهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِّمُوا
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجْمُ
تَسْتَوُكُفَانِ وَلَا يَعْرِوْهُمَا عَدَمُ
يَزِينُهُ اثْنَانِ حَسَنُ الْخَلْقِ وَالشَّيْمُ
حَلَوُ الشَّمَائِلِ تَحَلُّوْهُ عِنْدَهُ نَعَمُ
لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَأَنَّهُ نَعَمُ
رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيبُ حِينَ يَعْتَزِمُ
عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
كَفَرُ وَقَرِيْبُهُمْ مُنْجَى وَمُعْتَصِمُ
أَوْقِيلُ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلُ هُمْ
وَلَا يُدَايِنُهُمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمُ
سَيَانُ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمُخْتَوِّمٌ بِهِ السَّكَمُ
رَخِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالْهَدَى دِيمُ
لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوَّلُهُ نَعَمُ
وَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأَمُّ

ولما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق ، وأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم ، فردها ، وقال : مدحته لله تعالى ، لا للعطاء ، فقال : إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لاستعديده ، فقبلها .

وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره : صعد الوليد بن عبد الملك المنبر ، فسمع صوت ناقوس ، فقال : ما هذا ؟ ف قيل : البيعة ، فأمر بهدمها ، وتولى بعض ذلك ييده ، فقتل الناس يهدمون ، فكتب إليه الأحزم ملك الروم : إن هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك ، فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت ، وإن تكن أصبت فقد أخطوا ، فقال : من يجيبه ؟ فقالوا : الفرزدق ، فكتب إليه : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً الآية) .

وأخبار الفرزدق كثيرة ، والاختصار أولى .

وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوماً ، وقيل : بثمانين يوماً ، وقال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب شذور العقود : إنهما توفيا سنة إحدى عشرة ومائة .

وقال العسكري : إن الفرزدق لقي علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ! وتوفي سنة عشر ، وقيل : اثنتي عشرة ، وقيل : أربع عشرة ومائة .

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : إن الفرزدق أصابته الديبيلة ، فقدم البصرة ، وأتى بطبيب ، فأسقاه قاراً أبيض ، فجعل يقول : أتعجلون لي القمار وأنا في الدنيا ، ومات وقد قارب المائة ، والله تعالى أعلم .

وقد سبق في ترجمة جرير ما قاله جرير لما بلغه وفاة الفرزدق ، فأغنى عن الإعادة ، رحمه الله تعالى !

وذكر المبرد في كتاب الكامل قال : التقي الحسن البصري والفرزدق في جنازة ، فقال الفرزدق للحسن : أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ يقولون : اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ، قال الحسن : كلا ! لست بخيرهم ، ولست بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منذ ستين سنة ، فترغم بعض التميمية أن الفرزدق رؤى في المنام ، فقيل له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لي ، فقيل : بأي شيء ؟ فقال بالكلمة التي نازعتها الحسن .

وهما : بفتح الهاء ، وتشديد الميم الأولى .

وناجية : بالنون ، والجيم المكسورة ، وبعدها ياء مثناة من تحتها .

وعقال : بكسر العين المهملة ، وفتح القاف .

ومحمد بن سفيان : هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد في الجاهلية ، وذكرهم ابن قتيبة في كتاب « المعارف » .

وقال السهيلي في كتاب « الروض الأنف » : لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم ، إلا ثلاثة طمع آبائهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وبقرب زمانه ، وأنه يبعث في الحجاز ، أن يكون ولداً لهم ، ذكرهم ابن فورك في كتاب « الفصول » وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر . والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح ، وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه ، والآخر محمد بن حمران ابن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم بالكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً ، فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

من سمى محمداً
في الجاهلية

وأما مجاشع : فهو بضم الميم ، وفتح الجيم ، وبعد الألف شين معجمة مكسورة ، ثم عين مهملة .

ودارم : بفتح الدال المهملة ، وبعد الألف راء مكسورة ، وبعدها ميم .
وبقية النسب معروف .

والفرزدق : بفتح الفاء والراء ، وسكون الزاى ، وفتح الدال المهملة ، وبعدها قاف ، وهو لقب عليه . واختلف كلام ابن قتيبة فى تلقيبه به ، فقال فى « أدب الكتّاب » : الفرزدق : قطع العجين ، واحدها فرزدقة ، وإنما لقب به لأنه كان جهّم الوجه ، وقال فى كتاب « طبقات الشعراء » : إنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره ، شبهه بالقبيبة التى تشربها النساء ، وهى : الفرزدقة ، والقول الأول أصح ، لأنه كان أصابه جدري فى وجهه ، ثم برأ منه ، فبقى وجهه جهماً متغضناً

ويروى أن رجلاً قال له : يا أبا فراس ، كأن وجهك أحراحٌ مجموعة ، فقال له : تأمل ، هل ترى فيها حرّاً أمك .

والأحراح - بحاءين مهملتين - جمع حرح ، وهو الفرج ، فحذفت فى المفرد حاؤه الثانية ، فبقى حرّاً ، ومتى جمع عادت الحاء الثانية ، فقالوا : أحراح لأن الجوع ترد الأشياء إلى أصولها .

وكانت زوجة الفرزدق ابنة عمه ، وهى النوار - بفتح النون - ابنة أعين الفرزدق وابن ضبيعة بن عقال المجشعى ، وجدها ضبيعة هو الذى عقر الجمل الذى كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل ، رضى الله عنها ! وكان قد خطبها - يعنى النوار - رجلاً من قریش ، فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها ، فقال : إن بالشام من هو أقرب إليك منى ، وما أنا آمن أن

يقدم قادم منهم ، فينكر ذلك على ، فأشهدى أنك قد جعلت أمرك إلى ،
ففعلت ، فخرج بالشهود ، وقال لهم : قد أشهدتكم أنها جعلت أمرها لي ،
وأنا أشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحديق ، فغضبت
من ذلك ، واستعدت عليه ، وخرجت إلى عبد الله بن الزبير ، وأمر الحجاز
والعراق يومئذ إليه ، وخرج الفرزدق أيضا إليه .

فأما النوار فنزلت على خولة بنت منظور بن ريان^(١) الفرزاري ، امرأة
عبد الله بن الزبير ، فرفعتها ، وسألها الشفاعة لها .

وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وهو ابن خولة
المدكورة ، ومدحه ، فوعده الشفاعة ، فتكلمت خولة في النوار ، وتكلم
حمزة في الفرزدق ، فأنجحت خولة ، وأمر عبد الله بن الزبير أن لا يقربها ،
حتى يصيرا إلى البصرة ، فيحتكما إلى عامله عليها ، فخرجا ، وقال الفرزدق في ذلك
[من البسيط] :

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم

وَشَفَعْتُ بِنْتُ مَنْظُورِ بْنِ رِيَانَا^(١)

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مَتَزَرًّا

مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانَا

ثم إن الفرزدق اتفق معها ، وبقي زمانا لا يولد له ولد ، ثم ولد له
بعد ذلك عدة أولاد ، وهم : لبطة ، وسبطة ، وحبطة ، وركضة ، وزمعة ،
وكلهم من النوار ، وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء .

وقال ابن خالويه : ومن أولاد الفرزدق : كلطة ، وجبطة ،
والله أعلم .

(١) هكذا في الأصول ، والمعروف « منظور بن ريان »

ثم إن الفرزدق طلق النوار لأمر يطول شرحه ، وندم على ذلك .

وله فيها أشعار ، فمنها قوله :

نَدِمْتُ نَدَامَةً الْكُسْفَى لَمَّا

غَدَتُ مِنْ مِثْقَلِ مُطْلَقَةِ نَوَارُ

وكانت جنقي ، فخرجت منها

كَأَدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضَّرَارُ

وله في ذلك أخبار ونوادير يطول شرحها ، وليس هذا موضع استيفائه .

ومات للفرزدق ابن صغير ، فصلى عليه ، ثم التفت إلى الناس ، فقال

[من الطويل] :

وما نحنُ إلا مثلهم غير أننا أَقْنَأَ قَلِيلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ نَرَحُلُ

فمات بعد ذلك بأيام قلائل ، رحمه الله تعالى !

(٧٥٦)

أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم
ابن زهرون بن حيّون ، الصبّاني ، الحرّاني ، الكاتب

أبو الحسن
هلال بن المحسن
الصبّاني ،
الحرّاني
الكاتب

هو حفيد أبي إسحاق الصبّاني صاحب الرسائل المشهورة ، وقد سبق ذكر
جده في حرف الهمزة

سمع هلال المذكور أبا علي الفارسي النحوي المقدم ذكره ، وعلي بن عيسى
الرماني المقدم ذكره أيضاً ، وأبا بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز ، وغيرهم
وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال : كتبنا عنه ، وكان صدوقاً ، وكان
أبو الحسن صابئياً على دين جده إبراهيم ، فأسلم هلال المذكور في آخر عمره ، وسمع
من العلماء في حال كفره ، لأنه كان يطلب الأدب ، ورأيت له تصنيفاً جمع فيه
حكايات مستملحة وأخباراً نادرة ، وسماه كتاب « الأماثل والأعيان » ، ومنتهى
العواطف والإحسان » وهو مجلد واحد ، ولا أعلم هل صنف سواه أم لا

وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمّة
وتأليف نافعة ، منها التاريخ الكبير المشهور ، ومنها الكتاب الذي سماه
« الهفوات النادرة » ، من المغفلين المحظوظين ، والسقطات الباردة ، من المغفلين
الملحوظين » جمع فيه كثيراً من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب ، فمنها ما نقلته
منه أن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه - وهو عم السفاح
وأبي جعفر المنصور - أنفذ إلى ابن أخيه السفاح في أول ولايتهم مشيخةً من أهل
الشام يطرّفه بعقولهم واعتقادهم ، وأنهم حلفوا أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قرابة يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم ، ونقلت منه أيضاً حكاية
وإن كانت سخيّةً لسنّها ظريفة ، ولا بد في المجاميع من الإحماض ، ومزج
الهزل بالجد ، والحكاية المذكورة هي أن أباسعيد ماهك بن بندار الجوسى الرازي

كان من كبار الديلم المشهور بمخلقهم^(١) الشائعة فيه أخبارهم ، وكان يكتب لعلى بن سامان أحد قواد الديلم ، فأراد الوزير أبو محمد المهلبى أن ينفذ ما هك فى بعض الخدم فقال له - وقد أراد الخروج من عنده - : يا أبا سعيد ، لا تبرح من الدار حتى أوقفك على شىء أريده معك ، فقال : السمع والطاعة لأمر سيدنا الوزير ، ونهض من بين يديه ، فقال الوزير : هذا رجل مجنون ، وربما طال بى الشغل وضاق صدره فانصرف ، فتقدموا إلى البواب أن لا يدعه يخرج من الباب ، فجلس ما هك طويلا ، وأراد دخول الخلاء ، فقام يطلب ذلك فرأى الأخلية مقفلة ، وكان قد تقدم الوزير بذلك ، وقال : كانت دار أبى جعفر الصيمرى منتنة الرائحة لأجل خلاء كان بها لعامة الناس ، فوجد ما هك الخلاء الخاص غير مقفل ، وعليه ستر مسبل ، فرفع الستر ليدخل ، فجاء الفراش فمنعه ودفعه ، فقال : يا هذا أليس هذا خلاء ؟ فقال : بلى ، فقال : أريد أن أعمل فيه حاجتى ، فلم تمنعنى ؟ قال : هذا خلاء خاص لا يدخله غير الوزير ، قال : فبقية الأخلية مقفلة ، فكيف أعمل وقد جئت أخرج فمنعنى البواب فأخربى فى ثيابى ؟ فقال الفراش : استأذن فى دخول الخلاء ليتقدم لك بذلك ويفتح لك أحد الأخلية فتقضى حاجتك ، فاشتد به الأمر ، فكتب إلى الوزير رقعة وقال فيها : قد احتاج عبد سيدنا الوزير ما هك إلى بعض ما يحتاج إليه الناس ولا يحسن ذكره ، والفراش يقول لا تدخل ، والبواب يقول لا تخرج ، وقد تحير العبد فى البين ، والأمر فى الشدة ، فان رأى سيدنا الوزير أن يفسح لعبده بأن يعمل ما يحتاج إليه فى خلائه فعل إن شاء الله تعالى ، والسلام ، ودفع الرقعة إلى بعض الحجاب ، فأوصلها إلى الوزير ، فلم يعلم ما أراد بالرقعة ، فاستعلم ما الصورة فعرف بها ، فضحك واستلقى على ظهره ، ووقع على ظهر الرقعة : يخربى أبو سعيد أعزه الله بحيث يختار ، إن شاء الله تعالى ، فجاء الحجاب بها فأخذها ودفعها إلى الفراش ، وقال : هذا ما طلبت ، وهو توقيع سيدنا الوزير ، فقال الفراش :

التوقيعات يقرؤها أبو العلاء بن ايرونا كاتب ديوان الدار ، وأنا لا أحسن أن
أكتب ولا أقرأ ، فصاح ماهك في الدار : هات من يقرأ في الدار صك الخرا !!
فضحك فراش آخر ، وأخذ بيده ، وحمله إلى بعض الحजर حتى قضى حاجته .
ونقلت من هذا الكتاب أيضا : أن أرطاة بن سمية دخل على
عبد الملك بن مروان — وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام — فرآه عبد الملك
شيخا كبيرا ، فاستنشد ماقاله في طول عمره ، فأنشده [من الوافر] :

رأيت المرء تأكله الليالى كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغى المنية حين تأتى على نفس ابن آدم من مزيد^(١)
واعلم أنها ستكر حتى توفى نذرها بأبي الوليد
فارتاع^(٢) عبد الملك وظن أنه عناه لأنه كان يكنى بأبي الوليد ، وعلم أرطاة
بسهوه وزلته ، فقال . يا أمير المؤمنين ، إني أكنى بأبي الوليد ، وصدقه الحاضرون ،
فسرى عن^(٣) عبد الملك قليلا .

ونقلت منه أيضا أن أبا العلاء صاعد بن مخلد كاتب الموفق قرأ على الموفق
كتابا فلم يفهم معناه ، وقرأه الموفق ففهمه ، فقال فيه عيسى بن القاشي [من
المتقارب] :

أرى الدهر يمنع من جانبه ويهذى الحظوظ إلى عائبه
وكم طالب سبياً مجلبا فأعيا عياه على طالبه
ومن عجب الدهر أن الأمير أصبح أكتب من كاتبه
والموفق المذكور هو ابن أحمد طليحة بن المتوكل ، وهو والد المعتضد الخليفة العباسي .

(١) تبغى : تطلب وتريد ، و « من » في قوله : « من مزيد » زائدة

(٢) ارتاع : نزل به الروع ، وهو الخوف

(٣) سرى عنه — بالبناء للمجهول — ذهب عنه ما نزل به

ونقلت منه أيضا أن أعرابيا شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الأعرابي : فصاح به صائح من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا أمير المؤمنين ، فقال رجل من خلفي : دَعَاهُ باسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ، فالتفت إليه ، فاذا هو رجل من بنى لَهَب — بكسر اللام — وهم من بنى النضر بن الأزد ، وهم أزر قوم ، وقد أشار كثير عزة إلى ذلك في قوله [من الطويل] :

سألت أبا لَهَبٍ ليزجر زجرة
وقد صار زَجْرُ العالمين إلى لَهَبٍ

قال الأعرابي : فلما وقفنا لرمى الجمار إذ حصاة قد صكت صلعة عمر رضى الله عنه فأدمته ، فقال قائل : أشعر والله أمير المؤمنين ، والله لا يقف هذا الموقف بعدها ، فالتفت إليه فاذا هو اللهبى بعينه ، فقتل عمر رضى الله عنه قبل الحول ، وهذه الحكاية فى كتاب « السكامل » أيضا .

وقوله « دعاه باسم ميت » إنما قال ذلك لأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقال له « يا خليفة رسول الله » فلما توفى وتولى عمر رضى الله عنه قيل له : « خليفة خليفة رسول الله » فقال للصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين : هذا أمر يطول شرحه ، فان كل من يتولى يقال له خليفة مَنْ كان قبله حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، فهو أول من دعى بهذا الاسم ، وكان لفظ الخليفة مختصا بأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلهذا قال « دعاه باسم ميت » .

وذكر عمر بن شبة المقدم ذكره فى أخبار البصرة عن الشعبي أن أول من دعا لعمر رضى الله عنه على المنبر أبو موسى الأشعرى بالبصرة ، وهو أول من كتب « لعبد الله أمير المؤمنين » ، فقال عمر : إني لعبد الله ، وإني لعمر ، وإني لأمر المؤمنين .

وقال عوانة : أول من سمى أمير المؤمنين عدى بن حاتم الطائي ، وأول من
سلم عليه بها المغيرة بن شعبه .
وقال غيره : جلس عمر يوما فقال : والله ما ندرى كيف نقول : أبو بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا خليفة أبي بكر ، فأنا خليفة خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن جاء بعدى يقال له خليفة خليفة خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فهل اسم ؟ قالوا : الأمير ، قال : كلكم أمير ، قال
المغيرة : نحن المؤمنون ، وأنت أميرنا ، فأنت أمير المؤمنين ، والله أعلم ، وقد
خرجنا عن المقصود .

وكانت ولادة هلال المذكور في شوال ، سنة تسع وخمسين وثلثمائة .
وتوفي ليلة الخميس سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ،
رحمه الله تعالى !

(٧٥٧)

أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن
جابر بن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدى بن ثدول
بن بختري بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن
الغوث بن جلهمة ، وهو طيء ، الطائي ، الثعالبي ،
البختري ، الكوفي

أبو عبد الرحمن
الهيثم بن عدي
البختري
الكوفي

كان راوية ، أخباريا ، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها
الكثير ، وكان أبوه نازلا بواسط ، وكان خيرا ، وكان الهيثم يتعرض لمعرفة أصول
الناس ونقل أخبارهم ، فأورد معانيهم وأظهرها ، وكانت مستورة ، فذكره لذلك ،
ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بشئ ، فحبس لذلك
عدة سنين ، ويقال : إنه نقل عنه زورا ، ولبسوا عليه ما لم يقله ، وكان قد صاهر
قوما فلم يرضوه ، فأذاعوا ذلك عنه ، وحرفوا الكلام ، وكان يرى رأى الخوارج ،
وله من الكتب المصنفة كتاب « المثالب » وكتاب « المعمرين » وكتاب
« بيوتات العرب » وكتاب « بيوتات قریش » وكتاب « هبوط آدم عليه السلام »
و« افتراق العرب ونزولها منازلها » وكتاب « نزول العرب بخراسان والسواد »
وكتاب « نسب طي » وكتاب « مديح أهل الشام » و« تاريخ العجم وبنى أمية »
وكتاب « من تزوج من الموالى فى العرب » وكتاب « الوفود » وكتاب « خطط
الكوفة » وكتاب « ولالة الكوفة » وكتاب « تاريخ الأشراف الكبير » وكتاب
« تاريخ الأشراف الصغير » وكتاب « طبقات الفقهاء والمحدثين » وكتاب
« كنى الأشراف » وكتاب « خواتم الخلفاء » وكتاب « قضية الكوفة والبصرة »
وكتاب « المواسم » وكتاب « الخوارج » وكتاب « النوادر » وكتاب « التاريخ
على السنين » وكتاب « أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ووفاته »

وكتاب « أخبار الفرس » وكتاب « عمال الشرط لأمرء العراق » وغير ذلك من التصانيف ، واختص بمجالسة المنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، وروى عنهم .

قال الهيثم : قال لى المهدي : ويحك يا هيثم ! إن الناس يخبرون عن الأعراب شحاً ولو ما وكرماً وسماحاً ، وقد اختلفوا في ذلك ، فما عندك ؟ فقلت : على الخبير سقطت ، خرجت من عند أهلى أريد ديار قرابة لى ، ومعى ناقة أركبها ، إذ نددت ، فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت ، فأدركتها ، ونظرت فإذا خيمة أعرابى ، فأتيتها فقلت ربة الخباء : من أنت ؟ فقلت : ضيف ، فقالت : وما يصنع الضيف عندنا ؟ إن الصحراء لواسة ، ثم قامت إلى بر فطحنته ، ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت ، ولم ألبث أن جاء زوجها ومعه لبن ، فسلم ، ثم قال : من الرجل ؟ فقلت : ضيف ، فقال : مرحباً حياك الله ، ثم قال : يا فلانة ، ما أطعمت ضيفك شيئاً ؟ فقالت : لا ، فدخل الخباء وملاً قعباً من لبن ، ثم أتانى به ، وقال : اشرب ، فشربت شراباً هنيئاً ، فقال : ما أراك أكلت شيئاً ، وما أراها أطعمتك ، فقلت : لا والله ، فدخل إليها مغضباً ، وقال : ويلك أكلت وتركت ضيفك ، فقالت : وما أصنع به ؟ أطعمه طعامى ؟ وجارها في الكلام حتى شجها ، ثم أخذت شفرة وخرجت إلى ناقتي فنحرها فقلت : ما صنعت عافاك الله ؟ فقال : لا والله ما يبيت ضيفي جائعاً ، ثم جمع خطباً وأجج ناراً ، وأقبل يككب ويطعمنى ويأكل ، ويلقى إليها ويقول : كللى لا أطعمك الله ، حتى إذا أصبح تركنى ومضى ، فقعدت مغموماً ، فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير مايسأم الناظر إليه من النظر ، فقال : هذا مكان ناقتك ، ثم زودنى من ذلك اللحم ومما حضره ، وخرجت من عنده ، فضمنى الليل إلى خباء ، فسلمت ، فردت السلام صاحبة الخباء ، وقالت : من الرجل ؟ فقلت : ضيف ، فقالت : مرحباً بك حياك الله وعافاك ، فنزلت ، ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته ، ثم خبزته خبزاً روته بالزبد واللبن ، ثم وضعته بين يدي فقالت : كل

واعذر، فلم ألبث أن أقبل أعرابي كرىه الوجه ، فسلم ، فرددت عليه السلام ، فقال : من الرجل ؟ قلت : ضيف ، قال : وما يصنع الضيف عندنا ، ثم دخل إلى أهله ، فقال : أين طعامي ؟ فقالت : أطعمته الضيف ، فقال : أنطعمين الضيف طعامي ، فتجاري يا في الكلام ، فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها ، فجعلت أضحك ، فخرج إلى فقال : وما يضحكك ؟ قلت : خير ، فقال : والله لتخبرني ، فأخبرته بقضية المرأة والرجل اللذين نزتا عندهما قبله ، فأقبل على وقال : إن هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل ، وتلك التي عنده أختي ، فبت ليلتي متعجبا ، وانصرفت

وأغرب من هذه الحكاية ما روى أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية ، فجاءه سائل فردده خائبا ، وكان الرجل مترفاً فوق عينيه وبين امرأته فرقة ، وذهب ماله ، وتزوج السائل امرأته ، فبينما الزوج الثاني يأكل بين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته : ناوليه الدجاجة ، فناولته ، ونظرت إليه فاذا هو زوجها الأول ، فأخبرته بالقصة ، فقال الزوج الثاني : أنا والله ذاك المسكين الأول الذي خيبتني ، فحول الله نعمته وأهله إلى لقلة شكره .

وحكى الهيثم أيضا قال : صار سيف عمرو بن معديكرب الزبيدي الذي كان يسمى بالصمصامة إلى موسى الهادي بن المهدي ، وكان عمرو قد وهبه لسعيد ابن العاص الأموي ، فتوارثه ولده ، إلى أن مات المهدي فاشترى موسى الهادي منهم بمال جليل ، وكان من أوسع بني العباس كفاً وأكثرهم عطاء ، فجرد الصمصامة وجعلها بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا عليه ، ودعا بمكثل فيه بدرة ، وقال : قولوا في هذا السيف ، فبدر ابن يامين البصري وأنشد يقول [من الخفيف] :

حاز صمصامة الزبيدي من بين جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أغمدت عليه الجفون

أخضر اللون بين حدّيه يرد من دُبّاح تمّيس فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق ناراً ثم شابت فيه الذعاف القيون
فاذا ما سلّته بهر الشمس ضياء ، فلم تكّد تستبين
ما يبالي من انتضاء لضرب أشمال سطت به أم يمين
يستطير الأبصار كالقوس المشعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا رى فى صفحتيه ماء معين
نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهياج يعصى به ونعم القرين

فقال الهادى : أصبت والله ما فى نفسى ، واستخفه السرور ، فأمره بالمسكتل
والسيف ، فلما خرج من عنده قال للشعراء : إنما حرّمتم من أجلى ، فشأنكم
والمسكتل ، فى السيف غناى ، فاشترى منه السيف بمال جزيل ، وقال المسعودى
فى كتاب « مروج الذهب » : اشتراه الهادى منه بخمسين ألفاً ، ولم يذكّر من هذه
الآيات إلا بعضها .

والذباح — بضم الذال المعجمة ، وفتح الباء الموحدة ، وبعد الألف حاء
مهملة — وهو نبت قاتل لسميته ، وقد جاء كثيراً فى الشعر .
ويعصى — بفتح الصاد — يقال : عصى بكسر الصاد يعصى إذا ضرب
بالسيف ، وهو خلاف عصى يعصى إذا ارتكب الذنب .

وحكى المسعودى فى « مروج الذهب » فى ولاية هشام بن عبد الملك أن
الهيثم بن عدى المذكور روى عن معمر بن هانئ الطائى قال : خرجت مع عبد الله
ابن على — وهو عم السفاح والمنصور — فأنهينا إلى قبر هشام بن عبد الملك ،
فامتخرجناه صحيحاً ما فقد منه إلا خرمة أنفه ، فضر به عبد الله ثمانين سوطاً ،
ثم أحرقه ، فامتخرجنا سليماً بن عبد الملك من أرض دابق ، فلم نجد منه شيئاً
إلا صلبه وأضلاعه ورأسه ، فأحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية ، وكانت

قبورهم بقفسرين ، ثم اتهمينا إلى دمشق فأخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلا ولا كثيراً ، واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شؤن رأسه ، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه إلا عظما واحدا ، ووجدنا خطأ أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ، ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان ، فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم .

وكان سبب فعل عبد الله بنى أمية هذا الفعل أن زيد بن زين العابدين على ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم - وقد سبق ذكره في ترجمة الوزير محمد بن بقية - خرج على هشام بن عبد الملك وتسمت نفسه على طلب الخلافة ، وتبعه خلق من الأشراف والقراء ، فخاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، فانهزم أصحاب زيد ، وبقي في جماعة يسيرة ، فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا [من المتقارب] :

[أ] ذل الحياة وعز الممات وكلا أراه طعاما وبيـلا
فان كان لابد من واحد فسيرى إلى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين ، فانصرف زيد مُتُخَنِّفًا بالجراح ، وقد أصابه سهم في جبهته ، فطلبوا من ينزع النصل ، فأتى بحجام من بعض القرى ، فاستنكموه أمره ، فاستخرج النصل ، فمات من ساعته ، فدفنوه في ساقية ماء ، وجعلوا على قبره التراب والحشيش ، وأجروا الماء على ذلك ، وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع ، فلما أصبح مضى إلى يوسف منتصحا له ، فدلّه على موضع قبره ، فاستخرجه يوسف وبعث برأسه إلى هشام ، فكتب إليه هشام : أن اصلبه عريانا ، فصلبه يوسف كذلك ، ففي ذلك يقول بعض شعراء بنى أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من جملة أبيات [من الطويل] :

صلبناكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهديا على الجذع يصلب
وَبُنِيَ تَحْتَ خَشْبَتِهِ عَمُودٌ ، ثُمَّ كَتَبَ هِشَامٌ إِلَى يُوسُفَ بِأَمْرِهِ بِأَحْرَاقِهِ
وَتَذْرِيقِهِ فِي الرِّيحِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ : اثْنَتَيْنِ
وَعِشْرِينَ وَمِائَةً^(١) .

وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ أَنَّ زَيْدًا أَقَامَ مَصْلُوبًا خَمْسَ
سِنِينَ^(٢) عَرِيَانًا فَلَمْ يَرَأْ أَحَدٌ لَهُ عَوْرَةَ سِترًا مِنْ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ
الْعَنْكَبُوتُ نَسَجَ عَلَى عَوْرَتِهِ ، وَذَلِكَ بِالْكُنَاسَةِ بِالْكُوفَةِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ
ابْنُ يَزِيدَ وَظَهَرَ وَلَدُهُ يُحْيَى بْنُ زَيْدٍ بِخُرَّاسَانَ ، وَهِيَ وَاقِعَةٌ مَشْهُورَةٌ ، كَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى
عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ : أَنْ أَحْرِقْ زَيْدًا بِخَشْبَتِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَذْرَى رَمَادَهُ فِي الرِّيحِ
عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ ، فَهَذَا الَّذِي حَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ عَلِيٍّ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِنِيِّ أُمَيَّةَ ، انْتِصَارًا لِبَنِي عَمِّهِ ، وَانْتِقَامًا لَهُمْ بِنَظِيرِ مَا
فَعَلَ بِهِمْ .

وَقَالَ الْهَيْثَمُ أَيْضًا : اسْتَعْمَلْتُ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي فِزَارَةَ ، فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ
فَقَالَ : أَرَيْكَ عَجَبًا ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَاَنْطَلِقْ إِلَى شَاهِقِ جَبَلٍ ، فَإِذَا فِيهِ صَدْعٌ ،
فَقَالَ لِي : ادْخُلْ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا يَدْخُلُ الدَّلِيلُ ، قَالَ : فَدْخُلْ ، فَاتَّبَعْتُهُ ، وَدَخَلَ
مَعَنَا أَنْاسٌ ، فَكَانَ رُبَّمَا ضَاقَ الْجَبَلُ وَاتَّسَعَ ، فَإِذَا نَحْنُ بِضَوْءٍ ، فَدَنَوْنَا مِنْهُ ،
وَإِذَا خَرَقَ ذَاهِبٌ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا عَكَازٌ فِي الْجَبَلِ ، فَجَذَبْنَاهَا فَإِذَا هِيَ
سَهَامٌ عَادٌ ، وَإِذَا كِتَابٌ مَنْقُورٌ فِي الْجَبَلِ مَقْدَارُ أَصْبَعَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، وَإِذَا هُوَ مَكْتُوبٌ
بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَلَا هَلْ إِلَى أَبِياتِ سَفْحِ بَنِي اللَّوَى لَوْى الرَّمْلِ فَاصْدَقْنَ النُّفُوسَ مَعَادَ

(١) انظر هذا الحديث في مروج الذهب للسعودي (٣/ ٢١٨) طبعة ثانية
بتحقيقنا (٢) في المروج (٢/ ٢٢٠) « خمسين شهرا »

بلاد لنا كانت وكننا نحبا

إذ الناس ناس ، والبلاد بلاد

وروى أن أبا نواس الحسن بن هانيء الحكيم الشاعر المقدم ذكره حضر مجلس الهيثم بن عدي في حديثه ، والهيثم لا يعرفه ، فلم يستدنه ، ولا قرب مجلسه ، فقام مغضبا ، فسأل الهيثم عنه ، فخير باسمه ، فقال : إنا لله هذه ! والله بلية لم أجها على نفسي ، قوموا بنا إليه لنعتذر ، فساروا إليه ، ودق الهيثم الباب عليه ، وتسمى له ، فقال : ادخل ، فدخل ، فادا هو قاعد يصفي نبينا له ، وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله ، فقال : المعذرة إلى الله تعالى ثم إليك ، وماعرفتك وما الذنب إلا بك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضى حقا^(١) ونبلغ الواجب من برك ، فأظهر له قبول العذر ، فقال الهيثم : أستعهدك من قول سبق منك في ، فقال : ما قد مضى فلا حيلة فيه ، ولك الأمان مما أستأنف ، فقال : ما الذي مضى جعلت فداك ؟ قال : بيت مر وأنا فيما ترى ، يعني من الغضب ، قال : فأشديني ، فدافعه ، فألح عليه ، فأشده [من البسيط] :

يا هيثم بن عدي لست للعرب

ولست من طيء إلا على شغب

إذا نسبت عديا في بني ثعل

فقدم الدال قبل العين في النسب

فقام من عنده ، ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات ، وهي :

لهيثم بن عدي في تلونه في كل يوم له رجل على خشب

فما يزال أخا حل ومرحل

إلى الموالي ، وأحيانا إلى العرب

له لسان يزجيه بجوهره كأنه لم يزل يقدو على قنب

(١) في نسخة « فنقضى حاجتك » وما هنا عن ب أحسن

كأننى بك فوق الجسر منتصباً

على جواد قريب منك فى الحسب

حتى نراك وقد درعته قصاً

من الصيد مكان الليف والكرب

لله أنت فما قربى تهم بها

إلا اجتلبت لها الأنساب من كتب

فعاد الهيثم إلى أبى نواس ، وقال له : ياسبحان الله ! قد أمنتنى وجعلتلى عهداً أن لاتهجونى ، فقال : إنهم يقولون ما لا يفعلون .

وأخبار الهيثم كثيرة ، وقد أطلنا الشرح .

وكانت ولادته قبل سنة ثلاثين ومائة .

وتوفى غرة المحرم سنة ست ، وقيل : سبع ومائتين ، وقال ابن قتيبة فى كتاب المعارف : سنة تسع ومائتين ، والله تعالى أعلم بالصواب ، رحمه الله تعالى ! وله عقب ببغداد

وقال السمعانى فى كتاب « الأنساب » فى ترجمة البحرى : إنه توفى سنة تسع ومائتين بقم الصلح ، وله ثلاث وتسعون سنة ، وزاد غيره أن وفاته كانت عند الحسن بن سهل ، وقد تقدم فى ترجمة بوران أن زواجها بالمأمون كان فى هذا التاريخ بهذا الموضع ، والظاهر أنه كان فى جملة من حضر فتوفى هناك .

وقد تقدم الكلام على الطائى والبحرى .

والثعلبى - بضم الثاء المثناة ، وفتح العين ، وبعدها لام - هذه النسبة إلى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ، وقد تقدم تنمة هذه النسبة فى ترجمة البحرى فى حرف الواو فلتنظر هناك .

وتنسب إلى ثعلّ المذكور عدة بطون : منها بجتر ، وسلامان ، وغيرهما ، ومن هذه القبيلة عمرو بن المسيّب^(١) الثعلّي الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفود العرب ، فأسلم بالمدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة ، وكان أرمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس جندج^(٢) بن حجر الكندي ، الشاعر المشهور [من البسيط] :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره^(٣)

وهذه من جملة ما استشهد به ابن قتيبة في كتاب « طبقات الشعراء » على قرب زمن امرئ القيس من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة .

هذا خلاصة ما قاله ، والله تعالى أعلم .

(١) في ب « بن المسيح » محرفا (٢) في ب « جندج » محرفا

(٣) في طبقات ابن قتيبة (٥١ أوربة) « متلج كفيه من ستره »

(٧٥٨)

ياروق بن أرسلان التركاني

ياروق
ابن أرسلان
التركاني

كان متقدماً جليل القدر في قومه ، وإليه تنسب الطائفة الياروقية من التركان ، وكان عظيم الخلقة ، هائل المنظر ، سكن بظاهر حلب في جهتها القبليّة ، وبنى على شاطئ ، قُوَيْق فوق تل مرتفع هو وأهله وأتباعه أبنيةً كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة وتعرف الآن بالياروقية ، وهي شبه القرية ، وسكنها هو ومن معه ، وهي إلى اليوم معمورة مسكونة آهله تتردد إليها أهل حلب في أيام الربيع ويتزهون هناك في الخضر على قُوَيْق وهو موضع كثير الانشراح والأنس .

وتوفي ياروق المذكور في المحرم عام أربع وستين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !
هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد في سيرة السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى !

وياروق : بفتح الياء المثناة من تحتها ، وبعد الألف راء مضمومة ، ثم واو ساكنة ، وفي الآخر قاف .

وقُوَيْق : بضم القاف ، وفتح الواو ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها قاف ، وهو نهر صغير بظاهر حلب يجري في الشتاء والربيع وينقطع في الصيف ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارهم كثيراً ، خصوصاً أبا عبادة البحتري فإنه كرر ذكره في عدة قصائد ، فمن ذلك قوله في جملة قصيدة [من السكامل] :

يا برق أسفر عن قويق فطُرْقِيْ

حلب فأعلى القصر من بطّياس

عن منببت الورد المعصفر صبغه

في كل ناحية وجنى الآس

أرض إذا استوحشت ثم أتيتها

حشيت على فأكرت إيناسي

وبطياس - بفتح الباء الموحدة ، وسكون الطاء المهملة ، وفتح الياء المشناة من تحتها ، وبعد الألف سين مهملة - وهي قرية كانت بظاهر حلب ودرت ، ولم يبق لها اليوم أثر .

وكان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهم! - قد بنى بها قصرًا وسكنه هو وبنوه ، وهو بين الثيبر والصالحية ، وهما قرىتان في شرقي حلب ، وكان القصر على الرابية المشرفة على الثيبر ، ولم يبق منه في هذا الزمان سوى آثار دارسة ، هكذا وجدته مضبوطاً بخط بعض الفضلاء من أهل حلب ، والله تعالى أعلم .



(٧٥٩)

أبو الدرياقوت بن عبد الله ، الموصلي ، الكاتب ، الملقب أمين الدين ،
المعروف بالملكي ، نسبته إلى السلطان ملكشاه أبي الفتح بن سلجوق
ابن محمد بن ملكشاه الأكبر

أمين الدولة
أبو الدرياقوت
ابن عبد الله
الملكي
الموصلي

نزل الموصل ، وأخذ النحو عن أبي محمد سعيد بن المبارك ، المعروف
بابن الدهان النحوي ، وقرأ عليه من تصانيفه جملة ، وكان ملازمه ، وقرأ عليه
ديوان المتنبي ، والمقامات الحريرية ، وغير ذلك ، وكتب الكثير ، وانتشر
خطه في الآفاق ، وكان في نهاية الحسن ، ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن
الخط ، ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله ، مع فضل غزير ، ونباهة
تامة ، وكان مُعَرِّى بنسخ الصحاح للجوهري ، فكتب منها نسخاً كثيرة ،
كل نسخة في مجلد واحد ، رأيت منها عدة نسخ ، وكل نسخة تباع بمائة
دينار ، وكتب عليه خلق كثير ، وانشغوا به ، وكانت له سمعة كبيرة في زمانه ،
وقصده الناس من البلاد ، وسير إليه من بغداد النجيب أبو عبد الله الحسين
ابن علي بن أبي بكر الواسطي قصيدة مدحه بها ، ولم يكن رآه ، بل على السماع
به ، وهي قصيدة جيدة في بابها ، ووصف حسن خطه ، فأبلغ ، وهي
[من الخفيف] :

أين غزلان عاجل والمصلي من ظباء سكن نهر المعلى
أبتلك السكبان أغصان بان وبدور من أبقها تتعلى
أم لتلك الغزلان حسن وجوه لو تراءت للحرز أصبح سهلا
أين خوداتها من النرجس الغض إذا ناجز النسيم استقلا
أين ذاك العرّار من صبغة الور د إذا جاده الغمام وطلاً

أبجراً عنها كواكب نارنج دنا في غصونه فتدلى
أيقنت أن ماء دجلة كفؤ كذب القاسطون حاشا وكلأ
الدار السلام في الأرض شبه معجز أن ترى لبغداد مثلاً
كل يوم تبدى وجوهاً خلاف الأمس حسناً كأنما هي حبلى
وصبايا يصبو الحليم إليهن إذا ما خطرن شكلاً ودلاً
يعتصبن العصائب الناصريا ت فيحلن منك عقداً وحلاً
ليس يرقبن فيك إلا ولا يعرفن شيئاً غير الصبح والإلا
مرتع للقلوب فيه ربيع متوال إذا الربيع تولى
بلدة تستفاد فيها للمعالي والمعاني علماً وجداً وهزلاً
لم يفتها من السكالم سوى يا قوت لو أنها به تتحلى
من لها أن يضوع نشر أمين الدين فيها وحسبها ذاك فضلاً
لو رجت أن يزورها لا نبى الصا

مت فيها يقول : أهلاً وسهلاً
ولئن وافت الرواة برياً ه إليها فان رؤياه أحلى
بحر جود له إلا كارم تنلو وجواد عنه المكارم تنلى
جامع شارد العلوم ولولا ه لكانت أم الفضائل شكلى
ذو يراع تخاف صولته الأسعد وتعنو له الكتاب ذلاً
وإذا افتقر ثفره عن سواد

في بياض فالبيض والسمر خجلى

يقظ في حراسة الملك لا يعمل سهماً ولا يجرد نصلاً
إنما يبعث البلاغة أرساً لا إذا كانت الصحائف رسلاً

فيعيد الجبار ممتلئاً خوفاً لما قد أمل فيها وأمل
وتراه طوراً يحيل يديه بقداح العلوم فصلاً وفصلاً
مثل وشي الرياض أو كنظيرهم الدر يزهى خطأ ولفظاً ونقل
فأنت يا صديق مثل أمين الدين مهلاً أتعبت نفسك مهلاً
سيدي يا أخا السباح وظئر السباح — مجد وابن العلي ورب المعلمي
أنت بدر والكاتب بن هلال كأيّيه لا خير فيمن تولى
إن يكن أولاً فانك بالتفصيل أولى لقد سبقت وصلي
يا أمين الدين الذي جمع الله به للسباح والفضل شملاً
أنا من قادة الثناء إلى حبسك حتى يظل تها ويتلى
وإذا سجل الثناء بقاض صار فيه أخو الشهادة عدلاً
فارض بكرّاً ما راض قط أبوها

فكره بابتة ليخطب بعلاً
لا جزاء يريد عنها ولا أجراً ولكن رآك للمدح أهلاً
ودعاه إليك داعي وداد

جاء ينبغي من حسن رأيك وصلاً
وإذا ما تعذر القرب فالقلب كفيلاً به ورأيك أعلى
فابق واسلم ما جرد الأفق جيشاً

من ظلام وجرد الصبح نصلاً

وتوفى أمين الدين المذكور بالموصل ، سنة ثمانى عشرة وستائة ، وقد أسن
وتغير خطه من الكبير ، رحمه الله تعالى ! .

(٧٦٠)

مذهب الدين
أبو الديقوت
ابن عبد الله
الروى

أبو الديقوت بن عبد الله الروى ، الملقب مذهب الدين ،
الشاعر المشهور

مولى أبى منصور الجيلى التاجر ، اشتغل بالعلم ، وأكثر من الأدب ،
واستعمل قريحته فى النظم ، فأجاد فيه ، ولمسا تميز ومهر سمي نفسه عبد الرحمن ،
وكان مقبلا بالمدرسة النظامية ببغداد ، وعده ابن الذهبى فى كتاب « الذيل »
من جملة من اسمه عبد الرحمن ، وذكر أنه نشأ ببغداد ، وحفظ القرآن العزيز ،
وقرأ شيئا من الأدب ، وكتب خطا حسنا ، وقال الشعر ، وأكثر النظم منه فى
الغزل والتصانى ، وذكر الحجة ، وراق شعره ، وحفظته الناس ، وأورد له مقطوعا
من الشعر ، وذكر أنه أشده إياه ، وهو [من الطويل] :

خلى لا والله ما جن غاسق وأظلم إلا حن أو جن عاشق
وبقيته فى المجموع الصغير ، وأشعاره سائرة يتغنى بها ، وهى رقيقة لطيفة ،
فمن ذلك قوله [من البسيط] :

إن غاض دمعك فالأحباب قد بانوا
فكل ما تدعى زور وبهتان

وكيف تأنس أو تنسى خيالهم
وقد خلا منهم ربع وأوطان

لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى
عن النواظر أقمار وأغصان

ساروا فسار فؤادى إثر طعنهم
وبان جيش اضطبارى ساعة بانوا

لا افتترْ ثغرُ الثرى من بعد بعدهم

ولا ترنح أيك لا ولا بان *

أجرى دموعى وأذكى النار فى كبدى

غداة بينهم هم وأحزان

طوفانُ نوح نوى فى مقلتى وفى

طى الحشا خليل الله نيران

لو كابد الصخر ما كابدت من كمد

فيكم لجاد له أحد ولبنان

وذاب يذبل من وجدى ورض على

رضوى ولان لما ألقاه ثهلان

يا من تملك رقى حسن بهجته

سلطان حسنك مالى منه إحسان

كن كيف شئت فمالى عنك من بدل

أنت الزلال لقلبي وهو ظمآن

ومن شعره [من الطويل] :

ألا مبلغ وجدى بها وغرامى ومهدٍ إلى دار السلام سلامى

نسيم الصبا بلغ تحية مشيم إلى مُعَرِّق لم يرع عهد ذمامى

وصف بعض أشواقى إليه لعله يرق لذلى فى الهوى وهيامى

أيا رحبة الزوراء لى فيك شادن نفى بُعدُه من مقلتى منامى

بديع جمال بان صبرى لبينه وعرضى إعراضه لحسامى

يصد إذا ما صد عن عيني الكرى ويمزج دمعى هجوه بمدامى

حياتي وموتى في يديه ، وجنتى ونارى ، وربى فى الهوى وأوامى ^(١)
 فى بعده عنى وفانى ، وقربه حياتى وإسعادى ونيل مرامى
 ومن وجنتيه نار وجدى ، وخصره نحولى ، ومن سقم الجفون سقامى
 فىكن عاذرى يا عاذلى فدلاله دليل على وجدى به وغرامى
 ورأيت كثيراً من الفقهاء بالشام و بلاد الشرق يحفظون له قصيدة ، أولها
 [من الكامل] :

جسدى لبعذك يا مثير بلا بلى دنف بمحك : ما أبل بلا بلى
 يا من إذا مالم فيه لوائى أوضحت عذرى بالعذار السائل
 أأجيز قتل فى الوجيز لقاتلى أم حل فى التهذيب أم فى الشامل ^(٢)
 أم فى المذهب أن يعذب عاشق ذو مقلة عبرى ودمع هاطل
 أم طرفك الفتاك قد أفتاك فى تلف النفوس بسحر طرف بابلى
 وهى أكثر من هذا ، لكن هذا القدير هو الذى استحضرتة فى هذا
 الوقت منها .

وأشددنى له بعض الأدباء بمدينة حلب أبياتاً ، منها قوله [من الطويل] :
 ألسنت من الولدان أحلى شمائل فكيف سكنت القلب وهو جهنم
 ثم قال : وقد انتقدوا عليه فى بغداد فى هذا البيت ، فأفكرت فيه ، ثم
 قلت له : لعل الانتقاد من جهة أنه ما يلزم من كونه أحلى شمائل من الولدان أنه
 لا يكون فى جهنم ، فانه قد يكون أحلى شمائل منهم ، وليس الممتنع إلا أن يكون
 الولدان فى جهنم ، فقال : نعم ، هذا الذى أخذ عليه .

(١) فى ب « ودينى فى الهوى وأوامى » وما أثبتناه أتم
 (٢) الوجيز ، والتهذيب ، والشامل ، والمذهب : كل هذه أسماء كتب فى الفقه
 لأئمة شافعية ، وقد ورى بها

وأخبرني بعض الفضلاء^(١) بمدينة إربل في سنة خمس وعشرين وستمائة ، قال : كنت ببغداد في سنة عشرين وستمائة بالمدرسة النظامية ، فقعدت يوماً على بابها إلى جانب أبي الدر المذكور ، ونحن نتذاكر الأدب ، إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا ، فجلس قريباً منا ، فقال لي أبو الدر : أتعرف هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا مملوك حيص بيص ، الذي يقول فيه [من الوافر] :

تَشْرِبْشْ أَوْ تَقْمَصْ أَوْ تَقْبِي فلن تزداد عندي قط حبا
تَمْلِكْ بَعْضُ حَبِّكَ كُلَّ قَلْبِي فان ترد الزيادة هاتِ قَلْبًا
قال : فجعلت أنظر إليه ، وأفكر فيما كان عليه ، وما آل حاله إليه ، ولقد طلبت أنا هذين البيتين في ديوان الحيص بيص ، فلم أجدهما فيه ، والله أعلم .

ولأبي الدر المذكور ديوان شعر ، سمعت أنه صغير ، ولم أقف عليه ، بل على مقاطيع كثيرة منه ، وشعره متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام ، ويكفي منه هذا القدر ، وقد تقدم في حرف الخاء في ترجمة الشيخ الخضر بن عقيل الإربلي له ثلاث أبيات دالية . ثم إنى ملكت من ديوانه نسختين ، في سنة سبع وستين وستمائة ، بدمشق المحروسة ، وهو صغير الحجم ، يدخل في عشر كراريس .

ورأيت في بعض التواريخ المتأخرة أن أبا الدر المذكور وجد ميتاً في منزله ببغداد ، في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وقال الناس : إنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام ، رحمه الله تعالى ! .

وقال ابن النجار في تاريخ بغداد : وجد أبو الدر في داره ميتاً ، يوم الأربعاء ، خامس عشر جمادى الأولى من السنة ، وكان قد خرج من النظامية ، فسكن

(١) في ب « بعض الأفاضل »

في دار بدر بن دينار الصغير ، ولم يعلم متى مات ، وأظنه ناطح الستين ،
والله أعلم .

والرومي : بضم الراء ، وسكون الواو ، وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى
بلاد الروم ، وهو إقليم مشهور متسع كثير البلاد .

وههنا نكتة غريبة يحتاج إليها ، ويكثر السؤال عنها ، وهي : أن أهل
الروم يقال لهم « بنو الأصفر » ، واستعملته الشعراء في أشعارهم ، فمن ذلك قول
عدي بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة [من الخفيف] :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

ولقد تتبعنا ذلك كثيراً ، فلم نجد ما يشفي الغليل ، حتى ظفرت بكتاب
قديم ، اسمه « اللفيف » ولم يكتب عليه اسم مؤلفه ، فنقلنا منه ما صورته :
عن العباس عن أبيه ، قال : انخرم ملك الروم في الزمان الأول ، فبقيت منه
امرأة ، فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر ، فاصطاحوا على أن يملكوا أول
من يشرف عليهم ، فجلسوا مجلساً لذلك ، وأقبل رجل من اليمن ، معه عبده
حبشي يريد الروم ، فأبق العبد منه ، فأشرف عليهم ، فقالوا : انظروا في أي
شيء وقعتم ؟ فزوجوه تلك المرأة ، فولدت غلاماً ، فسموه « الأصفر » فخاصمهم
المولى ، فقال الغلام : صدق أنا عبده ، فأرضوه ، فأعطوه حتى رضى ، فبسبب
ذلك قيل للروم : بنو الأصفر ، لصفرة لون الولد ، لكونه مولداً بين الحبشي والمرأة
البيضاء ، والله أعلم .

(٧٦١)

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، الرومي الجنس ، الحموي المولد ،
البغدادى الدار ، الملقب شهاب الدين

أبو عبد الله
شهاب الدين
ياقوت بن
عبد الله ،
الرومي ، الحموي
البغدادى

أَسَرَ من بلاده صغيراً ، وابتاعه ببغداد رجل تاجر ، يعرف بعسكر
ابن أبي نصر إبراهيم الحموي ، وجعله في المكتتاب ليفتق به في ضبط تجارته ،
وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ، ولا يعلم شيئاً سوى التجارة ، وكان ساكناً
ببغداد ، وتزوج بها ، وأولد عدة أولاد ، ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيئاً
من النحو واللغة ، وشغله مولاه بالأسفار في متاجره ، فكان يتردد إلى كيش^(١)
وعمان وتلك النواحي ، ويعود إلى الشام ، ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة أوجبت
عقده ، فأبعده عنه ، وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة ، فاشتغل بالنسخ
بالأجرة ، وحصل بالمطالعة فوائد ، ثم إن مولاه بعد مدة ألوى عليه ، وأعطاه
شيئاً ، وسفره إلى كيش ، ولما عاد كان مولاه قد مات ، فحصل شيئاً مما كان في يده
وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به ، وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله ،
وسافر بها ، وجعل بعض تجارته كتباً ، وكان متعصباً على علي بن أبي طالب ،
رضي الله عنه ! وكان قد طالع شيئاً من كتب الخوارج ، فاشتبه في ذهنه منه طرف
قوى ، وتوجه إلى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقعد في بعض أسواقها ،
ونظر بعض من يتعصب لعلي رضي الله عنه ، وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره
علياً - رضي الله عنه ! - بما لا يسوغ ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه ، فسلم
منهم ، وخرج من دمشق منهزماً بعد أن بلغت القضية إلى وإلى البلد ، فطلبه ،
فلم يقدر عليه ، ووصل إلى حلب خائفاً يترقب ، وخرج عنها في العشر الأول ،
أو الثاني من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وتوصل إلى الموصل .
ثم انتقل إلى إربل ، وسلك منها إلى خراسان ، وتحامى دخول بغداد ، لأن

(١) كيش : جزيرة تعد من أعمال فارس ، وتعد من أعمال عمان .

المنظر له بدمشق كان بغداديا ، وخشى أن ينقل قوله فيقتل . فلما انتهى إلى خراسان أقام بها يتجر في بلادها ، واستوطن مدينة مرو مدة ، وخرج عنها إلى نسا ، ومضى إلى خوارزم ، وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر ، وذلك في سنة ست عشرة وثمانية ، فانهزم بنفسه ، كبعثه يوم الحشر من رمسه ، وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكلُّ عن شرحه إذا ذكره . ووصل إلى الموصل وقد تقطعت به الأسباب ، وأعوزته دنى الماء كل ، وخشن الثياب ، وأقام بالموصل مدة مديدة ، ثم انتقل إلى سنجار ، وارتحل منها إلى حلب ، وأقام بظاهرها في الخان ، إلى أن مات في التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ونقلت من تاريخ إربل ، الذى عني بجمعه أبو البركات بن المستوفى ، المقدم ذكره : أن ياقوتا المذكور قدم إربل في رجب سنة سبع عشرة وثمانية ، وكان مقما بخوارزم ، وفارقها للواقعة التى جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزم شاه .

وكان قد تتبع التواريخ ، وصنف كتابا سماه « إرشاد الألباء » ، إلى معرفة الأدباء . يدخل فى أربعة جلود كبار ، ذكر فى أوله قال : وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع إلى من أخبار النحويين ، واللغويين ، والذسابين ، والقراء المشهورين ، والأخباريين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة ، وكل من صنف فى الأدب تصنيفا ، أو جمع فيه تأليفا ، مع إشار الاختصار والإعجاز ، فى نهاية الإيجاز ، ولم آل جهدا فى إثبات الوفيات ، وتبيين المواليذ والأوقات ، وذكر تصنيفهم ، ومستحسن أخبارهم ، والإخبار بأنسابهم ، وشئ من أشعارهم ، فى تردادى إلى البلاد ، ومخالطى للعباد ، وحذفت الأسانيد ، إلا ما قل رجاله ، وقرب مناله ، مع الاستطاعة لإثباتها سماعا وإجازة ، إلا أننى قصدت

صغر الحجم وكبر النفع ، وأثبت مواضع نقلی ومواطن أخذی من كتب العلماء
المعول في هذا الشأن عليهم ، والرجوع في صحة النقل إليهم . ثم ذكر أنه جمع
كتاباً في أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء

ومن تصانيفه أيضاً كتاب « معجم البلدان » وكتاب « معجم الشعراء »
وكتاب « معجم الأدباء » وكتاب « المشترك وضعاً ، المختلف صقماً » وهو
من الكتب النافعة ، وكتاب « المبدأ والمآل » في التاريخ ، وكتاب « الدول »
ومجموع كلام أبي علي الفارسي ، وعنوان كتاب الأغاني ^(١) ، و« المقتضب » ، في النسب
يذكر فيه أنساب العرب ، وكتاب « أخبار المتنبي » .

وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف ، وذكر القاضي الأكرم جمال الدين
أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي ، وزير
صاحب حلب كان رحمه الله تعالى ، في كتابه الذي سماه « إنباء الرواة » ، على
أنباء النحاة « أن ياقوتاً المذكور كتب إليه رسالة من الموصل عند وصوله إليها
هارباً من التتر ، يصف فيها حاله وما جرى له معهم ، وهي بعد البسطة والحمدلة :
كان المملوك ياقوت بن عبد الله الحموي قد كتب هذه الرسالة من الموصل في سنة
سبع عشرة وستمائة ، حين وصوله من خوارزم طريد التتر ، بأأدهم الله تعالى !
إلى حضرة مالك رقه ، الوزير جمال الدين القاضي الأكرم ، أبي الحسن علي
ابن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني ، ثم التيمي تيم شيبان ،
ابن ثعلبة بن عكابة ، أسبغ الله عليه ظله ! وأعلى في درجة السيادة محله ! وهو
يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم ، شرحاً لأحوال خراسان وأحواله ، وإيماء
إلى بدء أمره بعد ما فارقته ومآله ، وأحجم عن عرضها على رأيه الشريف ،
إعظماً وتهيباً ، وفراً من قصورها عن طوله وتجنبها ، إلى أن وقف عليها جماعة
من منتحلي صناعة النظم والنثر ، فوجدهم مسارعين إلى كتبها ، متهافتين

(١) كذ ، ولعل كلمة « عنوان » مقحمة من النسخ

على نقلها . وما يشك أن محاسن مالك الرق حلتها ، وفي أعلى درج الإحسان
أحلتها ، فشجعه ذلك على عرضها على مولاه ، وللآراء علوها في تصفحها ،
والصفح عن زلها ، فليس كل من لمس درهما صيرفيا ، ولا كل من اقتنى درا
جوهريا . وها هي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أدام الله على العلم وأهليه ، والإسلام وبنيه ،
ما سوغهم وحباهم ، ومنحهم وأعطاهم ، من سبوغ ظل المولى الوزير ، أعز الله
أنصاره ، وضاعف مجده واقتداره ، ونصر ألويته وأعلامه ، وأجرى بإجراء
الأرزاق في الآفاق أقالمه ، وأطال بقاءه ، ورفع إلى عليين علاه ، في نعمة
لا يبلى جديدها ، ولا يحصى عددها ولا عديدها ، ولا ينتهى إلى غاية
مديدها ، ولا يقل حدها ولا حديدها ، ولا يقل وادها ولا وديدها ، وأدام
دولته للدنيا والدين يلم شعته ، ويهزم كثره ، ويرفع مناره ، ويحسن بحسن
أثره آثاره ، ويفتق نوره وأزهاره ، وينير نواره ، ويضاعف أنواره ، وأسبغ
ظله للعلوم وأهليها ، وللآداب ومنتحليها ، والفضائل وحامليها ، يشيد
بمشيد فضله بانياتها ، ويرضع بناصع مجده تيجانها ، ويروض بيانع علائه
زمانها ، ويعظم بعلوهمته الشريفة بين البرية شأنها ، ويمكن في أعلى درج
الاستحقاق إمكانها ومكانها ، ويرفع بنفاذ الأمر قدره للدول الإسلامية ،
والقواعد الدينية ، يسوس قواعدها ، ويعين مساعدتها ، ويهين معاندها ،
ويعضد بحسن الإيالة معاضدها ، وينهج بحملى المقاصد مقاصدها ، حتى يعود
حسن تدبيره غرة في جبهة الزمان ، وسنة يقتدى بها من طبع على العدل
والإحسان ، يكون له أجرها ما دام الملوان وكر الجديدان ، وما أشرقت من
الشرق شمس ، وارتاحت إلى مناجاة حضرته الباهرة نفس .

وبعد ، فالملوك ينهى إلى المقر العالى المولى ، والمحلى الأكرم العلى —

أدام الله سعادته مشرقة النور ، مبلغة السؤل ، واضحة الغرر ، بادية الحجول ،
 ماهو مكتف بالأريحية المولوية عن تبيانها ، مستغن بما منحها من صفاء
 الآراء عن إمضاء قلمه لإيضاحه وبيانها ، قد أحسبه ما وصف به عليه الصلاة
 والسلام المؤمنين ، وإن من أمتى لمكلمين ، وهو شرح ما يعتقده من الولاء ،
 ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء ، وقد كفته تلك الألمعية ،
 عن الاظهار المشبه بالملق مما تجنه الطوية ، لأن دلائل غلو المملوك في دين
 ولأته في الآفاق واضحة ، وطبيعة سكة إخلاص الوداد باسمه الكريم على
 صفحات الدهر لأئحة ، وإيمانه بشرائع الفضل الذي طبق الآفاق ، حتى
 أصبح بناء المسكرم متين ، وتلاوته لأحاديث المجد القريبة الأسانيد بالمشاهدة
 لديه مبين ، ودعا أهل الآفاق إلى المغالاة في الإيمان بامامة فضله الذي
 تلقاه باليمين ، وتصديقه بلمة سودده الذي تفرد بالتوخي لنظم شارده وضم
 مبدده بعرق الحبين ، حتى قد أصبح للفضل كعبة لم يعترض حجبها على من
 استطاع إليه السبيل ، ويقتصر بقصدها على ذوى القدرة دون المعتر
 وابن السبيل ، فإن لكل منهم حظا يستمده ، ونصيبا يستعد به ويعتده ،
 فللعظماء الشرف الضخم من معينه ، وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه ،
 وللفقراء توقع الأمان من نوائب الدهر وغض جفونه ، وفرضوا من
 مناسكه للبهجة الشريفة السلام والتبجيل ، وللكف البسيطة الاستبلام
 والتقبيل ، وقد شهد الله تعالى للمملوك أنه في سفره وحضره ، وعلمه وسره
 وخبره ونخبه ، شعاره تعطير مجالس الفضلاء ومحافل العلماء بفوائد حضرته ،
 والفضائل المستفادة من فضيلته ، افتخاراً بذلك بين الأنام ، وتطريزاً لما يأتي
 به في أثناء الكلام [من الطويل] :

إِذَا أَنَا شَرَقْتُ الْوَرَى بِقَصَا بُدَى

عَلَى طَمَعٍ شَرَقْتُ شِعْرَى بِذِكْرِهِ

(يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ ، بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) لَا حَرَمْنَا اللَّهُ مَعَاشِرَ أَوْلِيَائِهِ مَوَادِ فَضَائِلِهِ الْمُتَتَالِيَةِ ، وَلَا أَخْلَانَا كَافَةَ عِبِيدِهِ مِنْ أَيْدِيهِ الْمُتَعَالِيَةِ ^(١) ، اللَّهُمَّ رَبِّ الْأَرْضِ الْمُدْحِيَةِ ^(٢) وَالسَّمَوَاتِ الْعَلِيَّةِ ، وَالرِّيَّاحِ الْمُسَخَّرَةِ ، وَالْبَحَارِ الْمُسَجَّرَةِ ، اسْمِعْ نِدَائِي ، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي ، وَبَلِّغْنِي فِي مَعَالِيهِ ، مَا نَوْمِلُهُ وَنَرْتَجِيهِ ، بِمُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَذَوِيهِ .

وَقَدْ كَانَ الْمَمْلُوكُ لَمَّا فَارَقَ الْجَنَابَ الشَّرِيفَ ، وَانْفَصَلَ عَنْ مَقَرِّ الْعِزِّ اللَّبَّابِ وَالْفَضْلِ الْمُنِيفِ ، أَرَادَ اسْتِعْتَابَ الدَّهْرِ الْكَالِحِ ، وَاسْتِدْرَارَ الزَّمَنِ الْغَشُومِ الْجَامِحِ ، اغْتَرَارًا بِأَنْ فِي الْحَرَكَةِ بَرَكَةٌ ، وَالْإِغْتِرَابِ دَاعِيَةٌ الْاِكْتِسَابِ ، وَالْمَقَامِ عَلَى الْإِقْتَارِ ذُلٌّ وَانْتِقَامٌ ، وَجَلِيسَ الْبَيْتِ ، فِي الْمَحَافِلِ سَكِينَةٌ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
وَقَفْتُ وَقُوفَ الشَّكِّ ثُمَّ اسْتَمَرَّ لِي

يَقِينِي بِأَنْ الْمَوْتَ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ
فَوَدَّعْتُ مِنْ أَهْلِي ، وَبِالْقَلْبِ مَا بِهِ

وَسَرْتُ عَنْ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْيَسْرِ
وَبِالْكِيَةِ لِلْبَيْنِ قُلْتُ لَهَا : أَصْبِرِي

فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى عَسْرِ
سَأَكْسِبُ مَالًا أَوْ أَمُوتَ بِبِلْدَةٍ

يَقِلُّ بِهَا فَيُضُّ الدَّمُوعُ عَلَى قَبْرِي
فَامْتَطَى غَارِبَ الْأَمَلِ إِلَى الْغُرْبَةِ ، وَرَكِبَ رَكْبَ التَّطَوُّافِ مَعَ كُلِّ صَحْبَةٍ ، قَاطِعَ الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ ، حَتَّى بَلَغَ السَّدَّ أَوْ كَادَ ، فَلَمْ يُصْغِبْ لَهُ دَهْرُهُ الْخُلُونُ ، وَلَا رَقَ لَهُ زَمَانُهُ الْمَفْتُونُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

إِنْ إِلِيَّ أَلَى وَالْأَلَامُ لَوْ سَأَلْتُ عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهِمَا لَمْ تَكْتُمِ الْخَبْرَا
فَكَأَنَّهُ فِي جَفْنِ الدَّهْرِ قَذَى ، وَفِي حَلْقِهِ شَجَا ، يَدَافِعُهُ بِذَبْلِ الْأَمْنِيَةِ ، حَتَّى أَسْلَمَهُ إِلَى رَبْقَةِ الْمُنِيَةِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

(١) فِي ب « أَيْدِيهِ الْمُتَوَالِيَةِ » (٢) الْفَصِيحُ فِي الْعَرَبِيَّةِ « الْمُدْحَوَةُ »

لا يستقر بأرض أو يسير إلى أخرى لشخص قريب عزمه نائي
يوما بحزوى ، ويوما بالعقيق ، ويوما بالعذيب ، ويوما بالخليصاء
وتارة ينتحى نجداً ، وآونة شعب الحزون ، وحيناً قصر تيماء
وهيهات مع حرفة الأدب ، بلوغ وطر أو إدراك أرب ، ومع عبوس الحظ ،
ابتسام الدهر الفظ ، ولم أزل مع الزمان في تفنيد وعتاب ، حتى رضيت من الغنيمة
بالإياب^(١) ، والمملوك مع ذلك يدافع الأيام وينجيها ، ويعمل المعيشة ويرجيها ،
متمنعاً بالقناعة والعفاف ، مشتملاً بالنزاهة والكفاف ، غير راض بذلك الشمل ،
ولكن مكره أخاك لا بطل ، متسلياً بإخوان قد ارتضى خلائهم ، وأمن بوائقهم ،
عاشرهم بالإنطاف ، ورضى منهم بالكفاف ، لا خيرهم يرتجى ، ولا شرهم يتقى
[من البسيط] :

إن كان لابد من أهل ومن وطن فحيث آمن من ألقى ويأمنى
قد أزم نفسه أن تستعمل طرفاً طامحاً ، وأن يركب طرفاً جامحاً ، وأن يلحق^(٢)
بيض طمع جناحاً ، وأن يستقبح زنداً واريّاً وشحاحاً [من الوافر] :
وأدبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بقائل ماعشت يوماً : أسار الجند أم ركب الأمير

وكان المقام يمر الشاهجان ، المفسر عندهم بنفس السلطان ، فوجد بها من
كتب العلوم والآداب ، وصحائف أولى الأفهام والألباب ، ما شغله عن الأهل
والوطن ، وأذهله عن كل خل صفى وسكن ، فظفر منها بضالته المنشودة ، وبغية
نفسه المققودة ، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص ، وقابلها بمقام لا يزعم عنها
محيص ، فجعل يرتع في حداثتها ، ويستمتع بحسن خلقها وخلاتها ، ويسرح طرفه
في طرّفها ، ويتلذذ بمسوطها ومنتفها ، واعتقد المقام بذاك الجنب ، إلى أن يجاور
التراب [من الوافر] :

(١) أخذه من قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(٢) كذا ، ولعل أصله « وأن يلبس بيض طمع جناحاً »

إذا ما الدهر بيتنى بجيش طليعته اغتنام واغتراب
شفتت عليه من جهتي كميناً أميراً الذبالة والكتاب
وبت أنص من شيم الليالي عجائب من حقائقها ارتياب
بها أجلو همومي مستريحاً كما جلى همومهم الشراب

إلى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب ، والويل المير والتباب ، وكانت
لعمرك الله بلاداً مونة الأرجاء ، رائقة الأنحاء ، ذات رياض أريضة ، وأهوية
صحيحة مريضة ، قد تغنت أطيارها ، فمليت طرباً أشجارها ، وبكت أنهارها ،
فتضاحكت أزهارها ، وطاب روح نسيمها ، فصيح مزاج إقليمها ، ولعهدى بتلك
الرياض الأنيفة ، والأشجار المتهدلة الوريقة ، وقد ساقى إليها أرواح الجنائب ،
زقاق خمر السحائب ، فسقت مروجها مدام الطل ، فنشأ على أزهارها حجاب كاللؤلؤ
المنحل ، فلما رويت من تلك الصهباء أشجاره ، رنحها من النسيم خماره ، فتدانت
ولا تدانى المحبين ، وتعانقت ولا عنق العاشقين ، يلوح من خلالها شقائق قد شابه
اشتقاق الهوى بالعليل ، فشابه شغقي غادتين دننا للتقبل ، وربما اشتبه على
النحرير بأثلاف الحمر ، وقد انتابه رشاش القطر ، ويريه بهاراً يبهز ناضره ،
فيرتاح إليه ناظره ، كأنه صنوج من المسجد ، أودنانير من الإبريز تنقد ، ويتخلل
ذلك أقحوان تخاله نعر المعشوق إذا عض خد عاشق ، فله درها من نزهة وامق
ولون رائق ، وجملة أمرها أنها كانت أنموذج الجنة بلامين ، فيها ما تشتهي الأنفس
وتلذ العين ، قد اشتملت عليها المكارم ، وارجحت في أرجائها الخيرات
الفائضة للعالم ، فكم فيها من خير راق خيره ، ومن إمام توجب حياة الإسلام
سيره ، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة ، وفضائلهم في محاسن الدنيا
والدين محسوبة ، وإلى كل قطر مجلوبة ، فما من متين علم وقويم رأى إلا ومن
مشرقهم مطلع ، وما من معرفة فضل إلا عندهم مغربه وإليهم منزعه ^(١) ، وما نشأ
من كرم أخلاق بلا اختلاق إلا وجدته فيهم ، ولا إعراف في طيب أعراق إلا

اجتنبية من معانيهم ، أطفالهم رجال ، وشبابهم أبطال ، ومشايخهم أبدال ، شواهد مناقبهم باهرة ، ودلائل مجدهم ظاهرة ، ومن العجب العجائب أن سلطانهم المالك ، هان عليه ترك تلك الممالك ، وقال لنفسه اله وآلك ، وإلا فأنت في الهوالك ، وأجفل إجحاف الرال ، وطفق إذا رأى غير شىء ظنه رجلا بل رجال (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين) لكنه عز وجل لم يورثها قوماً آخرين ، تنزيهاً لأولئك الأبرار عن مقام المجرمين ، بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين ، وبلاهم فالقاهم صابرين ، فألحقهم بالشهداء الأبرار ، ورفعهم إلى درجات المصطفين الأخيار (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد ، وتحكم في تلك الأستار أولو الزيف والعناد ، فأصبحت تلك القصور ، كالمحو من السطور ، وأمست تلك الأوطان ، مأوى للأعداء والغربان ، يتجاوب في نواحيها البوم ، ويتناوح في أراجيحها الريح السوموم ، يستوحش فيها الأنيس ، ويرى لمصابها إبليس | من الطويل] :

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى وأقيال ملك في بسالتهم أسد
فمن حاتم في جوده وابن مامة ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا

لنا عبرة تدمى الحشا ولمن بعد

فانالله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر ، وتهدم العمر ، وتفت في العضد ، وتوهى الجلد ، وتضاعف الكمد ، وتشيب الوليد ، وتنخب لب الجليد ، وتسود القلب ، وتذهل اللب ، فحينئذ تهقر المملوك على عقبه ناكصاً ، ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آيساً ، بقلب واجب ، ودمع ساكب ، ولب عازب ، وحلم غائب ، فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار ، وابتلاء واصطبار ، ونحيص الأوزار ، وإشراف غير مرة على البوار

والتبار ، لأنه مر بين سيوف مسالوة ، وعساكر مفلولة ، ونظام عقود محلولة ،
ودماء مسكوبة مطلولة ، وكان شعاره كلما علاقتبا ، أو قطع سببها (لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا) فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد ، وأولانا نعمة تفويت الحصر
والعد ، وجملة الأمر أنه لولا فسحة في الأجل ، لعز أن يقال سلم البائس أو وصل ،
ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون ، وألحق بألف ألف ألف هالك
بأيدي الكفار أو يزيدون ، وخلف خلفه جل ذخيرته ، ومستمد معيشتة [من
الطوبى] :

تنكرلى دهرى ولم يدر أنى أعزُّ وأحداث الزمان تهون
وبات يربنى الخطبُ كيف اعتداؤه
وبت أريه الصبر كيف يكون
وبعد ، فليس للمملوك ما يسلى به خاطره ، ويعزى به قلبه وناظره ، إلا
التعلل بازاحة العمل ، إذا هو بالحضرة الشريفة مثل [من البسيط] :
فاسلم ودم وتمل العيش فى دعة ففى بقائك ما يسلى عن السلف
فأنت للمجد روح والورى جسد وأنت در فلا تأسى على الصدف
والمملوك الآن بالوصل مقيم ، يعالج لما حَزَبَه من هذا الأمر المقعد المقيم ،
يرجى وقته ، ويمارس حرفته وبجته ، تكاد تقول له باللسان القويم (تالله إنك
لفى ضلالك القديم) يذيب نفسه فى تحصيل أغراض ، هى لعمر الله أغراض ،
من صحف يكتبها ، وأوراق يستصحبها ، نصبه فيها طويل ، واستمتاعه بها قليل ،
ثم الرحيل ، وقد عزم بعد قضاء مهمته ، وبلوغ بعض وطر قرونته ، أن يستمد
التوفيق ، ويركب سَنَن الطريق ، عساه أن يبلغ أمنيته ، من المثل بالحضرة ،
وإتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة ، وياق عصا الترحال بفنائها الفسيح ، وقيم
نحت ظل كنفها إلى أن يصادفه الأجل المريح ، وينظم نفسه فى سلك ممالكها
بحضرتها ، كما ينتمى إليها فى غيبتها ، إن مدت السعادة بضبعه ، وسمح له الدهر

بعد الخفض برفعه ، فقد ضعفت قواه عن درك الآمال ، وعجز عن معاركة الزمان
والنزال ، إذ ضمت البسيطة إخوانه ، وحجب الجديدان أقرانه ، ونزل المشيب
بعذاره ، وضعفت قوى أوطاره ، وانقض باز الشيب على غراب شبابه فقنصه ،
وتبدلت محاسنه عند أحبابه مساوى وخصّصه ، وأكب نهار الحلم على ليل الجهل
فوقصه ، واستعاض من حلة الشباب القشيب ، خلق الكبر والمشيب [من
الرمل] :

وشباب بان منى وانقضى قبل أن أقضى منه أربى
ما أرجى بعده إلا الفناء ضيق الشيب على مطلبى
ولقد ندب المملوك أيام الشباب بهذه الأبيات ، وما أقل غناء الباكي على
من عد في الرّفات [من الطويل] :

تنكر لى مذ شبت دهرى فأصبحت

معارفه عندى من النكرات
إذا ذكرت النفس حنت صباية وجادت شؤون العين بالمعبرات
إلى أن أتى دهرٌ يحسن ما مضى ويوسعنى من ذكره حسرات
فكيف ولما يبق من كأس مشربى سوى جرّع فى قعره كدرات
وكل إناء صفوه فى ابتدائه ويرسب فى عقباه كل قذاة
والمملوك يتيقن أنه لا يتفق لهذا القدر الذى مضى ، إلا النظر إليه بعين الرضا ،
ولرأى المولى الوزير صاحب ، كهف الورى فى المشارق والمغارب ، فيما يلاحظه
منه بعبادة مجده ، مزيد مناقب ومراتب ، والسلام .

ولقد طالت هذه الترجمة بسبب طول الرسالة ، ولم يمكن قطعها .
وقال صاحبنا السكّال الشعارى الموصلى فى كتاب «عقود الجمان» : أنشدنى
أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى صاحب تاريخ بغداد
قال : أنشدنى ياقوت المذكور لنفسه فى غلام تركى ، وقد رمّدت عينه

وعليها رفاثد سوداء [من الكامل] :

ومولد للترك تحسب وجهه بدمراً يضيء سناه بالإشراق
أرخی على عينيه فضل وقاية ليرد فتنها عن العشاق
تالله لو أن السوايح دونها نفذت فهل لوقاية من واق^(١)
وكانت ولادة ياقوت المذکور فی سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسائة ،
ببلاد الروم ، هكذا قاله .

وتوفي يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ،
في الخان بظاهر مدينة حلب ، حسبما قدمنا ذكره في أول الترجمة ، رحمه
الله تعالى !

وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدى الذى بدرب دينار ببغداد ، وسلمها
إلى الشيخ عز الدين أبى الحسن على بن الأثير صاحب التاريخ الكبير ، فحملها
إلى هناك .

ولما تميز ياقوت المذکور واشتهر سعى نفسه « يعقوب » وقدم حلب للاشتغال
بها فى مستهل ذى القعدة سنة وفاته .
وكان عقيب موته ، الناس يثنون عليه ، ويندكرون فضله وأدبه ، ولم يقدر
لى الاجتماع به .

(١) السوايح : جمع سايغة ؟ وهى الدرع الواسعة يلبسها المحارب يتقى بها وقع
السهام ، يقول : لا يحمي من سهام عينيه الدروع ، فضلا عن الرفائد ، وفى ب
« لو أن السوايق » محرفاً

(٧٦٢)

أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن
المرى ، البغدادي ، الحافظ المشهور
أبو زكريا
يحيى بن معين
البغدادي
الحافظ

كان إماماً عالماً حافظاً متقنفاً ، قيل : إنه من قرية نحو الأنبار ، تسمى
نقيّاي ، وكان أبوه كاتباً لعبد الله بن مالك ، وقيل : إنه كان على خراج الرى ،
فأت ، فخلّف لابنه يحيى المذكور ألف درهم وخمسين ألف درهم ، فأنفق
جميع المال على الحديث .

وسئل يحيى المذكور : كم كتبت من الحديث ؟ فقال : كتبت بيدي
هذه ستمائة ألف حديث ، وقال راوى هذا الخبر — وهو أحمد بن عقبة — :
وإني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف ، وخلف
من الكتب مائة مئة قطر ، وأربع حباب شرابية مملوءة كتباً ، وهو صاحب الجرح
والتعديل . وروى عنه الحديث كبار الأئمة ، منهم : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
البخاري ، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، وأبو داود السجستاني ،
وغيرهم من الحفاظ ، وكان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل — رضى الله عنه — من
الصحبة ، والألفة ، والاشتراك بالاشتغال بعام الحديث ما هو مشهور ، ولا
حاجة إلى الإطالة فيه ، وروى عنه هو وأبو خيثمة ، وكانا من أقرانه .

وقال علي بن المديني : انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبي كثير وقتادة ،
وعلم الكوفة إلى إسحاق والأعمش ، وانتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب وعمر
ابن دينار ، وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبي عروبة ، وشعبة ،
ومعمر ، وحماد بن سلمة ، وأبي عوانة ، ومن أهل الكوفة إلى سفينان الثوري ،
وسفينان بن عيينة ، ومالك بن أنس^(١) ، ومن أهل الشام إلى الأوزاعي ، وانتهى
(١) كذا ، ولعل الصواب أن يذكر مالك في الطبقة السابقة في أهل الحجاز

علم هؤلاء إلى محمد بن إسحاق ، وهشيم ، ويحيى بن سعيد ، وابن أبي زائدة ،
ووكيع ، وابن المبارك ، وهو أوسع هؤلاء علماً ، وابن مهدي ، ويحيى بن آدم ،
وصار علم هؤلاء جميعاً إلى يحيى بن معين .

وقال أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو
بحديث ، وكان يقول : ههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن ، يظهر كذب الكذابين ،
يعني يحيى بن معين .

وقال ابن الرومي : ما سمعت أحداً قط يقول الحق في المشايخ ، غير يحيى
ابن معين ، وغيره كان يتحامل بالقول .

وقال يحيى : ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته ، وأحببت أن أزين
أمره ، وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه ، ولكن أبين له خطأه فيما بيني
وبينه ، فان قبل ذلك وإلا تركته .

وكان يقول : كتبنا عن الكذابين ، وسجّرنا به القنور ، وأخرجنا به خيراً نضيحاً ،
وكان ينشد كثيراً [من السكامل] :

المال يذهب حله وحرامه طرا ، ويبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتق لاله حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوى وتكسب كفه ،

ويكون في حسن الحديث كلامه

نطق النبي لنا به عن ربه فعلى النبي صلاته وسلامه

وقد ذكره الدارقطني فيمن روى عن الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ! وقد
سبق في ترجمة الشافعي خبره معه ، وما جرى بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل
في ذلك ، وسمع أيضاً من عبد الله بن المبارك ، وسفيان بن عيينة ، وكان يحيى
يحج فيذهب إلى مكة ويرجع إلى المدينة ، فلما كان آخر حجة حجها خرج إلى

المدينة ، ورجع إلى المدينة ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم خرج حتى أتى المنزل مع رفقائه ، فباتوا ، فرأى في النوم هاتفاً يهتف به : يا أبا زكريا ، أترغب عن جوارى ؟ فلما أصبح قال لرفقائه : امضوا فاني راجع إلى المدينة ، فمضوا ، ورجع ، وأقام بها ثلاثة أيام ، ثم مات فحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وسلم . وكانت وفاته لسبع ليال من ذى القعدة ، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، هكذا قاله الخطيب في تاريخ بغداد ، وهو غلط قطعاً ، لما تقدم ذكره ، وهو أنه خرج إلى مكة للحج ، ثم رجع إلى المدينة ، ومات بها ، ومن يكون قد حج كيف يتصور أن يموت بذى القعدة من تلك السنة ؟ فلو ذكر أنه توفي في ذى الحجة ، لا يمكن ، ويحتمل أن يكون هذا غلطاً من الناسخ ، لكنني وجدته في نسختين على هذه الصورة ، فيبعد أن يكون من الناسخ ، والله أعلم .

ثم ذكر بعد ذلك : أن الصحيح أنه مات قبل أن يحج ، وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة .

ثم نظرت في كتاب « الإرشاد » ، في معرفة علماء الحديث » ، تأليف أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل الحافظ ، أن يحيى ابن معين المذكور توفي لسبع ليال بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة ، فعلى هذا يكون قد حج .

وذكر الخطيب أيضاً أن مولده كان آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ، ثم قال بعد ذكر وفاته : إنه بلغ سبعة وسبعين سنة إلا عشرة أيام ، وهذا أيضاً لا يصح من جهة الحساب ، فتأمل .

ورأيت في بعض التواريخ أنه عاش خمساً وسبعين سنة ، والله أعلم .

وصلى عليه وإلى المدينة ، ثم صلى عليه مراراً ، ودفن بالبقيع ، وكان بين يدي جنازته رجل ينادى : هذا الذي كان ينفي السكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورثاه بعض المحدثين فقال [من الكامل] :

ذهب العلم بعيب كل محدث وبكل مختلف من الإسناد
وبكل وهم في الحديث ومشكل يعيا به علماء كل بلاد
رضى الله عنه !

ومَعِين: بفتح الميم ، وكسر العين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبمدها نون .
وبِسْطَام: بكسر الباء الموحدة ، وسكون السين المهملة ، وفتح الطاء المهملة ،
وبعد الألف ميم .

والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه

ورأيت في بعض التواريخ أنه يجي بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن
بسطام مولى الجنيد بن عبد الرحمن الغطفاني المرى أمير خراسان من قبل هشام
ابن عبد الملك الأموي ، والأول أشهر وأصح ، أعني النسب .

والمرى - بضم الميم ، وتشديد الراء - هذه النسبة إلى مرة غطفان ، وهو مرة
ابن عوف بن سعيد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهي قبيلة كبيرة
مشهورة ، وفي العرب عدة قبائل تنسب إليها يقال لكل واحدة منها مرة .

وأما نَقِيَايَ فقال ابن السمعاني في كتاب الأنساب : إنها بفتح النون وكسر
القاف أو فتحها ، وبعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان ، وبعد الألف ياء ثانية ، وهي
من قرى الأنبار منها يجي بن معين النقيابي ، قال الخطيب : ويقال إن فرعون
كان من أهل هذه القرية ، والله أعلم .

(٧٦٣)

أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن سِلَاس — وقيل : وسِلَاسن —
ابن شَمَّال بن مَنَقَايا ، الليثي

أبو محمد يحيى
ابن يحيى بن
كثير الليثي

أصله من البربر من قبيلة يقال لها مَصْمُودَة ، مولى بنى ليث ، فنسب إليهم ،
وجده كثير يكنى أبا عيسى ، وهو الداخل إلى الأندلس ، وسكن قرطبة ، وسمع
بها من زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبظون^(١) القرطبي ، راوى
موطأ مالك بن أنس رضى الله عنه ، وسمع من يحيى بن مضر القيسي الأندلسي ،
ثم رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فسمع من مالك بن أنس الموطأ
غير أبواب في كتاب الاعتكاف ، شك في سماعه فيها فأثبت روايته فيها عن زياد ،
وسمع بمكة من سفيان بن عيينة ، وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب
وعبد الرحمن بن القاسم ، وتفق بالمدينتين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد
انتفاعه به وملازمته له ، وكان مالك يسميه عاقل أهل الأندلس ، وسبب ذلك
فيما يروى أنه كان في مجلس مالك جماعة من أصحابه ، فقال قائل قد حضر الفيل ،
فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه ، ولم يخرج يحيى ، فقال له مالك : مالك لا
تخرج فتراه لأنه لا يكون بالأندلس ؟ فقال : إنما جئت من بلدى لأنظر إليك وأتلم
من هديك وعلمك ، ولم أجد . لأنظر إلى الفيل ، فأعجب به مالك وسماه عاقل
أهل الأندلس ، ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس ، وانتهت إليه الرياسة بها ، وبه انتشر
مذهب مالك في تلك البلاد ، وتفق به جماعة لا يحصون عدداً ، وروى عنه خلق
كثير ، وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى بن يحيى المذكور ، وكان مع إمامته
ودينه معظماً عند الأمراء مكيئافياً عن الولايات متنزهاً ، جلست رتبته عن القضاء ،
فكان أعلى قدراً من القضاة عند ولادة الأمر هناك لزمه في القضاء ، وامتناعه منه .

(١) في ب «شبظون» بالسین المهملة ، وانظر نفع الطيب ج ٢ ص ٢١٧ بتحقيقنا

قال أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي المقدم ذكره : مذهبنا انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة ، فانه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - كانت القضاة من قبله ، فكان لا يولي قضاء البلدان من أقصى المشرق إلى أقصى إفريقيا إلا أصحابه والمنتمين إليه وإلى مذهبه ، ومذهب مالك بن أنس عندنا في بلاد الأندلس ، فان يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاة ، فكان لا يلي قاض في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره ، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع إلى الدنيا ، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به ، على أن يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ، ولا أجاب إليه ، وكان ذلك زائداً في جلالته عندهم ، وداعياً إلى قبول رأيه لديهم .

وحكى أحمد بن أبي الفياض في كتابه قال : كنت عند الأمير عبد الرحمن ابن الحكم الأموي المعروف بالمرتضى صاحب الأندلس ، فأرسل إلى الفقهاء يستدعيهم إليه ، فأتوا إلى القصر ، وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر رمضان إلى جارية له كان يحبها حباً شديداً ، فعبث بها ، ولم يملك نفسه أن وقع عليها ، ثم ندم نداماً شديداً ، فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته ، فقال يحيى ابن يحيى : يكفر ذلك بصوم شهرين متتابعين ، فلما بدر يحيى بن يحيى بهذه الفتياسكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده ، فقال بعضهم لبعض وقالوا ليحيى : مالك لم تفته بمذهب مالك ، فعنده أنه مخير بين العتق والإطعام والصيام ؟ فقال : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يظاً كل يوم ويعتق رقبة فيه ، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود .

ولما انفصل يحيى عن مالك ليعود إلى بلاده ، ووصل إلى مصر - رأى عبد الرحمن بن القاسم يدون سماعه من مالك ، فنشط إلى الرجوع إلى مالك ليسمع منه المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه ، فرحل إليه ثانية ، فألفي

مالكاً عليلاً ، فأقام عنده إلى أن مات ، وحضر جنازته ، فعاد إلى ابن القاسم ، وسمع منه سماعه من مالك ، ذكر ذلك أبو الوليد بن الفرّاض في تاريخه .

وذكر أيضاً فيه ما مثاله : وانصرف يحيى بن يحيى إلى الأندلس ، فكان إمام وقته ، وواحد بلاده ، وكان رجلاً عاقلاً . قال محمد بن عمر بن كنانة : فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلمها يحيى ابن يحيى .

وكان يحيى ممن اتهم ببعض الأمر في الهينج ، فخرج إلى طليطلة ، ثم استأنس ، فكتب له الأمير الحكم أماناً ، وانصرف إلى قرطبة .

وكان أحمد بن خالد يقول : لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس ، منذ دخلها الإسلام ، من الخطوة ، وعظم القدر ، وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى .

وقال ابن بشكوال في تاريخه : إن يحيى بن يحيى مُحَبَّب الدعوة ، وكان قد أخذ في نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك .

وحكى عنه أنه قال : أخذت ركاب الليث بن سعد ، فأراد غلامه أن يمنعني فقال : دعه ، ثم قال لى الليث : خذمك أهل العلم ، فلم تزل بي الأيام حتى رأيت ذلك .

ثم قال : وتوفي يحيى بن يحيى في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وقبره بمقبرة بنى عامر ، يستسقى به ، وهذه المقبرة بظاهر قرطبة . وزاد أبو عبد الله المهدي في كتاب « جذوة المقتبس » أن وفاته لثمان بقين من الشهر المذكور ، وقال أبو الوليد بن الفرّاض في تاريخه : إنه توفي سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل : سنة أربع وثلاثين في رجب ، والله أعلم بالصواب .

وأما سُلَاس : فهو بكسر الواو ، وسينين مهملتين ، الأولى منهما

ساكنة ، وبينهما لام ألف ، ويزاد فيه نون ، فيقال : وسلاسن ، ومعناه بالبربرية : سبقتهم .

وشمال : بفتح الشين المعجمة ، وتشديد الميم ، وبعد الألف لام .
ومنفأيا : بفتح الميم ، وسكون النون ، وفتح الغين المعجمة ، وبعد الألف ياء معجمة باثنتين من تحتها ، وبعدها ألف مقصورة ، ومعناه عندهم : قاتل ، والله تعالى أعلم .

[وقد تقدم الكلام على « اللثي » و « البربري » و « مصمودة »]^(١)

(٧٦٤)

أبو محمد يحيى
ابن أكرم
قاضي القضاة

أبو محمد يحيى بن أكرم بن محمد بن قطان بن سمعان بن مُشَنج ،
التميمي ، الأسدي ، المروزي ، من ولد أكرم بن صفي التميمي ،
حكيم العرب

كان فقيهاً ، عالماً بالفقه ، بصيراً بالأحكام ، ذكره الدارقطني في أصحاب
الشافعي ، رضى الله عنه !

وقال الخطيب في تاريخ بغداد : كان يحيى بن أكرم سليماً من البدعة ،
ينتحل مذهب أهل السنة ، سمع عبد الله بن المبارك ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهما ، وقد
مر ذكره في ترجمة سفيان ومادار بينهما ، وروى عنه أبو عيسى الترمذي وغيره .
وقال طلحة بن محمد بن جعفر في حقه : يحيى بن أكرم أحد أعلام
الدنيا ، وقد اشتهر أمره ، وعرف خبره ، ولم يستتر عن الكبير والصغير
من الناس فضله ، وعلمه ، ورياسته ، وسياسته لأمره ، وأمر أهل زمانه من
الخلفاء والملوك ، واسع العلم بالفقه ، كثير الأدب ، حسن المعارضة ، قائم بكل

(١) ما بين المعقوفين ثابت في ب وحدها

معضلة ، وغلب على المأمون ، حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً .
وكان المأمون ممن برع في العلوم ، فعرف من حال يحيى بن أكنم وما
هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه ، حتى قلده قضاء القضاة ، وتدير
أهل مملكته ، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً ، إلا بعد مطالعة
يحيى بن أكنم .

ولا نعلم أحداً غلب على سلطانه في زمانه ، إلا يحيى بن أكنم ،
وأحمد بن أبي دؤاد .

وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكنم ، وابن أبي دؤاد : أيهما
أنبل ؟ فقال : كان أحمد يجيد مع جاريتيه وابنته ، ويحيى يهزل مع
خصمه وعدوه .

وكان يحيى سليماً من البدعة ، ينتحل مذهب أهل السنة ، بخلاف
أحمد بن أبي دؤاد ، وقد تقدم في ترجمته طرف من اعتقاده وتعصبه للمعتزلة .
وكان يحيى يقول : القرآن كلام الله ، فمن قال : إنه مخلوق يستتاب فإن
تاب وإلا ضربت عنقه .

وذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن علي بن عبد الرحمن ، الأشنهي ،
الملقب زين الدين في كتاب الفرائض في آخر المسائل الملقبات وهي الرابعة عشر
المعروفة بالمأمونية ، وهي : أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنيتين
وخلفت من في المسألة ، سميت مأمونية لأن المأمون أراد أن يولي رجلاً على القضاء
فوصف له يحيى بن أكنم فاستحضره ، فلم احضر دخل عليه ، وكان دميم الخلق ،
فاستحقره المأمون لذلك ، فعلم ذلك يحيى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سلني إن كان القصد
على لا خلقي ، فسأله عن هذه المسألة ، فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل
أم امرأة ، فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة ، فقلده القضاء .

وهذه المسألة إن كان الميت الأول رجلاً تصح المسألتان من أربعة وخمسين وإن كانت امرأة لم يرث الجد في المسألة الثانية شيئاً لأنه أبوأُم ، فتصح المسألتان من ثمانية عشر سهماً

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن يحيى بن أكرم ولي قضاء البصرة ومنه عشرون سنة ونحوها ، فاستصغره أهل البصرة ، فقالوا : كم سن القاضي ؟ فلم أنه قد استصغر ، فقال : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن ، وأنا أكبر من كهب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على أهل البصرة ، فجعل جوابه احتجاجاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولي عتاب بن أسيد مكة بعد فتحها وله إحدى وعشرون سنة ، وقيل : ثلاث وعشرون ، وكان إسلامه يوم فتح مكة وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أصحبك وأكون معك ، فقال : أو ماترني أن أستعملك على آل الله تعالى ؟ فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : وبقي يحيى سنة لا يقبل بها شاهداً ، فتقدم إليه أحد الأمناء فقال : أيها القاضي ، قد وقفت الأمور ، وتريثت الأحوال ، فقال : وما السبب ؟ قال : في ترك القاضي قبول الشهود ، فأجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهداً وقال غير الخطيب : كانت ولاية القاضي يحيى بن أكرم القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومائتين

وقد سبق في ترجمة حماد بن أبي حنيفة أن يحيى المذكور ولي البصرة بعد إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة .
وحدث محمد بن منصور قال : كنا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي

بتحليل المتعة ، فقال يحيى بن أكرم لي ولأبي العيناء : بكرة غدًا إليه ، فان رأيتما
للقول وجهًا فقولوا ، وإلا فاسكتنا إلى أن أدخل ، قال : فدخلنا عليه وهو يستاك
ويقول وهو مغتاض : مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما ! ومن أنت يا جُعَلٍ حتى تنهى
عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ؟ فأومأ أبو العيناء
إلى محمد بن منصور وقال : رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن ، فأسكتنا ،
فجاء يحيى بن أكرم فجلس وجلسنا ، فقال المأمون لي يحيى : مالى أراك متغيرًا ؟ فقال :
هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام ، قال : وما حدث فيه ؟ قال : النداء
بتحليل الزنا ، قال : الزنا ؟ قال : نعم المتعة زنا ، قال : ومن أين قلت هذا ؟ قال :
من كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى (قد
أفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، إلى قوله : والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) يا أمير المؤمنين
زوجة المتعة ملك يمين ؟ قال : لا ، قال : فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث
وتلحق الولد ولها شرائطها ؟ قال : لا ، قال : فقد صار متجاوز هذين من العادين ،
وهذا الزهرى يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن
أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن أنادى بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها ، فالتفت إلينا
المأمون فقال : أمحفوظ هذا من حديث الزهرى ؟ فقلنا : نعم يا أمير المؤمنين ، رواه
جماعة منهم مالك رضي الله عنه ، فقال : أستغفر الله ، نادوا بتحريم المتعة ، فنادوا بها .
قال أبو إسحاق إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي القاضي الفقيه
المالكي البصري ، وقد ذكر يحيى بن أكرم ، فمظّم أمره وقال : كان له يوم
في الإسلام لم يكن لأحد مثله ، وذكّر هذا اليوم
وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب ، فتركها الناس لطولها ، وله كتب

في الأصول ، وله كتاب أورده على العراقيين سماه كتاب « التنبية » وبينه وبين داود بن علي مناظرات كثيرة ، ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال : أصلح الله القاضي كم آكل ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع ، فقال : فكم أضحك ؟ قال : حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك ، قال : فكم أبكى ؟ قال : لا نمل من البكاء من خشية الله تعالى ، قال : فكم أخفى على ؟ قال : ما استطعت ، قال : فكم أظهر منه ؟ قال : مقدار ما يقتدى بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس ، قال الرجل : سبحان الله قول قاطن ، وعمل ظاعن

وكان يحبي من أدهى الناس ، وأخبرهم بالأمور ورأيت في بعض المجاميع أن أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحبي بن أكنم من بعض المستراحات ، فوقف ، فقال له المأمون : اصعد ، فصعد وجلس على طرف السرير معه ، فقال أحمد : يا أمير المؤمنين إن القاضي يحبي صديقي ، ومن أثق به في جميع أموري ، وقد تغير عما عهدته منه ، فقال المأمون : يا يحبي إن فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم ، وما يعدل كما عندي أحد ، فهاهذه الوحشة بينكما ؟ فقال له يحبي : يا أمير المؤمنين والله إنه ليعلم أني له على أكثر مما وصف ، ولكنه لما رأى منزلي منك هذه المنزلة خشي أن أنير له يوماً فأقبح فيه عندك ، فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني ، وإنه والله لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبداً ، فقال المأمون : أ كذلك هو يا أحمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أسمتعين بالله عليكما ، فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فتنة منكما

ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به من الهفوات المنسوبة إليه الشائعة عنه ، والله أعلم بحاله فيها

وذكر الخطيب في تاريخه أنه ذكر لأحمد بن حنبل رضى الله عنه ما يرميه الناس به ، فقال : سبحان الله ! من يقول هذا ؟ وأنكر ذلك إنكاراً شديداً ،

وذكر عنه أنه كان يحسد حسداً شديداً ، وكان متفنياً ، فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث ، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو ، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ، ليقطعه ويخجله ، فدخل إليه رجل من أهل خراسان ذكرى حافظ ، فناظره ، فرآه متفناً^(١) ، فقال له : نظرت في الحديث ؟ قال : نعم ، قال : ما تحفظ من الأصول ؟ قال : أحفظ عن شريك عن أبي إسحاق عن الحارث أن علياً رضي الله عنه رَجَمَ لوطياً ، فأمسك يحيى عنه ، ولم يكلمه ثم قال الخطيب أيضاً : ودخل على يحيى بن أكرم ابننا مسعدة ، وكانا على نهاية الجمال ، فلما رآهما بمشيان في الصحن أنشد يقول [من مخلع البسيط] :

يا زائرنا من الخيام حياً كم الله بالسلام
لم تأتياي وبى نهوض إلى حلالٍ ولا حرام
يحزني أن وقفما بى وليس عندي سوى الكلام

ثم أجلسهما بين يديه ، وجعل يمازحهما حتى انصرفا

ويقال : إنه عزل عن الحكم بسبب هذه الأبيات

ورأيت في بعض الجامع أن يحيى بن أكرم مازح الحسن بن وهب المذكور في ترجمة أخيه سليمان بن وهب ، وهو يومئذ صبي ، فلاعبه ثم خشه ، فغضب الحسن ، فأنشد يحيى [من الطويل] :

أيا قرأاً خشته فتفضبا وأصبح لي من تبهه متجنباً
إذا كنت للنخميش والعض كارهاً فكُنْ أبداً يا سيدي متقبلاً
ولا تُظهر الأصدأغ للناس فتنةً وتَجعلَ منها فوقَ خديك عقرباً
فتقتل مسكيناً وتفتن ناسكاً وتترك قاضي المسلمين معذباً

وقال أحمد بن يونس الضبي : كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن أكنم القاضي ، وكان غلاماً جليلاً متناهِى الجمال ، فقرص القاضي خدّه ، فجعل الغلام واستحمياً ، وطرح القلم من يده ، فقال له يحيى : خذ القلم واكتب ما أُملى عليك ، ثم أُملى الأبيات المذكورة ، والله أعلم

وقال إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار : سمعت أبا العيّن في مجلس أبي العباس المبرّد يقول : كنت في مجلس أبي عاصم النبيل ، وكان أبو بكر ابن يحيى بن أكنم حاضراً ، فنازع غلاماً ، فارتفع الصوت ، فقال أبو عاصم : مهيم ؟ فقالوا : هذا أبو بكر بن يحيى بن أكنم ينازع غلاماً ، فقال : إن يسرق فقد سرق أب له من قبل ، هكذا ذكره الخطيب في تاريخه

وذكر الخطيب أيضاً في تاريخه أن المأمون قال ليحيى المذكور : من الذى يقول ؟ [من المنسرح] :

قاض يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوطن من باس
قال : أو ما يعرف أمير المؤمنين من القائل ؟ قال : لا ، قال : يقوله الفاجر
أحمد بن أبي نعيم الذى يقول [من المنسرح]

لأحسب الجور ينقضى وعلى الأمة والى من آل عباس
قال : فأخبر المأمون خجلاً ، وقال : ينبغي أن ينفى أحمد بن أبي نعيم إلى السند
وهذان البيتان من جملة أبيات أولها

أنطقني الدهر بعد إخراس	لنائبات أطلن وسواسي
يا بؤس الدهر لا يزال كما	يرفع ناسا يحط من ناس
لا أفلحت أمة وحق لها	بطول نكس وطول إتعاس
ترضى بيحيى يكون سائسها	وليس يحيى لها بسواس
قاض يرى الحد في الزناء ولا	يرى على من يلوطن من باس
يحكم للأمرد العزيز على	مثل جرير ومثل عباس
فالحمد لله قد ذهب الـ	مدل وقل الوفاء في الناس

أميرنا يرشى ثم حاكمنا يلو ط والرأس شر ما راس^(١)

لوصالح الدين واستقام لقد قام على الناس كل مقياس

لأحسب الجور ينقضى وعلى الأمة وال من آل عباس

وظنى أنها أكثر من هذا ، ولكن الخطيب لم يذكر إلا هذا القدر

ونقلت من أمالى أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى المقدم ذكره أن

القاضى يحيى بن أكرم قال لرجل يأنس به ويمارحه : ماتسمع الناس يقولون فى ؟

قال : ما أسمع إلا خيرا ، قال : ما أسألك لتزكىنى ، قال : أسمعهم يرمون القاضى

بالأبنة ، قال : فضحك وقال : اللهم غفراً ! المشهور عنا غير هذا

وحكى أبو الفرج الأصبهاني فى كتاب الأغاني ليحيى المذكور وقائع فى هذا الباب

وأن المأمون لما توارى المقل عن يحيى بهذا أراد امتحانه ، فأخلى له مجلسا ، واستدعاه ،

وأوصى مملوكا خزريا أن يقف عندهما وحده ، وإذا خرج المأمون يقف المملوك عند

يحيى فلا ينصرف ، وكان المملوك فى غاية الحسن ، فلما اجتمعا بالمجلس وتحدثا

وانصرف المأمون كأنه يقضى حاجة فوقف المملوك ، فتجسس المأمون عليهما ، وكان

قد قرر معه أنه يعبت بيحيى علما منه أن يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المأمون ،

فلما عبث به المملوك سمعه المأمون وهو يقول : لولا أتم لسكننا مؤمنين ، فدخل

المأمون وهو ينشد [من الطويل] :

وكنا نرجى أن نرى العدل ظاهرا فأعقبنا بعد الرجاء قوط

منى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضى قضاة المسلمين يلو ط

وهذان البيتان لأبى حكيمة راشد بن إسحاق السكاتب ، وراشده فيه

مقاطيع كثيرة

وذكر المسعودى فى مروج الذهب فى ترجمة المأمون جملة من أخبار يحيى فى

هذا الباب أضربنا عن ذكرها

(١) فى ب « أميرنا يرشى وحاكنا » وفيها « والرأس شر من راس » وليس

بشى ، والأول محرف عن « أميرنا يرشى » ، و« ما » فى « والرأس شر ما راس » زائدة

ومما يناسب حكاية المأمون مع يحيى بسؤاله عن البيت لمن هو فأجابه يحيى
ببيت آخر من القصيدة ما يروى أن معاوية بن أبي سفيان الأموي لما مرض
مرض موته واشتدت علته ، وحصل اليأس منه ، دخل عليه بعض أولاد علي
ابن أبي طالب رضى الله عنه يعمده ، ولا أستحضر الآن من هو ، فوجده قد استند
جالساً يتجلدله ، لئلا يتشفى به ، فضعف عن القهود فاضطجع وأنشد [من الكامل] :

وتجلى للشامتين أريهم أنى لرب الدهر لا أنضع
فقام المولى من عنده وهو ينشد [من الكامل]

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تيمة لا تنفع
فعجب الحاضرون من جوابه

وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي
يرثى بها بنيه ، وكان قد هلك له خمس بنين في عام واحد ، أصابهم الطاعون ،
وكانوا هاجروا معه إلى مصر ، وهلك أبو ذؤيب المذكور في طريق مصر ، وقيل :
في طريق إفريقية مع عبد الله بن الزبير

ثم وجدت في كتاب « فلك المغاني » لابن الهبّارية في الباب التاسع
من الكتاب المذكور أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما دخل
على معاوية في علته فقال : أسندوني ، ثم تمثل ببيت أبي ذؤيب ، وأنشد البيت
المذكور ، فسلم الحسن ثم أنشد البيت الثاني ، والله أعلم ، وذكرها أبو بكر بن داود
الظاهرى في كتاب الزهرة منسوبة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله
عنهما ، والله أعلم

قلت : ولم يذكر ابن الهبّارية مرض موته ، ولا الظاهرى أنه كان في علة
الموت ، ولا يمكن ذلك ، لأن الحسن توفي قبل معاوية ، والحسين لم يحضر وفاة
معاوية ، لأنه كان بالحجاز ومعاوية توفي بدمشق .

ثم وجدت في أول كتاب « التعازى » تأليف أبي العباس المبرد هذه القصة
جرت للحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

ومثل ذلك ما يحكى أن عقيل بن أبي طالب هاجر أخاه علياً والتحق
بمعاوية ، فبالغ معاوية في بره ، وزاد في إكرامه إرغاماً لعلى رضى الله عنه ، فلما
قتل على واستقل معاوية بالأمر ثقل عليه أمر عقيل ، فكان يسمعه ما يكره
لينصرف عنه ، فبينما هو يوماً في مجلس حفل بأهل الشام إذ قال معاوية : أتعرفون
أبا لُهب الذى أنزل الله فى حقه (تبت يدا أبا لُهب) من هو؟ فقال أهل الشام : لا ، فقال
معاوية : هو عم هذا ، وأشار إلى عقيل ، فقال عقيل فى الحال : أتعرفون امرأته التى
قال الله فى حقها : (وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) من هى ؟ فقالوا :
لا ، قال : هى عمه هذا ، وأشار إلى معاوية ، وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لُهب بن عبد العزى ، وهى المشار إليها فى
هذه السورة ، فكان ذلك من الأجوبة المسكتة .

ويقرب من هذا أيضاً أن بعض الملوك حاصر بعض البلاد ، وكان معه
عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد ، فكذب الملك المحاصر إلى صاحب
البلد كتاباً يشير إليه بأنه يسلم البلد إليه ولا يقاتله ، وذكر ما جاء به من الرجال
والأموال والآلات ، ومن جملة الكتاب قوله تعالى (حتى إذا أتوا على وادى
النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون) فلما وصل الكتاب إلى صاحب البلد وتأمله وقرأه على خواصه قال :
من يجاب عن هذا ؟ فقال بعض الكتاب : أنا ، فكتب إليه (فتبسم ضاحكاً
من قولها) فاستحسن الحاضرون جوابه .

ومثل هذا أيضاً ما حكاه ابن رشيق القيروانى فى كتاب «الأنموذج»
وهو أن عبد الله بن إبراهيم بن المثنى الطوسى المعروف بابن المؤذب المهدي الأصل
القيروانى البلد الشاعر المشهور كان مغرباً بالسياحة ، وطلب الكيمياء والأحجار ،
وكان محروماً ، مقترباً عليه متلاًفاً ، فإذا أفاد شيئاً أتلفه ، فخرج مرة يريد جزيرة
صقلية ، فأسره الروم فى البحر ، وأقام مدة طويلة مأسوراً إلى أن هادن ثقة الدولة

يوسف بن عبد الله بن محمد بن الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وبعث إليه بالأسرى ، فكان عبد الله المذكور فيهن بعث ، فامتدح عبد الله المذكور ثقة الدولة بقصيدة شكره فيها على صنعه ، ورجا صلته ، فلم يصله بشيء أرضاه ، وكانت فيه رغبة ، فتكلم وطلب طلباً شديداً ، وهو مستخف عند من يعرف من أهل صناعته وطالت المدة ، فخرج سكران يشترى نقلا ، فما شعر إلا وقد أخذ ، وحمله صاحب الشرطة حتى أدخله على ثقة الدولة ، فقال له : ما الذى بلغنى يا بئس ؟ قال : الحال أيد الله سيدنا الأمير ! قال : ومن هو الذى يقول فى شعره [من الكامل] :

* فالخر ممتحن بأولاد الزنا *

قال : هو الذى يقول :

* وعداوة الشعراء بئس المقتنى *

فتنمر ساعة ثم أمرله بمائة دينار ، وأخرجه من المدينة ، كراهية أن تقوم عليه نفسه ويعاقبه بعد أن عفا عنه ، فخرج منها .

وهذا المستشهد به عجزا بيتين من شعر المتنبي فى قصيدته النونية التى يمدح بها بذر بن عمار ، وأولها :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألد شكوى عاشق ما أعلننا

وهى من مشاهير قصائده ، وأول العجز الأول :

وأنه المشير عليك فى بضلة فالخر ممتحن بأولاد الزنا

وأول العجز الثانى :

ومكاييد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى

وإذ قد ذكرنا ثقة الدولة المذكور فنذكر قصيدة أبى محمد عبد الله بن محمد التنوخى المعروف بابن قاضى ميلة التى مدحه بها فى عيد النحر ، وهى قصيدة بديعة لا توجد بكاملها فى أيدي الناس ، ولقد ظفرت بها على ظهر كتاب ،

ولم يكن عندي منها سوى البعض ، ولا سمعت أحداً يروى منها إلا ذلك القدر
فأحببت إثباتها لحسنها وغرابتها وهي هذه [من الطويل] :

ينذيل الهوى دَنَعِي وقلبي المَعْنَفُ	وتَجَنِّي جفوني الوجدَ وهو المكلفُ
وإني ليدعوني إلى ما سبقته	وفارقت مغناه الأغْنُ المشنَّفُ
وأحور ساجي الطرف أماوشاحه	فصفر ، وأما ردْفه ففوف
يطيب أجاج الماء من نحو أرضه	يحيي ويندى ريحه وهو حرجف
وآيسني من وصله أن دونه	متألف تسرى الريح فيها فتلف
وغيران يجف والنوم كي لا يرى لنا	إذا نام شمالاً في الكرى يتألف
يظل على ما كان من قرب دارنا	وغفلته عما مضى يتأسف
وجون بمزن الرعد يستن ودَّقه	برى برقه كالخية الصل تطرف
كأنني إذا ملاح والرعد معول	وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سلم وصوت الرعد راق وروقه	كنفت لرقى من سوء ما تكلف
ذكرت به ربا وما كنت ناسيا	فأذكر لكن لوعة تنضعف
ولما التقينا محرمين وسيرنا	بلميك ربا والركائب تعسف
نظرت إليها والمطى كأنما	غواربها منها معاطس رُعِفُ
فقلت أما منكن من يعرف الفتى	فقد رابني من طول ما يتشوف
أراه إذا سرنا يسير حذاءنا	ونوقف أحقاف المطى فيوقف
فقلت لتربها ابلغاها بأنني	بها مستهام قالتا تملطف
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا	منى والمنى في خيفة ليس يخلف
تفاءلت في أن تبدلي طارف الوفا	بأن عن لي منك البنان المطرف
وفي عرفات ما يخبر أننى	بعارفة من عطف قلبك أسعف

وأما دماء الهدى فهي هُدًى لنا يدوم ورأى في الهوى يتألف
وتقبيل ركن البيت إقبال دولة لنا وزمان بالمودعة يعطف
فأوصلت ما قلته فتبسمت وقالت أحاديث العيافة زخرف
بعيشى ألم أخبر كما أنه فتى على لفظه بُرْدُ الكلام المفوفُ
فلا تأمنا ما استطعنا كيد نطقه وقولا ستدرى أينما اليوم أعيف
إذا كنت ترجو في منى الفوز بالني ففي الخيف من إعراضنا تتخوف
وقد أندر الإحرام أن وصالنا حرام وأنا عن مزارك نصدف
وهذا وقذفي بالحصى لك مخبر بأن النوى بي عن ديارك تقذف
وحاذر نفارى ليلة النفر أنه سريع فقل من بالعيافة أعرف
فلم أر مثيلنا خليلي مودة لكل لسان ذو غرارين مرهفُ
أما إنه لو لا أغن مهفف وأشب براق وأحور أوطف
لراجع مشتاق ونام مسهد وأيقن مرتاب وأقصر مدنفُ
وعاذلة في بذل ماملكت يدي لراج رجاني دون صحبي تعنف
تقول : إذا أفنيت مالك كله وأحوجت من يعطيكه؟ قلت : يوسف
أغر قضاعى يكاد نواله لكثرة ما يدعو إلى الشكر يحجف
إذا نحن أخلفنا مخايل ديمة وجدنا حيا معروفه ليس يخلف
سعى وسعى الأملاك في طلب العلا
فهاز وأكدوا إذ أخف وأقطفوا
ويقظان شاب البطش باللين والتقى
بكفيه ما يرجى وما يتخوف
حسام على من ناصب الدين مضلت وستر على من راقب الله مغدف
يسايره جيشان رأى وفيلق ويصحبه سيفان عزم ومرهف
(١٤ - ج ٥)

مطل على من شاءه فكأنما على حكمه صرف الردى يتصرف
 يرى رأيه مالا ترى عين غيره ويعرى به مالميس يعرى المثقف
 رعى الله من رعى حمى الدين عينه ويحمى ربه الإسلام واللبل أغضف
 ومن وعده فى مسرح الحمد مطلق وإنفاذه فى ذمة الحالم موقف
 ومن يضرب الأعداء هبلاً فينثنى
 صناديدهم والبيض بالهام تقذف
 رماهم بمجر ضعيف الأرض رزه كأن الروابى فيه بالنبل تدلف
 كأن الردينيات فى رونق الضحى أراقم فى طام من الآل ترحف
 يعود الدجى من بيضه وهو أبيض
 ويبدو الضحى من نقه وهو أكلف
 ويحجب نور الشمس بالنقع عنهم ففعل الظبا فى هامهم لا يكيف
 لهم كل عام منك جاءوك فيلق تسائل عنهم بالعوالى فتلحف
 إذا ما طووا كشحا على قرح عامهم
 وبلوا من الآلام أنشأت تعرف
 فكم من أغم الوجه عاو تركته وهاديه من عثمان لحبيه أكتف
 هو المقضب الماضى بمهواه فأنثى صريعاً تراه حبتراً وهو أسقف
 لعمرى لقد عادت فى الله طالباً رضاه وقد أبليت ما الله يعرف
 وطالبتهم فى الأهل حتى تركتهم فرادى وفى الأديان حتى تحنفوا
 فيأثقة الملك الذى الملك سهمه يراش لأكباد الأعادى ويرصف
 هنيئاً لك العيد الذى منك حسنه يروق ومن أوصافك الغر يوصف
 بدا معلم الأرجاء يزهى كأنما على عطفه وشى العراق المسقف
 أتى بعد حول زائراً عن تشوق وقد كان ذا طرف للقيك يطرف

فطوقته عزا وشنفته به فلاح لنا وهو الحلى المشتف
وقابله بالسعد نجلك جعفر فيا لك من عيد بملكين تحف
فلا زلت تستجدي فتولى وترجي
فتكفى وتستدعي لخطب فتكشف
نجزت القصيدة .

وكان ثقة الدولة المذكور ولد ، يدعى تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة ،
وكان أدبياً شاعراً ، وله الأبيات السائرة في غلامين ، على أحدهما ثوب ديباج
أحمر ، وعلى الآخر ثوب ديباج أسود ، وهى [من مجزوء الوافر] :

أرى بدرين قد طلعا على غصنين فى نسق

وفى ثوبين قد صبغا صباغ الخلد والحدق

فهذا الشمس فى شفق وهذا البدر فى غسق

وكان عمله لهذه الأبيات فى سنة سبع وعشرين وخمسةائة .

ولما توجه المأمون إلى مصر — وذلك فى سنة خمس عشرة ومائتين ،
دخلها لعشر خلون من المحرم ، وخرج منها سلخ صفر من السنة — كان معه القاضى
يحيى بن أكرم ، فولاه قضاء مصر ، وحكم بها ثلاثة أيام ، ثم خرج مع المأمون ،
وعده ابن زولاق فى جملة قضاة مصر لذلك .

وروى عن يحيى بن أكرم أنه قال : اختصم إلى فى الرصافة الجدد الخامس
يطلب ميراث ابن ابن ابن ابنه .

وكان عبد الصمد بن أبى عمرو بن المعذل بن غيلان بن المحارب بن
البحترى ، العبدى ، البصرى ، الشاعر ، المشهور ، يلزم الترداد إلى القاضى
يحيى المذكور ، ويفشى مجلسه .

وكان بعض الأحيان لا يقدر على الوصول إليه ، إلا بمشقة ، ومذلة
يقاسيها ، فانقطع عنه ، فلامته زوجته في ذلك مراراً ، فأنشدّها [من
الطويل] :

تُكَلِّفُنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا
وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِسُكْرَمَا

تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ
فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ

ولم تنزل الأحوال تختلف عليه ، وتقلب به إلى أيام المتوكل على الله ،
فلما عزل القاضي محمد بن القاضي أحمد بن أبي دؤاد عن القضاء ، فوض الولاية
إلى القاضي يحيى ، وخلع عليه خمس خلع ، ثم عزله في سنة أربعين ومائتين ،
وأخذ أمواله ، وولى في رتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي
ابن عبد الله بن العباس ، الهاشمي . فجاء كاتبه إلى القاضي يحيى ، فقال له :
سلم الديوان ، فأبى ، فقال : شاهدان عدلان على أمير المؤمنين أنه أمرني بذلك ،
فأخذ منه الديوان قهراً ، وغضب عليه المتوكل ، فأمر بقبض أملاكه ، وألزم
منزله ، ثم حج وحمل أخيه معه ، وعزم على أن يجاور ، فلما اتصل به رجوع
المتوكل له بداله في المجاورة ، ورجع يريد العراق ، فلما وصل إلى الرinde ،
توفي بها يوم الجمعة ، منتصف ذي الحجة ، سنة اثنتين وأربعين ومائتين ،
وقيل : غرة سنة ثلاث وأربعين . ودفن هناك ، رحمه الله تعالى ! وعمره ثلاث
وثمانون سنة .

وأَكْثَمُ : بفتح الهمزة ، وسكون الكاف ، وفتح التاء المشددة ، وبعدها ميم ،
وهو الرجل العظيم البطن ، والشبعان أيضاً ، يقال بالشاء المشددة ، والتاء المشددة
من فوقها ، ومعناها واحد ، ذكره في كتاب الحكم .

وحكى أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال : كان يحيى بن أكنم
القاضى صديقى ، وكان يودنى وأوده ، فمات يحيى ، فكنت أشتى أن أراه فى المنام
فأقول : ما فعل الله بك ؟ فرأيتُه مرة فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرلى
إلا أنه وبخنى ، ثم قال لى : يا يحيى خلطت على نفسك فى الدنيا ، فقلت : يا رب اتكلت
على حديث حدثنى به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة
رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنك قلت «إنى لأستحى
أن أعذب ذاتى بالنعار» فقال : قد عفوت عنك يا يحيى ، وصدق نبي ، إلا أنك
خلطت على نفسك فى دار الدنيا ، هكذا ذكره أبو القاسم القشيرى فى الرسالة .
وقطن : بفتح القاف والطاء المهملة ، وبعدها نون .

وتسمان : بفتح السين المهملة .

ومُسْتَج : كشفت عنه كثيراً من الكتب وأرباب هذه الصناعة فلم أقف
منه على حقيقة ، ثم وجدت فى نسخة من تاريخ بغداد للخطيب وهى صحيحة
مسموعة ، وقد قيد هذا الاسم بضم الميم ، وفتح الشين المعجمة ، وفتح النون
المشددة ، وفى آخره جيم هذا أقصى ما قدرت عليه ، والله أعلم بالصواب ، ثم
وجدته فى المختلف والمؤتلف لعبد الغنى بن سعيد كما قيده ههنا .

والأسيدي : بضم الهمزة ، وفتح السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها
وتشديدها ، وبعدها دال مهملة — هذه النسبة إلى أسيد ، وهو بطن من تميم
يقال له : أسيد بن عمرو بن تميم .

وقد تقدم الكلام على التميمى والمروزي .

والربذة — بفتح الراء والباء الموحدة ، والذال المعجمة ، وبعدها هاء ساكنة
وهى قرية من قرى المدينة على طريق الحاج ، ينزلونها عند عبورهم عليها ، وهى
التي نفي عثمان بن عفان أبا ذر الغفارى رضى الله عنهما إليها ، وأقام بها حتى مات
وقبره ظاهر هناك يزار .

وميلة : بكسر الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة — وهى بليدة من أعمال إفريقية .

وتوفى جعفر بن عبد الواحد القاضى المذكور ، ويكنى أبا عبد الله ، سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقيل : سنة ثمان وستين ، وقيل : سنة تسع وستين ، بطرسوس

(٧٦٥)

أبوزكريا يحيى بن معاذ ، الرازى ، الواعظ ، أحد رجال الطريقة

ذكره أبو القاسم القشيرى فى الرسالة ، وعده من جملة المشايخ ، وقال فى حقه : نسيجٌ وحده فى وقته ، له لسان فى الرجاء خصوصاً ، وكلام فى المعرفة ، وخرج إلى بلخ ، وأقام بها فى مدة ، ورجع إلى نيسابور ، ومات بها .

أبوزكريا يحيى
بن معاذ الرازى
الواعظ

ومن كلامه : كيف يكون زاهداً من لا وزع له ؟ تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك ، وكان يقول : الجوع للهريدن رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهادسياسة ، وللعارفين مكرمة ، والوحدة جليس الصديقين ، والفوت أشد من الموت ، لأن الفوت انقطاع عن الحق ، والموت انقطاع عن الخلق . والزهد ثلاثة أشياء : القلة ، والخلوة ، والجوع . ومن خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية ، وسمع إسحاق ابن سليمان الرازى ، ومكى بن إبراهيم البلخى ، وعلى بن محمد الطنافسى ، وروى عنه الغرباء من أهل الرى وهمدان وخراسان أحاديث مستندة قليلة .

وذكره الخطيب فى تاريخ بغداد فقال : قدم بغداد ، واجتمع إليه بها مشايخ الصوفية والنسك ، ونصبوا له منصة وأقعدوه عليها ، وقعدوا بين يديه يتحاورون فتكلم الجنيد فقال له يحيى : اسكت يا خروف ، مالك والكلام إذا تكلم الناس ؟ وكان له إشارات وعبارات حسنة ، فن كلامه : الكلام الحسن حسن ، وأحسن

من الكلام معناه ، وأحسن من معناه استعماله ، وأحسن من استعماله ثوابه ،
وأحسن من ثوابه رضا من يُعمل له .

ومن كلامه : حقيقة المحبة أن لا تزيد بالود ولا تنقص بالجفاء ، وكان يقول :
من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ، ومع المريدين ذهباً ، ومع العارفين دراوايقوتاً ،
فليس من حكما ، الله المريدين ، وكان يقول : أحسن شئ كلام صحيح ، من لسان
فصيح ، في وجه صبيح ، كلام دقيق ، يستخرج من بحر عميق ، على لسان رجل
رقيق ، وكان يقول : إلهي كيف أنساك ، وليس لي رب سواك ؟ إلهي لا أقول
لا أعود ، لأنني أعرف من نفسي نقض العهد ، ولكنني أقول لا أعود ، لعلى
أموت قبل أن أعود . ومن دعائه : اللهم إن كان ديني قد أخافني ، فإن حسن ظني
بك قد أجارني ، اللهم سترت علي في الدنيا ذنوباً أنا إلى سترها في القيامة أحوج
وقد أحسنت بي إذ لم تظهرها لعصاة المسلمين ، فلا تفضحن في ذلك اليوم على
رؤس العالمين ، يا أرحم الراحمين .

ودخل على علوي بيلخ زائراً له ومسلماً عليه ، فقال له العلوي : أيد الله
الأسناد ! ما تقول فينا أهل البيت ؟ قال : ما أقول في طين عجن بماء الوحي ،
وسقى بماء الرسالة ، فهل يفوح منه إلا مسك الهدى ، وعنبر التقي ؟ فحشا العلوي
فاه بالدر ، ثم زاره من الغد ، فقال يحيى بن معاذ : إن زرتنا بفضلك ، أو زرتناك
فلفضلك ، فلك الفضل زائراً ومزوراً .

ومن كلامه : ما بعد طريق ، على صديق ، ولا استوحش في طريق ، من
سلك فيه إلى حبيب

ومن كلامه : مسكين ابن آدم ، لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة .
وقال : ما صحت إرادة أحد قط فمات حتى حن إلى الموت واشتهاه اشتهاه الجائع
إلى الطعام لا يرتداف الآفات واستيحاشه من الأهل والإخوان ، ووقوعه فيما
يتحير فيه صريح عقله .

وقال : من لم ينظر في الدقيق من الورع ، لم يتصل إلى الجليل من العطاء
وقال : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن
لم تسره فلا تنمه ، وإن لم تمدحه فلا تدمه .

وقال : عمل كالسراب ، وقلب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد الرمل
والتراب ، ثم تطمع في السكواعب الأتراب ، هيئات ! أنت سكران بغير شراب
ما أكملك لو بادرت أملك ، ما أجلك لو بادرت أجلك ، ما أقواك لو خالفت
هواك .

وله في هذا الباب كل كلام مليح .
وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين ، بئسما بور ، رحمه الله تعالى !

وقال محمد بن عبد الله : قرأت على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي : مات
حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى ، وبيض وجهه ، وألحقه
بفيه محمد صلى الله عليه وسلم ! - يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من جمادى
الأولى ، سنة ثمان وخمسين ومائتين .

* * *

(٧٦٦)

أبوزكريا يحيى
ابن عبد الوهاب
(ابن منده)
المحدث

أبوزكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن الإمام أبي عبد الله محمد
ابن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد بن منده
ابن بطله بن استندار بن جهار بخت بن فيروزان

واسم منده إبراهيم ، ومنده لقب ، وقيل : اسم استندار الفيرزان - والله أعلم -
العبدى .

كان من الحفاظ المشهورين ، وأحد أصحاب الحديث المبرزين ، وقد سبق
ذكر جده أبي عبد الله محمد فى حرف الميم ، وهو أبوزكريا بن أبي عمرو بن أبي عبد الله
ابن أبي محمد بن أبي يعقوب من أهل أصبهان ، وهو محدث ابن محدث ابن محدث
ابن محدث ابن محدث ابن محدث ، وكان جليل القدر ، وافر الفضل ، واسع
الرواية ، ثقة ، حافظا ، فاضلا ، مكثرا ، صدوقا ، كثير التصانيف ، حسن السيرة
بعيد التكلف ، أوجد أهل بيته فى عصره ، خرج التخاريج لنفسه ولجماعة من
الشيوخ الأصهبانيين ، وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبى وأبا طاهر
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله
ابن فضلويه الأصهبانى وأباه أبا عمرو وعمه أبا الحسن عبيد الله وأبا القاسم عبد الرحمن
وأبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن النعمان القضاعى وأبا عبد الله محمد بن على بن محمد
الخصاص وأبا بكر محمد بن على بن الحسين الجوردانى وأبا طاهر أحمد بن محمود
التقى ، ورحل إلى نيسابور ، وسمع بها أبا بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرئ
وأبا بكر أحمد بن منصور البيهقي ، وبهمذان أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد
الهاوندى ، وبالبصرة أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله
ابن الحسين السعدانى وجماعة كثيرة سواهم ، وصنف تاريخ أصبهان وغيره من
الجموع ، ودخل بغداد حاجا ، وحدث بها ، وأملى بجامع المنصور ، وكتب عنه

الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن أبي صالح الجيلي وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي في خلق كثير لشهرته وثبته ، وروى عنه أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي الحافظ وأبو الحسن علي بن أبي تراب الرنسكوي الخياط البغدادى وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار ابن الصباغ وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء الحافظ وجماعة كثيرة

وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل ، وقال : كتب لي الإجازة بجميع مسموعاته ، ثم قال : سألت عنه أبا القاسم إسماعيل بن محمد الحافظ ، فأثنى عليه ، ووصفه بالحفظ والمعرفة والدراية ، ثم قال : سمعت أبا بكر محمد بن أبي نصر بن محمد السكفتواني الحافظ يقول : بيت ابن منده بدى بيحيى وختم بيحيى ، يريد في معرفة الحديث والعلم والفضل

وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي المقدم ذكره في مساق تاريخ نيسابور فقال : أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده ، رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا ، سافر وأدرك المشايخ ، وسمع منهم ، وصنف على الصحيحين ، وكان يروى بإسناده المتصل إلى بعض العلماء أنه قال : كثرة الضحك أمانة الحق ، والعجلة من ضعف العقل ، وضعف العقل من قلة الرأي ، وقلة الرأي من سوء الأدب ، وسوء الأدب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد داء لا دواء له ، والنائم تورث الضعائن ، وكان يروى بالإسناد المتصل إلى الأصمعي أنه قال : دخلت في البادية إلى مسجد ، فقام الإمام يصلي ، فقرأ (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) وأرتج عليه ، فجعل يكررها ويقول (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) فقال أعرابي من ورائه ، وهو قائم يصلي : يا هذا ، إن لم يذهب نوح فأرسل غيره

وكان يحيى المذكور كثيراً ما ينشد :
عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ولمشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أخيب
وكانت ولادته غداة يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة
وتوفي يوم عيد النحر سنة اثنى عشرة وخمسمائة ، بأصبهان ، ومولده بها
أيضا ، رحمه الله تعالى !

ولم يخلف في بيت ابن منده بعد مثله
وقال ابن نقطة في كتابه « إكمال الإكمال » توفي يوم السبت ثاني عشر
ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب سنة
ست وثمانين وثلثمائة ، وتوفي في جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وأربعمائة
رحمه الله تعالى !

وقد سبق الكلام على ضبط أسماء أجداده في ترجمة جده أبي عبد الله محمد

* * *

(٧٦٧)

صائن الدين
أبو بكر يحيى
ابن سعدون
الأزدى ،
القرطبي

أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد ، الأزدى ، القرطبي
الملقب صائن الدين

أحد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو
واللغة وغير ذلك .

خرج من الأندلس في عنفوان شبابه ، وقدم ديار مصر ، فسمع بالإسكندرية
أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي ، وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى
ابن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسكفي
وغيرهم ، ودخل بغداد سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وقرأ بها القرآن الكريم على
الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور

الخطاط ، وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيبويه ، وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز بن كادش وغيرهم ، وكان ديناً ورعاً عليه وقار وهمة وسكينة ، وكان ثقة صدوقاً ثبتاً نبيلاً قليل الكلام كثير الخير مفيداً ، أقام بدمشق مدة طويلة ، واستوطن الموصل ، ورحل عنها إلى أصبهان ، ثم عاد إلى الموصل ، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب «الذيل» وقال : إنه اجتمع به بدمشق ، وسمع منه مشيخة أبي عبد الله الرازي ، وانتخب عليه أجزاء ، وسأله عن مولده ، فقال : ولدت في سنة ست وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الأندلس ورأيت في بعض الكتب أن مولده سنة سبع وثمانين ، والاول أصح

وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر برؤيته وقراءته عليه ، وسيأتي ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى ، وقال : كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه .

وكنّا نرى رجلاً يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف ، فيأخذه الشيخ من يده ، ولا نعلم ماهو ، ويتركه ذلك الرجل وينذهب ، ثم تقفينا ذلك ، فعلمنا أنها دجاجة مسمومة ، كانت يرسم الشيخ ، في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها إليه ، وإذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده

وذكر في كتابه الذي سماه «دلائل الأحكام» أنه لازم القراءة عليه ، إحدى عشرة سنة آخرها سنة سبع وستين وخمسمائة .

وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيراً ما ينشد مسنداً إلى الخير الكاتب الواسطي رواها بالإسناد المتصل إليه أنهما له [من الوافر] :

جرى قلم القضاء بما يكون

فسيان التحرك ، والسكون

جنون منك أن تسمى لرزق

ويرزق في غشاوته الجنين

وقال : أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقي بن وهب بن حسان قال : أنشدنا أبو عبد الله

محمد بن منيع بمصر لنفسه [من مجزوء الكامل] :

لى حيلة فيمن ينم

وليس فى الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو

ل فيلقى فيه قليله

وتوفى الشيخ أبو بكر المذكور بالموصل فى يوم عيد الفطر سنة سبع وستين

وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! .

(٨٦٨)

أبو سليمان ، وقيل : أبو سعيد ، يحيى بن يعمر العدواني
الوشقى النحوى البصرى

أبو سليمان
يحيى بن يعمر
الوشقى ،
البصرى
النحوى

كان تابعياً ، لقي عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما ،
ولقى غيرهما ، وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسى وإسحاق بن سويد العدوى
وهو أحد قراء البصرة ، وعنه أخذ عبد الله بن أبى إسحاق القراءة ، وانتقل إلى
خراسان ، وتولى القضاء بمرو ، وكان عالماً بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب
وأخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى المقدم ذكره ، يقال : إن أبا الأسود لما
وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بنى ليث أبواباً ثم نظر فاذا فى كلام
العرب ما لا يدخل فيه ، فأقصر عنه ، فيمكن أن يكون هو يحيى بن يعمر المذكور
إذ كان عداؤه فى بنى ليث لأنه حليف لهم ، وكان شيعياً من الشيعة الأولى
القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذى فضل من غيرهم

حكى عاصم بن أبى النجود المقرئ المقدم ذكره أن الحجاج بن يوسف الثقفى
بلغه أن يحيى بن يعمر ، يقول : إن الحسن والحسين رضى الله عنهما من ذرية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحيى يومئذ بخراسان ، فكتب الحجاج
إلى قتيبة بن مسلم وإلى خراسان ، وقد تقدم ذكره أيضاً : أن ابعث إلى يحيى بن
يعمر ، فبعث به إليه ، فقام بين يديه ، فقال : أنت الذى نزعتم أن الحسن
والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله لألقين الأكر منكم
شعراً أو لنخرجن من ذلك ، قال : فهو أمانى إن خرجت ؟ قال : نعم ، قال :
فإن الله جل ثناؤه يقول (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من
قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي
المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى - الآية) قال : وما بين عيسى وإبراهيم أكثر

مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه ، فقال الحجاج : وما أراك إلا قد خرجت ، والله لقد قرأتها وما علمت بها قط ، وهذا من الاستنباطات البديعة الغربية العجيبة ، فله دره ! ما أحسن ما استخرج وأدق ما استنبط ، قال عاصم : ثم إن الحجاج قال له : أين ولدت ؟ فقال : بالبصرة ، قال : أين نشأت ؟ قال : بخراسان ، قال : فهذه العربية أئى هي لك ؟ قال : رزق ، قال : خبرني عنى هل ألحن ؟ فسكت ، فقال : أقسمت عليك ، فقال : أما إذ سألتنى أيها الأمير فانك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع ، فقال : ذلك والله اللحن السيئ ، قال : ثم كتب إلى قتيبة : إذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام .

وروى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال : قال الحجاج ليحيى بن يعمر : أسمعنى ألحن ؟ قال : فى حرف واحد ، قال : فى أى ؟ قال : فى القرآن ، قال : ذلك أشنع ، ثم قال له : ماهو ؟ قال تقول : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم - إلى قوله : أحب إليكم) فتقرؤها بالرفع ، قال ابن سلام : كأنه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به ، فقال الحجاج : لا جرم لا تسمع لى لحناً ، قال يونس : فالحق بخراسان وعليها يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة ، والله أعلم أى ذلك كان

قال ابن الجوزى فى كتاب « شذور العقود » : فى سنة أربع وثمانين للهجرة ، نفى الحجاج يحيى بن يعمر لأنه قال له : هل ألحن ؟ فقال : تلمحن لحناً خفياً ، فقال : أجلتكم ثلاثاً ، فان وجدتك بعد بأرض العراق قتلتك ، فخرج

وحكى أبو عمرو نصر بن على عن نوح بن قيس قال : حدثنا عثمان بن محصن قال : خطب أمير بالبصرة فقال : اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هواراة عليه ، فلم يدروا ما قال الأمير ، فسألو يحيى بن يعمر فقال : الهواراة الضياع ، يقول : من يتق الله فليس عليه ضياع ، قال القزاز فى كتاب « الجامع » الهورات المهالك ، واحدها هورة ، قال الرازى : فحدثت بهذا الحديث الأصمعى فقال : هذا شئ لم

أسمع به قط حتى كان الساعة منك ، ثم قال : إن كلام العرب لواسع ، لم أسمع
بذا قط .

وحكى الأصمعي قال : حدثنا أبي قال : كتب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة
وهو بخراسان إلى الحجاج كتابا يقول فيه : إنا لقينا العدو ، فاضطررناهم إلى
عرعر الجبل ، ونحن بالحضيض ، فقال الحجاج : ملابن المهلب ولهذا الكلام؟
فقال له : إن ابن يعمر عنده ، فقال : فذاك إذاً .

وكان يحيى بن يعمر يعمل الشعر وهو القائل [من الوافر] :

أبي الأرقام إلا بغض قومي قديماً أبغض الناس السميناً

وقال خالد الحذاء : كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر ،

وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف

وأخباره ونوادره كثيرة

وتوفي سنة تسع وعشرين ومائة ، رحمه الله تعالى ! .

ويَعْمَر — بفتح الياء المثناة من تحتها والميم ، وبينهما عين مهملة ، وفي
الأخير راء ، وقيل : بضم الميم ، والأول أصح وأشهر ، ويعمر — بفتح الميم — مضارع
قولهم عَمَرَ الرجل ، بفتح العين وكسر الميم ، إذا عاش زماناً طويلاً ، وإنما سمي
بذلك تفاؤلاً بطول العمر ، كما سمي يحيى بذلك أيضاً

والعَدَوَانِي — بفتح العين المهملة والواو ، وبينهما دال مهملة ساكنة ، وبعد
الآلف نون — هذه النسبة إلى عَدَوَان ، واسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان
وإنما قيل له « عَدَوَان » لأنه عَدَا على أخيه فهم بقتله

والوَشَقِي — بفتح الواو ، وسكون الشين المعجمة ، وبعدها قاف — هذه
النسبة إلى وَشَقَّة بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدَوَان المذكور .

(٧٦٩)

أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، الأسلمى ، المعروف بالفراء ،
الديلمى ، الكوفى ، مولى بنى أسد ، وقيل : مولى بنى منقر

أبو زكريا يحيى
ابن زياد الفراء
الديلمى
الكوفى
النحوى

كان أرفع الكوفيين ، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب

حكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال : لولا الفراء لما كانت عربية ، لأنه
خلصها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من
أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقراءتهم فتذهب

وأخذ النحو عن أبى الحسن الكسائى وهو الأحمر المقدم ذكره من أشهر أصحابه
وأخصهم به ، وكان قد ورد بغداد فى أيام المأمون ، فبقى يتردد على بابه مدة لا يصل
إليه ، فبينما هو ذات يوم على الباب إذ جاء أبو بشر ثمامة بن الأشرس النخعى
المعتزلى ، وكان خصيصاً بالمأمون ، قال ثمامة : فرأيت أهبه أديب ، فجلست
إليه ، ففأثنته عن اللغة فوجدته بجرأ ، وفأثنته عن النحو فشاهدته نسيج وحده
وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيها عارفا باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهراً ، وبالطب
خبيراً ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً ، فقالت له : من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء ،
فقال : أنا هو ، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون ، فأمر باحضاره لوقته ،
وكان سبب اتصاله به

وقال قطرب : دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات ، فقال
جعفر بن يحيى البرمكى : إنه قد سألنى يأمر المؤمنين ، فقال الرشيد للفراء : أتأمر ؟
فقال الفراء : يأمر المؤمنين إن طباع أهل البدو والإعراب ، وطباع أهل الحضر
اللحن ، فإذا تحفظت لم ألق ، وإذا رجعت إلى الطباع لحن ، فاستحسن الرشيد قوله
وقال الخطيب فى تاريخ بغداد : إن الفراء لما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلف ما يجمع

به أصول النحو ، وما سمع من العربية ، وأمر أن يفرد بحجرة من حجر الدار ،
ووكل به جوارى وخداما يقمن بما يحتاج إليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوق
نفسه إلى شيء ، حتى إنهم كانوا يؤذنون له بأوقات الصلاة ، وصير له الوراقين ، وألزمه
الأمناء والمنفقين ، فكان يملئ والوراقون يكتبون ، حتى صنف الحدود في سنتين
وأمر المأمون بكتبه بالخزائن ، فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس ، وابتدأ
بكتاب المعاني ، قال الراوى : وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب
المعاني ، فلم نضبظهم ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا ، فلم يزل يملئ حتى
آتمه ، ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكتبوا به ، وقالوا :
لأنخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم ، فشكا الناس إلى
الفراء ، فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك ، فقالوا : إنما صحبناك لننتفع بك ، وكل
ما صنفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب ، فدعنا نعيش به
فقال : ففما بؤهم تفتنعوا وينتفعوا ، فأبوا عليه ، فقال : سأريكم ، وقال للناس : إني
ممل كتاب معان آتم شرحا وأبسط قولاً من الذى أمليت ، فجلس يملئ ، فأملئ
الحمد في مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا : نحن نبليغ الناس ما يحبون ، فنسخوا
كل عشر أوراق بدرهم

وكان سبب إملائه كتاب المعاني أن أحد أصحابه - وهو عمر بن بكير - كان
يصحب الحسن بن سهل المقدم ذكره ، فكتب إلى الفراء إن الأمير الحسن لا يزال
يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب ، فان رأيت أن تجمع لى أصولا
وتجعل ذلك كتابا يرجع إليه فعلت ، فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى
أملئ عليكم كتابا في القرآن ، وجعل لهم يوما ، فلما حضروا خرج إليهم ، وكان
في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء ، فقال له : اقرأ ، فقرأ فاتحة الكتاب ،
ففسرها ، حتى مر في القرآن كله على ذلك ، يقرأ الرجل والفراء يفسره ، وكتابه
هذا نحو ألف ورقة ، وهو كتاب لم يعمل مثله ، ولا يمكن أحدا أن يزيد عليه

وكان المأمون قد وكل الفراء يُلقِّن ابنه النحر ، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه ، فابتدرا إلى نَعْل الفراء يقدمانها له ، فتنازعا أيهما يقدمها ، فاصطاحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة ، فقدماهما ، وكان المأمون له على كل شيء صاحبُ خبرٍ ، فرفع ذلك الخبر إليه ، فوجه إلى الفراء ، فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال : من أعز الناس ؟ قال : ما أعرف أعز من أمير المؤمنين ، قال : بلى مَنْ إذا نهض يقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضى كل واحد منهما أن يقدم له فردا ، قال : يا أمير المؤمنين ، لقد أردت منعهما عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها أو أكر نفوسهما عن شريفة حرصا عليهما ، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنه أمسك للحسن والحسين رضى الله عنهما ركائيهما ، حين خرجا من عنده » فقال له بعض من حضر : أتمسك لهذين الخدين ركائيهما وأنت أسن منهما ؟ فقال له : اسكت يا جاهل ، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل ، فقال له المأمون : لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا ، وألزمتك ذنبا ، وما وضع ما فعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، وبين عن جوهرهما ، ولقد ظهرت لى مخيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث : عن تواضعه لسلطانة ووالده ومعلمه العلم ، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما

وقال الخطيب أيضاً : كان محمد بن الحسن النقيه ابن خالة الفراء ، وكان الفراء يوماً جالساً عنده ، فقال الفراء : قلَّ رجل أنعم النظر فى باب من العلم فأراد غيره إلا سهل عليه ، فقال له محمد : يا أبا زكريا قد أنعمت النظر فى العربية ، فأسألك عن باب من الفقه ؟ فقال : هات على بركة الله تعالى ، قال : ما تقول فى رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ، ففكر الفراء ساعة ثم قال : لا شيء عليه ، فقال له محمد : ولم ؟ قال : لأن التصغير عندنا لا تصغير له ، وإنما

السجدة ثمان تمام الصلاة ، فليس للتمام تمام ، فقال محمد : ما ظننت آدمياً يلد مثلك
وقد سبقت هذه الحكاية في ترجمة الكسائي ، ونهبت عليها بما ذكرته ههنا
وكان الفراء يميل إلى الاعتزال

وحكى سلمة بن عاصم عن الفراء قال : كنت أنا وبشر العريسي المقدم ذكره
في بيت واحد عشر بن سنة ، فما تعلم مني شيئاً ، ولا تعلمت منه شيئاً
وقال الجاحظ : دخلت بغداد حين قدمها المأمون في سنة أربع ومائتين ،
وكان الفراء يحبني ، وأنا أستهي أن يتعلم شيئاً من علم الكلام ، فلم يكن
له فيه طبع

وقال أبو العباس ثعلب : كان الفراء يجلس للناس في مسجده إلى جانب
منزله ، وكان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة
وقال سلمة بن عاصم : إني لأعجب من الفراء ، كيف كان يعظم الكسائي وهو
أعلم بالنحو منه ؟

وقال الفراء : أموت وفي نفسي شيء من « حتى » ، لأنها تخفض وترفع وتنصب
ولم ينقل من شعره غير هذه الأبيات ، وقد رواها أبو حنيفة الدينوري عن
أبي بكر الطوال [من الخفيف] :

يا أميراً على جريب من الأر ض له تسعة من الحجاب

جالساً في الخراب يحجب فيه ما سمعنا بحجاب في خراب

إن تراني لك العيون بباب ليس مثلي يطبق رداً الجواب

ثم وجدت هذه الأبيات لابن موسى الملفوف ، والله أعلم
ومولد الفراء بالكوفة ، وانتقل إلى بغداد ، وجعل أكثر مقامه بها ، وكان
شديد طلب المعاش لا يستريح في بيته ، وكان يجمع طول السنة ، فإذا كان
في آخرها خرج إلى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً في أهله يفرق عليهم
ما جمعه ويوزعهم

وله من التصانيف الكتابان المقدم ذكرهما ، وهما « الحدود » و « المعاني »
وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر ، وكتاب « البهاء » وهو صغير الحجم
ووقفت عليه بعد أن كتبت هذه الترجمة ، ورأيت فيه أكثر الألفاظ التي استعملها
أبو العباس ثعلب في كتاب « الفصيح » وهو في حجم الفصيح ، غير أنه غير
ورثه على صورة أخرى ، وعلى الحقيقة ليس لثعلب في الفصيح سوى الترتيب
وزيادة يسيرة ، وفي كتاب البهاء أيضاً ألفاظ ليست في الفصيح قليلة ، وليس
في الكتابين اختلاف إلا في شيء قليل ، وله كتاب « اللغات » وكتاب
« المصادر في القرآن » وكتاب « الجمع والتثنية في القرآن » وكتاب « الوقف
والابتداء » وكتاب « المفاهر » وكتاب « آلة الكتاب » وكتاب « النوادر »
وكتاب « الواو » وغير ذلك من الكتب

وقال سامية بن عاصم : أملى الفراء كتبه كلها حفظاً ، لم يأخذ بيده نسخة إلا
في كتابين : كتاب ملازم ، وكتاب يافع ويقعة
قال أبو بكر الأنباري : ومقدار الكتابين خمسون ورقة ، ومقدار كتب الفراء
ثلاثة آلاف ورقة

وقد مدحه محمد بن الجهم بقصيدة على روى الواو الموصولة بالهاء المكسورة
أضربت عن ذكرها خوف الإطالة
وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين ، في طريق مكة ، وعمره ثلاث وستون سنة ،
رحمه الله تعالى .

والفراء — بفتح الفاء ، وتشديد الراء ، وبعدها ألف ممدودة — وإنما قيل
له فَرَّاء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها ، لأنه كان يقرئ الكلام ، ذكر ذلك
الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب ، وعزاه إلى كتاب الألقاب
وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتابه أن زياداً والد الفراء كان أقطع ، لأنه حضر
وقعة الحسين بن علي رضي الله عنهما فقطعت يده في ذلك الحرب ، وهذا عندي فيه

نظراً أن الفراء عاش ثلاثاً وستين سنة فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة ،
وحرب الحسين كانت سنة إحدى وستين للهجرة ، فبين حرب الحسين وولادة
الفراء أربع وثمانون سنة ، فكم قد عاش أبوه ؟ فان كان الأقطع جدّه
فيمكن ، والله أعلم

ومنظور : بفتح الميم ، وسكون النون ، وضم الظاء المعجمة ، وسكون
الواو ، وبعدها راء .

وقد تقدم الكلام على الديلمي وبنى أسد
وأما بنو منقر فهو : بكسر الميم ، وسكون النون ، وفتح القاف ، وبعدها
راء - وهو منقر بن عبيد بن مقاعس ، واسمه الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم بن مرّة ، وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها خلق كثير من
الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ، ومنها خالد بن صفوان وشبيب بن شبة
وصفوان وشبة ابن عبد الله بن عمرو بن الأهمم المنقرى ، وهما - أعنى خالداً وشبيباً -
المشهوران بالفصاحة والبلاغة والخطابة ، وخالد مجالس مشهورة مع أمير المؤمنين
السفاح ، ولشبيب مع المنصور والمهدى وغيرهما ، وقد تقدم ذكر خالد وشبيب
في ترجمة البحرى في حرف الواو .

(٧٧٠)

أبو محمد يحيى
ابن المبارك
اليزيدى ،
العدوى
النحوى

أبو محمد يحيى بن المبارك بن المقيرة ، العدوى ، المعروف
باليزيدى ، المقرئ ، النحوى ، اللغوى

صاحب أبي عمرو بن العلاء المقرئ البصرى ، وهو الذى خلفه فى القيام
بالقراءة بعده ، وسكن بغداد ، وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء وابن جريج
وغيرهما ، وروى عنه محمد ابنه وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وإسحاق بن إبراهيم
الموصلى ، وجماعة من أولاده وحفدته وأبو عمرو الدورى وأبو حمدون الطيب بن
إسماعيل وأبو شعيب السوسى وعاصم بن عمر الموصلى وأبو خلاد سليمان بن خلاد
وغيرهم ، وخالف أبا عمرو فى حروف يسيرة من القراءة اختارها لنفسه ، وكان
يؤدب أولاد يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميرى خال المهدي ، وإليه
كان ينتسب ، ثم اتصل بهرون الرشيد ، فجعل ولده المأمون فى حجره ، وكان
يؤدبه ، وكان ثقة ، وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو ،
وكان صدوقا ، وله التصانيف الحسنة ، والنظم الجيد ، وشعره مدون ، وصنف
كتاب نوادر فى اللغة على مثال كتاب نوادر الأصمعى الذى صنفه لجعفر البرمكى ،
وفى مثل عدد ورقه ، وأخذ علم العربية وأخبار الناس عن أبي عمرو والخليل بن
أحمد ، ومن كان معاصرها

وحكى عن أبي حمدون الطيب بن إسماعيل قال : شهدت ابن أبي العتاهية
وقد كتب عن أبي محمد اليزيدى قريبا من ألف مجلد ، عن أبي عمرو بن العلاء
خاصة ، فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة ، لأن تقدير المجلد عشر ورقات ، وأخذ
عن الخليل من اللغة أمراً عظيماً ، وكتب عنه العروض فى ابتداء وضعه له ، إلا أن
اعتماده على أبي عمرو لسعة علم أبي عمرو باللغة ، وكان أبو محمد المذكور يعلم الصبيان
بجاء دار أبي عمرو بن العلاء ، وكان أبو عمرو يدينه ويميل إليه لذكائه ، وكان

أبو محمد المذكور صحيح الرواية ، وله من التصانيف كتاب « النوادر » المقدم ذكره ، وكتاب « المقصور والممدود » ومختصر في النحو ، وكتاب « النقط والشكل » وقال ابن المنادي : أكثر من السؤال عن أبي محمد اليزيدي ومجمله من الصدق ومنزلته من الثقة ، لعدة من شيوخنا بعضهم أهل عربية وبعضهم أهل قرآن وحديث ، فقالوا : هو ثقة صدوق ، لا يدفع عن سماع ، ولا يرغب عنه في شيء ، غير ما يقوم عليه من الميل إلى المعتزلة ، وقد روى عنه الغريب أبو عبيد القاسم بن سلام ، وكفى به ، وما ذاك إلا عن معرفة منه به ، وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي في مجلس واحد ، ويقرئان الناس ، وكان الكسائي يؤدب الأمين ، وهو يؤدب المأمون ، فأما الأمين فإن أباه أمر الكسائي أن يأخذ عليه بحرف حمزة ، وأما المأمون فإن أباه أمر أبا محمد أن يأخذ عليه بحرف أبي عمرو ، قال الأثرم : دخل اليزيدي يوماً على الخليل بن أحمد وهو جالس على وسادة ، فأوسع له وأجلسه معه ، فقال له اليزيدي : أحسبني ضيقت عليك ، فقال الخليل : ما ضاق موضع على اثنين متحابين ، والدنيا لا تسع اثنين متباغضين ، وسأل المأمون اليزيدي عن شيء فقال : لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ، فقال : لله ذلك ! ما وضعت الواو قط في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا ، ووصله وحمله

وقال اليزيدي : دخلت على المأمون يوماً ، والدنيا غضة ، وعنده قينة تغنيه ، وكانت من أجل أهل دهرها ، فأنشدت [من الكامل] :

وزعمت أني ظالم فهجرتني ورميته في قلبي بسهم نافذ
فنعم هجرتك فاغفري وتجاوزي هذا مقام المستجير المائذ
هذا مقام فتى أضرب به الهوى قرح الجفون بحسن وجهك لا تذ
ولقد أخذتم من فؤادي أنسه لاشل ربي كف ذاك الآخذ

فاستعاد المأمون الصوت ثلاث مرات ، ثم قال : يا يزيدي ، أ يكون شيء أحسن

مما نحن فيه ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وما هو ؟ قلت : الشكر لمن خولاك هذا الإيعام العظيم الجليل ، فقال : أحسنت وصدقت ، ووصلني ، وأمر بمائة ألف درهم يتصدق بها ، فكأنني أنظر إلى اليدِ وقد أخرجت والمال يفرق وشكا اليزيدي إلى المأمون حاجة أصابته ودينه الحقة ، فقال : ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ماتريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الأمر قد ضاق علي ، وإن غرمائي قد أرهقوني ، فاحتل لي ، فأفكر المأمون ، واستقر الأمر على أن يحضر اليزيدي إلى الباب إذا جلس المأمون في مجلس الأئس وعنده ندماءه ، ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول أو إخراج بعض الندماء إليه ، فلما جلس المأمون حضر اليزيدي إلى الباب ودفع للخادم رقعة محتومة فأدخها إلى المأمون ففضها فاذا فيها مكتوب [من السريع]

ياخير إخوان وأصحاب هذا الطفيلي على الباب
فصبروني واحداً منكم وأخرجوا لي بعض أصحابي

فقرأها المأمون على من حضر ، وقال : ما ينبغي أن يدخل مثل هذا الطفيلي على مثل هذا الحال ، فأرسل المأمون يقول له : دخولك في مثل هذا الوقت متعذر ، فاختبر لنفسك من أحببت أن تناديه ، فلما وقف على الرسالة قال : ما أرى لنفسى اختيار سوى عبد الله بن طاهر ، فقال له المأمون : قد وقع الاختيار عليك فصر إليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فأكون شريك الطفيلي ؟ فقال : ما يمكنني رد أبي محمد عن أمره ، فإن أحببت أن تخرج إليه وإلا فافتد نفسك منه ، فقال : على عشرة آلاف درهم ، فقال : لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالسك ، فلم يزل يزيد عشرة آلاف على عشرة آلاف والمأمون يقول : لا أرضى له بذلك ، حتى بلغ مائة ألف درهم فقال له المأمون : عجلاله ، فكتب له بها إلى وكيله ، ووجه رسولا ، وأرسل إليه المأمون وهو يقول : قبض هذا المبلغ في مثل هذا الحال أصلاح لك من منادمته على مثل حاله ، فقبل ذلك منه ، وكان ظريفا في جميع أحواله

وحكى أبو أحمد جعفر البلمخي في كتابه أن اليزيدي المذكور سأل الكسائي
عن قول الشاعر [من مجزوء الرمل]

مارأينا خرباً نَقَرَّ عنه البيضَ صَقَرٌ
لا يكون العير مهراً لا يكون ، المهر مهر

الخرب - بفتح الخاء المعجمة والراء ، وفي آخرها الباء الموحدة - الذكر من
الحباري ، والعير - بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء -
وهو الذكر من حمر الوحش ، فقال الكسائي : يجب أن يكون «مهر» منصوباً على أنه
خبر كان ، ففي البيت على هذا التقدير إقواء ، فقال اليزيدي : الشعر صواب ، لأن
الكلام قد تم عند قوله «لا يكون» الثانية وهي مؤكدة للأولى ، ثم استأنف الكلام ،
فقال «المهر مهر» ، وضرب بقلنسوته الأرض ، وقال : أنا أبو محمد ، فقال له يحيى بن خالد
البرمكي : أتكتني بحضرة أمير المؤمنين ؟ والله إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن
من صوابك مع سوء أدبك ، فقال اليزيدي : إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ
قلت أنا : قول الكسائي في البيت إقواء ليس بجيد ، فان اصطلاح أرباب علم
القوافي أن الإقواء يختص باختلاف الإعراب في حرف الروي بالرفع والجر لا غير
بأن يكون أحد البيتين مرفوعاً والآخر مجروراً ، فأما إذا كان الاختلاف بالنصب
مع الرفع والجر فان ذلك يسمى إصرافاً ، لا إقواء ، وإلى هذا أشار أبو العلاء المعري
في قوله من جملة قصيدة طويلة يرثي بها الشريف الطاهر والد الرضى المرتضى
المقدم ذكرها ، وهو في صفة نعيب الغراب [من الكامل]

بنيت على الإيطاء سالمة من الإساقواء والإكفاء والإصراف
وهذا البيت متعلق بما قبله ، ولا يظهر معناه إلا بذكر ما تقدم ، ولا حاجة
بنا إلى ذكره هنا ، بل ذكرنا موضع الاستشهاد لا غير ، وقد قيل : إن الإصراف
من جملة أنواع الإقواء ، فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي ، وهذا الفصل وإن كان
دخيلاً لكنه ما خلا عن فائدة

وغالب شعر اليزيدى جيد ، وقد ذكره هرون بن المنجم المقدم ذكره في كتاب « البارع » وأورد له عدة مقاطع ، فمن ذلك قوله يهجو الأصمعى الباهلى المقدم ذكره [من المتقارب]

أَبْنِ لِي دَعْيَى بَنَى أَصَمَعَ متى كنت فى الأسرَةِ الفاضله؟
ومن أنت ؟ هل أنت إلا امرؤ إذا صح أصلك من باهله
ثم قال ابن المنجم : وهذا البيت من نادر أبيات المحدثين فى الهجاء
قلت أنا : وهذا مأخوذ من قول حماد عجرد^(١) فى بشار بن برد يهجو
نسبت إلى بُرد وأنت لغيره وهب أن بُرداً ناك أمك ، من بُرد ؟
وله أيضاً فى الهجاء :

استبقِ ود أبى المقام تل حين تدنو من طعامه
سيان كسر رغيغه أو كسر عظم من عظامه
ويصوم كرها ضيفه لم ينو أجراً فى صيامه

وقد سبق فى ترجمة أبى العباس المبرد مقطوع من شعره فى شيبه بن الوليد
وكان له أخبار ونوادر ، فمن ذلك ما رواه أنه أخذ رجلاً ادعى النبوة فأتى به إلى
المهدى فقال له : أنت نبى ؟ فقال : نعم ، فقال : وإلى من بعثت ؟ فقال : وهل تركتمونى
أذهب إلى أحد ؟ ساعة بعثت وضيعتمونى فى الحبس ، فضحك المهدى ، واستتابه
وكان لليزيدى خمسة بنين ، كلهم علماء أدباء شعراء رواة لأخبار الناس ، وهم :
أبو عبد الله محمد ، وإبراهيم ، وأبو القاسم إسماعيل ، وأبو عبد الرحمن عبد الله ،
وأبو يعقوب إسحاق ، وكلهم ألف فى اللغة والعربية ، وكان محمد أسنهم وأشعرهم ،
وهو القائل فيما رواه ديعيل بن على الخزاعى المقدم ذكره من جملة أبيات [من الوافر]

أنظن والذى تهوى مُقيمٌ لعمرك إن ذا خطر عظيم
إذا ما كنت للحدثان عوناً على مع الزمان فمن ألوم
شقيتُ به فما أنا عنه سألٍ ولا هو إذ شقيت به رحيمٌ

وهو القائل

يا بعيد الدار موصو لا بقلبي ولساني

ربما باعدك الدهر فأدنتك الأمانى

وله أشعار كثيرة جيدة ، وكان يؤدب المأمون مع أبيه ، وثقل سمعه في آخر عمره ، وكان قد خرج مع المأمون إلى خراسان وأقام بخدمته في مدينة مرو ، ثم بقي إلى أيام المعتصم ، وخرج معه إلى مصر ، فتوفي بها ، رحمه الله تعالى !

وأما والده أبو محمد المذكور فإنه توفي سنة اثنتين ومائتين ، رحمه الله تعالى ! بخراسان والظاهر أنه كان بمرءه فإنه كان قد خرج مع المأمون من بغداد ، وكانت إقامة المأمون بمرو ، ثم وجدت في طبقات القراء لأبي عمرو الداني أنه توفي في التاريخ المذكور بمرو ، ثم قال بعد ذلك : وقال ابن المنادى : وقيل : إنه بلغ من السن دون المائة بأعوام يسيرة ، ومات بالبصرة ودفن بها ، والاول أصح ، والله أعلم

وقد تقدم في حرف الميم ذكر حفيد أبي عبد الله محمد بن العباس بن أبي محمد اليزيدى المذكور ، وشرح طرف من أخباره وفضله ، وتاريخ وفاته

والعدوى — بفتح العين والdal المهملتين ، وكسر الواو — هذه النسبة إلى عدى بن عبد منكة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهي قبيلة مشهورة ، ولم يكن أبو محمد المذكور منهم ، وإنما كان من مواليهم ، كان جده المغيرة مولى لامرأة من بني عدى فنسب إليهم ، وقد سبق في أول هذه الترجمة ذكر سبب نسبته إلى يزيد ، فأغنى عن الإعادة

وفي ذريته جماعة كثيرة أفاضل مشاهير أصحاب تصانيف وأشعاره رائعة مشهورة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت شيئاً منها ، واليزيديون يفتخرون بالكتاب الذى وضعه إبراهيم بن أبي محمد المذكور في اللغة ، وسماه كتاب « ما اتفق لفظه وافترق معناه » جمع فيه كل الألفاظ المشتركة في الاسم المختلفة في المسمى ، ورأيت في أربع مجلدات ، وهو من الكتب النفيسة ، يدل على غزارة علم مؤلفه وسعة اطلاعه ، وله

غير ذلك تأليف حسنة نافعة ، وكذلك بقية اليزيديين صنفوا كتباً مشهورة مشكورة .
 وكان يزيد الحميري خال المهدي مقدما في دولة بني العباس ، ولى للمنصور
 البصرة واليمن ، ومات في سنة خمس وستين ومائة بالبصرة ، وفيه قال بشار بن
 برد الشاعر المقدم ذكره [من الطويل]

أيا خالداً قد كنت مياح عمره صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطي^(١)
 وكنت جواداً سابقاً ثم لم تزل بآخر حتى جئت تخطو من الخاطي
 فأنت بما تزدد من طول رفعة وتنقص من مجد كذاك بافراط
 كنور عبد الله بيع بدرهم صغيراً ، فلما شب بيع بقيراط

قلت : قد كشفت عن سنور عبد الله المظان ، وسألت أهل المعرفة بهذا
 الشأن ، فما عرفت الخبر عن ذلك ، ولا عثرت له على أثر ، والله أعلم ، ثم ظفرت
 بقول الفرزدق ، وهو [من الوافر] :

رأيت الناس يزددون يوماً ويوماً في الجميل وأنت تنقص
 كمثل الهر في صغرٍ يُغالي به حتى إذا ما شب يرخص

ومن ههنا أخذ بشار قوله ، وليس المراد هرابعينه ، بل هو يكون له قيمة في
 صغره ، وينقص منها في كبره

* * *

(١) هكذا في أصول الكتاب ، ولعل أول البيت « أبا خالد »

(٧٧١)

أبوزكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام ، الشيباني ، التبريزي
المعروف بالخطيب ، أحد أئمة اللغة

أبوزكريا يحيى
بن علي
التبريزي
(الخطيب)
اللغوي

كانت له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ
أبي العلاء المعري ، وأبي القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبي محمد الدهان اللغوي ،
وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم
ابن أيوب الرازي ، ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف
الدلال الساوي البغدادي ، وأبي القاسم عبد الله بن علي ، وغيرهم ، وروى عنه
الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ
أبو الفضل محمد بن ناصر ، وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن
سعد الخير بن محمد بن سهل الأندلسي ، وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق
كثير ، وتلمذوا له . وذكره الحافظ أبو سعيد السمعي في كتاب الذيل وكتاب
الأنساب ، وعدّد فضائله ، ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن
الحسن بن خير بن المقرئ يقول : أبوزكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضى
الطريقة ، وذكر عنه أشياء ، ثم قال : وذات كرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر
الحافظ بما ذكره ابن خيرون ، فسكت عنه ، وكأنه ما أنكر ما قال ، ثم قال : ولكن
كان ثقة في اللغة وما كان ينقله ، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة ، منها
« شرح الحماسة » وكتاب « شرح ديوان المتنبي » وكتاب « شرح سقط الزند »
وهو ديوان أبي العلاء المعري ، و « شرح المعلقات السبع » و « شرح المفضليات »
وله « تهذيب غريب الحديث » و « تهذيب إصلاح المنطق » ، وله في النحو
مقدمات حسنة ، والمقصود منها أسرار الصنعة ، وهي عزيمة الوجود ، وله كتاب
« السكافي » ، في علم العروض والقوافي ، وكتاب في إعراب القرآن ، سماه

« الملخص » رأيت في أربع مجلدات ، وشروحه لكتاب الحماسة ثلاثة : أكبر ، وأوسط ، وأصغر ، وله غير ذلك من التأليف ، وقد سبق في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ ذكره ، وما دار بينهما عند قراءته عليه بدمشق ، فلينظر هناك ، ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد .

وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري : أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة ، تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف ، وأراد تحقيق ما فيها ، وأخذها عن رجل عالم باللغة ، فدل على المعري ، فجعل الكتاب في محلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ، ولم يكن له ما يستأجر به مراكباً فنجد العرق من ظهره إليها ، فأثر فيها الببل ، وهى ببعض الوقوف ببغداد ، وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة ، وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، هكذا وجدت هذه الحكاية مسطورة في كتاب « أخبار النحاة » الذى ألفه القاضى الأكرم ابن القفطى الوزير بمدينة حلب كان ، رحمه الله تعالى ! والله أعلم بصحة ذلك .

وكان الخطيب المذكور قد دخل مصر في عنفوان شبابه ، فقرأ عليه بها الشيخ أبوالحسن طاهر بن بابشاذ النحوى المقدم ذكره شيئاً من اللغة ، ثم عاد إلى بغداد ، واستوطنها إلى الممات ، وكان يروى عن أبى الحسن محمد بن المظفر ابن محيرز البغدادى جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعانى في كتاب « الذيل » في ترجمة الخطيب ، وهى من أشهر أشعاره [من الطويل] :

خليلي ما أحلى صبحى بدجلة	وأطيب منه بالصرة غبوقى
شربت على الماءين من ماء كرمه	فكانا كدّر ذائب وعقيق
على قمرى أفق وأرض تقابلا	فمن شائق حلوهوى ومشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه	وما زال يسقيني ويشرب ريقى

وقلت لبدر التَّمُّ : تعرف ذا الفقى ؟ فقال : نعم ، هذا أخى وشقيقى

وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه ، والبيت الأخير منها يستمد من معنى قول أبى بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة الأندلسى فى مدح المعتمد بن عباد ، صاحب إشبيلية المقدم ذكره ، من جملة قصيدة طويلة [من الطويل] :

سألت أخاه البحر عنه فقال لى : شقيقى إلا أنه الساكنُ العنبُ
ما كفاه أنه جعله شقيق البحر حتى رجحه عليه ، فقال « الساكن العنب »
والبحر مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه ، وأول هذه القصيدة :
بكت عند توديعى فمألم الركبُ أذاك سقيطُ الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سربٌ وإنى لخطيئ نجومُ الدياجى لا يقال لها سربُ
وهى قصيدة طويلة ، ولولا خوف الإطالة والخروج عما نحن بصدد ذكرها
كلها ، ولكن يكفى منها هذا الأتموج .

وكان الخطيب أيضا يروى عن ابن محيرز المذكور ، ومن شعره قوله [من المديد] :

يا نساء الحى من مضر إن سلمى ضرة القمر
إن سلمى لا فُجِعَتْ بها أسلمت طرفى إلى السهر
فهى إن صدت وإن وصلت مهجتي منها على خطر
وبياض الشعر أسكنها من سواد القلب والبصر

والخطيب المذكور شعر ، فمن ذلك قوله [من الوافر] :

فمن يسأم من الأسفار يوماً فانى قد سئمت من المقام
أقما بالعراق على رجال لئام ينتمون إلى لئام

وقال الخطيب المذكور : كتب إلى العميد الفيض [من مجزوء الرمل] :

قل ليحيى بن علي والأقاويل فنون
غير أنى لست من يكذب فيها ويخون
أنت عين الفضل إن مدَّ إلى الفضل عيون
أنت من عزَّ به الفضل وقد كاد يهون
فُتت من كان وأتعبت لعمرى من يكون
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون
وإذا قيس بك الكل فصحو ودُجُون
وإذا فتش عنهم فالأحاديث شجون
قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون
ووزنا بك من كان فقليل وقيون
أين شييان وأزد كل ما زال ظنون
إنك الأصل ومن دو نك فى العلم غصون
إنك البحر وأعيا ن ذوى الفضل عيون
ليس كالسيف وإن حلى فى الحكيم جفون^(١)
ليس كالقدح المعلى ليس كالبیت الحجون
ليس كالجد وإن آ نس هزل ومجون
ليس فى الحسن سواء أبداً بيض وجون
ليس كالأبكار فى اللطف وإن راقتك عون
قلت للحساد كونوا كيف شئتم أن تكونوا
سبق الزائد بالفضل فعزوا أو فهونوا

(١) قوله « وإن حلى » راجع إلى الجفون

دمت ما خالف في الحد حراك وسكون
وتلقاك المني ما قر بالطير الوكون
إن ودى لك عما يصمُ الود مصُونُ
ليس لي فيه ظهور تتنافى أو بطون
بل لقلبي فيك صب بالمصافاة يكون
غائق الرهن وقد تغلق في الحب رهُونُ
ومن الناس أمين في هواه وخُونُ

وقال ابن الجوالقي : قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى
العميد الفيض المذكور هذه الأبيات [من الكامل] :

قل للعميد أخي العلا الفيض أنا قطره من بحرك الفيض
شرفتني ورفعت ذكري بالذي البستنيه من الثنا الفضفاض
ألبستني حلل القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض
إني أتيتك بالخصى عن لؤلؤ أبرزته من خاطر مرراض
وبخاطري عن مثل ذاك توقف ما إن يكاد يجود بالأبعاض
العارض البحر الغطامط جدول أم درة تنقاس بالرضراض
يا فارس النظم المرصع جوهرًا والنثر يكشف غمة الأمراض
يرمى به الغرض البعيد وقد غدا

فكري يقصر عن مدى الأغراض
لا تلزمني من ثنائك موجبا حقا فلست لحقه بالقاضى
فلقد عجزت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض
أنعم على ببسط عذرى إننى أقررت عند نذاك بالإفراض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .
وتوفي فجأة يوم الثلاثاء ليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة
ببغداد ، ودفن في مقبرة باب أبرز^(١) ، رحمه الله تعالى ! .
وبسطام : بكسر الباء الموحدة ، وسكون السين المهملة ، وفتح الطاء المهملة
وبعد الألف ميم .
وقد تقدم الكلام على الشيباني ، والتبريزي ، فأغنى عن الإعادة .

(٧٧٢)

أبو الحسين يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور ، الزواوى ، الملقب
زين الدين
أبو الحسين
يحيى بن
عبد المعطى
الزواوى ،
الحنفى ،
النجوى

كان أحد أئمة عصره فى النحو واللغة ، وسكن دمشق زماناً طويلاً ،
واشتغل عليه خلق كثير ، وانتفعوا به ، وصنف تصانيف مفيدة ، ثم إن الملك
الكامل أُرغبه فى الانتقال إلى مصر فسافر إليها ، وتصدّر بالجامع العتيق بمصر
لإقراء الأدب ، وقرّره على ذلك جار .
ولم يزل إلى أن توفي فى سلخ ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وستمائة ،
بالقاهرة ، ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الإمام الشافعى رضى الله
عنه ! وقبره هناك ظاهر .

ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! .
والزواوى : بفتح الزاى ، وبين الواوين ألف — هذه النسبة إلى زواوة ،
وهى قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال إفريقية ذات بطون وأفخاذ ، والله أعلم .

(١) فى بعض الأصول « باب أبرز » بتقديم الزاى

(٧٧٣)

أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، المعروف بابن المنجم ،
واسمه (١) أبان بن حسيس بن وريد بن كاد بن مهاسد بن ادحيس
ابن مروح داد بن أساد بن مهر حسيس بن يزجرد

أبو أحمد يحيى
ابن علي
(ابن المنجم)

كان في أول أمره نديم الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله ، والموفق
المذكور هو والد المعتضد بالله ، ولم يل الموفق الخلافة ، بل كان نائباً عن أخيه
المعتمد على الله ، ولم يزل في محاربة القرامطة ، وأمره في ذلك مشهور ، وقصته
طويلة ، وليس هذا موضع ذكرها ، ثم إن يحيى المذكور نادم الخلفاء بعد الموفق
واختص بمنازمة المكتفي بالله بن المعتضد ، وعلت رتبته عنده ونقدم على خواصه
وجلسائه ، وكان متكلماً معتزلي الاعتقاد ، وله في ذلك كتب كثيرة ، وكان له
مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي ، وصنف كتباً كثيرة ، فمن
ذلك كتاب « الباهر » في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ، ابتداء فيه ببشار بن
برد ، وآخر من أثبت فيه مروان بن أبي حفصة ، ولم يتممه ، وتممه ولده أبو الحسن
أحمد بن يحيى ، وعزم على أن يضيف إلى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين
فذكر منهم أبا دلالة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس وأبا علي
البصير ، وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلماً فقيهاً على مذهب أبي جعفر الطبري
وله كتب صنفها منها كتاب « أخبار أهلهم ونسبهم في الفرس » وكتاب « الإجماع »
في الفقه على مذهب أبي جعفر الطبري ، وكتاب « المدخل إلى مذهب الطبري »
ونصرة مذهبه ، وكتاب « الأوقات » وغير ذلك

وليحيى المذكور مع المعتضد وقائع ونوادر ، فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن

(١) هكذا وقعت هذه الأسماء في أصول هذا الكتاب ، وهي في كتاب الفهرست
لابن النديم على وجه آخر هكذا « اسم أبي منصور أبان حسيس بن وريد بن كاد بن
مهاسد بن ادحيس بن مروح داد بن استاد بن مهر حسيس بن يزجرد »

على بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب « مروج الذهب » عن يحيى المذكور أنه قال : كنت يوماً بين يدي المعتضد وهو مغضب ، فأقبل بدر مولاه ، وكان شديد الغرام به ، فلما رآه من بعيد ضحك وقال : يا يحيى ، مَنْ الذي يقول من الشعراء [من البسيط] :

في وَجْهه شافع يمحو إساءته من القلوب وَجِيهٌ حينما شفعاً
فقلت : يقوله الحكم بن عمرو الساري ^(١) ، فقال : لله دره ! أنشدني هذا الشعر ، فأنشدته :

وَيْلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النُّومَ فامتنعاً وزادَ قلبي على أوجاعه وَجَعاً
كَأَنَّما الشَّمْسُ مِنْ أَعْطَافِهِ لَمَعَتْ حسناً أو البدرُ من أزراره طلعاً
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت منه الذنوبُ ومعدور بما صنعا
في وَجْهه شافع يمحو إساءته من القلوب وَجِيهٌ حينما شفعاً
وذَكَرَ أبو الفتح كشاجم الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه « المصايد والمطارد »
في الفصل الذي ذكر فيه صيد الأسد بالنشاب ، مأمثاله : حدث أبو أحمد يحيى
ابن علي بن يحيى المنجم النديم نديم المكتفي بالله قال : وجد علي أمير المؤمنين
المكتفي بالله عند منصرفه من الرقة لركوبه الماء منها إلى المرحلة الأولى قبل
أن يركبه هو ، وذلك أن أبا العباس أحمد بن عبد الصمد حملني على ذلك ،
وسألني أن أكون معه في سفينة ، ففعلت ، ولم أظن أن المكتفي ينكر ذلك ،
ولا يحتمل تأخيرى عنه ولا إحلالى به ، فلما صرنا إلى الدالية أمر بأن أرد منها
إلى قرقيسيا وأقيم بها حتى أصيد سبعاً وأحضره إليه ، فردني ورد معي عدة من
المغنين كانوا قد ركبوا الماء ، فكتببت إليه بأبيات ، فلم تعطفه ، فرجعت إلى
الرحبة ، وأقيمت عند أبي محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطر بلى في قَصَفٍ
وشرب وصَبُوحٍ وَغُبُوقٍ ، وهو على غاية السرور بمقامي عنده ، وكان معنا أبو جعفر

(١) الذي في المروج (٢٧٨/٤ بتحقيقنا) « يقوله الحكم بن قنبرة المازني البصري »

محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك الزياني ، فكتبت من الرحمة كتابا إلى
الوزير أبي الحسين القاسم بن عبيد الله ، وأنفذت فيه شعراً أسأله أن يقرأه على
المسكتفي ، وهو [من الخفيف] :

تس الدهر أن يسروا أن يسعدنا ، بالأحبة الاجتماع

فرماني وإخوة لي بسهم نقر النفس فهي منه شعاع

فرددنا إلى وراء ومرر الناس قدماً فاشتدت الأوجاع

لو سمعنا بمثل ما نالنا أفـ زعنا منه في سوانا السماع

كلّفونا صيد السباع وإنا لبخير إن لم تصدنا السباع

إن عصينا فواجب ، أي قوم كلّفوا فوق طوقهم فأطاعوا ؟

كل شيء يجوز تكليفه الإنسان إلا ما كان لا يسطاع

لم تنزل تمزج الملوك ولكن مع ذاك المزاج جود وساع

وتواني الوزير عنا فضعنّا في سبيل الإله حق مضاع

قدمدنا الأيدي إليه وأضحت عائدات بفضل الأطلاع

شافع لا يخاف رداً إذا رُدَّ عما تريده الشفّاع

عبثت الملوك يتبعها الأنس وأتمارها عطايا تباع

أولنا يا ولي دولته خيراً لديه فالخير النفع

وأنفذ الكتاب مع محمد بن سليمان الخرائطي في الخرائط ، فلم يضعه القاسم

من يده حتى دخل على المسكتفي ، فقرأه عليه ، وأنشده الأبيات ، فاستحسنها

وقال : يكتب الساعة بتخلية سبيله ، وحمله إلينا ، فلم يكن أسرع من أن وافاني

الرسول ، فوافيت وأنشدت المسكتفي ببغداد [من الخفيف] :

عاد ليلى القصير في كرخ بغداد بقرقيسيا على طويلا

أجسلا أن تتركوني وتمضو ن رهيناً بها غريباً ذليلاً ؟

مفرداً بالعقاب مشترك الذنب — ب فصبراً حسبي بربي وكيلا
إن قضى الله لي رجوعاً إلى بغداد لا هالكاً بمعنى قتيلاً
وأراني الخليفة المكتفي بالله وابن الخلائف المأمولا
كالذي قد عهدت لا معرضاً عني ولا واجداً ولا مستحيلاً
كل شيء أسامه حسن عندى إذا الرأى منه كان جميلاً
فاستحسنها ، ورق لشكواى بها ، حتى تبينت ذلك فى وجهه وكلامه
وأخبار ينجي ومحاسنه كثيرة
وكانت ولادته سنة إحدى وأربعين ومائتين
وتوفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلثمائة
رحمه الله تعالى !
وقد تقدم ذكر والده على وأخيه هرون وابن أخيه على ، ولم أرفع فى نسبهم
إلا فى هذه الترجمة لأنى لم أظفر بالنسب على هذه الصورة إلا لما وصلت إلى
هذا الموضع ، فنقلته كما وجدته من كتاب الفهرسة^(١) لأنى الفرج محمد بن إسحاق
النديم ، ولم أضبط شيئاً من أسماء أجداده ، لأنى لم أتحقق فيها شيئاً ، فنقلتها
كما وجدتتها .

(١) انظر فهرست ابن النديم (مصر) ص ٢٠٥ فى « أخبار آل المنجم على النسق »

(٧٧٤)

أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقی^(١) ، الأندلسی ، القرطبی
الشاعر المشهور

أبو بكر يحيى
بن عبد الرحمن
(ابن بقی)
الأندلسی
القرطبی
الشاعر

صاحب الموشحات البديعة ، قال الفتح [بن] محمد بن عبد الله القيسي في كتاب
«مطمح الأنفس» في حق أبي بكر المذكور : إنه كان نبیلاً في النثر والنظام ، كثير
الارتباط في سلكه والانتظام ، أحرز خصالاً ، وطرز محاسنه بُكرًا وأصلاً ،
وجرى في ميدان الإحسان إلى أبعد أمد ، وبني من المعارف على أثبت عمَد ، إلا
أن الأيام حرمته ، وقطعت حبل رعايته وصرمته ، ولم تم له وطرا ، ولم تسجم عليه
من الحظوة مطراً ، ولا نولته من الحرمة نصيباً ، ولا أنزلته مرعى خصيباً ، فصار
راكب صهوات ، وقاطع فلوات ، لا يستقر يوماً ، ولا يستحسن قوماً ، مع توهم
لا يظفره بأمان ، وتقلب ذهن كواهي الجمان ، إلا أن يحيى بن علي بن القاسم نزع
عن ذلك الطيش ، وأقطعته جانباً من العيش ، وأرقاه إلى سمائه ، وسقاه صوب
نعمائه ، وفيأه ظلاله ، وبوآه أنوار النعمة تجوس خلاله ، فصرف فيه أقواله ، وشرف
بقوافيه نواله ، وأفرده منها بأنفس در ، وقلد لبتة منها بقصائد غر

وذكر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي المذكور في حقه أيضاً في كتاب «قلائد
العقيان» هورافع راية القريض ، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض ، أقام
شرائعه ، وأظهر روائعه ، وصار عصيه طائعه ، إذا نظم أزرى بنظم العقود ، وآتى
بأحسن من رَفَم البرود ، ضفا عليه حرمانه ، وما صفاله زمانه ، انتهى كلام الفتح
وقد أثبت لأبي بكر المذكور هذا المقطوع من الشعر ، ولم أر الفتح ذكره في
واحد من كتابيه^(٢) المذكورين مع أنه من أحسن شعره وأشهره ، وهو [من السكامل] :

بأبي غزالا غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطى بارق

(١) الذي في القلائد (٢٧٩ بولاق) « بن تقي » محرفاً

(٢) روى الفتح منها ثلاثة أبيات : الرابع ، والسادس ، والسابع

وسألت منه زيارة تشفى الجوى فأجابنى منها بوعد صادق
 بقنا ونحن من الدجى فى لجة ومن النجوم الزهر تحت سرادق
 عاطيته والليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الفتيق لناشق
 وضممته ضم الكمى لسيفه وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
 حتى إذا مالت به سنة السكرى زحزحته عنى وكان معانقى
 أبعدته عن أضلع تشتاقه كى لا ينام على وساد خافق
 لما رأيت الليل آخر عمره قد شاب فى لم لم له ومفارق
 ودعت من أهوى وقلت تأسفاً: أعزز على بأن أراك مفارق

وقد ذكر بعض هذه الأبيات الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه الذى سماه « المطرب » ، من أشعار أهل المغرب » ومن شعره قصيدة يمدح بها يحيى بن على ابن القاسم المذكور فى هذه الترجمة ، وهى طويلة ، ومن مدائحها قوله [من الكامل] :

نوران ليسا يحجبان عن الورى كرم الطبايع ولا جمال المنظر
 وكلاهما جمعا ليحيى فليدع كتمان نور علائه المتشهر
 فى كل أفق من جميل ثنائه عرّف يزيد على دخان المجر
 زد فى شمائله وزد فى جوده بين الحديقة والغمام الممطر
 ندب عليه من الوقار سكيّنة فيها حفيظة كل ليث مخدر
 مثل الحسام إذا انطوى فى غمده ألقى المهابة فى نفوس الحضر
 أربى على البحر الخضمّ لانه فى كل كف منه خمسة أبحر
 أقبلت مرتاداً لجودك إنه صوب الغمامة بل زلال الكوثر
 ورأيت وجه النجى عندك أبيضاً فركبت نحوك كل لج أخضر
 تجرى إليك بنا سفائن أتلع مثل البعير مخزم فى المنخر
 وبنات أعوج قد برمن بصحبتي مما قطعن من اليباب المقفر^(١)

(١) بنات أعوج : أراد الخيل المنسوبة إلى فرس مشهور اسمه أعوج .

وأورد له صاحب القلائد العقيان مقطوعا وهو [من البسيط]
يا أفتك الناس أَلحاظا وأطيبهم ريقاً متى كان فيك الصَّابُ والعسل^(١)
في صحن خدك وهي الشمس طالعة وَرَدَ يزيدك فيه الراحُ والخلجل^(٢)
إيمان حبك في قلبي يجده من خدك الكتب أو من لحظك الرسل^(٣)
إن كنت تجهل أنى عبد مملكة مرني بما شئت آتية وأمتثلُ
لواطلعت على قلبي وجدت به من فعل عينيك جرحا ليس يندمل
وذكره العاد السكاتب في الخريدة وأورد له عدة مقاطيع ، ثم أعاد ذكره في
آخر الكتاب وأورد له [من الطويل] :

ومشمولة في الكأس تحسب أنها سماء عقيق رصعت بالسواكب
بفت كعبة اللذات في حرم الصفا فحجَّ إليها الحظ من كل جانب
ومحاسنه في الشعر كثيرة

وتوفى سنة أربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى !
وبقي : بفتح الباء الموحدة ، وكسر القاف ، وتشديد الياء

(١) في القلائد « يا أقتل الناس أَلحاظا »

(٢) في القلائد « وهو الشمس »

(٣) في القلائد « إيمان حبك في قلبي تجده »

(٧٧٥)

معين الدين
أبو الفضل يحيى
ابن سلامة
الخطيب
الحصكفى

أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد ، الملقب
معين الدين ، المعروف بالخطيب الحصكفى

صاحب الديوان الشعر والخطب والرسائل ، ولد بطنزة ، ونشأ بحصن كيفا ،
وقدم بغداد ، واشتغل بالأدب على الخطيب أبى زكريا التبريزى المقدم ذكره ،
وأتقنه حتى مهر فيه ، وقرأ الفقه على مذهب الإمام الشافعى - رضى الله عنه - وأجاد
فيه ، ثم رحل عن بغداد راجعاً إلى بلاده ، ونزل ميافارقين ، واستوطنها ، وتولى
بها الخطابة ، وكان إليه أمر الفتوى بها ، واشتغل عليه الناس ، وانتفعوا بصحبته
وذكره العمد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » فقال في حقه : كان علامة
الزمان في علمه ، ومعرى العصر في نثره ونظمه ، له الترصيع البديع ، والتجنيس
النفيس ، والتطبيق والتحقيق ، واللفظ الجزل الرقيق ، والمعنى السهل العميق ، والتقسيم
المستقيم ، والفضل السائر المقيم ، ثم قال العمد بعد كثرة الثناء عليه وتعداد محاسنه :
وكننت أحب لقاءه ، وأحدث نفسى عند وصولى إلى الموصل بالاتصال به ، وأنا
شغف بالاستفادة ، كلف بمجالسة الفضلاء للاستزادة ، فعاق دون لقاءه بعد الشقة ،
وضعفى عن تحمل المشقة ، ثم ذكر له عدة مقاطيع ، فن ذلك قوله [من المديد] :

وخليع بت أعذله ويرى عذلى من العبت

قلت : إن الخمر مخبئة قال : حاشاها من الخبت

قلت : فالأرفاث تتبعها قال : طيب العيش فى الرفث

قلت : منها القىء ، قال : أجل شرفت عن مخرج الحدث

وسأجفوها ، فقلت : متى ؟ قال : عند السكون فى الحدث

قلت أنا : وقد أخذ الخطيب المذكور قوله :

« شرفت عن مخرج الحدث »

من قول بعضهم ولا أعرفه ، لـسـكنها أبيات سائرة ، وهى [من البسيط] :
ولا ثم لامنى فى الحجر ، قلت له : إني سأشربها حياً وفى جدنى
قم فاسقنى قهوة حمراء صافية صرفا حراما فاني غير مكترث
فان يكن حلاوها بالطبيخ فى حشاي نار تبقئها على الثلث
قالوا : فلم تتقايها ؟ فقلت لهم : إني أنزهها عن مخرج الحدث
ثم قال العماد الأصمباني : وأنشدني له بعض الفضلاء ببغداد خمسة أبيات
كالخسة السيارات مستحسنات مطبوعات مصنوعات ، وهى [من البسيط] :

أشكو إلى الله من نارين واحدة فى وجنتيه وأخرى منه فى كبدي
ومن سقامين سقم قد أحل دمي من الجفون وسقم حل فى جسدي
ومن نومين دمعى حين أذكره يذيع سرى ، وواش منه بالرصدي
ومن ضعيفين صبرى حين أذكره ووده ويراہ الناس طوع يدي
مهفهف رق حتى قلت من عجب أخصره خنصرى أم جلده جلدي
ومن مليح شعره أبيات فى هجو مغن ردىء ، وهى [من مجزوء الرجز] :

ومسمع غناؤه يبدل بالفقر الغنى
شهدته فى عصبية رضيتهم لى قُرنا
أبصرته فلم تخيب فراستى لما دنا
وقلت من ذا وجهه كيف يكون محسنا
ورمت أن أروح للظن به ممتحنا
فقلت من بينهم هات أخى غن لنا
ويوم سلع لم يكن يومى بسلع هيئنا
فأنشال منه حاجب فأنشال منه أنحنى

وامتلاً المجلس من فيه نسيماً منتناً
أوقع إذ وَقَعَ في الأنفُس أسباب العنا
وقال لما قال من يسمع في ظل العنا
وما اكتفى بالحن والتخليط حتى الحنا
هذا وكَمْ تكشحن السَّوْغَدَ وكَمْ تقرننا
يوهم زمرّاً أنه قطعهُ ودندنا
وصاح صوتاً نافرّاً يخرج من حد البنا
وما درى محضره ماذا على القوم جنى
فذا يسد أنفه وذا يسد الأذنا
ومنهم جماعة تستر عنه الأعينا
فاغتظت حتى كدت من

غيظي أثبت الشجنا
وقلت يا قوم اممعوا إما المغنى أو أنا
أقسمت لا أجلس أو

يخرج هذا من هنا
جروا برجل السكّاب إن السقم هذا والضنا
قالوا لقد رحمتنا وزلت عنا الحنا
فحزت في إخراجهِ راحة نفسى والثنا
وحين ولى شخصه قرأت فيهم معلنا
الحمد لله الذى أذهب عنا الحزنا

ولم أسمع - مع كثرة ما قيل في هذا الباب - مثل هذا المقطوع في هذا المعنى .

والخطيب المذكور أيضاً في هذا المعنى وهو [من البسيط] :

وَمُسْمِعٌ قَوْلُهُ بِالْكَرْهِ مَسْمُوعٌ

مُحَجَّبٌ عَنْ بَيُوتِ النَّاسِ مَمْنُوعٌ

غنى فبرق عينيه وحرك الحُصِيَّةَ فقلنا الفتى لاشك مصروع

وقطع الشعر حتى ودَّ أنْ كُنْزَنَا أن اللسان الذي في فيه مقطوع

لم يأت دعوة أقوامٍ بأمرهم ولا مضى قط إلا وهو مصفوع

وقد سبق له في ترجمة الشيخ الشاطبي في حرف القاف مقطوع لغز في نعل

وهو معنى مليسح ، وأكثر شعره على هذا الأسلوب في اللطافة وجودة المقاصد ،

وكان يتشيع . قلت : وهذا من الزيادات التي أدخلها الكتاب الداخلون في

عموم الحديث من مجوس هذه الأمة ، والله أعلم ، وهو في شعره طاهر

وكان بمدينة آمد شابان بينهما مودة أكيدة ومعاشرة كثيرة ، فركب أحدهما

ظاهر البلد وطرده فرسه ، فتقنطرت فمات ، وقعد الآخر يستعمل الشراب ، فشرق

فمات في ذلك النهار ، فعمل فيهما بعض الأدباء [من البسيط] :

تَقَا سَمَاءَ الْعَيْشِ صَفْوَاً وَالرَّدَى كَدِرًا

وَمَا عَهْدَنَا الْمَنَآيَا قَطْ تَنْقَسِمُ

وَحَافِظًا الْوَدَّ حَتَّى فِي حِمَا مَهْمَا

وَقَلَمَا فِي الْمَنَآيَا تُحْفَظُ الذُّمُّ

فلما وقف الخطيب المذكور على البيتين قال : هذا الشاعر قصر إذ لم يذكر

سبب موتها ، وقد قلت فيهما [من المتقارب] :

بِنَفْسِي أَخِيَّانٍ مِنْ أَمَدٍ أَصْدِيَا بِيَوْمٍ مَشُومٍ عَبُوسٍ

فَهَذَاكَ مَيِّتٌ مِنَ الصَّافِنَاتِ وَهَذَاكَ مَيِّتٌ مِنَ الْخُنْدَرِيسِ

قلت : ولو قال :

وهي ذاك ميتان الصافنات وهذاك ميت من الصافيات

لكان أحسن لأجل المجانسة ، وكان يجعل البيت الأول :

بنفسى أخيان من آمد أصيبيا بيوم شديد الأداة

أو ما يناسب هذا ، ثم وجدت البيتين الأولين فى كتاب « الحسان » تأليف القاضى الرشيد بن الزبير المقدم ذكره فى حرف الهمزة ، وقد نسبهما إلى الفقيه أبى على الحسن بن أحمد المعلم المقرئ ، لكن هكذا وجدت الحكاية بخط بعض المغربيين ، والله أعلم .

والخطيب المذكور الخطب المليحة ، والرسائل المنتقاة .

ولم يزل على رياسته وجلالته وإفادته إلى أن توفى سنة إحدى — وقيل :

ثلاث — وخمسين وخمسمائة .

وكانت ولادته فى حدود سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! .

والخصفى — بفتح الحاء ، وسكون الصاد المهملة ، وفتح الكاف ، وفى آخرها فاء — هذه النسبة إلى حصن كيفا ، وهى قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين ، وكان القياس أن ينسبوا إليه الحصنى ، وقد نسبوا إليه أيضا كذلك ، لكن إذا نسبوا إلى اثنين أضيف أحدهما إلى الآخر ركبوا من مجموع الاسمين اسماً واحداً^(١) ، ونسبوا إليه كفاعلا وههنا ، وكذلك نسبوا إلى رأس عين ، فقالوا « رَسَعْنِي » وإلى عبدالله وعبد شمس وعبد الدار : عبدلى ، وعبشمى ، وعبدرى ، وكذلك كل ما هو نظيره .

وأما طنزة : فهى بفتح الطاء المهملة ، وسكون النون ، وفتح الزاى ، فى آخرها هاء ساكنة ، وهى بليدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية ، خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ، ونسبوا إليها ، قال عماد الدين الأصبهاني الكاتب فى كتاب « الخريدة » : منها إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم الطنزي ،

(١) وجعلوا المركب على وزن جعفر ، كما ترى فى الأمثلة ، وهذا يسمى النحت

وهو القائل [من الطويل] :

وإني لمشتاق إلى أرض طَنْزَة وإنْ خَانِيْ بعد التفرق إخواني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كَحَلَمْتُ به من شدة الشوق أجفاني
ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا : كان الشاعر حياً في شهر رمضان سنة
ثمان وستين وخمسمائة .

(٧٧٦)

أبو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ،
الحميري ، صاحب إفريقية وما والاها

أبو الطاهر يحيى
ابن تميم بن المعز
ابن باديس
الحميري

قد تقدم ذكر والده ، ورفعت نسبه هناك ، وتقدم ذكر جماعة من أجداده
في هذا الكتاب ، وكانت ولاية الأمير يحيى المذكور بالمهديّة خلافةً عن أبيه تميم
يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ذى الحجة سنة سبع وتسعين وأربعمائة والاطالع
الدرجة السابعة من الجدى ، ثم استقل بالأمير يوم وفاة والده ، وقد سبق ذلك
في ترجمته . وكان عمر الأمير يوم الاستقلال ثلاثاً وأربعين سنة وستة أشهر
وعشرين يوماً ، وركب على العادة ، وأهل دولته محتفون به ، ورجع إلى قصره ،
وغير لباس جميع أهل الدولة من الخواص والجنود بخلع سنّية ، وكانوا قد غيروا
لباسهم لموت أبيه ، ووهب للأجناد والعبيد أموالاً كثيرة ، ووعدهم مواعيد سارة
ورأيت في كتاب « الجمع والبيان » ، في أخبار القيروان « الذى ألفه ولد أخيه
عز الدين الأمير أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس ، أن
الأمير تيمّا قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحيى المذكور ، وكان في دار الإمارة

مع خاصته وجلسائه ، ففضى يحيى ومن معه إليه ، فوجدوا تيميا في بيت المال ، فأمرهم بالجلوس ثم قال لأحدهم : قم فادخل ذلك البيت وخدمه الكتاب الذي صفته كذا في مكان كذا ، فقام وأتى به ، فاذا هو كتاب ملحمة ، فقال له : عد من أوله كذا وكذا ورقة ، واقرأ الصفحة التي تنتهى إليها ، فقرأها وإذا فيها «الملك المعذور ، وهو الطويل القامة الذى على وركه الأيمن خال وفي جنبه الأيسر شامة» فقال الأمير تميم : أطبق الكتاب وارده إلى موضعه ، ففعل ، فقال تميم : أما العلامتان فقد رأيتهما ، وبقيت على الثالثة ، قم أنت يا شريف ، وأنت يا فلان حتى تحققا عندي خبر العلامة الثالثة ، فقاموا وقام يحيى معهم إلى موضع مستور عن تميم ، فكشف لهم عن جسمه ، فرأوا شامة على جنبه الأيسر هلالية الشكل ، فأتوا تيميا فعرفوه ، فقال : لم أعطه أنا شيئاً ، الله تعالى الذى أعطاه ، ثم قال : إني أخبركم بحديث عجيب ، وذلك أنه عرض على النخاس والدته ، فاستحسنها ، ومالت نفسى إليها ، فاشتريتها ، وسلمتها إلى خدام القصر ، وأمرت النخاس أن يرجع إلى قبض الثمن ، ثم دبرت في مال طيب حلال أخرج منها منه ، فبينما أنا مفكر في ذلك إذ سمعت السائل يصيح ويرفع صوته في الإذن على مطالعنى ، فأخرجت رأسى من الطاق وقلت له : ماشأنك ؟ فقال : كنت الساعة أحفر في قصر المهدي إذ وجدت صندوقاً عليه قفل ، فتركته على حاله ، وجئت مطالعاً بأمره ، فأنفذت معه من أثق به ، فاذا فيه أثواب مذهبات الأعلام ، قد أفناها الدهر ، فأمرت بسبك أعلامها ، فلم تزد ولم تنقص عن ثمن الجارية ، فعجب الحاضرون من ذلك ودعوا له ، ثم أمر لهم بدنانير وكساء ، وانصرفوا ، قال عبد العزيز المذكور : وقد أدركت هذا الكتاب المشار إليه عند السلطان الحسن ، رحمه الله تعالى ! يعنى الحسن بن على بن يحيى المذكور ، وحكى عن الكتاب أموراً وقضايا ذكر أنها ستكون ، وكانت كما ذكر

رجعنا إلى حديث يحيى - ولما جلس في الملك قام بالأمر ، وعدل في الرعية وفتح قلاعاً لم يتمكن أبوه من فتحها ، قال عبدالعزيز المذكور في تاريخه : وفي أيامه - يعنى يحيى - وصل إلى المهديّة من طرابلس المهدي محمد بن تومرت المقدم ذكره قادماً من الحج ، فنزل بمسجد قبل مسجد السبت ، فاجتمع إليه جماعة من أهل المهديّة ، وقرأوا عليه كتاباً في علم أصول الدين ، وشرع في تغيير المنكر ، ورفع أمره إلى يحيى ، فأحضره وجماعة من الفقهاء ، فرأى ما هو عليه من الخشوع والتقشف والعلم ، فسأله الدعاء ، فقال له : أصلحك الله لرعيّتك ! ونفع بها ذريّتك ! وأقام مدة يسيرة بالمهديّة ، ثم انتقل إلى المنستير ، فأقام بها مدة ، ثم انتقل إلى بجاية ، وقد تقدم في ترجمة والده الأمير تميم أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد في أيامه ، والله تعالى أعلم أى ذلك كان

ثم قال عبد العزيز : وفي سنة سبع وخمسة آتى إلى المهديّة قوم غرباء ، فقصّدوا يحيى بمطالعة زعموا فيها أنهم من أهل الصناعة الكبيرة من الواصلين إلى نهايتها ، فأذن لهم بالدخول عليه ، فلما مثّلوا بين يديه طالبهم بأن يظهروا له من الصناعة ما يقف عليه ، فقالوا : نحن نزيل من القصدير التدخين والصدأ حتى يرجع لا فرق بينه وبين الفضة ، ونعمل لمولانا من السروج والبنود والقباب والأواني قناطير من الفضة يجعل عوضاً منها ما يريد ، ويستعمل جميع ذلك في مهماته ، وسألوه أن يكون ذلك في خلوة ، فأجابهم ، وأحضرهم للعمل ، ولم يكن عند الأمير يحيى سوى الشريف أبى الحسن على والقائد إبراهيم قائد الأعنة ، وكانوا هم ثلاثة ، وكانت بينهم أمانة ، فأمكنّتهم الفرصة ، فقال أحدهم : دارت البوظقة ، فتواثبوا وقصد كل واحد منهم واحداً بسكاكينهم ، فأما الذى قصد الأمير يحيى فقال : أنا سراج ، وكان يحيى جالساً على مصطبة ، فضربه ، فجاءت على أم رأسه ، فقطعت طاقات في العمامة ، ولم تؤثّر في رأسه ، واسترخت يده بالسكين على صدره

تخديشته ، وضر به يحيى برجله ، فألقاه على ظهره ، فسمع الخدام الضجة ففتحوا باب القصر من عندهم ، فدخل يحيى فأغلق الباب دونه ، وأما الشريف فلم يزل به الذى قصده حتى قتله ، وأما القائد إبراهيم فانه شهر سيفه ، ولم يزل يقاتل الثلاثة ، وكسر الجند الباب الذى كان بينهم ، ودخلوا فقتلوه ، وكان زيهام زى أهل الأندلس ، فقتل فى البلد جماعة ممن يلبس ذلك الزى ، فخرج الأمير يحيى فى الحال ومشى فى البلد ، وسكن الفتنة

وكان يحيى عادلاً فى دولته ، ضابطاً لأموال رعيته ، عارفاً بخرجه ودخله ، مدبراً فى جميع ذلك على ما يوجبہ النظر العقلى ، ويقتضيه الرأى الحكيمى ، ونعمته فى الملاحم «الملك المغدور» وتحقق له هذا النعت بهذه الواقعة التى ذكرناها ، وكان كثير المطالعة لكتب الأخبار والسير ، عارفاً بها ، رحيماً للضعفاء ، شقيقاً على الفقراء ، يطعمهم فى الشدائد فيرفق بهم ، ويقرب أهل العلم والفضل من نفسه ، وساس العرب فى بلاده فهابوه وانكفت أطمائهم ، وكان له نظر حسن فى صناعة النجوم والأحكام ، وكان حسن الوجه ، على حاجبه شامة ، أشهل العينين ، مائلاً فى قدمه إلى الطول ، دقيق الساقين ، وكان عنده جماعة من الشعراء قصوده ومدحوه ، وخلدوا مديحه فى دواوينهم ، ومن جملة شعرائه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الشاعر المقدم ذكره ، أقام تحت كنفه بعد أن جاب الأرض ، وتقاذفت به البلدان ، وله الرسالة المشهورة التى وصف بها مصر وعجائبها وشعراءها وغير ذلك ، وله فيه مدائح كثيرة أجاد فيها وأحسن ، وله أيضاً مدائح فى ولده أبى الحسن على وولد ولده الحسن بن على ، ومن جملة قوله من مديحه قصيدة [من البسيط] :

وارغب بنفسك إلا عن ندى ووغى فالمجد أجمع بين الناس فى الجود
كدأب يحيى الذى أحيت مواهبه ميت الرجاء بانجاز المواعيد
معطى الصوارم والهيف النواعم والـ مجرد الصلادم والبزل الجلاعيد

أشم أشوس مضروب سرادقه
على أشم بفرع النجم معقود
إذا بدا بسرير الملك محتبياً
رأيت يوسف في محراب داوود
من أسرة تخذوا الماذى لبسهم^(١)
واستوطنوا صهوات الضمر القود
محسودون على أن لا نظير لهم
وهل رأيت عظيماً غير محسود
فإن تكن جمعتمكم أسرة ككرمت
فليس في كل عود نفحة العود
أقول للراكب المزجي مطيته
يطوى بها الأرض من بيد إلى بيد
لا تطلب الماء عذبا في مشارعه
وتطلب الرى في الصم الجلاميد
هذى موارد يحبى غير ناضبة
وذا الطريق إليها غير مسدود
حكم سيوفك فيما أنت طالبه
فلا سيوف قضاء غير مردود
وله فيه غير ذلك .

ولما كان يوم الأربعاء — وهو عيد النحر سنة تسع وخمسمائة — توفي يحيى
فجأة ، وذلك أن منجمه قال له يوما : إن في تسيير موكبك^(٢) في هذا النهار عليك
عكساً فلا تركب ، فامتنع من الركوب ، وخرج وأولاده ورجال دولته إلى المصلى
فلما انقضت الصلاة حضر رجال الدولة على ما جرت به العادة للسلام ، وقرأ القراء
القرآن ، وأشد الشعراء ، وانصرفوا إلى الإيوان ، فأكل الناس ، وقام يحيى إلى
مجلس الطعام ، فلما وصل إلى باب المجلس أشار إلى جارية من حظاياها فاتكأ
عليها ، فما خطا من باب البيت سوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتاً ، وكان ولده

(١) في ب « تخذوا الماذى لبسهم » (٢) في ب « مولدك »

على نائبه على سفاقس — وهى بلدة من أعمال إفريقية — فأحضر وعقدت له
الولاية ، ودفن يحيى فى القصر على ما جرت به العادة ، ثم نقل بعد سنة إلى
قصر السيدة بالمنستير — وهى بلدة بأفريقية أيضاً — وخلف ثلاثين ولداً
ذكوراً .

وأما على المذكور القائم مقام أبيه يحيى فان مولده بمدينة المهدية صبيحة يوم
الأحد لخمس عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، وكان
أبوه قد ولاه سفاقس ، فلما مات أبوه اجتمع أعيان دولته على كتاب كتبوه عن
أبيه إليه يأمره بالوصول إليه مسرعاً ، فوصله الكتاب ليلاً ، فخرج لوقتہ ومعه
طائفة من أمراء العرب ، وجدد فى المسير ، فوصل الظهر من يوم الخميس الثانى من
يوم العيد ، ودخل القصر ، ولم يقدم شيئاً على تجهيز أبيه والصلاة عليه ودفنه ،
وفى صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ذى الحجة جلس للناس ، فدخلوا عليه وسلموا
بالإمارة ، ثم ركب فى جيوشه وجموعه ثم عاد إلى القصر .

وفى أيامه توجه أخوه أبو الفتوح بن يحيى إلى الديار المصرية ومعه زوجته
بلارة بنت القاسم وولده العباس صغيراً على الثدي ، فوصل إلى الإسكندرية
فأنزل وأكرم بأمر الأمر صاحب مصر يومئذ ، فأقام مدة قصيرة ، وتوفى ، فترجعت
زوجته بلارة بالعدل بن السلار ، واسمه على المقدم ذكره فى هذا الكتاب فى
حرف العين ، وشب العباس ، وقدمه الحافظ صاحب مصر ، وولى الوزارة بعد
العدل المذكور .

وذكر شيخنا ابن الأثير فى تاريخه فى حوادث سنة اثنتين وخمسمائة حديث
الثلاثة الذين جاءوا إلى يحيى فى معنى الكيمياء ، فقال : كان مجيئهم فى هذه
السنة ، وأنهم لما وثبوا على يحيى وجرى فى فكرته قبل هذا صادف ذلك مجيء
أبى الفتح المذكور وأصحابه إلى القصر وعليهم السلاح ، فنعوا من الدخول ،
وثبت عند يحيى أن ذلك كان باتفاق بينهم ، فأخرج أبو الفتوح وزوجته وهى

ابنة عمه إلى قصر زياد ، ووكل بهما إلى أن مات يحيى وملك ابنه على فسيهما على البحر إلى الديار المصرية ، فوصلا إلى الإسكندرية . انتهى كلامه .

ولم تزل أمور على بن يحيى جارية على السداد ، إلى أن توفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، ودفن في القصر بعد أن فوض الأمر من بعده إلى ولده أبي يحيى الحسن بن على بن يحيى ومولد الحسن المذكور بمدينة سوسة في رجب سنة اثنتين وخمسمائة ، فكان عمره يوم ولايته اثنى عشرة سنة وتسعة أشهر ، ولما كان ثاني يوم وفاة أبيه خرج للناس فسلموا عليه وهنئوه بما صار إليه ، ثم ركب والجيش محتفة به .

الحسن بن على
ابن يحيى

وجرت في أيامه وقائع وأمور يطول شرحها ، فمن ذلك أن زجار الفرنجى صاحب صقلية أخذ طرابلس الغرب عنوة بالسيف في يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقتل أهلها ، وسبي الحرير والأطفال ، وأخذ الأموال ، ثم شرع في عمارتها وتحصينها بالرجال والعدد ، ثم أخذ المهديّة يوم الاثنين ثاني عشر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وذلك أن الحسن بن على لما علم عجزه عن مقاومته خرج من المهديّة هاربا ، وقد استصحب ما خف عليه حمله من النفائس ، وخرج أهل البلد أيضاً هاربين ، إلا من أقعده العجز عن الهرب ، فدخل إليه الفرنج وملكوه ، وصادفوا فيه من الأموال والذخائر ما لا يعد ولا يحصى ، وكان عدة من ملك من أهل بيتهم — وأولهم زيرى المقدم ذكره في حرف الزاى — إلى هذا الحسن بن على تسعة ملوك ، ومدة ولايتهم مائة سنة وثمان سنين ، وانقرضت دولة بنى باديس .

ثم إن الحسن بن على توجه نحو القلعة — وهى قلعة حصينة بأفريقية تبأور تونس — وكان صاحبها أبو محفوظ محرز بن زياد أحد أمراء الغرب ، فأقام عنده قليلا ثم ظهر له منه الضجر والسامة ، فقصده الديار المصرية ليكون عند الحافظ

العبيدي صاحبها يومئذ ، فمضى خبره إلى نائب زجار بالمهدية ، فجعل عليه العيون وجعل عشرين شينياً ليمسكه في البحر ، فبلغ الحسن ذلك ، فرجع عن هذا الرأي ، ثم قصد أن يتوجه إلى جهة عبد المؤمن بن علي بمرأ كش ، وأنفذ ثلاثة من أولاده إلى صاحب بجاية - وهي آخر أعمال إفريقية - ليستأذنه في الوصول إليه ، و بعد ذلك يتوجه إلى عبد المؤمن ، فأضمر له الغدر ، وخاف من اجتماعه بعبد المؤمن أن يتفقا على ما فيه ضرره ، فكتب إليه كتاباً على يد أولاده يقول له : لا حاجة لك في الرواح إلى عبد المؤمن ، ونحن نفعل معك ونصنع ، وأجزل له من المواعيد الحسنة ، فتوجه إليه ، فلما قرب من بجاية لم يخرج للقائه وعدل به إلى الجزائر ، وهي بلدة فوق بجاية من جهة الغرب ، وأنزلوه بها في مكان لا يليق بمثله ، ورتبوا له من الإقامة ما لا يصلح لبعض أتباعه ، ومنعوه من التصرف ، وكان وصوله إلى الجزائر في المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم إن عبد المؤمن فتح بجاية في سنة سبع وأربعين ، وهرب صاحبها إلى القسطنطينية^(١) .

ثم إن زجار صاحب صقلية هلك في العشر الأخير من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

ولما هلك زجار ملك بعده ابنه غنيم بن زجار ، وعليه قدم أبو الفتح نصر الله بن قلاؤس الشاعر المقدم ذكره ، ومدحه وأجازه ، وذلك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

ولما هلك غنيم ملكت ابنته ، وهي أم الأنبرور ملك ألمانيا في زماننا ، ثم هلك أم الأنبرور وخلفته صغيراً ، فلئ ، واستمر ملكه ، وكان عاقلاً فاضلاً ، وبينه وبين الملك الكامل صاحب مصر مراسلات وغيرها .

(١) هكذا ، ولعله « القسطنطينية »

ثم إن عبد الملك وصل إلى المهديّة وملكها بعد جهد جهيد ، وكان دخوله إليها بكرة يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، فولى بها نائباً ، وكان الحسن بن علي قد وصل صحبته ، فرتبه مع النائب لتدبير أمورها ليكون عارفاً بأحوالها ، وأقطعه بها ضيعتين ، وأعطاه دوراً سكنها هو وأولاده وأتباعه .

ولم أقف على تاريخ وفاة الحسن بن علي المذكور .
ثم قتل محرز بن زياد المذكور في وقعة سطيف يوم الخميس في العشر الأوسط من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة .
وهذا الحسن بن علي هو الذي صنف له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ابن أبي الصلت كتاب « الحديقة » .

(٧٧٧)

أبو الفضل يحيى
ابن خالد بن
برمك الوزير

أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هرون الرشيد

وقد تقدم ذكر ولديه الفضل وجعفر كل واحد منهما في باب

وكان جدهم برمك من مجوس بلخ ، وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس
بمدينة بلخ توقد فيه النيران ، واشتهر برمك المذكور بونه بسدائنه ، وكان برمك
عظيم المقدار عندهم ، ولم أعلم هل أسلم أم لا

وساد ابنه خالد ، وتقدم في الدولة العباسية ، وتولى الوزارة لأبي العباس بعد
أبي سلمة حفص الخلال المقدم ذكره ، وقد ذكرته في ترجمة جعفر ، وذكرت هناك
تاريخ وفاته ، وقال أبو الحسن المسعودي في كتاب «مروج الذهب» : لم يبلغ مبلغ
خالد بن برمك أحد من ولده في جوده ورأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله ، لا يحيى
في رأيه ووفور عقله ، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته ، ولا جعفر بن يحيى في
كتابته وفصاحة لسانه ، ولا محمد بن يحيى في سروره وبعدهمته ، ولا موسى بن يحيى في
شجاعته وبأسه

ولما بعث أبو مسلم الخراساني قحطبة بن شبيب الطائي لمحاربة يزيد بن عمر
ابن هبيرة الفزاري عامل مروان بن محمد على العراقيين - وكان خالد بن برمك في جملة
من كان معه ، فنزلوا في طريقهم ، فبينما هم على سطح بعض دورها يتعدون إذ نظروا
إلى الصحراء وقد أقبلت منها أقاطيع الوحش من الظباء وغيرها ، حتى كادت تخالط
العسكر ، فقال خالد لقحطبة : أيها الأمير ، ناد في الناس ومرهم أن يسرجوا
ويلجموا قبل أن تهجم عليهم الخيل ، فقام قحطبة مذعوراً ، فلم ير شيئاً يروعه ،
فقال : يا خالد ما هذا الرأي ؟ فقال : قد نهدي إليك العدو ، أما ترى أقاطيع الوحش قد
أقبلت ؟ إن وراءها لجمعاً كثيراً ، فاركبوا حتى رأوا الغبار ، ولولا خالد لهلكوا

وأما يحيى فإنه كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال ، وكان المهدي بن أبي جعفر المنصور قد ضم إليه ولده هرون الرشيد ، وجعله في حجره ، فلما استخلف هرون عرف له حقه ، وقال له : يا أبت ، أنت أجلسني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك الأمر ، ودفع له خاتمه ، وفي ذلك يقول الموصلي ، وأظنه إبراهيم النديم أو ابنه إسحاق [من الطويل]

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هرون أشرق نورها
يمين أمين الله هرون ذي الندى فهرون وإليها ويحيى وزيرها
وكان يعظمه ، وإذا ذكره قال « أبي » وجعل إصدار الأمور وإيرادها إليه ، إلى أن نكب البرامكة فغضب عليه ، وخلده في الحبس إلى أن مات فيه ، وقتل ابنه جعفر - حسبما تقدم في ترجمته

وكان من العقلاء الكرماء البلغاء ، ومن كلامه : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الهدية ، والكتاب ، والرسول . وكان يقول لولده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون . وكان يقول : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا فيمن قبلنا أسوة ، ولنا بعدنا عبرة

وقال الفضل بن مروان المقدم ذكره : سمعت يحيى بن خالد يقول : من لم أحسن إليه فأنا خير فيه ، ومن أحسنت إليه فأنا مرتهن به

وقال القاضي يحيى بن أكرم : سمعت المأمون يقول : لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحد في الكفاية والبلاغة والجود^(١) والشجاعة ، ولقد صدق القائل حيث يقول [من مجزوء الرجز]

أولاد يحيى أربع كأربع الطبائع
فهم إذا اختبرتهم طبائع الصنائع
قال القاضي : فقلت له يا أمير المؤمنين ، أما الكفاية والبلاغة والسماحة

فنعرفها فيهم ، ففي من الشجاعة ؟ فقال : في موسى بن يحيى ، وقد رأيت أن أوليه
ثغر السند

وقال إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلى المقدم ذكره : حدثني أبى قال : أتيت
يحيى بن خالد بن برمك ، فشكوت إليه ضيقة ، فقال : ويحك ! ما أصنع بك ؟
ليس عندنا في هذا الوقت شيء ، ولكن ههنا أمر أدلك عليه ، فكن فيه رجلا ،
قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدى صاحبه شيئا ، وقد أبيت ذلك
عليه ، فألح على ، وقد بلغني أنك قد أعطيت بجاريتهك ثلاثة آلاف دينار ،
فهو إذا استهديته إياها وأخبره أنها قد أعجبتني فأياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار
وانظر كيف تكون ، قال : فوالله ما شعرت إلا بالرجل واغافى فساومنى بالجارية ،
فقلت له : لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار ، فلم يزل يساومنى حتى بذل لى عشرين
ألف دينار ، فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها ، فبعتها وقبضت العشرين ألفا ، ثم
صرت إلى يحيى بن خالد فقال لى : كيف صنعت في بيعك الجارية ؟ فأخبرته وقلت :
والله ما ملكت نفسى أن أجبت إلى العشرين ألفا حين سمعتها ، فقال : إنك لخسيس
تخذ جاريتهك بارك الله لك فيها ، وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءنى في مثل
هذا ، فاذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين ألف دينار ، فانه لا بد أن يشتريها منك
بذلك ، فجاءنى الرجل فاستمعت عليه خمسين ألف دينار ، فلم يزل يساومنى حتى
أعطاني ثلاثين ألف دينار ، فضعف قلبي عن ردها ، ولم أصدق بها ، فأوجبته له
ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال لى : بكم بعت الجارية ؟ فأخبرته ، فقال : ويحك !
ألم تؤدبك الأولى عن الثانية ، قال : فقلت : والله ضعفت عن رد شيء لم أطمع
فيه ، قال فقال : هذه الجارية جاريتهك ، فخذها إليك ، قال : فقلت : جارية أفدت
بها خمسين ألف دينار ، ثم أملكها ، أشهدك أنها حرة ، وأنى قد تزوجتها ، هكذا
رأيت الحكاية ، ثم نظرت في كتاب أخبار الوزراء تأليف الجهمشيارى فقال :
إن يحيى قال لإبراهيم الموصلى : لا تقبل أقل من مائة ألف دينار ، وأنه باعها
بثلاثين ألف دينار .

وقال الأصمعي : دخلت على يحيى يوماً فقال : يا أصمعي ، هل لك زوجة ؟
فقلت : لا ، فقال : فجارية ؟ فقلت : خادمة ، فأمر بإخراج جارية في غاية
الحسن والجمال والظرف ، فقال لها : قد وهبتك لهذا ، وقال : يا أصمعي ، خذها
لك ، وشكرته ودعوت له ، فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت : يا سيدي ،
تدفعني إلى هذا مع ما ترى من سماجته وقبحه ؟ فقال لي : هل لك أن أعوضك
عنها ألفي دينار ؟ ودخلت الجارية إلى داره فقال لي : أنكرت على هذا الجارية
أمراً فأردت أن أعاقبها ثم رحمتها ، فقلت له : هلا أعلمتني حتى كنت لحقت على
صورتى الأصلية من غير أن أسرح لحيتي وأصلح عمقي وأتطيب وأنجمل ،
فضحك ، وأمر لي بألف دينار أخرى

وحكى إسحاق النديم أيضاً قال : كانت صلات يحيى بن خالد إذا ركب
لمن تعرض له مائتي درهم ، فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر وأنشده
[من الخفيف] :

يا سميَّ الحَصُور يحيى أتَيْتَ لك من فضل ربنا جنتان
كل من مرَّ في الطريق عليكم فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثل قليل هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيى : صدقت ، وأمر بحمله إلى داره ، فلما رجع من دار الخلافة
سأله عن حاله ، فذكر أنه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث : إما أن يؤدي
المهر وهو أربعة آلاف ، وإما أن يطلق ، وإما أن يقيم جارياً للمرأة يكفيها إلى أن
يتبها له نعلها ، فأمر له يحيى بأربعة آلاف للمهر ، وبأربعة آلاف لثمن منزل ،
وبأربعة آلاف لما يحتاج إليه المنزل ، وبأربعة آلاف للبنية ، وبأربعة آلاف
يستظهر بها ، فأخذ عشرين ألفاً ، وانصرف

وقال محمد بن مناذر الشاعر : حجج هرون الرشيد ، ومعها ابنه الأمين محمد
المأمون عبد الله ، وحجج معه يحيى بن خالد وابنائه الفضل وجعفر ، فلما صاروا

بالمدينة جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد ، فأعطى الناس عطاءهم ، ثم جلس الأمين ومعه الفضل فأعطاهم العطاء^(١) ، وكان أهل المدينة يسمون ذلك العام عام الأعطية الثلاثة ، ولم يروا مثل ذلك قط ، فقلت في ذلك [من الطويل] :

أتانا بنو الأملاك من أرض بزمك فيا طيب أخبار بأحسن منظر
لهم رحلة في كل عام إلى العدي وأخرى إلى البيت العتيق المعطر
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلولنا الدجى بمكة ما حجوا ثلاثة أقر
فما خلقت إلا الجود أكرمهم وأقدامهم إلا لأعواد منبر
وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ، في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي أنه قال : كنت خياطاً بالمدينة في يدى مائة ألف درهم للناس أضارب بها ، فتلفت الدراهم ، فستخست إلى العراق ، فقصدت يحيى بن خالد ، فجلست في دهليزه ، وأنست بالخدم والحجاب ، وسألتهم أن يوصلوني إليه ، فقالوا : إذا قدم الطعام إليه لم يحجب عنه أحد ، ونحن ندخلك عليه ذلك الوقت ، فلما حضر طعامه أدخلوني فأجلسوني معه على المائدة ، فسألني : من أنت ؟ وما قصتك ؟ فأخبرته ، فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لأقبل رأسه ، فاشمأز من ذلك ، فلما صرت إلى الموضع الذى يركب منه لحقنى خادم معه كيس فيه ألف دينار ، فقال : الوزير يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : استعن بهذا على أمرك ، وعد إلينا في اليوم الثانى ، فأخذته وانصرفت ، وعدت في اليوم الثانى ، فجلست معه على المائدة فأنشأ يسألنى كما سألنى في اليوم الأول ، فلما رفع الطعام دنوت منه لأقبل رأسه ، فاشمأز منى ، فلما صرت إلى الموضع الذى يركب منه لحقنى خادم معه كيس فيه ألف دينار ، فقال لى : الوزير يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : استعن بهذا على أمرك ، وعد إلينا في غد ، فأخذته وانصرفت

(١) لعله قد سقط هنا «ثم جلس المأمون ومعه جعفر ، فأعطى الناس عطاءهم» حتى تكتمل ثلاثة أعطية ، وقد ذكر معنى ذلك في كتاب «الوزراء والكتاب» (ص ٢٢١)

فعدت في اليوم الثالث كما أمر ، فأعطيت مثل ذلك الذي أعطيت في الأول والثاني ، فلما كان في اليوم الرابع أعطيت كما أعطيت قبل ذلك ، وتركني بعد ذلك أقبل رأسه ، وقال : إنما منعتك ذلك لأنه لم يكن وصل إليك من معروفى ما يوجب هذا ، فالآن قد لحقتك بعض النفع منى ، يا غلام أعطه الدار الغلانية ، يا غلام افرش له الفرش الغلاني ، يا غلام أعطه مائتي ألف درهم يقضى دينه بمائة ألف ويصلح شأنه بمائة ألف ، ثم قال لى : الزمنى وكن في دارى ، فقلت : أعز الله الوزير ! لو أذنت لى بالشخوص إلى المدينة لأقضى الناس أموالهم ثم أعود إلى حضرتك كان ذلك أرفق بى ، قال : قد فعلت ، وأمر بتجهيزى ، فشخصت إلى المدينة ، فقضيت دينى ثم رجعت إليه ، فلم أزل في ناحيته

ودخل عليه يوماً أبو قابوس الحميرى ^(١) وأنتده [من البسيط] :

رأيت يحى أتم الله نعمته عليه يؤتى الذى لم يؤته أحد

ينسى الذى كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذى يعد

فقضى حوائجه ، ووصله بجملة من المال

قلت : قد عمل هذا البيت الثانى شرف الدولة مسلم بن قريش ، وقد قال له

رجل : لا تنس أيها الأمير حاجتى ، فقال : إذا قضيتها أنسيتها

ولمسلم بن الوليد الأنصارى في يحيى بن خالد [من الطويل] :

أجذك هل تدرين إن زرت ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر

صبرت لها حتى تجلت بفرّة كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وكان يحيى يقول : إذا أقبلت الدنيا فأنفق فانها لا تنفى ، وإذا أدبرت

فأنفق فانها لا تبقى

وقال : ذكر النعمة من المنعم تكدير ، ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير

وقال : النية الحسنة مع العذر الصادق يقومان مقام النجح

وقال : إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة

(١) كذا في أصول هذا الكتاب ، وفي كتاب « الوزراء والكتاب » (ص ١٧٩)

« أبو قابوس عمر بن سليمان الحميرى » وهو الصواب فإنه نصرانى من الحيرة

وقال الحسن بن سهل المقدم ذكره : من غيرته الولاية لإخوانه علمنا أن الولاية أكبر منه ، أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى ابن خالد بن برمك .

وكان ليحيى كاتب يختص بخدمته ، ويقرب من حضرته ، فعزم على ختان ولده ، فاحتفل له الناس على طبقاتهم ، وهاداه أعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء على اختلاف منازلهم ، وكان له صديق قد اختلت أحواله ، وضائق يده عما يريد له ذلك مما دخل فيه غيره ، فعمد إلى كيسين كبيرين نظيفين ، فجعل في أحدهما ملحاً ، وفي الآخر أشناناً مطيباً ، وكتب معهما رقعة نسختها : لو تمت الإرادة ، لأسعفت بالعادة ، ولوساعدت المسكنة على بلوغ الهمة لاتبعت السابقين إلى برك ، وتقدمت المجتهدين في كرامتك ، لكن قعدت القدرة عن البغية ، وقصرت الجدة عن مباراة أهل النعمة ، وخفت أن تطوى صحائف البر ، وليس لى فيها ذكر ، فأنفذت المبتدأ بيمينه وبركته ، والمختتم بطييه ونظافته ، صابراً على ألم التقصير ، ومتجرعاً غصص الاقتصار على اليسير ، فأما ما لم أجد إليه السبيل فى قضاء حقت فالقائم فيه بعذرى قول الله عز وجل (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) والسلام ، فلما حضر يحيى بن خالد الولية عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها ، حتى الكيسين والرقعة ، فاستظرفها ، وأمر أن يملأ الكيسان مالا ، ويردا عليه ، فكان ذلك أربعة آلاف دينار .

وقال رجل ليحيى : والله لأنت أحلم من الأحنف بن قيس ، فقال له : ما يقرب إلى من أعطانى فوق حتى .

ونادى إسحاق بن إبراهيم الموصلى أحد غلماناه ، فلم يجبه ، فقال : سمعت يحيى بن خالد يقول : مما يدل على حلم الرجل سوء أدب غلماناه .
وكان يحيى يساير الرشيد يوماً ، فوقف له رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين

عطبت دابتي ، فقال الرشيد : يعطى خمسمائة درهم ، فغمزه يحيى ، فلما نزلوا قال له الرشيد : يا أبت أومأت إلى بشىء ولم أعرفه ، فقال : مثلك لا يجرى هذا القدر على لسانه ، إنما يذكرك مثلك خمسة آلاف ألف ، عشرة آلاف ألف ، فقال : إذا سئلت مثل هذا فكيف أقول ؟ ، فقال : تقول : يشتري له دابة .

و بالجملة فان أخبارهم كثيرة ، ولا يحتمل هذا المختصر الاطالة أكثر من هذا . ولما قتل هرون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكى كما ذكرناه في حرف الجيم من هذا الكتاب نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل كما ذكرناه في حرف الفاء من هذا الكتاب ، وكان حبسهما في الراققة ، وهي الرقة القديمة مجاورة الرقة الجديدة ، وهي البلدة المشهورة الآن على شاطئ الفرات ، ويقال لهما : الرقنان ، تغليباً لأحد الاسمين على الآخر ، كما قيل : العمران ، والقمران ، وغير ذلك .

وحكى الجهشيارى في كتاب « أخبار الوزراء » أن يحيى بن خالد اشتبه في وقت من الأوقات في محبسه وهو مضيق عليه سكباجة ، فلم يطلق له اتخاذها إلا بمشقة ، فلما فرغ منها سقطت القدر من يده المتخذ لها فانكسرت ، فأنشد يحيى أبياتاً يخاطب بها الدنيا ، ومضمونها اليأس وقطع الأطماع ^(١) .

ولم يزل يحيى في حبس الراققة إلى أن مات في الثالث من المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة ، وهو ابن سبعين سنة ، وقيل : أربع وسبعين ، وصلى عليه ابنه الفضل ، ودفن في شاطئ الفرات في ربض هرمة ، ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه : قد تقدم الخصم ، والمدعى عليه في الأثر ، والقاضى هو الحكم العدل الذى لا يجوز ولا يحتاج إلى بينة ، فحملت الرقعة إلى الرشيد ، فلم يزل يبكى يومه كله ، وبقى أياماً يتبين الأسى في وجهه ، رحمهما الله تعالى !

وكان يحيى يجرى على سفين النورى - رضى الله عنه ! - في كل شهر ألف درهم وكان سفين يقول في سجوده : اللهم إن يحيى كفانى أمر دنياى ، فاكفه أمر

(١) هي أربعة أبيات ذكرها في « الوزراء والكتاب » (٢٤٥) أولها يخاطب الدنيا :
قطعت منك حبايل الآمال وأرحت من حل ومن ترحال

آخرته ، فلما مات يحيى رآه بعض إخوانه في النوم ، فقال له : ما صنع الله بك ؟ قال : غفر لى بدعاء سفيان ، وقيل : إن صاحب هذه القضية هو سفيان بن عيينة لا سفيان الثوري ، والله تعالى أعلم .

قال الجهمياري : ندم الرشيد على ما كان منه في أمر البرامكة ، وتحسر على ما فرط منه في أمرهم ، وخاطب جماعة من إخوانه بأنه لو وثق منهم بصفاء النية لأعادهم إلى حالهم .

وكان الرشيد كثيراً ما يقول : حملونا على نصحاءنا وكفائنا ، وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم ، فلما صرنا إلى ما أرادوا لم يغنوا عنا ، وأنشد [من الطويل] :
أقلا علينا لا أبا لأبيكم من اللوم أو شدوا النجاد الذي شدوا
قلت : هذا البيت للحطيئة الشاعر ، وبعده :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا^(١)
قلت : وذكر الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » ما مثاله : إنه وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة فيها مكتوب [من الوافر] :

وحق الله إن الظلم لؤم وإن الظلم مرتعه وخيم
إلى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

(١) هكذا وقع في أصول هذا الكتاب ، والذي أحفظه * أوسدوا المكان الذي سدوا * ووجدته في ديوان الحطيئة (ص ٢٠) وفي كتاب « الوزراء والكتاب » (ص ٢٥٨) على ما أحفظه ، ولم أغير ما في الأصل — وإن يكن المؤلف قد صدر في هذه الترجمة عن كتاب « الوزراء والكتاب » — لأنى وجدت له وجهاً لا بأس به .

(٧٧٨)

أبو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد بن
الحسين بن أحمد بن الحسن بن جهم بن عمرو بن هبيرة بن
علوان بن الحَوْفَزَان

أبو المظفر
عون الدين
يحيى بن هبيرة
الوزير

وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام
ابن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن
قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن
معد بن عدنان ، الشيباني ، الملقب عون الدين .

هكذا ساق نسبه جماعة منهم ابن الديثي في تاريخه ، وابن القادسي في
كتاب « الوزراء » وغيرها ، وإنما أخرج له هذا النسب بعد سنين من وزارته .
وذكره الشعراء في مدائحهم ، وهو من قرية من بلاد العراق ، تعرف بقرية
بنى أوقر — بالقاف — من أعمال دجيل ، وهي دور عرمانيا — بالعين المهملة
والياء المشناة من تحت — وتعرف الآن بدور الوزير ، نسبة إليه ، وكان والده من
أجنادها ، ودخل بغداد في صباه ، واشتغل بالعلم ، وجالس الفقهاء والأدباء ،
وكان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ! وسمع الحديث ، وحصل
من كل فن طرفا ، وقرأ الكتاب العزيز ، وختمه بالقراءات والروايات ، وقرأ
النحو ، واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ، ولازم الكتابة ، وحفظ ألفاظ
البلغاء ، وتعلم صناعة الإنشاء ، وكانت قراءته الأدب على أبي منصور
ابن الجواليقي ، وتفقه على أبي الحسين محمد بن محمد الفراء ، وصحب الشيخ
أبا عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدي
الواعظ ، وسمع الحديث النبوى من أبي عثمان إسماعيل بن محمد بن قيلة
الأصبهاني ومن أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحسين السكاك ومن بعدهما ،

وحدث عن الإمام المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين وعن غيره ، وسمع منه خلق كثير : منهم الحافظ أبو الفرج بن الجوزي .

وأول ولايته الإشراف بالأقرحة الغربية ، ثم نقل إلى الإشراف على الإقلمات الخزنية ، ثم قلد الإشراف بالخرن ، ولم يطل في ذلك مكثه حتى قلد في سنة اثنتين وأربعين كتابة ديوان الزمام ، ثم ترقى إلى الوزارة ، وكان سبب توليته الوزارة ما حكاه الذي جمع سيرته أنه قال : من جملة ما رفع قدر الوزير ونقله إلى الوزارة ما جرى من مسعود البلالي شحنة بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، وكان مسعود أحد الخدم الخصبين الحشيشين الكبار من أمراء دولته : من سوء أدبه في الحضرة ، وخروجه عن معتاد الواجب ، وانتشار مفسدى أصحابه ، وكان وزير الخليفة إذ ذاك قوام الدين أبو القاسم علي بن صدقة ابن علي بن صدقة قد كتب عن الخليفة إلى السلطان مسعود عدة كتب يعتمد الإنكار على مسعود البلالي على ما صدر منه ، فلم يرجع بجواب ، فلما قلد عون الدين ابن هبيرة كتابة ديوان الزمام خاطب الخليفة في مكاتبة السلطان مسعود بالقضية فوقع إليه : قد كان الوزير كتب في ذلك عدة كتب فلم يجيبوه ، فراجع عون الدين في ذلك سؤاله إلى أن أجيب ، فسكتب من إنشائه رسالة ، وهي طويلة فأضربت عن ذكرها ، وحاصل الأمر فيها أنه دَعَا له ، وأذكره ما كان أسلافه يعاملون الخلفاء به من حسن الطاعة والتأدب معهم ، والذب عنهم ممن يعتاب عليهم ، وشكا من مسعود البلالي ، وأنه كاتب في ذلك عدة دفعات وما جاءه جواب ، وأطال القول في ذلك ، وكان هذا في سنة اثنتين وأربعين وخمسةائة في شهر ربيع الآخر ، فما مضى على هذا إلا قليل حتى عاد الجواب بالاعتذار ، والزم لمسعود البلالي ، والإنكار لما اعتمده ، فاستبشر المقتفى بإشارة عون الدين ، وعظم سروره بذلك وحسن موقع عون الدين من قلبه ، ولم يزل عنده مَكِينًا حتى استوزره .

وقال مصنف السيرة : وكان أيضا من جملة أسباب وزارته أنه في سنة ثلاث

وأر بعين وصل إلى بغداد الأمير البقش السعوى صاحب اللحف ، وهو صقع بالعراق ، ويدكر السلطانى ، وقصداها فى جموع كثيرة ، وصدر منهم قن عظيمة تضمنتها التواريخ ، فشرع الوزير قوام الدين بن صدقة فى تدبير الحال ، فأخفق مسعاها ، فحينئذ استأذن عون الدين الخليفة فى أمرهم ، فأذن له فى ذلك ، فخاطب هؤلاء الخارجين على الخليفة ، وأحسن التدبير فى ذلك حتى كف شرهم ، ثم قوى عليهم حتى نهبت العامة أموالهم ، وجرت المقادير بهذه الأحوال لرفع ابن هبيرة ووضع الوزير ابن صدقة ، فانه عند انقضاء هذا المهم استدعى الخليفة المقتفى عون الدين بمطالعة على يد أميرين من أمراء الدولة فتبين بقراءته لها التباشير فى أسرته ، فركب إلى دار الخليفة فى جماعته ، وتسامع الناس بوزارته ، ولما وصل إلى باب الحجرة استدعى فدخل وقد جلس له المقتفى بميمنة التاج ، فقبل الأرض وسلم ، وتحدثا ساعة بما لم يحط به غيرها علماً ، ثم خرج وقد جهزوا له التشريف على عادة الوزراء ، فلبسه ، ثم استدعى ثانياً فقبل الأرض ، ودعا بدعاء أعجب الخليفة ، ثم أنشده [من الطويل] :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتى أيا دى لم تمن وإن هى جلت
رأى خلقتى من حيث يخفى مكانها فكانت بمرأى منه حتى تجلت
قلت : وهذان البيتان لإبراهيم بن العباس الصولى المقدم ذكره ، وهى ثلاثة أبيات ، والثانى منهما بعد الأول :

قضى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
ولما أنشد عون الدين هذين البيتين غير نصف البيت الثانى منهما فان الشاعر قال :

* فكانت قذى عينيهِ حتى تجلت *
فما رأى أنه يخاطب الخليفة بهذه العبارة ، فغيرها تأدياً .

ثم إن عون الدين خرج فقدم له حصان أدهم سائل الغرة ومحجل ، وعليه من

الحلى ما جرت به عادتهم مع الوزراء ، والشرح فى ذلك يطول فاختصرته ، وخرج بين يديه أرباب المناصب وأعيان الدولة وأمرء الحضرة وجميع خدام الخلافة وسائر حجاب الديوان ، والطبول تضرب أمامه ، والمستند وراءه محمول على عادتهم فى ذلك ، حتى دخل الديوان ونزل على طرف الديوان ، وجلس فى الدست ، وقام لقراءة عهده الشيخ سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الأنبارى ، ولولا خوف الإطالة لذكرت العهد فانه بديع فى بابه ، لكن قصدى الافتصار فأعرضت عن ذكره ، وهو مشهور فى أيدى الناس ، فلما فرغ من قراءته قرأ القراء وأنشد الشعراء ، وتولى الوزارة يوم الأربعاء الثالث عشر ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وكان لقبه جلال الدين ، فلما ولى الوزارة لقبوه عون الدين وكان عالماً فاضلاً ذا رأى صائب وسريرة صالحة ، وظهر منه فى أيام ولايته ما شهد له بكفايته وحصن مناصحته ، فشكر له ذلك ، ولحظه بمين الرعاية ، وتوفرت له أسباب السعادة ، وكان مكرماً لأهل العلم ، يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم ، ويقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ، ويجرى من البحث والفوائد ما يكثر ذكره .

وصنف كتباً ، فمن ذلك كتاب « الإيضاح » ، عن شرح معانى الصحاح وهو يشتمل على تسعة عشر كتاباً ، شرح الجمع بين الصحيحين ، وكشف عما فيه من الحسك النبوية ، وكتاب « المقنصد » بكسر الصاد المهملة ، وشرحه أبو محمد بن الخشاب النحوى المشهور فى أربع مجلدات شرحاً مستوفياً ، واختصر كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، وله كتاب « العبادات » ، فى الفقه على مذهب الإمام أحمد ، وأرجوزة فى المقصور والممدود ، وأرجوزة فى علم الخط ، وغير ذلك وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير الجزرى فى تاريخه الصغير الأتابكى فى فصل حصار الملك محمد وزين الدين ببغداد ، وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، أن المفتى لأمر الله جد فى حفظ

بغداد ، وقام وزيره عون الدين بن هبيرة في هذا الأمر المقام الذي يعجز عنه غيره
قال : وأمر المقتنى فنودى ببغداد : من جرح وقت القتال فله خمسة دنانير ، فكان كل
من جرح يوصل ذلك إليه ، فحضر بعض العامة عند الوزير مجروحاً فقال الوزير :
هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئاً ، فعاد إلى القتال فضرب في جوفه فخرجت
أعماؤه ، فعاد إلى الوزير فقال : يامولانا الوزير أيرضيك هذا ؟ فضحك منه وأمر
له بصلّة ، وأحضره من يعالجه ، انتهى كلام ابن الأثير .

قلت : وهذا محمد هو ابن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وزير الدين
هو أبو الحسن علي بن بكتكين المعروف بكجك والد مظفر الدين صاحب إربل
وقال غير ابن الأثير : إن الملك اسمه محمد شاه ، وإن هذه القضية كانت في
سنة اثنتين وخمسين ، والله أعلم .

ذكر ذلك ابن الجوزي في كتاب « شذور العقود » وهو أخير ، لأنها بلدة
وهو بها ، وقد ذكرت محمد شاه في ترجمة أبيه .

وتوفي الإمام المقتنى لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر ليلة الأحد ثاني
ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وبويع ولده المستنجد بالله
أبو المظفر يوسف ، فدخل عليه وبايعه وأقره على وزارته وأكرمه ، وكان خائفاً
منه أن يعزله ، فلم يعزله ، ولم يتعرض له ، ولم يزل مستعزراً في وزارته إلى حين وفاته
ومدحه جماعة من أمثال شعراء عصره : منهم أبو الفوارس سعد بن محمد
المعروف بابن صيفي الملقب حيص بيص المقدم ذكره ، وله فيه مدائح منتخبة ،
فمن ذلك قوله [من الطويل] :

يهز حديث الجود ساكن عطفه كما هز شرب الحى صهباء قرقف

ويرسو إذا طاشت حبا القوم واغتدت

صعاب الذرا من زعزع الخطب ترجف

صروم الدنيا هاجر كل سبة ولكنه بالمجد صب مكلف

يضيق بأذى العار ذرعا وصدره بأهوال ما يدنى من الحمد نفث
إذا قيل عون الدين يحيى تالق السهام وماس السهمى المشقف
وكانت عوائدهم فى بغداد فى شهر رمضان أن الأعيان يحضرون سباط الخليفة
عند الوزير، وهم يسمون السباط «الطبق» وكان الحيص بيص من جملة من يحضر
الطبق، وكانت نفسه أبيّة وهمته عربية، وإذا أحضروا الطبق تخطاه وقعد فوقه
من أرباب المراتب جماعة ليس فيهم فضل، فيجد فى نفسه لذلك مشقة عظيمة
فكتب إلى الوزير عون الدين يستعفيه من الحضور [من البسيط]:

يا باذل المال فى عدم وفى سعة ومطعم الزاد فى صبح وفى غسق
وحاشر الناس أغنتهم فواضله إلى مزيد من النعماء مندفق
فى كل بيت خوان من مكارمه يبرهم وهو يدعوهم إلى الطبق
فاض النوال فلولا خوف منعمة من بأس عدلك نادى الناس بالفرق
وكل أرض بها صوب وساكبة حتى الوغى من نجيع الخيل والفرق
صن منكبي عن زحام إن غضبت له

تمكن الطعن من عرضى ومن خلقى
فان رضيت به فالذل منقصه فكم تكلفته حملا فلم أطق
أنا المريض بأحداث وسورتها وليس غير إبائى حافظ رمتى
وهبه لى كعطايك التى كثرت فالجود بالعز فوق الجود بالورق
إن اصفرار محن الشمس من حزن على علاها لمرماها إلى الأفق
وإن توهم قوم أنه حق فربما اشتبه التوقير بالحق

وأهدى إلى الوزير عون الدين دواة بلور مرصعة بمرجان، وفى مجلسه
جماعة منهم الحيص بيص، فقال الوزير: يحسن أن يقال فى هذه الدواة شئ
من الشعر، فقال بعض الحاضرين، وكان ضريراً، ولم أقف على اسمه
[من الطويل]:

ألين لداود الحديد كرامة يقدره في السرّد كيف يريد
ولان لك البلور وهي حجارة ومعطفه صعب المرام شديد
فقال الحيص بيص : إنما وصفت صانع الدواة ، ولم تصفها ، فقال الوزير :
من غير غير ، فقال الحيص بيص [من البسيط] :

صيغت دواتك من يوميك فاشتبهها على الأنام ببلور ومرجان
فيوم سملك مببض بفيض ندّى ويوم حربك قان بالدم القاني
ثم وجدت البيتين الأولين في كتاب « الجفان » تأليف القاضي الرشيد
أحمد بن الزبير النساني المذكور في أوائل هذا الكتاب ، ونسبهما إلى القاضي
الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر ، وذكر أنه دخل على الأفضل
شاهان شاه أمير الجيوش بمصر ، وقد تقدم ذكره أيضا ، فرأى بين يديه دواة
من عاج محلاة بمرجان ، فقال بديها [من الطويل] :

ألين لداود الحديد كرامة يقدره في السرّد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو حجارة على أنه صعب المرام شديد
ومدحه أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالأبله الشاعر المقدم ذكره
بقصائد عديدة : منها وهي أحسنها فلها ذكرتها ، وهي [من الكامل] :

ولع النسيم وبانة الجرجا	وصفاك إلا الحلى والردعا
يا دُمّية ضاقت خلاخلها	عنها وضقت بحبها ذرعا
قد كنت ذا دمع وذا جلد	فبقيت لا جلداً ولا دمعاً
صيرت جسمي للضنى سكنا	وسكنت بعد تبالة الجرجا
يا من رأى أدماء سائحة	قلبي لها لا المنحني مَرعى
لانت بمثل الغصن مثرها	وحكت بعود أراك طلعاً

وإذا تراجعت الكلام فلا تعدد لأيام الصبا رُجعى
ولقد سمعت بالكأس يصحبنى سكر الواظ وعثة المسعى
فى مستنير الزهر ما صنعت أبراده عدن ولا صنعا
باكرت منتزعا ثراه وما ركب الحمام لبانة فرعا
سكّت عليه البارقات ظبا لبس الغدير لخوفها درعا
ياعاذلى إن شئت تسمعى عدلا فشق لصخرة سمعا
طبعاً جبلت على الغرام كما جبل الوزير على الندى طبعاً

وخرج بعد هذا إلى المديح فأضربت عنه ، ولولا خوف الإطالة لذكرته .
ومدحه أبو الفتح محمد بن عبد الله سبط ابن التعاوىذى المقدم ذكره بقصيدة
واحدة ، وهى [من الطويل] :

سقاها الحيا من أربّع وطلول حكمت دَنَفَى من بعدهم ونجوى
ضمنت لها أجفان عين قريحة من الدمع مدرار الشؤن همول
لئن حال رسمُ الدار عما عهدته فعهد الهوى فى القلب غير محيل
خليلي قد هاج الغرام وشافنى سنى بارق بالأبرقين كليل
ووكّل طرفى بالسهاد لتنظرى قضاء ملىء بالديون مطّول
إذا قلت قد أنحلت جسمى صباة تقول وهل حبّ بغير نحول
وإن قلت دعى بالأسى فيك شاهدى

تقول شهود الدمع غير عدول
فلا تعذلانى إن بكيت صباة على ناقض عهد الوفاء ملول
فأبرح ما يملئ به الصب فى الهوى ملال حبيب أم ملام عدول
ودون الكثيب الفرد بيض عقائل لعين بألباب لنا وعقول
غداة التقت ألحاظها وقلوبنا فلم تجل إلا عن دم وقتيل

ألا حبذا وادى الأراك وقد وشت
برياك ريحاً شمال وقبول
وفى أبرديه كلما اعتملت الصبا
شفاء فؤاد بالفراغ عليل
دعوت سلواً فيك غير مساعدى
وحاولت صبراً عنك غير جميل
تعرفت أسباب الهوى وحملته
على كاهل للنائبات حمول
فلم أحظ في حب الغواني بظائل
سوى رعى ليل بالفراغ طويل
ومنها :

إلى كم تمنى الليالى بمساجد
رزين وقار الحلم غير عجول
أهز اختيلاً فى هواه معاطف
وأسحب تيهها فى ثراه ذبول
لقد طال عهدي بالنوال ، وإننى
لصب إلى تقبيل كف منيل
وإن يدى يحبى الوزير لكافل
بهالى وعون الدين خير كفيل
وكان عون الدين كثيراً ما يمشد [من البسيط] :

ما ناصحتك خبايا الود من أحد
مالم ينلك بمكروه من العذل
مودتى لك تأنى أن تسامحنى
بأن أراك على شىء من الزلل

وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأغلى^(١) بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزى فى تاريخه الذى سماه « مرآة الزمان » وأريته بدمشق فى أربعين مجلداً ، وجميعه بخطه ، وكان أبوه فرغلى مملوك عون الدين ابن هبيرة المذكور ، وزوجه بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج المذكور ، فأولدها شمس الدين ، فولأوه له — أنه سمع مشايخه ببغداد يحكون أن عون الدين قال : كان سبب ولا يلقى الحزن أننى ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت أليماً ، فأشار على بعض أهلى أن أمضى إلى قبر معروف الكرخى رضى الله عنه ، فأسأل الله تعالى عنده ، فإن الدعاء عنده مستجاب ، قال : فأبيت قبر معروف ، فصليت عنده ، ودعوت ، ثم خرجت لأقصد البلد — يعنى بغداد — فاجتزت بعطفاء ، قلت :

(١) فى ب « يوسف بن فرغلى » محرفاً

وهي محلة من محال بغداد ، قال : فرأيت مسجداً مهجوراً ، فدخلت لأصلي فيه ركعتين ، وإذا أنا بمر يض ملقى على بارية^(١) ، فقعدت عند رأسه ، وقلت : ما تشتهي ؟ فقال : سفرجلة ، قال : فخرجت إلى بقال هناك ، فرهنت عنده مئزرى على سفرجلتين وتفاحة ، وأتيته بذلك ، فأكل من السفرجلة ، ثم قال : أغلق باب المسجد ، فأغلقت ، فتنحى عن البارية ، وقال : احفر ههنا ، فحفرت ، وإذا بكوز ، فقال : خذ هذا فأنت أحق به ، فقلت : أمالك وارث ؟ فقال : لا ، وإنما كان لى أخ وعهدى به بعيد ، وبلغنى أنه مات ، ونحن من الرصافة ، قال : فبينما هو يحدثنى إذ قضى نحب ، فغسلته وكفنته ودفنته ، ثم أخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار ، وأتيت إلى دجلة لأعبرها ، وإذا بملاح فى سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة ، فقال : معى معى ، فنزلت معه ، وإذا به من أكثر الناس شبيهاً بذلك الرجل ، فقلت : من أين أنت ؟ فقال : من الرصافة ، ولى بنات ، وأنا صعلوك ، قلت : فما لك أحد ؟ قال : لا ، كان لى أخ ولى منذ زمان ما أدرى ما فعل الله به ، قال : فقلت : ابسط حجرك ، فبسطه ، فصببت المال فيه ، فبهت ، فحدثته الحديث ، فسألنى أن آخذ نصفه ، فقلت : لا والله ولا حبة ، ثم صعدت إلى دار الخلافة وكتبت رقعة فخرج عليها إشراف المخزن ، ثم تدرجت إلى الوزارة .

وقال جدى الشيخ أبو الفرج فى كتاب « المنتظم » : وكان الوزير يسأل الله تعالى الشهادة ويتعرض لأسبابها ، وكان صحيحاً يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى من سنة ستين وخمسمائة ، فنام ليلة الأحد فى عافية ، فلما كان فى وقت السحرة ، فأحضر طبيباً كان يخدمه ، فسقاه شيئاً ، فيقال : إنه سمه ، فمات ، وسقى الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سما ، فكان يقول : سقيت كما سقيت ، ومات الطبيب .

وقال فى المنتظم أيضاً : وكنت ليلة مات الوزير نائماً على سطح مع

أصحابي ، فرأيت في المنام كآني في دار الوزير وهو جالس ، فدخل رجل ويده
 حربة قصيرة فضر به بها بين أنثيينه ، فخرج الدم كالغواراة فضر به الحائط ،
 فالتفت فاذا بخاتم من ذهب ملقى ، فأخذته وقلت : إن أعطيه ؟ أنتظر خادماً
 يخرج فأعطيه إياه ، وانتبهت وحدثت أصحابي بالرؤيا ، فلم أستتم الحديث
 حتى جاء رجل فقال : : مات الوزير ، فقال بعض الحاضرين : هذا محال ، أنا
 فارقته أمس العصر وهو في كل عافية ، وجاء آخر وصح الحديث ، وقال لي
 ولده : لا بد أن تغسله ، فأخذت في غسله ، ورفعت يده لأغسل مقابنه —
 قلت : المقابن : مطاوى البدن مثل الإبط وغيره ، واحدها مقبن ، بفتح الميم
 وكسر الباء الموحدة ، وسكون الغين المعجمة — قال : فسقط الخاتم من يده ،
 فحين رأيت الخاتم تعجبت من المنام ، قال : ورأيت في وقت غسله آثاراً في وجهه
 وجسده تدل على أنه مسموم ، فلما خرجت جنازته غلقت أسواق بغداد ، ولم
 يتخلف عن جنازته أحد ، وصلى عليه في جامع القصر ، وحمل إلى باب البصرة ،
 فدفن في مدرسته التي أنشأها ، وقد دثرت الآن ، ورثاه جماعة من الشعراء ،
 انتهى كلام أبي الفرج ابن الجوزي .

وقال مؤلف سيرة الوزير المذكور : إن سبب موته كان بلغما ثار بمزاجه ،
 وقد خرج مع المستنجد للصيد ، فسقى مسهلاً ، فقصر عن استفراغه ، فدخل إلى
 بغداد يوم الجمعة سادس جمادى الأولى راكباً متحاملاً إلى المقصورة لصلاة الجمعة
 فصلى بها وعاد إلى داره ، فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم ، فوقع مغشياً
 عليه ، فصرخ الجوارى ، فأفاق ، فسكتن ، وبلغ الخبر ولده عز الدين أباعبد الله
 محمداً ، وكان ينوب عنه في الوزارة ، فبادر إليه ، فلما دخل عليه قال له : قد بث
 أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس
 الرؤساء المعروف بابن المسامة جماعة تستعلم ما هذا الصياح ، فتبسم الوزير على
 ما هو عليه من تلك الحال ، وأنشد [من الطويل] :

وكم شامت بي عند موتى جهالة يظل يسيل السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ما ذا يناله من الضر بعدى مات قبل مماتي
ثم تناول مشروباً فاستفرغ به ، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعداً
فسجد فأبطأ ، فحركه فإذا هو ميت ، فطولع به الإمام المستنجد ، فأمر بدفنه .
وخلف ولدين : أحدهما عز الدين المذكور ، والآخر شرف الدين
أبو الوليد مظفر .

وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسي في تاريخ الوزراء أنه ولد
في سنة سبع وتسعين وأربعمائة على ما ذكره من لفظه ، رحمه الله تعالى !
قال بعضهم : رأيت في المنام بعد موته ، فسألته عن حاله ، فقال
[من الخفيف] :

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا بعد ما حال حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفاً ما كسبنا ووجدنا ممحصاً ما اكتسبنا
ولما بلغ خبر موته عضد الدين بن المظفر أستاذ الدار المذكور كان
بمحضرته سبط ابن التعاويذي المذكور قبل هذا ، وهو من موالى بني المظفر ،
فان أباه كان مملوكاً لبعض بني المظفر ، واسمه بشتكين ، فسماه ابنه عبد الله ،
فأراد سبط ابن التعاويذي أن يتقرب إلى عضد الدين لعلمه ما بينه وبين الوزير
فأنشده مرتبلاً [من الخفيف] :

قال لي - والوزير قد مات - قوم قم لنبيكي أبا المظفر يحيى
قلت أهون عندي بذلك رزاً ومصاباً وابن المظفر يحيى
وقال آخر ، ولا أذكر اسمه الآن ، لكنه من الشعراء المشاهير
[من الطويل] :

أيارب مثل المساجد ابن هبيرة يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر
يموت بيحي كل فضل وسودد ويحيا بيحي كل جهل ومنكر

والمقصود أن محاسنه كثيرة ، وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها .

ورأيت في كتاب « النبراس » ، في تاريخ خلفاء بني العباس » تأليف أبي الخطاب بن دحية غلطة أحببت التنبيه عليها في هذا الكتاب كي لا يقف عليها أحد فيظنه مصيباً فيما ذكره ، وهو أنه قال في حلافة المقتني لأمر الله مأماله :

رد خطأ وقع
لابن دحية

وسعد بوزيره أبي المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة ، وقد ذكر المؤرخون فضائل جده ، التي حازها عون الدين من بعده ، ثم ذكر مكرمة جرت لعمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين في دولة بني أمية ، وظن ابن دحية المذكور أن الوزير المذكور من ذرية ذلك المتقدم ، وعجبت منه من ذلك ، فأتى الوزير شديباني النسب كما شرحناه في أول الترجمة ، وذاك فزاري النسب كما يأتي في ترجمة ولده يزيد بن عمر بن هبيرة إن شاء الله تعالى ، وأين شديبان من فزارة ؟ ولا شك أنه ما أوقعه في هذا الأمر إلا ما رآه في نسب الوزير ، فقد جاء فيه عمر بن هبيرة ، فتوهم أن هذا هو ذاك ، وليس الأمر كما توهمه ، ومثل ابن دحية لا يعذر فقد كان حافظاً ، ومطلعاً على أمور الناس ، وهذا الأمر واضح ، لكن الخطأ موكل بالإنسان .

قلت : وأكثر من جرى ذكره في هذه الترجمة قد تقدم ذكره في هذا التاريخ ، وأفردت لكل واحد منهم ترجمة مستقلة ، سوى الشيخ الزبيدي ، فإنه كان كبير القدر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وما انتفع الوزير إلا بصحبته ، وما ذكرته في هذا التاريخ ، فينبغي التنبيه عليه ، إذ مثله لا يهمل ، وكان دخوله بغداد في سنة تسع وخمسمائة ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

وقال أبو عبد الله ابن النجار في تاريخ بغداد : كان مولده بزبيد في ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة ، وتوفي ليلة الاثنين

مستهل شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة جامع المنصور
ببغداد ، رحمه الله تعالى !

وقول الآخر :

أيارب مثل المساجد ابن هبيرة يموت ، ويحيى مثل يحيى ابن جعفر ؟
فالمراد به أبو الفضل يحيى بن القاسم بن عبد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر
الملقب زعيم الدين ، تولى النظر بالبحرين في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين
 وخمسمائة إلى سنة سبع وستين ، ففيها ناب في الوزارة بعد عزل أبي الفرج
ابن المظفر ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي ، وكان مشكوراً ، محمود السيرة ،
محباً لأهل العلم ، وكانت ولادته ليلة الجمعة بعد العشاء الأخيرة التاسع والعشرين
من صفر سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفي ليلة العشرين من شهر ربيع الأول
سنة سبعين وخمسمائة ، ببغداد ، ودفن من الغد في الحريية بقرية له ،
رحمه الله تعالى !

(٧٧٩)

أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي
ابن فرغلي بن زبادة ، الشيباني ، الكاتب ، المنشئ ، الواسطي
الأصل ، البغدادى المولد والدار والوفاة ، الملقب قوام الدين ،
وقيل : عميد الدين

قوام الدين
أبو طالب يحيى
بن سعيد
الشيباني
الكاتب

كان من الأعيان الأمائل ، والصدور الأفاضل ، انتهت إليه المعرفة بأمر
الكتابة والإنشاء والحساب مع مشاركته في الفقه وعلم الكلام والأصول ، وغير
ذلك ، وله النظم الجيد ، جالس أبا منصور بن الجواليقي ، وقرأ عليه وعلى من
بعده ، وسمع الحديث من جماعة ، وخدم الديوان من صباه إلى أن توفي عدة
خدمات ، وكان مليح العبارة في الإنشاء ، جيد الفكرة ، حلو الترصيع ، لطيف
الإشارة ، وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب السجع ،
وله رسائل بليغة وشعر رائع ، وفضله أكثر من أن يذكر ، وتولى النظر بديوان
البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى أن طلب من واسط والحلة ، ولم
يزل على ذلك إلى المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ورتب حاجبا بباب
المتولى ، وقلد النظر في المظالم ، ثم عزل عن ذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع
وسبعين ، ثم أعيد إليه في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ، فلما قتل أستاذار
وهو محمد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن
الصاحب — وكان قتله يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين
 وخمسمائة — ترتب ابن زبادة المذكور مكانه ، ثم عزل في سنة خمس وثمانين ،
وعاد إلى واسط فأقام بها إلى أن استدعى في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين ،
وقلد ديوان الإنشاء في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رمضان ، ثم رد
إليه النظر في ديوان المقاطعات ، فكان على ذلك إلى حين وفاته ، وكان حسن

السيرة ، محمود الطريقة ، متدينا ، حدث بشيء يسير ، وكتب الناس عنه كثيراً من نظمه ونثره ، فمن ذلك قوله [من الخفيف] :

باضطراب الزمان ترتفع الأندال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء ساكناً فإذا حرك ثارت من قعره الأقداء

وله أيضاً [من البسيط] :

إني لأعظم ما يلقونني جليداً إذا توسطت حول الحادث النكد

كذلك الشمس لا تزداد قوتها إلا إذا حصلت في زبرة الأسد

وكتب إلى الإمام المستنجد يهنيه بالعيد [من البسيط] :

يا ماجداً جل قدراً أن نهنيه لنا الهناء بظل منك ممدود

الدهر أنت ، ويوم العيد منك ، وما

في العرف أنا نُهَيْتِي الدهر بالعيد

وله أيضاً عفا الله عنه [من الكامل] :

إن كنت تسعى للسعادة فاستقم تنل المراد ولو سموت إلى السما

ألف الكتابة وهو بعض حروفها لما استقام على الجميع تقدما

وله أيضاً رحمه الله تعالى [من البسيط] :

لا تغبطن وزيراً للملوك وإن أناله الدهر منهم فوق همته

واعلم بأن له يوماً تمر به الأرض الوقور كما مارت لهيبته

هرون وهو أخو موسى الشقيق له لولا الوزارة لم يأخذ بلحميته

وله كل معنى مليح ، وله ديوان رسائل ، وقفت عليه في بلادنا ، ولم يحضرني

شيء منه كي أثبته ههنا .

وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الديبشي في تاريخه : أنشدنا أبو طالب يحيى

ابن سعيد بن هبة الله — يعني ابن زبادة المذكور — من حفظه ، قال : أنشدنا

أبو بكر أحمد بن محمد الأرجاني لما قدم بغداد علينا في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
لنفسه — قلت وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن الأرجاني المقدم ذكره —
قوله [من الطويل] :

ومقسومة العينين من دهش النوى وقد راعها بالعيس رجع حذاء
تجيب باحدى مقلتيها تحيتي وأخرى تراعى أعين الرقباء
رأت حولها الواشين طافوا فغيضت لها مدمعاً واستعصمت بحياء
فلما بكت عيني غداة وداعهم وقد روعتني فرقة القرناء
بدت في محياها خيالات أدمعي فغاروا وظنوا أن بكت لبسكائي
وكتب إليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهربثي الشاعر المقدم
ذكره وقد عزل عن نظر واسط [من الكامل] :

ولأنت إن لم يبلل الغيث الثرى تروى الورى بسماحك الهتان
لم يعزلوك عن البلاد لحالة تدعو إلى النقصان والشنآن
بل منذ رأوا آثار جودك زاخراً حفظوا بلادهم عن الطوفان
قلت : وحكي لي الوجهيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف
بابن سويد التاجر التكريقي قال : كان الشيخ محي الدين أبو المظفر يوسف بن
الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ المشهور قد توجه رسولا من
بغداد إلى الملك العادل بن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب سلطان
مصر في ذلك الوقت ، وكان أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك
الكامل محبوسا في قلعة الكرك يومئذ ، وقد شرحت ذلك في ترجمة الكامل
في هذا التاريخ ، قال الوجهيه : فلما عاد محي الدين راجعاً إلى بغداد ، وقدم دمشق
كنت بها ، فدخلت عليه أنا والشيخ أصيل الدين أبو الفضل عباس بن عثمان
ابن شهاب الإربلي ، وكان رئيس التجار في عصره ، وجلسنا نتحدث معه فقال :
قد حلفت الملك الناصر داود صاحب الكرك أن لا يخرج الملك الصالح من

الحبس إلا بأمر أخيه الملك العادل ، قال : فقال له الأصيل : يا مولانا ، هذا بأمر الديوان العزيز ، فقال محيي الدين : وهل هذا يحتاج إلى إذن ؟ هذا اقتضته المصلحة ، ولكن أنت تاريخ يا أصيل ، فقال : يعني مولانا أني قد كبرت وما أدرى ما أقول ، وأنا أحكي لمولانا حكاية في هذا المعنى أعرها من غرائب الحكايات ، قال : هات ، فقال : كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل في كل شهر حملاً من واسط وهو ثلاثون ألف دينار لا يمكن أن يتأخر يوماً واحداً عن العادة ، فتعذر في بعض الأشهر كمال الحمل ، فضاق صدره لذلك ، وذكره لثوابه ، فقالوا له : يا مولانا هذا ابن زبادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك ، ومتى حاسبته قام بما يتم الحمل وزيادة ، فاستدعاه وقال له : لم لا تؤدي كما يؤدي الناس ؟ فقال : أنا معي خط الإمام المستنجد بالمساحة ، قال : هل معك خط مولانا الإمام الناصر ؟ قال : لا ، قال : قم واحمل ما يجب عليك ، قال : ما ألتفت إلى أحد ، ولا أحمل شيئاً ، ونهض من المجلس ، فقال النواب لابن رئيس الرؤساء : أنت صاحب الوساتين وناظر النظار ، وما على يدك يد ، ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ؟ ولو كبست داره وأخذت ما فيها ما قال لك أحد شيئاً ، وحملوه عليه حتى ركب بنفسه وأجناده ، وكان ابن زبادة يسكن قبالة واسط ، وقدموا إلى ابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر إليه ، وإذا بزبب قد قدم من بغداد ، فقال : ما قدم هذا إلا في مهم ، ننظر ما هو ثم نعود إلى ما نحن بسببه ، فلما دنا من الزبب فاذا فيه خدم من خدام الخليفة ، فصاحوا به : الأرض الأرض ، فقبل الأرض وناولوه مطالعة ، وفيها : قد بعثنا خلعة ودواة لابن زبادة ، فتحمل الخلعة على رأسك والدواة على صدرك ، وتمشي راجلاً إليه ، وتلبسه الخلعة ، وتجهزه إلينا وزيراً ، فحمل الخلعة على رأسه والدواة على صدره ، ومشى إليه راجلاً ، فلما رآه ابن زبادة أنشده ابن رئيس الرؤساء [من الطويل] :

إذا المرء حي فهو يرجي ويتقى وما يعلم الإنسان ما في المغيب

وأخذ يعتذر إليه ، فقال له ابن زبادة « لا تثريب عليكم اليوم » وركب في الزبزب إلى بغداد ، وما علموا أن أحداً سلمت إليه الوزارة غيره ، فلما وصل إلى بغداد كان أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظرواسط ، وقال : هذا ما يصلح لهذا المنصب ، ثم قال الأصيل : ولا يأمن مولانا أن يخرج الملك الصالح ويملك ويعود إليه رسولا ويقع وجهك في وجهه وتستحي منه ، فأنشده محبي الدين قوله [من الطويل] :

وحق يثوب القارطان كلاهما وينشر في الموتى كليب لوائل
فما كان إلا مدينة حتى خرج الملك الصالح من حبس السكر ومملك مصر
وكان ما كان .

قلت : وكنت بمصر ومحبي الدين بها رسول إلى الملك العادل ، وقبض العادل ، وجاء الصالح فخرج محبي الدين للقائه ، وشاهدت ذلك ، هكذا كرى الوجه هذه الحكاية ، وفيها غلط إما من الوجه وإما من الأصيل ، فان ابن زبادة ما ولى الوزارة ، ولا تولى إلا ما ذكرته في أوائل ترجمته ، فان كان هذا صحيحاً فيكون ذلك لما طلب للانشاء كما شرحت ، والله أعلم بالصواب .

قال ابن الديبشي المذكور : سألت أبا طالب بن زبادة عن مولده فقال : ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى عليه بجامع القصر ، ودفن بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسى بن جعفر ، رضي الله عنهما ! يعني ببغداد .

وزبادة — بفتح الزاي — هو القطعة من الزباد الذي يتطيب به النسوان والله أعلم .

(٧٨٠)

أبو الفضل
يحيى بن نزار
المنبجى

أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد ، المنبجى

ذكره الحافظ أبوسعيد^(١) عبد الكريم بن السمعماني في كتاب الذيل على تاريخ الخطيب المختص ببغداد ، فقال : له شعر مطبوع غير متكلف ، وكتب لي أبياتاً من شعره ، وسمعت منه ، وسألته عن مولده فقال : ولدت في المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة ، بمنبج ، وأورد له مقاطيع أنشده إياها ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

وأبيض غض زاد خطُّ عذاره لعاشقه في همه والبلابل
تموج بحار الحسن في وجناته فتقذف منهاً عنبراً في السواحل
وتجرى بخديه الشبيبة ماءها فتذبت ريحانا جنوب الجداول
قلت : وقد خطرت لي على هذا مؤاخنة ، وهي أنه جعل في البيت الثاني « تموج بحار الحسن في وجناته » فكيف يقول في البيت الثالث « وتجرى بخديه الشبيبة ماءها » وما مقدار ماء الشبيبة بالنسبة إلى بحار الحسن ؟ وما كفى هذا حتى جعلها حداول ! والجداول : الأنهار ، وأين الأنهار من البحار ؟ ثم إنه في البيت الثاني قد شبه العذار بالعنبر ، فكيف يجعله في البيت الثالث ريحانا ؟ وأين العنبر من الريحان ؟ وإن كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشعراء أن يشبهوا به العذار ، ولكن في مقطع واحد من الشعر ما لهم عادة يجمعون بينهما ، وكنت قد سمعت في زمن الاشتغال بالأدب بيتين استحسنتهما ولم أعرف قائلهما ، وهما [من السريع] :

يا عاذلي في حب ذي عارض ما البلد الخصب كالماحل
يموج بحر الحسن في خده فيقذف العنبر في الساحل
فلما كان في أوائل سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقفت بالقاهرة المحروسة على

(١) أبو سعيد ، أو أبوسعيد ، كما مر في ترجمته

مجلد من كتاب « السيل والذيل » تأليف عماد الدين الكاتب الأصهباني وقد جعله ذيلًا على كتابه « خريدة القصر » فرأيت فيه ترجمة يحيى بن نزار المنبجى المذكور ، وقد ذكر له مقدار عشرة أبيات يمدح بها السلطان نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى ! وفي جملة الأبيات البيت الثانى من هذين البيتين ، فعلمت أن الذى نظم ذلك المعنى فى البيت الثانى من الثلاثة هو الذى نظم هذين البيتين فى هذه الأبيات التى ذكرها فى كتاب « السيل » ثم بعد ذلك بقليل جاءنى صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد المعروف بالحافظ اليعمورى ، فتذاكرنا ، وجرى ذكر البيتين وقال : إنهما لعماد الدين أبى المناقب حسام الدين بن عدى بن يونس المحلى نزيل دمشق ، وذكر أنه سمعهما منه ، وادعاهما لنفسه ، فقلت له : البيت الذى فيه المعنى ليس له ، بل هو ليحيى بن نزار المنبجى ويكون العماد المحلى قد نظم البيت الأول وجعله توطئة للثانى ، واستعمله على وجه التضمين ، كما جرت العادة فى مثله ، لكن كان ينبغى أن ينبه على أنه تضمين كى لا يعتقد من يقف عليهما أنهما له ، فإن البيت الأول ليس فى جملة أبيات يحيى المنبجى التى يمدح بها نور الدين محموداً رحمه الله تعالى ! ثم من بعد ذلك خطرت لى مؤاخنة على العماد المحلى فانه قال فى بيته الذى جعله توطئة للثانى :

* ما البلد المخصب كالمساحل *

والمخصب والمحل إنما يكون بسبب النبات وعدمه ، والبيت الثانى الذى هو التضمين شبه العذار بالعنبر ، وأين النبات من العنبر ؟ فالتوطئة بين البيتين ليست بملأمة ، وهذه المؤاخنة مثل المؤاخنة المتقدمة على الأبيات الثلاثة .

وكنيت وقفت على بيتين للعماد المحلى أنشدنيهما عند جماعة^(١) ، وهما [من الخفيف] :

قيل لى من هويت قد عبث الشعـر بخديه قلت ماذاك عاره

(١) كذا ، ولعل الأصل « أنشدنيهما عند جماعة » .

جمرة الخلد أحرقت عنبر الخال ل فن ذلك الدخان عذاره
وسنح لى عليهما مؤاخذه مثل المؤاخذه المذكورة ، وهى أنه لما قيل له
إن الشعر عبث بخديه ما أنكر ذلك بل قال « ما ذاك عاره » ، فقد وافق على أنه شعر
غاية ما فى الباب أنه قال هذا الشعر ما هو عاره ، فكيف يقول بعد هذا « جمرة
الخد أحرقت عنبر الخال » إلى آخره ، فجعل العذار دخان العنبر ، وأين دخان
العنبر من الشعر ؟ بل كان ينبغى أن يقول لهم : هذا ما هو شعر ، بل هو دخان
العنبر ، حتى يتم له المعنى

وقد نظم صاحبنا ورفيقنا فى الاشتغال بحلب غون الدين أبو الربيع سليمان
ابن بهاء الدين بن عبد المجيد العجمى الحلبى يبتين ألم فيهما بهذا المعنى وهما
[من الوافر] :

لهيب الخلد حين بدا لعين هوى قلبى عليه كالفراس
فأحرقه فصار عليه خلا وها أثر الدخان على الحواشى
وقد أحسن فى هذا المعنى ، وسلم من تلك المؤاخذه ، لكن وقع فى مؤاخذه
أخرى ، وهى أنه جعل العذار دخان احتراق قلبه ، والعماد جملة دخان العنبر ،
وبين الدخانين بون كبير ، فهذا طيب الرائحة ، وذاك كريه الرائحة
وقد سبق فى ترجمة عبد الله الشنترينى بيتان أبدع فيهما ، وهما [من
الكامل] :

ومهفهف رقت حواشى حسنه فقلوبنا وجدا عليه رفاق
لم يكس سالفه العذار ، وإنما نفضت عليه صباغها الأحداق
والأصل فى هذا الباب كله قول أبى إسحاق إبراهيم الصابى الكاتب
فى غلامه الأسود ، واسمه يمن ، وقد سبق ذكر الأبيات فى ترجمته من هذا
الكتاب ، والمقصود منها ههنا قوله فى أولها [من الخفيف] :

لك وجه كأن يميني خطته بلفظ تملأه آمالي
فيه معنى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه الليالي
وبيتاعون الدين فيهما إلسام بقول أبي الحسين أحمد بن منير الطرابلسي
المقدم ذكره [من الرمل] :

لا تخالوا الخال يعلو خده قطرة من دم جفني نطفت
ذاك من نار فؤادي جذوة فيه ساخت وانطفت ثم طفت
قلت : وقد خرجنا عن المقصود ، وانتشر الكلام ، لكن ما خلا
عن فائدة

وقال أبو سعيد السمعاني أيضاً : أنشدني يحيى بن نزار المنبجي لنفسه
[من البسيط] :

لو صدتني دلالا أو معاتبة لكنت أرجو تلاقيه وأعتذر
لكن ملالا فلا أرجو تعطفه جبر الزجاج عسير حين ينكسر
وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفة

وقال أبو الفرج صدقة بن الحسين بن الحداد في تاريخه المرتب على السنين
ما مثاله : سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، في ليلة الجمعة سادس ذى الحجة مات
يحيى بن نزار المنبجي ببغداد ، ودفن بالوردية ، قيل : إنه وجد في أذنه ثقلا ،
فاستدعى إنساناً من الطرقية ، فامتص أذنه ، فخرج شيء من مخه ، فكان سبب
موته ، رحمه الله تعالى .

وقال السمعاني : هو أخو أبي الغنائم التاجر المعروف ، وذكر أبو الغنائم
ووصفه وأثنى عليه في ترجمة مستقلة في كتاب « الذيل » أيضاً ، رحمه الله تعالى !
وأما العماد الحلي فإنه كان أديباً لطيفاً على ما يحكى عنه من النوادر ، وله نظم
مليح في المقطعات دون القصائد ، وكان يحفظ المقامات وشرحها ، وتوفي ليلة الأربعاء

عاشر شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثمانئة ، بدمشق ، ودفن بمقابر
الصوفية ، وعرف بابن الجمال ، وولد في سنة ستين وخمسمائة تقديراً بقوص ، ونشأ
بالمحلة ، فنسب إليها

ثم وجدت في مسوداتي بخطي بيتاً منسوباً إلى الوجهه أبي الحسن علي بن
يحيى بن الحسين بن أحمد المعروف بابن الدورى الأديب الشاعر وهو [من الرجز]:

عذاره دخان ندّ خاله وريقه من ماء ورد خده

ثم وجدت منسوباً إلى ابن سناء الملك المقدم ذكره ، والصحيح أنها لسعد
ابن ممانى المقدم ذكره أيضاً [من الرجز]:

سمراء قد أزرت بكل أسمر بلونها ولينها وقدها

أنفاسها دخان ندّ خالها وريقها من ماء ورد خدها

لو كتب البدر إلى خدمتها رسالة ترجمها بعبدها

ورأيت للمهذب أبي نصر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن الحلبي المعروف
بابن البرهان الحاسب المنجم الطبري [من الكامل]:

ومهقف رقت نضارة وجهه فالعين تمظر منه أحسن منظر

أصلى بنار الخد عنبر خاله فبدا العذار دخان ذاك العنبر

فعلمت أن العماد الحلبي إنما أخذ ذلك المعنى من أحد هؤلاء ، والله سبحانه
وتعالى أعلم .

(٧٨١)

أبو الحسين يحيى بن أبى على منصور بن الجراح بن الحسين بن
محمد بن داود بن الجراح ، المصرى ، وهذه الزيادة فى نسبه وجدتها
بخط بعض الأدباء ، ولا أتحقها ، والأول أصح

أبو الحسين
يحيى بن منصور
بن الجراح
الكاتب

السكاتب الملقب تاج الدين ، كتب فى ديوان الإنشاء بالديار المصرية مدة
طويلة ، وكتب الكثير ، وكان خطه فى غابة الجودة ، وكان فاضلاً أديباً متقناً^(١) ،
له فطرة حسنة ، وشعر فائق ، ورسائل أنيقة ، سمع الحديث بغير الإسكندرية
المحروسة على الحافظ أبى طاهر السلفى وأبى الشاء حماد بن هبة الله الحرانى ،
وحدث وسمع الناس عليه .

لغز فى الدمليج

وله لغز فى الدمليج الذى تلبسه النساء ، وهو بديع فى بابهِ فأجبت ذكره ،
وهو نثر : ماشى قلبه حجر ، ووجهه قمر ، إن نبذته صبر ، واعتزل البشر ، وإن
أجعتة رضى بالنوى ، وانطوى على الخوى ، وإن أشبعته قبل قدمك ، وصحب
خدمك ، وإن غلفته ضاع ، وإن أدخلته السوق أبى أن يباع ، وإن أظهرته
جمل المتاع ، وأحسن الإمتاع ، وإن شددت ثانيه ، وحذفت منه القافية ، كدر
الحياة ، وأوجب التخفيف فى الصلاة ، وأحدث وقت العصر الضجر ، ووقت
الفجر الخدر ، وجمع بين حسن العقبى وقبح الأثر ، هذا وإن فصلته دعا لك
وأبقى ما إن ركبت هالك ، وربما بلغك آمالك ، وكثر مالك ، وأحسن بعون
المساكين ما لك ، والسلام .

قلت : وهذا اللغز قد يقف عليه من لا يعرف طريق حله ، فيعسر عليه
تفسيره ، فيحتاج إلى الإيضاح ، فأقول : أما قوله « ماشى قلبه حجر » فراده
قلب حروف دمليج ، فانا إذا قلنا هذه الحروف يخرج منها « جلمد » وهو الحجر
وقوله « ووجهه قمر » يريد أنه مستدير كالقمر ، وقوله « إن نبذته صبر واعتزل »

البشر « فالبشر جمع بشرة ، فالإنسان إذا ألقى الدمليج عنه صبر واعتزل بشرته إذ ليس فيه أهلية المنع فهو يصبر ويعتزل المكان الذي كان فيه ، وقوله « وإن أجعته رضى بالنوى » فالتوى لفظ مشترك يقع على البعد وعلى نوى التمر ، وعادتهم في بلاد العراق أن يطحنوا نوى التمر والرطب والبسر ويعلفوا به البقر ، وقصد ههنا هذه التورية ، فان الدمليج إذا أخرج من العضد أو من الساق فقد جاع ، لأنه يكون فارغ الجوف ، ويرضى بالنوى الذى هو البعد عن عضو صاحبه ويقولون « فلان يرضى بالنوى » إذا كان فقيرا لا يجد ما يتبلغ به ، فهو يجترئ بمص النوى ، وهذا يفعله أهل الحجاز والبلاد المجدة كثيرا ، لقلّة الأتوات عندهم ، فقد استعمل صاحب هذا اللفظ لفظة النوى في هذين المعنيين ، وهذه هى التورية ، وقوله « وانطوى على الخوى » فالخوى هو الخلو ، وإذا كان فارغ الجوف فهو خاو ، وقوله « وإن أشبعته قبل قدمك » مراده بالإشباع هنا : ليس الدمليج ، فان صاحبه إذا لبسه فقد ملأ جوفه ، ويكون فوق القدم فكأنه يقبله ، وقوله « وصحب خدمك » فيه تورية أيضا فان الخدم جمع خادم ، وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فانه لا يقال فاعل وجمعه فَعَلْ إلا فى ألفاظ مسموعة مثل خادم وخدم وغائب وغيب وحارس وحرس وجامد وجمد وغير ذلك ، فهو موقوف على السماع ، وخدم جمع خدمة أيضا ، وهو سير يشد فى رسغ البعير تشد إليه شريحة النعل وبه سُمي الخللخال خَدَمَة لأنه ربما كان من سيور يركب فيه الذهب والفضة ويجمع على خِدَام أيضا ، وقوله « وإن غلفته ضاع » هذا فيه تورية أيضا ، فان التغليف أن يجعل للشيء غلافا ، والتغليف استعمال الطيب أيضا وقوله « ضاع » فيه تورية أيضا ، فانه يقال : ضاع الشيء ، من الضياع ، وضاع الطيب ، إذا عبقت رائحته ، وقوله « وإن أدخلته السوق أبى أن يباع » فالسوق جمع ساق ، وفيه التورية أيضا لأن السوق موضع البيع والشراء والسوق كما ذكرناه وقوله « أبى أن يباع » لأن العادة أنه لا يباع إلا إذا أخرج من العضو الذى هو

فيه ، ولا يباع قبل إخراجِه ، فكأنه قبل الإخراج أبى البيع ، وقوله « وإن أظهرته بجل المتاع ، وأحسن الإمتاع » فهذا ظاهر لا حاجة إلى تفسيره ، وقوله « وإن شددت ثانيه » وهو الميم ، و« حذفت منه القافية » وهى الجيم ، فيبقى الدم ، وهو يكدر الحياة بألمه ، ويوجب التخفيف بالصلاة للألم أيضا ، وقوله « وأحدث وقت العصر الضجر » فالعصر فيه التورية أيضا ، لأنه اسم للصلاة ، وهو مصدر لفعل عَصَرَ ، وكذلك الفجر ، لأنه اسم للصبح وهو مصدر لفعل فَجَرَ ، فالإنسان فى وقت عصر الدم يحصل له الضجر والقلق وإذا فجره وخلص منه حصل له الخدر والراحة ، وقوله « وجمع بين حسن العقبي وقبح الأثر » فقصد المقابلة بين الحسن والقبح ، ولا شك أن عقبي انفجار الدم حسنة ، وإن كان الأثر الذى يبقى فى المكان قبيحا ، وقوله « وإن فصلته دعالك » معناه أنك إذا فصلت أحد النصفين من لفظ الدمليج من النصف الآخر ، فالنصف الأول منه « دُم » وهو دعاء للإنسان بالدوام ، وقوله « وأبقى ما إن ركبت هالك » فالباقي منه « لج » واللج هو لج البحر ، وإن كان النصف من الدمليج مخففا ، ولج البحر مشددا ، لكنهم يفتفرون مثل هذا فى الألفاظ والتصاحيف والأحاجى ، ولا يبالون به ، ولا شك أن ركوب البحر أمر هائل ، فلهذا قال « هالك » وربما بلغك آمالك » لأنه يوصل الإنسان إلى الموضع الذى يقصده ، وقوله « وكثر مالك » معناه إذا ركبه الإنسان للتجارة ، وقوله « وأحسن بعون المساكين ما لك » ، فعون المساكين هو السفينة ، كما قال الله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) فهى عون لهم على حاجتهم وسد خلتهم ، ومآل الشئ عاقبة أمره ، والله تعالى أعلم .

قلت : وفى اللغز ثمان لغات ، نُغَز بضم اللام وسكون الغين ، ولُغِز بضمهما ولُغِز بضم اللام وفتح الغين ، ولَغِز بفتح اللام وسكون الغين ، وَلَغِز بفتحهما ، والغوزة بضم الهمزة وسكون اللام وضم الغين ، وَلَغِز بضم اللام وتشديد الغين

مع القصر ، ولغيزاء ، مثل الأول إلا أن الغين مخففة ومفتوحة والالف ممدودة .
وقد طال الكلام لكن الحاجة دعت إليه كي لا يبقى فيه التباس على سامعه .
ورأيت في مجموع بخط بعض الفضلاء بيتين منسوبين إليه ، وهما هذان
[من البسيط] :

أمدُّ كفى إلى البيضاء أفلعها من لحقي فتفديها بسوداء
هذى يدي وهى منى لاتطاوعنى على مرادى فساظنى بأعدائى
وكانت ولادة المذكور فى ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة إحدى
وأربعين وخمسمائة .

وتوفى فى خامس شعبان سنة ست عشرة وستمائة ، بدمياط ، والعدو المخذول
محاصرها ، رحمه الله تعالى !

وجراح : بفتح الجيم ، وتشديد الراء ، وبعد الألف حاء مهملة .
ثم إن العدو ملك دمياط يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر المذكور ، والله أعلم .
ونقلت من خط الشيخ مهنب الدين أبى طالب محمد بن على اللغوى المعروف
بابن الخيمى الحلى نزيل مصر أن العدو نزل قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثانى عشر
ربيع الأول ، سنة خمس عشرة وستمائة ، ونزل البر الشرقى يوم الثلاثاء ،
سادس عشر ذى القعدة من السنة ، وأخذ الثغر يوم الثلاثاء السادس والعشرين
من شعبان سنة ست عشرة وستمائة ، واستعبدت منهم يوم الأربعاء تاسع عشر
رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ، ومدة نزولهم عليها إلى أن انفصلوا عنها ثلاث
سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ، ومن الاتفاق العجيب : نزولهم عليها يوم
الثلاثاء ، وإحاطتهم بها يوم الثلاثاء ، وملكهم لها يوم الثلاثاء ، وقد جاء فى الخبر
أن الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء .

ولفظه دمياط سرىانية ، وأصلها بالذال المعجمة ، ويقولون هى ذهط ، وتفسيره
القدرة الربانية ، فكأنه إشارة إلى مجمع البحرين العذب والملح ، والله تعالى أعلم .

(٧٨٢)

جمال الدين
أبو الحسن
يحيى بن عيسى
ابن مطروح

أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة
ابن إبراهيم بن الحسين بن مطروح ، الملقب جمال الدين

من أهل صعيد مصر ، ونشأ هناك ، وقام بقوص مدة ، وتنقلت به الأحوال
في الخدم والولايات ، ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب
الملقب نجم الدين بن السلطان الملك الكامل بن السلطان الملك العادل بن أيوب
وكان إذ ذاك نائباً عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية ، ولما اتسعت مملكة
الكامل بالبلاد المصرية ، بل بالبلاد الشرقية فصار له أمدٌ وحصن كيفاً وحران
والرها والرقّة ورأس عين وسروج ، وما انضم إلى ذلك ، سير إليها ولده الملك
الصالح المذكور نائباً عنه ، وذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة ، فكان ابن
مطروح المذكور في خدمته ، ولم يزل يتنقل في تلك البلاد إلى أن وصل الملك
الصالح إلى مصر مالكاها ، وكان دخوله القاهرة يوم الأحد السابع والعشرين
من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ثم وصل ابن مطروح بعد ذلك إلى
الديار المصرية في أوائل سنة تسع وثلاثين وستمائة ، فرتبه السلطان ناظرأفي الخزانة
ولم يزل يقرب منه ويحظى عنده إلى أن ملك الملك الصالح دمشق في الدفعة
الثانية ، وكان ذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

ثم إن السلطان بعد ذلك رتب بدمشق نواباً ، فكان ابن مطروح في صورة
وزير لها ، ومضى إليها ، وحسنت حالته ، وارتفعت منزلته .

ثم إن الملك الصالح توجه إلى دمشق ، فوصلها في شعبان سنة ست وأربعين ،
وجّه عسكراً إلى حمص لاستنقاذها من يدي نواب الملك الناصر أبي المظفر
يوسف الملقب صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان
صلاح الدين صاحب حلب ، فانه كان قد انتزعها من صاحبها الملك الأشرف

مظفر الدين أبى الفتح موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد
أسد الدين شيركوه عنوة ، وكان منتصيا إلى الملك الصالح ، فخرج من مصر
لاسترداد حمص له ، فعزل ابن مطروح عن ولايته بدمشق ، وسيره مع العسكر
المتوجه إلى حمص ، وأقام الملك الصالح بدمشق إلى أن ينكشف له ما يكون من
أمر حمص ، فبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا بجزيرة قبرص على عزم قصد الديار
المصرية ، فسير إلى عسكره المحاصرين بحمص وأمرهم أن يتركوا ذلك المقصد
ويعودوا لحفظ الديار المصرية ، فعاد بالعسكر ، وابن مطروح فى الخدمة ، والملك
الصالح متغير عليه ، متنكر له ، لأمر نقمها عليه ، فطرق الفرنج البلاد فى أوائل
سنة سبع وأربعين ، وملكوا دمياط يوم الأحد الثانى والعشرين من صفر من السنة ،
وخيم الملك الصالح بعسكره على المنصورة وابن مطروح مواظب على الخدمة مع
الإعراض عنه ، ولما مات الملك الصالح ليلة النصف من شعبان سنة سبع
وأربعين بالمنصورة وصل ابن مطروح إلى مصر ، وأقام بها فى داره إلى أن مات .

هذه جملة حاله على الإجمال ، وكانت أدواته جميلة ، وخلالة حميدة ،
جمع بين الفضل والروء والأخلاق المرضية ، وكان بينى وبينه مودة أكيدة ،
ومكاتبات فى الغيبة ، ومحاسنات فى الحضرة تجرى فيها مذاكرات أدبية لطيفة ،
وله ديوان شعر أنشدنى أكثره ، فمن ذلك قوله فى أول قصيدة طويلة

[من الكامل] :

هى رامةٌ فخذوا يمين الوادى	وذروا السيوف تقرأ فى الأغناد
وحذارٍ من لحظات أعين عيناها	فلكم صرعن بها من الآساد
من كان منكم واثقا بفؤاده	فهناك ما أنا واثق بفؤادى
يا صاحبيّ ولى بجمرعاء الحمى	قلب أسير ماله من فادى
سلبته منى يوم بانوا مقلّة	مكحولة أجفانها بسواد
وبحى من أنا فى هواه ميت	عين على العشاق بالمرصاد

وأغن مسكى اللى معسوله لولا الرقيب بلغت منه مرادى
 كيف السبيل إلى وصال مُحجَّب ما بين بيض ظمأ وسمر صِعَاد
 فى بيت شعر نازل من شعره فالحسن منه عاكف فى بادية
 حرسوا مهفوف قده بمثقف فتشابه الميأس بالمياد
 قالت لنا ألف العذار بخده فى ميم مبسمه شفاء الصادى
 وهى طويلة اقتصرت منها على هذا القدر للاختصار
 ومن ذلك قوله [من الكامل] :

علقت من آل يعرب لحظه أمضى وأفتك من سيوف عريبه
 أسكنته فى المنحنى من أضلعى شوقا لبارق ثغره وعذبيه
 ياعائى ذاك الفتور بطرفه خلوه لى أنا قد رضيت بعبيه
 لدن وما مر النسيم بعطفه أرج وما نفتح العبير بجيبه
 وكان فى بعض أسفاره قد نزل فى طريقه بمسجد وهو مريض فقال [من الكامل]

يارب إن عجز الطبيب فداونى بلطفيف صنعك واشفى ياشافى
 أنا من ضيوفك قد حسبت وإن من شيم الكرام البر بالأضياف
 ووجدت بعد موته رقعة فيها مكتوب هذان البيتان ، وأخبرنى أنه جرى
 بينه وبين أبى الفضل جعفر بن شمس الخلافة الشاعر المقدم ذكره منازعة فى
 بيت هو من جملة قصيدته التى أولها [من الكامل] :

من لى بغصن بالبحاظ ممنطق حلو الشبائل واللعى والمنطق
 مثرى الروادف مملق من خصره أسمعتم فى الدنيا بنثر مملق
 والبيت الذى قد وقع فيه النزاع قوله :

وأقول يا أخت الغزال ملاحه فتقول لا عاش الغزال ولا بقى
 فزعم ابن شمس الخلافة أن هذا البيت له من جملة قصيدة هى فى ديوانه ،
 وعمل كل واحد منهما محضراً شهد فيه جماعة بأن البيت له ، وحلف لى ابن مطروح

أن البيت له . وكان محترزاً في أقواله ، ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له ، والله المطلع على السرائر .

وأنشدني له بعض أصحابنا قال : أنشدني لنفسه [من الكامل] :
يا من لبست عليه أثواب الضنى صفراً موشعة بحمر الأدمع
أدرك بقية مهجة لو لم تذب أسفاً عليك نفيتها عن أضلعي
وكان في مدة انقطاعه في داره وضيق صدره بسبب عطلمته وكثرة كلفته قد
حدث في عينيه ألم انتهى به إلى مقاربة العمى ، وكنت أجتمع به في كل وقت ،
فتأخرت عنه مديدة لعذر أوجب ذلك ، وكنت في ذلك الوقت أنوب في الحكم
بالتقاهرة المحروسة عن قاضي القضاة بدر الدين أبي الحاسن يوسف بن الحسن
ابن علي الحاكم بالديار المصرية المعروف بقاضي سنجار ، فكتب إلي ابن مطروح
يقول [من السريع] :

يا من إذا استوحش طرفي له لم يخل قلبي منه من أنس
والطرف والقلب ، على ما هما عليه ، مأوى البدر والشمس
وله أيضاً من جملة قصيدة طويلة [من مجزوء الكامل] :

ملك الملاح ترى العيو ن عليه دائرة يَطْقُ
ونخيم بين الضلو ع وفي الفؤاد له سَبَقُ

والبيت الأول مأخوذ من قول المتنبي [من الوافر] :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

واليطق — بفتح الياء المثناة من تحتها والطاء المهملة ، وبعدها قاف — وهي
عبارة عن جماعة من الجند يبيتون كل ليلة حول خيمة الملك محيطين به يحرسونه
إذا كان مسافراً ، وهو لفظ تركي .

والسبق — بفتح السين المهملة والباء الموحدة ، وبعدها قاف — وهي خيمة
الملك إذا كان مسافراً ، فانه تقدم له خيمة إلى المنزلة التي يتوجه إليها ، حتى إذا

جاءها كانت مجهرة له ينزل فيها ، ولا يتوقف على انتظار وصول الخيمة التي كان بها في تلك المنزلة التي رحل منها .

وله بيتان ضمنهما بيت المتنبي وأحسن فيهما ، وهما [من الطويل] :
إذا ما سقاني ريقه وهو باسم (تذكرت ما بين العذيب وبارق)
ويذكرني من قده ومدامعي (مجرعوالينا ومجرى السوابق)
وهذا المعنى المتنبي في أول قصيدة بديعة طويلة ، وهي [من الطويل] :
تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرعوالينا ومجرى السوابق
وكانت بينه وبين بهاء الدين [زهير] المقدم ذكره في حرف الزاي صحبة
قديمة من زمن الصبا ، وإقامتهما ببلاد الصعيد ، حتى كانا كالأخوين ، وليس
بينهما فرق في أمور الدنيا ، ثم اتصلا بخدمة الملك الصالح وهما على تلك المودة ،
وبينهما مكاتبات بالأشعار فيما يجرى لهما ، فأخبرني بهاء الدين زهير أن جمال الدين
ابن مطروح كتب إليه بعض الأيام يطلب منه درج ورق ، وكان قد ضاق به
الوقت ، وأظنها كانا ببلاد المشرق معا [من المنسرح] :

أفلست ياسيدي من الورق فجد بدرج كعرضك اليق
وإن أتى بالمداد مقترناً فرحباً بالحدود والحدق
قال بهاء الدين زهير : وقد فتح الرء من « الورق » وكسرها تنبيها على حاله
فكتبت إليه [من المنسرح] :

مولاي سirt ما رسمت به وهو يسير المداد والورق
وعز عندي تسير ذاك وقد شبهته بالحدود والحدق

وقد سبق في ترجمة بهاء الدين ذكر بيتين كتبهما ابن مطروح إلى بهاء الدين
وذكرت السبب في نظم ذينك البيتين على ما حكاه لي بهاء الدين ، ثم بعد ذلك وصل
إلى الديار المصرية من الموصل بعض الأدباء وجرى حديث ما ذكره لي بهاء الدين
زهير وأنه أنشدني بيت ابن الخلاوي وهو قوله [من البسيط] :

تجيزها وتجز المادحين بها فقل لنا أزهير أنت أم هرم

فقال ذلك الأديب : هذه القصيدة أنشدنيها ناظمها ابن الخلاوى ونحن بالموصل ، وأروى عنه هذا البيت على خلاف هذه الرواية فإنه أنشدنى :
تجيدها ثم تجدو من أتاك بها فقل لنا أزهير أنت أم هرم
فما أدرى : هل ابن الخلاوى أنشدها أولاً كما رواه بهاء الدين زهير ثم غير البيت كما رواه هذا الأديب أم حصل الغلط لأحدهما ؟ والله تعالى أعلم ، مع أن كل واحد من الطرفين حسن .

وقصة زهير بن أبى سلمى المزنى الشاعر الجاهلى المشهور معلومة ، فلا حاجة إلى شرحها والخروج عما نحن بصدده ، فإنه كان يمدح هرم بن سنان المرى أحد أمراء العرب فى الجاهلية ، وكان هرم كثير العطاء له ، حتى آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه غرة من ماله فرساً أو بعيراً أو عبداً أو أمة ، فأجحف ذلك بهرم ، فجعل زهير يمر بالجماعة فيهم هرم فيقول : عُمُوا صباحاً خلا هرماً ، وخيركم تركت .

ونعود إلى ما كنا فيه من حديث ابن مطروح .
بلغنى أنه كتب قبل ارتفاع درجته رقعة تتضمن شفاعاة فى قضاء شغل بعض أصحابه ، أرسلها إلى بعض الرؤساء ، فكتب ذلك الرئيس فى جوابه « هذا الأمر فيه على مشقة » فكتب جوابه ثانياً « لولا المشقة » فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله ، وفهم ما قصده ، وهو قول المتنبي [من البسيط] :
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يقتر والإقدام قتال
وهذا من لطيف الإشارات .

وأنشدنى الأديب الفاضل جمال الدين أبوالحسين يحيى بن عبد العظيم ابن يحيى بن محمد بن على المعروف بالجزار المصرى قصيدة بديعة مدح بها جمال الدين ابن مطروح المذكور ، وهى بديعة طويلة ، فاقتصرت منها على ذكر غزلها ، وهو هذا [من الرمل] :

هو ذا الربيع ، ولى نفس مشوقة فاحبس الركب عسى أقضى حقوقه

فقيـح بي في شرع الهوى بعد ذاك البر أن أرضى عقوقه
 لست أنسى فيه ليلات مضت مع من أهوى وساعات أنيقه
 ولئن أضحي مجازاً بعدهم فغرامى فيه ما زال حقيقه
 يا صديقي والكريم الحر في مثل هذا الوقت لا ينسى صديقه
 ضع يداً منك على قلبي عسى أن تهدي بين جنبي خفوقه
 فاض دمعى مذرأى ربع الهوى ولكم فاض وقد شام بروقه
 نفذ اللؤلؤ من أدمعه فغدا ينثر في الترب عقيقه
 قف معى واستوقف الركب فان لم يقف فاتركه يمضى وطريقه
 فهى أرض قلما يلحقها أمل والركب لم أعدم لحوقه
 طالما استعجلت في أرجائها من يتيه البدر إذ يدعى شقيقه
 يفيض الورد احمراراً خده وتود الحجر لو تشبه ريقه
 فيه الحسن خليق لم يزل والمعانى بابن مطروح خليقه
 وكانت ولادته يوم الإثنين ثامن رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسائة
 بأسيوط.

وتوفى ليلة الأربعاء مستهل شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة بمصر . ودفن
 بسفح الجبل المقطم ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، وأوصى أن يكتب عند
 رأسه دو بيت نظمه في مرضه ، وهو :

أصبحتُ بِقعرِ حفرةٍ مرَّتهاً

لا أملكُ من دُنْيائى إلا كفنًا

يا من وسعت عباده رحمته من بعض عبادك المسيئين أنا
 ومما ذكر أنه وجد في رقعة مكتوبة تحت رأسه بعد موته ، رحمه الله تعالى
 [من المتقارب] :

أُتَجَزَع مَلُوتٌ هَذَا الْجَزَعُ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ فِيهَا الطَّمَعُ^(١)

وَلَوْ بِذُنُوبِ الْوَرَى جُتِهَتْ فَرَحْمَتُهُ كُلُّ شَيْءٍ تَسْعُ

رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى !

وتوفى قاضى القضاء بدر الدين يوسف المذكور يوم السبت رابع عشر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة بالقاهرة ، ودفن فى تربته المجاورة لمدرسته بالقرافة الصغرى .

وأخبرنى مراراً عديدة أنه ولد فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فى جبال إربل ، وهو زرزارى النسب ، رحمه الله تعالى !

وأسيوط : بضم الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وضم الياء المثناة من تحتها وبعدها واو ساكنة ، ثم طاء مهملة - وهى بليدة بالصعيد الأعلى من ديار مصر ومنهم من يسقط الهمزة ويضم السين فيقول : سَيُوط ، والله تعالى أعلم .

(١) « ملوت » أصلها من الموت ، وقد حذف نون « من » الجارة للتخفيف ، والعرب تصنع ذلك فى « من » الجارة ، يحذفون نونها تخفيفاً ، وقال أبو الطيب المتنبي فى مثل هذا الاستعمال :

نحن قوم ملجن فى زى ناس فوق خيل لها شخوص الجبال

(٧٨٣)

أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة ، الطبيب صاحب كتاب « المنهاج »
الذي رتبته على الحروف ، وجمع فيه أسماء الحشائش والمقاقير والأدوية
وغير ذلك شيئاً كثيراً

أبو علي يحيى
ابن عيسى بن
جزلة الطبيب

وكان نصرانياً ثم أسلم ، وصنف رسالة في الرد على النصارى وبين عوار
مذاهبهم ، ومدح فيها الإسلام ، وأقام الحجة على أنه الدين الحق ، وذكر فيها
ما قرأه في التوراة والإنجيل من ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه نبي مبعوث
وأن اليهود والنصارى أخفوا ذلك ولم يظهروه ، ثم ذكر فيها معائب اليهود
والنصارى . وهي رسالة حسنة أجاد فيها ، وقرئت عليه في ذي الحجة سنة خمس
وثمانين وأربعمائة .

وكان سبب إسلامه : أنه كان يقرأ على أبي علي الوليد^(١) المعتزلى ويلزمه ،
فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام ويدكر له الدلائل الواضحة حتى هداه الله تعالى ،
وحسن إسلامه ، وهو تلميذ أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن ، وبه انتفع
في الطب ، وكان له نظر في الأدب ، وكتب الخط الجيد .

وصنف للامام المقتدى بأمر الله كثيراً من الكتب ، فمن ذلك كتاب
« تقويم الأبدان » وكتاب « منهاج البيان ، فيما يستعمله الإنسان » وكتاب
« الإشارة ، في تلخيص العبارة » ورسالة في مدح الطب وموافقته للشرع والرد على
من طعن عليه ، ورسالة كتبها إلى ألياء القسن لما أسلم ، وغير ذلك من التصانيف .
وهو من المشاهير في علم الطب وعمله ، وذكره أبو المظفر يوسف سبط
أبي الفرج بن الجوزى في تاريخه الذي سماه « مرآة الزمان » فقال : إنه لما
أسلم استخلفه أبو الحسن القاضي ببغداد في كتب السجلات ، وكان يطبب

(١) في ب « أبي علي بن الوليد المعتزلى »

أهل محملته ومعارفه بغير أجرة ، ويحمل إليهم الأشربة والأدوية بغير عوض ،
ويتفقد الفقراء ، ويحسن إليهم ، ووقف كتبه قبل وفاته ، وجعلها في مشهد
أبي حنيفة رضي الله عنه ، ذكر هذا كله في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ،
وعادته أن يذكر الإنسان ، ويشرح أحواله في سنة وفاته ، فان كتابه مرتب
على السنين .

وذكر صاحب كتاب « البستان ، الجامع لتواريخ الزمان » أن ابن جزلة
مات سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، وزاد أبو الحسن الهمداني : في أواخر شعبان
نقله عنه ابن النجار في تاريخ بغداد ، وذكر غيره أن إسلامه كان في سنة ست
وستين وأربعمائة ، زاد ابن النجار في تاريخه : يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى
الآخرة ، رحمه الله تعالى !

وجزلة : بفتح الجيم ، وسكون الزاي ، وفتح اللام ، وبعدها هاء ساكنة ،
والله تعالى أعلم .

(٧٨٤)

أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك ، الملقب شهاب الدين ، السهروردي
الحكيم ، المقتول بحلب

شهاب الدين
أبو الفتوح يحيى
بن حبش
السهروردي
الحكيم

وقيل : اسمه أحمد ، وقيل : كنيته اسمه ، وهو أبو الفتوح ، وذكر أبو العباس
أحمد بن أبي أصيبعة الخزرجي الحكيم في كتاب « طبقات الأطباء » أن اسم
السهروردي المذكور عمر ، ولم يذكر اسم أبيه ، والصحيح الذي ذكرته أولا ،
فلهذا بنيت الترجمة عليه ، فاني وجدته بخط جماعة من أهل المعرفة بهذا الفن
وأخبرني به جماعة أخرى لا أشك في معرفتهم ، فقوى عندي ذلك ، فترجمت
عليه ، والله أعلم .

كان المذكور من علماء عصره ، قرأ الحكمة وأصول الفقه على الشيخ
مجد الدين الجيلي بمدينة المراغة من أعمال أذربيجان ، إلى أن برع فيهما .
وهذا مجد الدين الجيلي هو شيخ فخر الدين الرازي ، وعليه تخرج ،
وبصحبته انتفع ، وكان إماما في فنونه .

وقال في « طبقات الأطباء » : كان السهروردي المذكور أوحدهم أهل زمانه
في العلوم الحكمية ، جامعا للعلوم الفلسفية ، بارعا في الأصول الفقهية ، مفرط الذكاء ،
فصيح العبارة ، وكان علمه أكثر من عقله ، ثم ذكر أنه قتل في أواخر سنة ست
وثمانين وخمسائة ، والصحيح ما سذكره في أواخر هذه الترجمة إن شاء الله
تعالى ، وعمره نحو ست وثلاثين سنة ، ثم قال : ويقال إنه يعرف علم السيمياء .
وحكى بعض فقهاء العجم : أنه كان في صحبته ، وقد خرجوا من دمشق ،
قال : فلما وصلنا إلى القايون - القرية التي على باب دمشق في طريق من يتوجه إلى
حلب - لقينا قطيع غنم مع تركاني ، فقلنا للشيخ : يا مولانا نريد من هذه الغنم

رأساً نأكله ، فقال : معى عشرة دراهم ، خذوها واشتروا بها رأس غنم ، وكان هناك تركمانى فاشترينا منه رأساً بها ، ومشينا قليلاً فلحقنا رفيق له ، وقال : ردوا هذا الرأس ، خذوا أصغر منه ، فان هذا ما عرف يديكم ، يساوى هذا الرأس أكثر من ذلك ، وتناولنا نحن وإياه ، فلما عرف الشيخ ذلك قال لنا : خذوا الرأس وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه ، فتقدمنا نحن ، وبقى الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه ، فلما أبعدنا قليلاً تركه وتبعنا ، وبقى التركمانى يمشى خلفه ، ويصيح به وهو لا يلتفت إليه ، فلما لم يكلمه لحقه بغيط وجذب يده اليسرى ، وقال : أين تروح وتخلينى ؟ وإذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه وبقيت فى يد التركمانى ودمها يجرى ، فهت التركمانى وتحير فى أمره ، فرمى اليد وخاف ، فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا ، وبقى التركمانى راجعاً وهو يتلفت إليه حتى غاب عنه ، فلما وصل الشيخ إلينا رأينا فى يده اليمنى منديلاً لا غير . قلت : ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة ، والله أعلم بصحتها .

وله تصانيف ، فمن ذلك كتاب « التنقيحات » فى أصول الفقه ، وكتاب « التلويحات » وكتاب « الهياكل » وكتاب « حكمة الإشراق » ، وله الرسالة المعروفة « بالغرابة الغريبة » على مثال رسالة الطير ، لأبى على بن سينا ، ورسالة « حى بن يقظان » لابن سينا أيضاً ، وفيها بلاغة تامة أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء .

ومن كلامه : الفكر فى صورة قدسية ، يتلطف بها طالب الأريحية ، ونواحى القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون ، وحرام على الأجساد المظلمة أن تلج ملكوت السموات ، فوحيد الله وأنت بتعظيمه ملآن ، واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان ، ولو كان فى الوجود شمسان لانطمست الأركان ، وأبى النظام أن يكون غير ما كان [من الكامل] :

فخفيت حتى قلت لست بظاهر وظهرت من سعي على الأكوان
[من الرمل] :

لو علمنا أننا ما نلتقى لقضينا من سليمى وطرا
اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيف .

وتنسب إليه أشعار : فمن ذلك ما قاله في النفس على مثال أبيات ابن سينا
العينية ، وهي مذكورة في ترجمته في حرف الحاء ، واسمه الحسين ، فقال هذا
الحكيم [من الكامل] :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاها ربع عفت أطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها رجع الصدى أن لا سبيل إلى اللقا
فكأنما برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه ما أبرقا

ومن شعره المشهور قوله [من الكامل] :

أبدا نحن إليكم الأرواح ووصالكم ريجانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشناكم وإلى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمة للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح
وإذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السفاح
وبدت شواهد للسقام عليهم فيها لمشكل أمرهم إيضاح
خفض الجناح لكم وليس عليكم

للصّب في خفض الجناح جناح

فالى لقاءكم أنفسه مرتاحة وإلى رضاكم طرفه طامح

عودوا بنور الوصل من غسق الجفا

فألهجر ليل والوصال صباح

صافاهم فصصفوا له فقلوبهم في نورها المشكاة والمصباح

وتمتعوا فالوقت طاب لِقربكم

راق الشراب ورقت الأقداح

يا صاح ليس على الحب ملامة

إن لاح في أفق الوصال صباح

لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى

كتمانهم فمأ الغرام فباحوا

محموا بأنفسهم وما بخلوا بها لما دروا أن السماح رباح

ودعاهم داعى الحقائق دعوة فغدوا بهامستأنسين وراحوا

ركبوا على سنن الوفا ودموعهم بحر وشدة شوقهم ملاح

والله ما طلبوا الوقوف بيبابه حتى دُعوا وأتاهم المفتاح

لا يظرون لغير ذكر حبيبهم أبداً فكل زمانهم أفراح

حضرُوا وقد غابت شواهد ذاتهم

فتهتكوا لما رأوه وصاحوا

أفناهم عنهم وقد كشفت لهم

حجب البقا فتلاشت الأرواح

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

قم يانديم إلى المدام فهاتها في كاسها قد دارت الأقداح

من كرم إكرام بدن ديانة

لا خمرة قد داسها الفلاح

وله في النظم والنثر أشياء لطيفة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها ، وكان شافعي المذهب ، ويلقب بالمؤيد بالملسكوت ، وكان يتهم بتحلال العقيدة والتعطيل ، ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين ، واشتهر ذلك عنه ، فلما وصل إلى حلب أفقى علماؤها بإباحة قتله ، بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه ، وكان أشد الجماعة عليه الشيخان زين الدين ومحمد الدين ابنا حميد

وقال الشيخ سيف الدين الآمدي المقدم ذكره في حرف العين: اجتمعت بالسهروردي في حلب ، فقال لي : لا بد أن أملك الأرض ، فقلت له : من أين لك هذا ؟ قال : رأيت في المنام كأني شربت ماء البحر ، فقلت : لعل هذا يكون اشتهاً العلم وما يناسب هذا ، فرأيت أنه لا يرجع عما وقع في نفسه ، ورأيت أنه كثير العلم قليل العقل ، ويقال : إنه لما تحقق القتل كان كثيراً ما ينشد [من مجزوء الوافر] :

أرى قديمي أراق دمي وهان دمي فيها ندمي

والأول مأخوذ من قول أبي الفتح علي بن محمد البستي المقدم ذكره [من مجزوء الوافر] :

إلى حنفي مشي قديمي أرى قديمي أراق دمي

فلم أنفك من ندم وليس بِنَافعي ندمي

وكان ذلك في دولة الملك الظاهر صاحب حلب ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله ، فحبسه ، ثم خنته بآشارة والده السلطان صلاح الدين ، وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، بقلعة حلب ، وعمره ثمان وثلاثون سنة

وذكره القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب في أوائل مسيرة صلاح الدين ، وقد ذكر حسن عقيدته فقال : كان كثير التعظيم لشعائر الدين ،

وأطال الكلام في ذلك ، ثم قال : ولقد أمر ولده صاحب حلب بقتل شاب نشأ
يقال له « السهروردي » قيل عنه : إنه معاند للشرائع ، وكان قد قبض عليه ولده
المدكور لما بلغه من خبره ، وعرف السلطان به ، فأمر بقتله ، فقتله وصلبه أياما
ونقل سبط ابن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد المدكور أنه قال : لما كان
يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة أخرج الشهاب
السهروردي ميتا من الحبس بحلب ، ففترق عنه أصحابه

قلت : وأقت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين
في أمره ، وكل واحد يتكلم على قدر هواه : فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد ،
ومنهم من يعتقد فيه الصلاح ، وأنه من أهل الكرامات ، ويقولون : ظهر لهم
بعد قتله ما يشهد له بذلك ، وأكثر الناس على أنه كان ملحداً لا يعتقد شيئاً ،
نسأل الله تعالى العفو والعاقبة والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ، وأن
يتوفانا على مذهب أهل الحق والرشاد ، وهذا الذي ذكرته في تاريخ قتله هو
الصحيح ، وهو خلاف ما نقلته في أول هذه الترجمة ، وقد قيل : إن ذلك كان
في سنة ثمان وثمانين ، وليس بشيء أيضاً

وحبس — بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة ، وبالشين المعجمة —
وأميرك — بفتح الهمزة ، وبعدها ميم مكسورة ، ثم ياء مقناة من تحتها
ساكنة ، وبعدها راء مفتوحة ، ثم كاف — وهو اسم أعجمي معناه أمير تصغير
أمير ، وهم يلحقون الكاف في آخر الاسم للتصغير
وقد تقدم الكلام على سهرورد في ترجمة الشيخ أبي النجيب عبد القاهر
السهروردي ، فليطلب منه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(٧٨٥)

أبو جعفر يزيد
ابن القعقاع
المدني ،
القاريء

أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، القاريء ، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة
الخرزومي عتاقة ، ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدني

أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ! وعن مولاه
عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه ! وسمع عبد الله
ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ! ومروان بن الحكم ، ويقال : قرأ على
زيد بن ثابت رضى الله عنه ! وروى القراءة عنه عرضاً نافع بن عبد الرحمن بن
أبي نعيم وسليمان بن مسلم بن جمار وعيسى بن وردان الحذاء وعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم ، وله قراءة

قال أبو عبد الرحمن النسائي : يزيد بن القعقاع ثقة ، وكان يقرئ الناس
بالمدينة قيل وقعة الحرة

وقال محمد بن القاسم المالكي : أبو جعفر يزيد بن القعقاع مولى أم سلمة
رضى الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ويقال : إنه جندب بن
فيروز مولى عبد الله بن عياش الخرزومي ، وكان من أفضل الناس ، وقال سليمان
ابن مسلم : أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع أنه كان يقرئ في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل الحرة ، وكانت الحرة على رأس ثلاث وستين سنة من
مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأخبرني أنه كان يمسك المصحف
على مولاه عبد الله بن عياش ، وكان من أقرأ الناس وكنت أرى كل ما يقرأ
وأخذت عنه قراءته ، وأخبرني أنه أتى به إلى أم سلمة رضى الله عنها وهو صغير ،
فمسحت على رأسه ، ودعت له بالبركة ، قال سليمان المذكور : وسألته متى أقرأت
القرآن ؟ فقال : أقرأت أو قرأت ؟ فقلت : لا بل أقرأت ، فقال : هيهات ،
قبل الحرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث وخمسين سنة .

وقال نافع بن أبي نعيم . لما غسل أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارىء بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف ، فما شك أحد ممن حضره أنه نور القرآن .

وقال سليمان بن مسلم : أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع حين كان نافع يمر به فيقول : أترى هذا ؟ كان يأتيني وهو غلام له ذؤابة فيقرأ على ثم كفرني ، وهو يضحك .

قال سليمان : وقالت أم ولد أبي جعفر : إن ذلك البياض الذي كان بين نحره وفؤاده صار غرة بين عينيه .

وقال سليمان : رأيت أبا جعفر بعد موته في المنام وهو على السكبة فقلت له : أبا جعفر ؟ قال : نعم ، اقرأ إخواني عنى السلام ، وأخبرهم أن الله تعالى جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين ، وقرأ أبا حازم السلام وقل له : يقول لك أبو جعفر : الكيس ، الكيس ، فان الله عز وجل وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات .

وقال مالك بن أنس : كان أبو جعفر القارىء رجلاً صالحاً يفتي الناس بالمدينة وقال خليفة بن خياط : مات أبو جعفر يزيد بن القعقاع سنة اثنتين وثلاثين ومائة بالمدينة ، وقال غيره : مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقال أبو على الأهوازي في أول كتاب « الإقناع » في القراءات : قال ابن جاز : ولم يزل أبو جعفر إمام الناس في القراءة إلى أن توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، بالمدينة ، وقيل : إنه توفي في سنة ثلاثين ومائة ، والله أعلم .

قلت : وقد تكرر ذلك الحرة في هذه الترجمة في مواضع ، وقد يتشوق وقعة الحرة إلى الوقوف على معرفة ذلك من لا علم له به .

والحرة في الأصل : اسم لكل أرض ذات حجارة سود ، فتي كانت بهذه

الصفة قيل لها : حرة ، والجرار كثيرة ، والمراد بهذه الحرة : حرة واقم —
بالقاف المكسورة — وهى بالقرب من المدينة فى جهتها الشرقية .

كان يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى مدة ولايته قد سیر إلى المدينة
جيشا ، مقدمه مسلم بن عقبة المرى ، فنهبها ، وأخرج أهلها إلى هذه الحرة ،
فكانت الواقعة بها ، وجرى فيها ما يطول شرحه ، وهو مسطور فى التواريخ ،
حتى قيل : إنه بعد وقعة الحرة ولدت أ كثر من ألف بكر من أهل المدينة ، ممن
ليس لهم أزواج ، بسبب ما جرى فيها من الفجور .

ثم إن مسلم بن عقبة المرى لما قتل أهل المدينة وتوجه إلى مكة ، نزل به
الموت بموضع يقال له « ثنية هرشى » ، فدعا حصين بن نمير السكونى ، وقال
له : يا برذعة الحمار ، إن أمير المؤمنين عهد إلىّ إن نزل بى الموت أن أوليك
الجيش ، وأكره خلافه عند الموت ، ثم إنه أوصى إليه بأمور يعتمدها ، ثم قال :
لئن دخلت النار بعد قتلى أهل الحرة إنى إذا لشتى .
وأما واقم : فانه اسم أطم من أطام المدينة .

والأطم — بضم الهمزة والطاء المهملة — شبيهه بالقصر ، وكان مبنيًا عند
هذه الحرة فأضيفت الحرة إليه ، فقيل « حرة واقم » ، والله تعالى أعلم .

(٧٨٦)

أبوروح يزيد بن رومان ، القسارى ، مولى الزبير بن العوام المدنى
بن رومان
المدنى القارىء
أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة الخزومى ، وسمع
ابن عباس وعروة بن الزبير رضى الله عنهم ! وروى القراءة عنه عرضا نافع
ابن أبى نعيم .

قال يحيى ابن معين : يزيد بن رومان ثقة .
وقال وهب بن جرير : حدثنا أبى قال : رأيت محمد بن سيرين ويزيد
ابن رومان يعتدان الآى فى الصلاة .

وقال يزيد بن رومان : كنت أصلى إلى جنب نافع بن جبـير بن مطعم ،
فيغمزنى ، فأفتح عليه ، ونحن نصلى .

وروى يزيد أن الناس كانوا يقومون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه بثلاث وعشرين ركعة فى شهر رمضان^(١) .

وتوفى يزيد فى سنة ثلاثين ومائة ، رحمه الله تعالى !
ورؤمان : بضم الراء ، وسكون الواو ، وبعدها ميم ، ثم ألف ونون .

(١) يريد صلاة « التراويح » التى تصلى بعد صلاة العشاء فى ليالى رمضان ،
وعدد ركعات هذه الصلاة يختلف فيه .

(٧٨٧)

أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، الأزدي

أبو خالد يزيد
بن المهلب بن
أبي صفرة
الأزدي

قد تقدم ذكر أبيه في حرف الميم ، ورفعتُ نسبه وتكلمت عليه ، فأغنى
عن الإعادة هنا .

ذكر ابن قتيبة في كتاب «المعارف» وجماعة من المؤرخين : أنه لما مات
أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته كان قد استخلف ولده يزيد مكانه ، ويزيد
ابن ثلاثين سنة ، فمكث نحواً من ست سنين من يومئذ ، فعزله عبد الملك بن
مروان برأى الحجاج بن يوسف الثقفي ، وولى مكانه في خراسان قتيبة بن
مسلم الباهلي — قلت : وقد تقدم ذكره في حرف القاف — وصار يزيد في يد
الحجاج — قلت : وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب — وكان الحجاج
يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه لئلا يترتب مكانه ، فكان
يقصده بالمكره في كل وقت كي لا يثب عليه ، وكان الحجاج في كل وقت
يسأل المنجمين ومن يعانى هذه الصناعة عن يكون مكانه ، فيقولون : رجل اسمه
يزيد ، فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد المذكور ، والحجاج يومئذ
أمير العراقين ، وكذا وقع ، فانه لما مات الحجاج ولى يزيد مكانه ، هذا
قول المؤرخين

ونعود إلى تنمة ما ذكره في «المعارف» — قال : فعذبته الحجاج ، وهرب
يزيد من حبسه إلى الشام يريد سليمان بن عبد الملك ، فأتاه ، فشفع له إلى
أخيه الوليد بن عبد الملك ، فأمنه ، وكف عنه ، ثم ولاه سليمان خراسان حين
أفضت إليه الخلافة ، فافتتح جرجان ودهستان ، وأقبل يزيد يريد العراق ،
فتلقاه موت سليمان بن عبد الملك ، فصار إلى البصرة ، فأخذه عدى بن أرمطة ،
فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فحبسه عمر ، فهرب من

حبسه ، وأتى البصرة ، ومات عمر ، فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك ، فوجه إليه أخاه مسلمة ، فقتله .

وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير : يزيد ابن المهلب ، ولى إمارة البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم نزع عمر بن عبد العزيز وولى عمر عدى بن أرطاة ، وقدم به على عمر مسخوطا عليه ، وحكى عن أنس ابن مالك ، وعمر بن عبد العزيز ، وأبيه المهلب ، وروى عنه عبد الرحمن ، وأبو عيينة بن المهلب ، وأبو إسحاق السبيعي ، وغيرهم .

وقال الأصمعي : إن الحجاج قبض على يزيد وأخذنه بسوء العذاب ، فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم ، فان أداها وإلا عذبه إلى الليل ، قال : فجمع يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه ، فدخل عليه الأختل الشاعر ، فقال [من الطويل] :

أبا خالد بادت خراسان بعدكم وصاح ذوو الحاجات أين يزيد

فلا مطر المروان بعدك مطرة ولا اخضر بالمروين بعدك عود

فما لسرير الملك بعدك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

قوله في البيت الثانى « فلا مطر المروان ، ولا اخضر بالمروين » هما : تشنية صرو ، إحداهما : مرو الشاهجان ، وهى العظمى ، والأخرى : مرو الروذ ، وهى الصغرى ، وكتنهما مدينتان مشهورتان بخراسان ، وقد تكررت في هذا الكتاب ، قال : فأعطاه المائة ألف ^(١) ، فبلغ ذلك الحجاج ، فدعا به ، وقال : يا مروزي ، أفيك هذا الكرم وأنت بهذه الحالة ؟ قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده .

قلت : هكذا ذكر ابن عساكر ، والمشهور أن صاحب هذه الواقعة وهذه الأبيات هو الفرزدق . ثم إنى رأيت هذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم ، والله أعلم بالصواب .

(١) الصواب في العربية أن يقول « مائة ألف »

وذكر الحافظ أيضا : أن يزيد لما هرب من الحجاج ، قاصداً سليمان ابن عبد الملك ، وهو يومئذ بالرملة ، فاجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب ، فقال لسلامه : استسقنا من هؤلاء لبنا ، فأتاه بلبن ، فشر به ، فقال : أعطهم ألف درهم ، فقال الغلام : إن هؤلاء لا يعرفونك ، قال : لكنني أعرف نفسي ، أعطهم ألف درهم ، فأعطاهم .

وقال الحافظ أيضا : حج يزيد بن المهلب ، فطلب حلاقا ، فجاء ، فحلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحير ودهش ، وقال : بهذا الألف أمضي إلى أمي فلانة فأشترى بها ، فقال : أعطوه ألفا أخرى ، فقال : امرأتى طالق إن حلقت رأس أحد بعدك ، فقال : أعطوه ألفين آخرين .

وقال المدائني : وكان سعيد بن عمرو بن العاص مواخيا ليزيد بن المهلب ، فلما حبس عمر بن عبد العزيز منع الناس من الدخول إليه ، فأتاه سعيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لي على يزيد خمسون ألف درهم ، وقد حلت بيني وبينه ، فان رأيت أن تأذن لي فأقتضيه ، فأذن له ، فدخل عليه ، فسر به يزيد ، وقال : كيف وصلت إلي ؟ فأخبره سعيد ، فقال : والله لا تخرج إلا وهي معك ، فامتنع سعيد ، فحلف يزيد ليقضنها ، فوجه إلى منزله ، حتى حمل إلى سعيد خمسون ألف درهم .

وزاد ابن عساكر ، فقال : وفي ذلك قال بعضهم [من الطويل] :

فلم أر محبوسا من الناس ماجدا

حبا زائراً في السجن غير يزيد

سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازة

بخمسين ألفا عجلت لسعيد

وقال يزيد يوما : والله للحياة أحب من الموت ، ولثناء حسن أحب إلى من الحياة ، ولو أنى أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن يكون لى أذن أسمع بها غداً ما يقال فى إذا أنا مت .

وقد سبق ذكر هذا الكلام فى ترجمة أبيه المهلب ، وأنه من كلامه ، لامن كلام ابنه يزيد ، والله أعلم .

وقال أبو الحسن المدائنى : باع وكيل يزيد بن المهلب بطيخا جاءه من مغل بعض أملا كه بأربعين ألف درهم ، فبلغ ذلك يزيد ، فقال له يزيد : تركتنا بقالين ، أما كان فى عجائز الأزد من تقسمه فيهن ؟ وغضب غضبا شديداً .

ومدحه عمر بن لجأ بشعر يقول فيه [من البسيط] :

آلُ المهلب قوم إن نسبهمُ كانوا المكارم آباء وأجدادا
كم حاسد لهمُ يعيا بفضلهمُ ومادنا من مساعيمهم ولا كادا
إن العرائن تلقاها محسدة ولا ترى للثام الناس حسادا
لو قيل للهجد حيد عنهمُ وخلصهم

بما احتكمت من الدنيا لما حدا

إن المكارم أرواح يكون لها

آل المهلب دون الناس أجسادا

وقال الأصمعى : قدم على يزيد بن المهلب قومٌ من قضاة ، فقال رجل منهم [من الكامل] :

والله ما ندرى إذا ما فانا طلب لديك من الذى نتطلب

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسب

فاصبر لمعادتك التى عودتنا ألا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار ، فلما كان في العام المقبل وفد عليه ، فأنشده
[من الكامل] :

مألى أرى أبوابهم مهجورة
وكان بابك مجمع الأسواق
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى
بيديك فانتجعوا من الآفاق
إني رأيتك للمكارم عاشقاً
والمكرمات قليلة العشاق
فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وأجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب ،
كلما يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة ، والله أعلم .
وكان لهم في الشجاعه أيضاً مواقف مشهورة .

وحكى ابن الجوزى في كتاب « الأذكياء » أن يزيد بن المهلب وقعت
عليه حيلة ، فلم يدفعها عن نفسه ، فقال له أبوه : ضيعت العقل من حيث
حفظت الشجاعة .

ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي على
الحجاج ، وقصته مشهورة ، أتى تستر ، فاجتمع إليه جماعة ، فدكروا يوماً آل
المهلب ووقعوا فيهم ، فقال عبد الرحمن لحريش بن هلال القريعي ، وكان في القوم :
مالك يا أبا قدامة لا تتكلم ؟ فقال : والله ما أعلم أحداً أصون لنفسه في الرخاء
ولا أبذل لها في الشدة منهم .

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب ، فرأى بنيه قد ركبوا
عن آخرهم ، فقال : أنس الله الإسلام بتلاحقكم ! أما والله لنن لم تكونوا أسباط
نبوة إنكم لأسباط ملحمة .

ومات ابن لحبيب بن المهلب بن أبي صفرة ، فقدم أخاه يزيد ليصلى عليه ،
فقال له : أتقدمه وأنت أسن منه والميت ابنك ؟ فقال : إن أخى قد شرفه الناس
وشاع فيهم له الصيت ، ورمقته العرب بأبصارها ، فكبرهت أن أضع منه ما قد
رفعه الله تعالى .

ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى يزيد بن المهلب وهو يمشى وعليه
حلة يسحبها ، فقال له : ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله ؟ فقال يزيد : أما
تعرفني ؟ فقال : بلى ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قدرة ، وأنت بين ذلك تحمل
العذرة ، قلت : وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله البسامي الخوارزمي [من المنسرح] :

عجبتُ من مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ مِنْ قَبْلِ نَظْفَةِ مَذْرَةٍ
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حَسَنِ صُورَتِهِ يَصِيرُ فِي الْأَرْضِ جِيفَةً قَذْرَةٍ
وَهُوَ عَلَى عَجَبِهِ وَنَحْوَتِهِ مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذْرَةَ

وذكر الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير في ترجمة أبي خراش
مخلد بن يزيد بن المهلب أن مخلداً أحد الأسخياء الممدوحين ، وفد على عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه يكلمه في أمر أبيه يزيد ، وقد حبسه عمر ، وكان أبوه
قد ولاه جرجان ، فاجتاز في طريقه بالكوفة ، فأثاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر
المشهور في جماعة من أهل الكوفة فقام بين يديه وأنشده [من المتقارب] :

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ
وَلَا تُتَكَلَّمْنَا إِلَى مَعْشَرٍ مَتَى يَعْدُوا عِدَّةَ يَكْذِبُوا ^(١)
فَأَنْتَ فِي الْفَرْعِ مِنْ أَسْرَةٍ لَهِمْ خَضَعُ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ
وَفِي أَدَبٍ فِيهِمْ مَا نَشَأَتْ فَنَعْمَ لَعَمْرُكَ مَا أَدَبُوا ^(٢)
بَلَغْتَ لَعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سَنِيَّتِكَ مَا بَلَغَ السَّيِّدُ الْأَشْيَبُ
فَهَمَّكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ وَهَمَّ لَدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا

(١) في ب « ولا تتكلنا » ولا يستقيم عليه الوزن ، وأثبتنا ما في الأغاني ومهذبه

(٢) في الأغاني « وفي أدب منهم ما نشأت »

وجدت فقلت ألا سائل فيسأل أو راغب يرغب^(١)
فمنك العطية للسائلين ومن يباليك أن يطلبوا
فقال : هات حاجتك ، فقضاها ، وقيل : أمر له بمائة ألف درهم .
وقدم على مخلد رجل قد زاره قبل ذلك فأجازه ، وقضى حقه ، فلما عاد إليه
قال له مخلد : ألم تكن أتيتنا فأجزناك ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي ردك إلينا ؟
قال : قول السمكيت فيك [من الوافر] :
فأعطى ثم أعطى ثم عدنا فأعطى ثم عدت له فعادا
مراراً ما أعود إليه إلا تبسم ضاحكا وثني الوسادا
فأضعف له ما كان أعطاه .

وقال قبيصة بن عمر المهلبى : كان يزيد بن المهلب قد فتح جرجان وطبرستان
وأخذ صول ، وهو رئيس من رؤسائهم — قلت : كان صاحب جرجان ، وهو جد
إبراهيم بن العباس الصولى وأبى بكر محمد بن يحيى الصولى الأديبين ، الشاعرين ،
المشهورين — قال : فأصاب يزيد أموالا كثيرة وعروضا كثيرة ، فكتب إلى
سليمان بن عبد الملك : إني قد فتحت طبرستان وجرجان ، ولم يفتحهما أحد من
الأكاسرة ولا أحد ممن كان بعدهم غيرى ، وإني باعث إليك بقطارات عليها
أحمال الأموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندي ، فلما مات سليمان
وأفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعده أخذه عمر بهذه العدة
لسليمان فحبسه ، فقدم ابنه مخلد على عمر ، قال قبيصة المهلبى : وهب مخلد من
لدى خروجه من مرو الشاهجان إلى أن ورد دمشق ألف ألف درهم ، فلما أراد
مخلد الدخول على عمر لبس ثيابا مستنكرة وقلنسوة لاطية ، فقال له عمر : لقد
شمرت ، فقال له : إذا شمرت شمرنا ، وإذا أسبلتم أسبلنا ، ثم قال له : قد وسع
الناس عفوك ، فما بالك حبست هذا الشيخ ؟ فان تكن عليه بيعة عادلة فاحكم عليه
وإلا فيمينه ، أو فصالحه على ضياعه ، فقال يزيد : أما اليمين فلا تتحدث العرب

(١) فى الأغنى ومهذبه « ألا سائل * فيعطى ولا راغب يرغب »

أن يزيد بن المهلب صبر عليها ، ولكن ضياعى فيها وفاء لما يطلب .
ومات مخلد وهو ابن سبع وعشرين سنة ، فقال عمر : لو أراد الله بهذا
الشيخ خيراً لأبقى له هذا الفتى ، ويقال : إن مخلد بن يزيد أصابه الطاعون فمات
وصلى عليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ثم قال : اليوم مات فتى العرب
وأنشده متمثلاً [من الطويل] :

على مثل عمرو تذهب النفس حسرة

وتضحى وجوه القوم مغبرة سودا
ورثاه حمزة بن بيض الحنفى المقدم ذكره بأبيات منها [من الوافر] :
وعطلت الأسرة منك إلا سريرك يوم تحجب بالثياب
وآخر عهدنا بك يوم يحثى عليك بدابق سهل التراب
وقال الفرزدق يرثيه [من الطويل] :

وما حملت أيديهم من جنازة ولا ألبست أثوابها مثل مخلد
أبوك الذى تستهزم الخليل باسمه وإن كان فيها قيد شبر مطرد
وقد علموا إذ شد حقيقه أنه هو الليث ليث الغاب لا بالمعرب

قلت : وهذا يدل على أن مخلد بن يزيد مات فى حدود سنة مائة من الهجرة
لأن عمر بن عبد العزيز ولى الخلافة فى صفر سنة تسع وتسعين ، وتوفى فى رجب
سنة إحدى ومائة ، وقد مات عنده ، وصلى عليه ، ويدل على أن موت مخلد كان
بدابق ما تقدم من مرثية حمزة بن بيض ، ودابق : قرية من أعمال حلب من
جانبها الشمالى ، وإليها ينسب المرج الذى يقال له « مرج دابق » وبه كانت وفاة
سليمان بن عبد الملك ، وقبره هناك مشهور .

ونعود إلى ذكر يزيد :

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه الكبير : إن المغيرة بن المهلب كان نائباً عن
أبيه بمرو وعمله كله ، ومات فى رجب سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه فى ترجمة

المهلب ، فأتى الخبر إلى يزيد ، وعلم أهل المعسكر ، ولم يعلموا المهلب ، وأحب
يزيد أن يعلمه من النساء فصرخن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،
فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه ، فلامه بعض خاصته ، فدعا يزيد فوجهه
إلى مرو وجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على خيته ، وكتب الحجاج إلى
المهلب يعزیه عن المغيرة ، وكان سيداً .

قلت : وكان للمغيرة ابن اسمه بشر ذكره أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة
في الباب ، وأورد من شعره قوله في يزيد [من الطويل] :

جفاني يزيد والمغيرة قد جفا وأمسى يزيد لي قد ازور جانبه
وكلهم قد نال شبعاً لبطنه

وشبع الفتى لؤم ، إذا جاع صاحبه
فياعم مهلاً واتخذني لنوبة تنوب فان الدهر جم نوائبه
أنا السيف إلا أن للسيف نبوة ومثلي لا تدبو عليك مضاربه
على أي باب أبتغي الإذن بعد ما

حجبت عن البساب الذي أنا حاجبه

رجعنا إلى تنمة كلام الطبري : وكان المهلب يوم مات المغيرة مقياً بكش وراء
النهر لحرب أهلها ، فسار يزيد في ستين فارساً ، فلقبهم خمسمائة من الترك في
المفازة ، وحاصل الأمر أنه جرى بينهم قتال شديد ، ورمى يزيد في ساقه ، ثم إن
المهلب صالح أهل كش على فدية وانصرف عنهم متوجهاً إلى مرو ، فلما وصل إلى
زاغول قرية من أعمال مرو الرود أصابته الشوصة ، فدعا ولده حبيباً ومن حضر
من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أفتر ونسكم كسريها مجتمعة ؟ فقالوا : لا
قال : أفتر ونسكم كسريها مفترقة ؟ قالوا : نعم ، قال : هكذا الجماعة ، ثم أوصاهم
وصية طويلة لا حاجة إلى ذكرها ، ثم قال في آخرها : وقد استخلفت يزيد ،
وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد ، فلا تحالفوا يزيد ، فقال له

ولده المفضل : لو لم تقدمه لقدمناه ، ومات المهلب حسباً شرحناه في ترجمته ، وأوصى إلى حبيب ، فصلى عليه حبيب ، ثم سار إلى مرو ، فكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاء المهلب واستخلافه إياه ، فأقره الحجاج ، ثم إنه عزله في سنة خمس وثمانين ، واستعمل أخاه المفضل ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد على عبد الملك فمر في منصرفه بدير ، فنزله ، فقيل له : إن بهذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالماً فدعاه ، وقال : يا شيخ ، هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ فقال : نعم ، نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه وما هو كائن ، قال : أسمى أم موصوفا ؟ قال : كل ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال : نجده في زماننا الذي نحن فيه أنه ملك أقرع ، من يقيم لسبيله يصرع ، قال : ثم من ؟ قال : رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس — قلت : وهو سليمان بن عبد الملك — قال : أفتعلم ما لي ؟ قال : نعم ، قال : فمن يليه بعدى ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يغدر غدره ، لا أعرف غير هذا .

قال : فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، وارتحل ، فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ ، وقدم فكتب إلى عبد الملك أن يستعفيه من العراق ، فكتب إليه : قد علمت الذي تعني ، وأنت تريد أن أعلم رأي فيك ، ثم إن الحجاج أجمع على عزل يزيد ، فلم يجد لذلك سبباً ، حتى قدم الخيار بن سبرة ، وكان من فرسان المهلب ، وكان مع يزيد ، فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ؟ فقل : حسن الطاعة لين السيرة ، قال : كذبت ، أصدقني عنه ، فقال : الله أجل وأعظم ، قد أسرج ولم يلجم ، قال : صدقت ، واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك ، ثم كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ، وخلاصة الأمر أنه كرر القول مع عبد الملك في ذلك إلى أن كتب إليه عبد الملك : قد أكثر في يزيد وآل المهلب ، فسم

لى رجلا يصلح لخراسان ، فسمى له مجاعة بن سعيد السعدى ، فكتب إليه عبد الملك : إن رأيك الذى دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك إلى مجاعة بن سعيد السعدى ، فانظر لى رجلا حازماً ماضياً لأمرك ، فسمى قتيبة بن مسلم الباهلى ، فكتب إليه أن وله ، فبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل بيته : من ترون الحجاج يولى خراسان ؟ قالوا : رجلاً من ثقيف ، قال : كلا والله ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بهوده ، فإذا قدمت عليه ولى غيره ، وأخلق بقتيبة بن مسلم ، قال : فلما أذن عبد الملك للحجاج فى عزل يزيد كره أن يكتب بعزله ، فكتب إليه أن استخلف أخاك المفضل ، وأقبل ، فاستشار يزيد الحصين بن المنذر ، فقال له : أقم واعتل فان أمير المؤمنين حسن رأى فيك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فان أقت ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد ، فقال : إنا أهل بيت بورك لنا فى الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، وأخذ فى الجهاز ، فأبطأ ذلك على الحجاج ، فكتب إلى أخيه المفضل : إني قد وليتك خراسان ، فجعل المفضل يستحث يزيد ، فقال له يزيد : إن الحجاج لا يقرك بعدى ، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدتنى ، قال يزيد : أنا لا أحسدك ولكن ستعلم .

وخرج يزيد فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلى ، وقيل : فيروز بن حصين ، وقال حصين بن منذر ليزيد المذكور [من الطويل] :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتنى

فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً

فما أنا بالباكي عليك صباية

وما أنا بالداعى لترجع سالماً

فلما قدم قتيبة خراسان قال لخصين : كيف قلت ليزيد ؟ قال قلت
[من الطويل] :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فنفسك أول اللوم إن كنت لأنما
فان يبلغ الحجاج أن قد عصيته فانك تدق أمره متفانما
قال : فماذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء
إلا حملها إلى الأمير

وفي تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبد الله بن همام السلولى [من الكامل] :
أفتئيب قد قلنا غداة أتيتنا بدل لعمرك من يزيد أعور
إن المهلب لم يكن كأبيكم هيهات شأنكم أدق وأحقر
شتان من بالصننج أدرك والذي بالسيف شمر والحروب تسعر
حولان باهلة الألى فى ملكهم مات الندى فيهم وعاش المنكر
قوله « بدل أعور » هذا مثل يضرب به للرجل المذموم يتولى بعد الرجل
الحمود ، يقال : بدل أعور ، وخلف أعور .

وقوله « من بالصننج أدرك » يقال : إن قتيبة كان يضرب بالصننج
فى بدء أمره

وقوله « حولان باهلة » جمع أحول ، وكان قتيبة أحول ، وهذا الجمع مثل
قولهم : أسود وسودان ، وأحمر وحران

وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لعبد الله بن همام ، وإنما لتهار بن
توسعة البشكرى

ثم ذكر الطبرى فى سنة تسع وتسعين أن الحجاج خرج إلى الأكراد الذين
غلبوا على عامة أرض فارس ، فخرج يزيد معه وأخواه المفضل وعبد الملك ، وجعل
عليهم فى العسكر كهيمة الخندق ، وجعلهم فى فسطاط قريباً منه ، وجعل عليهم

حرساً من أهل الشام ، وأغرمهم ستة آلاف ألف ، وأخذ يعذبهم ، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً ، وكان الحجاج يعيظه ذلك ، فقليل له : إنه رمى بنشابة فثبت أصلها في ساقه ، فصار لا يمسه شيء إلا صاح ، فان حركت أذنى شيء سمعت صوته ، فأمر أن يعذب به ويرحق ساقه ، فلما فعل به ذلك صاح ، وأخته هند عند الحجاج ، فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت ، فطلقتها ، ثم إنه كف عنهم ، وأقبل يستأديهم ، فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم ، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضم لهم الخيل ويرى الناس أنه يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلى بها كي لا تشتري ، فتكون لنا عدة إن نحن قدرنا أن ننجو من ههنا ، ففعل ذلك مروان بن المهلب ، وحبيب بالبصرة يعذب أيضاً ، فأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير ، فأكلوا ، وأمر لهم بشراب فسقوا ، وكانوا متشاغلين به ، ولبس يزيد ثياب طباخه ، ووضع على لحيته حلية بيضاء ، وخرج ، فرآه بعض الحرس فقال : كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه ، وقال : هذا شيخ ، وخرج المفضل على أثره ولم يظن له ، فجاؤا إلى سفينة وقد هيؤها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخاً ، فلما انتهوا إلى السفينة أبطأ عليهم عبد الملك ، وشغل عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب بنا ، فانه لاحق ، فقال المفضل ، وكان عبد الملك أخاه لأمه : لا والله لا أبرح حتى يجيء عبد الملك ولو رجعت إلى السجن ، فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا في السفينة ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم ، فرفع ذلك إلى الحجاج ، ففزع لذلك الحجاج ، وذهب وهمه أنهم ذهبوا قبل خراسان ، وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يخبره قدومهم ويأمره أن يستعد لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكوز أن يرصدوهم ويستعدوا ، وبعث إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهم ، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان ، ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع

وكان يقول : إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث ، قلت : ابن الأشعث هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان ، وقصته مشهورة مذكورة في التواريخ ، قال الطبري : ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل ، وقد هيئت لهم ، فخرجوا عليهم ، ومعهم دليل ، فأخذ بهم على السماوة ، وأتى الحجاج بعد يومين فقبل له : إنها أخذ الرجل طريق الشام ، وهذه الخيل لهم في الطريق ، وقد أتى من رآهم متوجهين في البر ، فبعث إلى الوليد يعلمه بذلك ، ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي ، وكان كريما على سليمان بن عبد الملك ، وجاء وهيب حتى دخل على سليمان فقل : إن يزيد وإخوته عندي ، وقد أتوا هربا من الحجاج متعوذين بك ، فقال : ائتنى بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حي ، فجاء بهم حتى دخلوا عليه ، فكانوا في مكان آمن ، وكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك : إن آل المهلب خانوا مال الله ، وهربوا مني ، ولحقوا بسليمان ، فلما بلغ الوليد مكانهم عند سليمان أخيه هون عليه بعض ما كان في نفسه ، وطار غضبا للمال الذي ذهبوا به ، وكتب الوليد إلى أخيه سليمان : إن يزيد بن المهلب عندي ^(١) ، وقد آمنته ، وإنا عليه ثلاثة آلاف ألف كان الحجاج غرمهم ستة آلاف ألف ، فأدى ثلاثة آلاف ألف ، وبقيت ثلاثة آلاف ألف ، فهي عليه ، فكتب إليه الوليد : لا والله لا أومنه حتى تبعث به إلى ، فكتب إليه : لئن أنا بعثت به إليك لأجيتن معه ، فأنشدك الله أن لا تنفضني ولا تحقرني ، فكتب إليه الوليد : والله لئن جئتني به لا أومنه ، فقال يزيد : ابعثني إليه ، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ، ولا أن يتشام بي لسكا الناس ، ابعث إليه بي ، وأرسل معي ابنك ، واكتب إليه باللطف ما قدرت عليه ، فأرسل ابنه أيوب معه ، وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق ، فبعثه إليه ، وقال لابنه : إذا أردت

(١) في ب « عندك » وهو ظاهر الفساد

أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة على الوليد ، ففعل ذلك حتى انتهيا إلى الوليد ، فدخلا عليه ، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة مع يزيد قال : والله قد بلغنا من سليمان ، ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، نفسى فداؤك ، فلا تحفر ذمة أبى ، وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منارجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذلل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك ، وقرأ الكتاب ، فاذا فيه : لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان ابن عبد الملك ، أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إنى لأظن أنه لو استجار بى عدو قد نابذك وجاهدك لآنزلته وأجرته ، فانك لآنزل جارى ، ولا تحفر جوارى ، بل إنى لم أجر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر فى الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وبعد فقد بعثت به إليك ، فان كنت إنما تعرف قطيعتى ، والإخفار لذمتى ، والإبلاغ فى مساءتى ، فقد قدرت إن أنت فعلت ذلك ، وأنا أعينك بالله من اختيار قطيعتى وانتهاك حرمتى وترك بى وصلى ، فوالله يا أمير المؤمنين ماتدرى ما بقائى وبقاؤك ، ولا متى يفرق الموت بينى وبينك ؟ فان استطاع أمير المؤمنين - أدام الله سروره ! - أن لا يأتى علينا أجل الوفاة إلا وهو لى واصل ، ولحقى مؤد ، وعن مساءتى نازع ، فليفعل ، والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت لشيء من أمور الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر منى برضاك وسرورك ، ولرضاك مما ألتبس به رضوان الله فان كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتى وصلى وكرامتى وإعظام حقى فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو لى ، فلما قرأ كتابه قال : لقد شققنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ، ثم تكلم يزيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه وآله وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن ينسى ذلك فلسنا بناسيه ، ومن يكفر فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلائنا أهل هذا البيت فى طاعتكم والطعن فى أعين أعدائكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغارب ما إن المنة فيه عظيمة ، فقال له : اجلس ، فجلس فآمنه

وكف عنه ، ورجع إلى سليمان ، وسعى إخوته في المال الذي كتب عليه ، وكتب إلى الحجاج : إني لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان ، فاكف عنهم ، وائته عن الكتاب إلى فيهم ، فلما بلغ ذلك الحجاج كف عنهم ، وكان أبو عيينة عند الحجاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب ، وأقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر في أرغد عيش وأنعم بال لا تأتي سليمان هدية إلا أرسل نصفها إليه

وقال بعض جلساء يزيد له : لم لا تتخذ لك داراً ؟ فقال : وما أصنع بها ولي دار حاصلة بمجزة على الدوام ؟ فقال له : وأين هي ؟ فقال : إن كنت متولياً فدار الإمارة ، وإن كنت معزولاً فالسجن

ومن كلام يزيد : ما يسرنى أن أكنى أمور دنياى كلها ولي الدنيا بمخذا فيرها ، ف قيل له : ولم ذلك ؟ فقال : إني أكره عادة العجز

ثم إن الحجاج مات في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة ، وقيل : كانت وفاته لخمس ليال بقين من شهر رمضان من السنة ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ، وقيل : أربع وخمسون سنة ، ولما حضرته الوفاة استخلف يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين بالبصرة والكوفة ، وولى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهما الوليد ، وكذلك فعل بكل من استخلفه الحجاج ، وقيل : بل الوليد هو الذي ولاهما ، وكانت ولاية الحجاج بالعراقين عشرين سنة .

ثم توفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين للهجرة ، بدير مروان (قلت : وهو بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق) ودفن في مقابر باب الصغير ظاهر دمشق ، وبويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه أخوه الوليد .

وفي هذه السنة — أعنى سنة ست وتسعين — عزل سليمان بن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم عن العراق ، وأمر عليه يزيد بن المهلب ، وقال خليفة بن

خياط : جمع ليزيد المصران - يعني السكوفة والبصرة - سنة سبع وتسعين ، والله أعلم ،
وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ، فكان
يعذبهم ، وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب .

وكان الوليد قد عزم على خلع أخيه سليمان عن ولاية العهد ، ويجعل ولي عهده
ولده عبد العزيز بن الوليد ، وتابعه على ذلك الحجاج وقتيبة بن مسلم الباهلي
والى خراسان الذى تولى بعد يزيد بن المهلب كما سبق ذكره قبل هذا ، فلما
ولى سليمان الخلافة خافه قتيبة بن مسلم ، وتوهم أنه يعزله ويولى خراسان يزيد بن
المهلب ، فكتب إلى سليمان كتاباً يهنته بالخلافة ، ويعزیه عن الوليد ، ويعلمه
بلاؤه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة
والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان ، وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه فيه فتوحه ومكانه
وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته فى صدورهم ، ويذم المهلب وآل المهلب ،
ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه
خلعه ، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة ، وقال له : ادفع إليه هذا الكتاب ،
فإن كان يزيد بن المهلب حاضراً فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه هذا الكتاب ،
وإن قرأ الأول فاحتبس به ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين ، قال :
فقدم رسول قتيبة بن مسلم على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب
فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الكتاب الآخر ، فقرأه ثم رماه إلى يزيد ،
فأعطاه الكتاب الثالث ، فقرأه ، فتغير لونه ، ثم دعا بطين فختمه ، ثم
أمسكه بيده .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان فى الكتاب الأول وقية فى يزيد
ابن المهلب وذ كرغدره وكفره وقلة شكره ، وفى الكتاب الثانى ثناء على يزيد ،
وفى الكتاب الثالث : لئن لم تقرنى على ما كنت عليه وتؤمننى لأخلعنك خلع النمل ،
ولأملأنها عليك خيلاً ورجالاً .

ثم إن سليمان أمر برسول قتيبة أن ينزل بدار الضيافة ، فلما أمسى دعا به وأعطاه صرة فيها دنانير ، وقال : هذه جائزتك مني ، وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر ، وهذا رسولي معك بعده ، فخرج الباهلي ومعه رسول سليمان ، فلما كان بحلولان تلقاهم الناس بخلع قتيبة ، فرجع رسول سليمان ، ودفع العهد إلى رسول قتيبة ، فوصل به إليه ، فاستشار إخوته ، فقالوا : لا يثق بك سليمان بعد هذا .
ثم إن قتيبة قتل كما ذكرته في ترجمته في حرف القاف مع الاختصار لأن الشرح في ذلك يطول .

ثم إن يزيد بن المهلب نظر في نفسه لما تولى العراق فقال : إن العراق قد أخرجها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ، ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ، ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني ، فأتى يزيد سليمان فقال : أدلك على رجل بصير بالخراج توليه إياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم ، فقال : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق ، وكان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد ، ونزل واسط ، ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ، ولم يخرج صالح حتى قرب من المدينة ، ثم خرج إليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشام ، فلقى يزيد وسأله ، فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرغت لك هذه الدار ، فنزل يزيد ، ومضى صالح حتى أتى منزله ، وضيّق صالح على يزيد ، فلم يملكه شيئاً ، واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها ، فأخذها صالح ، فقال له يزيد : اكتب ثمنها علي ، واشترى متاعاً كثيراً وصك صكاً كإلى صالح لبيتاعها منه ، فلم ينفذها ، فرجعوا إلى يزيد ، فغضب وقال : هذا عملي بنفسى ، فلم يلبث أن جاءه صالح ، فأوسع له يزيد ، فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصكاك ؟ إن الخراج لا يقوم لها ، ولقد أنفدت لك منذ أيام صكاً كإبمائة ألف درهم ، وعجلت لك أرزاقك ، وسألت مالا فأعطيتك ، فهذا

لا يقوم له شيء ، ولا يرضى به أمير المؤمنين ، وتتوخذ به ، فقال له يزيد :
يا أبا الوليد أجز هذه الصكك هذه المرة ، وضاحكه فقال : إني أجزه فلا تكثرن
علي ، فقال : لا .

ولما ولي سليمان يزيد العراق لم يوله خراسان ، فقال سليمان لعبد الملك بن
المهلب : كيف أنت يا عبد الملك إن وليتك خراسان ؟ قال : يجدرني أمير المؤمنين
حيث يحب ، ثم أعرض سليمان عن ذلك ، وكتب عبد الملك إلى رجال من
خاصته بخراسان : إن أمير المؤمنين عرض على ولاية خراسان ، فبلغ الخبر إلى
أخيه يزيد وقد ضجر بالعراق ، وقد ضيق عليه صالح بن عبد الرحمن ، ولم يصل
معه إلى شيء ، فدعا يزيد عبد الله بن الأهمم فقال : إني أريدك لأمر قد أهمني ،
وقد أحببت أن تكفينيه ، قال : مرني بما أحببت ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ،
وقد أضجرتني ذلك ، وخراسان شاغرة ، وقد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها
لعبد الملك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم سرحني إلى أمير المؤمنين فإني
أرجو أن آتيك بعهد عليها ، قال : فآتم ما أخبرك به ، وكتب إلى سليمان
كتابين : أحدهما يذكر له فيه أمر العراق ، وأثنى فيه على ابن الأهمم ، وذكر له
علمه بها ، ووجه ابن الأهمم وحمله على البريد ، وأعطاه ثلاثين ألفاً ، وسار سبعاً
فقدم بكتاب يزيد على سليمان ، فدخل عليه وهو يتعدي ، فجلس ناحية ، فأتى
بذجاجتين فأكلهما ، ثم قال له سليمان : لك مجلس بعد هذا نعود إليه ، ثم دعا
به بعد ثلاثة ، فقال له سليمان : إن يزيد بن المهلب كتب إلى يذكر علمك
بالعراق وبخراسان ، ويثنى عليك ، فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم الناس بها ،
بها ولدت ، وبها نشأت ، قال : ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك يشاوره في
أمرها ، فأشعر على برجل أوليه خراسان ، قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد [أن] يولى ،
فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأي فيه ، وهل يصلح أم لا ؟ فسعى سليمان رجلاً
من قریش ، فقال : ليس من رجال خراسان ، فسعى عبد الملك بن المهلب ،

فقال : لا ، حتى عدد رجالا ، فكان من آخر^(١) من ذكر وكيع بن أبي سويد ، فقال : يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم مقدام ، وليس بصاحبها ، ومع هذا إنه لم يقدر ثلثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة ، قال : صدقت ، ويحك ! فمن لها ؟ قال : رجل أعلمه لم تسمه ، قال : فمن هو ؟ قال : لا أبو جاسم ، إلا أن يضمن لي أمير المؤمنين بستر ذلك ، وأن يحيرني منه إن علم ، قال : نعم ، سمع لي ، قال : يزيد بن المهلب ، قال : ذلك بالعراق والمقام بها أحب إليهم من المقام بخراسان ، قال : قد علمت يا أمير المؤمنين ، ولكن تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير ، قال : أصبت الرأي ، فكتب عهد يزيد بن المهلب على خراسان ، وكتب إليه أن ابن الأهم كما ذكرت من عقله ودينه وفضله ورأيه ، ودفع الكتاب وعهد يزيد إليه ، فسار سبعة فقدم على يزيد فقال له : ما وراءك ؟ فأعطاه الكتاب فقال : ويحك ! أعندك خبر ، فأعطاه العهد ، فأمر يزيد بالجهاز للمسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا فقدمه إلى خراسان ، فسار من يومه ، ثم سار يزيد إلى خراسان ، فأقام بها ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم غزا جرجان وطبرستان ودهستان وفتحها ، وذلك في سنة ثمان وتسعين .

وقتل من أصحاب يزيد على حصار بعض قلاع جرجان خمسة آلاف رجل ، فخلف يزيد يمينا مغلظة إنه ليقتلهم حتى تطحن الرحي بدماهم ، فأكثر من قتلهم ، فكانت الدماء لا تجري ، حتى صب عليها الماء فجرت وطحنت ، وأكل مما طحنت بدماهم .

ثم مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل : لعشر ليال مضين من صفر ، والله أعلم ، بدابق قرية من شمالي حلب .

وعهد إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ! فعزل عمر في هذه السنة يزيد ابن المهلب عن العراق ، وجعل مكانه عدى بن أرطاة الفزاري ، فأخذ يزيد

وأوثقه ، وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم ، وكان يزيد يبغض عمر ويقول : إني لأظنه مرائياً ، ولما وصل يزيد سأله عمر عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان فقال : كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به^(١) ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء مما سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال عمر : لا أجد في أمرك إلا حبسك ، فأتق الله وأد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها ، ثم رده إلى محبسه .

وذكر البلاذري في كتاب « فتوح البلدان » في الفصل المتضمن حديث جرجان وطبرستان ، أن يزيد بن المهلب لما فرغ من أمر جرجان سار إلى طبرستان ثم سار إلى خراسان ، فتلقتة الهدايا ، ثم ولي ابنه مخلداً خراسان ، وانصرف إلى سليمان ، فكتب إليه أن معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم ، فوقع الكتاب في يد عمر بن عبد العزيز ، فأخذ يزيد به وحبسه ، وبعث عمر إلى الجراح بن عبد الله الحنكي ، فسرجه إلى خراسان ، ثم قدم مخلد بن يزيد على عمر ، وجرى بينهما ما سبق ذكره ، فلما خرج مخلد بن يزيد قال عمر : هذا عندي خير من أبيه ، فلم يلبث مخلد إلا قليلاً حتى مات ، ولما أبى يزيد أن يؤدي المال إلى عمر ألبسه جبة من صوف ، وحمله على جمل ، ثم قال : سيروا به إلى دهلك (قلت : وهي جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من تقموا عليه) . قال : فلما أخرج يزيد مروا به على الناس ، فجعل يزيد يقول : أما لي عشيرة ؟ يذهب بي إلى دهلك ؟ إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب ، سبحان الله ! أما لي عشيرة ؟ فدخل إلى عمر سلامة بن نعيم الخولاني ، وقال : يا أمير المؤمنين ، اردد يزيد إلى محبسه ، فاني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه ، فاني رأيت قومه قد غضبوا له ، فردّه إلى محبسه ، ولم يزل في محبسه

(١) في ب « ليسمع الناس به » وما أثبتناه موافق لما في الطبري (٧ / ١٣٢)

حتى بلغه مرض عمر ، وقيل : إن عدى بن أرتاة سلمه إلى وكيع بن حسان ابن أبي سود^(١) التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة ليوصله إلى عين التمر حتى يحمل إلى عمر ، فعرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه ، فوثب وكيع ، وانتضى سيفه ، وقطع قلنس السفينة ، وأخذ سيف يزيد بن المهلب ، وحلف بطلاق امرأته ليضر بن عنقه إن لم يتفرقوا عنه ، فناداهم يزيد ، وأعلمهم بيمين وكيع ، فتفرقوا ، ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين التمر ، وحمله الجند إلى عمر ، فحبسه . ولما كان يزيد في حبس عمر دخل عليه الفرزدق ، فرآه مقيداً ، فأنشده [من المنسرح] :

أصبح في قيدك الساحةُ والسجود وحمل الديات والحسبُ
لا بَطْرَ إن ترادفتِ نعمٌ وصابر في البلاء محتسبُ
فقال له يزيد : وبحك ! ماذا صنعت ؟ أسأت إلى ، قال : ولم ذاك ؟ قال :
تمدحني وأنا على هذه الحالة ؟ فقال له الفرزدق : رأيتك رخيصة ، فأجبت أن
أسلف فيك بضاعتي ، فرمى يزيد إليه بخاتمه ، وقال : شراؤه ألف دينار ،
وهو ربحك إلى أن يأتبك رأس المال ، واستمر يزيد في محبسه إلى أن مرض
عمر في سنة إحدى ومائة ، فخاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك بن
مروان أن يلي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ، وكان يزيد بن المهلب لما ولي
العراق قد عذب آل أبي عقيل ، وهم رهط الحجاج كما سبق ذكره .

وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل عند يزيد
ابن عبد الملك ، وهي أم الوليد بن يزيد فاسق بني أمية ، وهي بنت أخي
الحجاج ، وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لأن أمكنه الله من يزيد بن
المهلب ليقطعن منه طابعا ، فكان يخشى ذلك ، فأخذ يعمل في الحرب ، فبعث
إلى مواليه ، فأعدوا له إبلا ، وكان مرض عمر في دير سمعان ، فلما اشتد مرض

(١) في ب « ابن أبي أسود » وما أثبتناه يوافق ما في الطبري (٧ / ١٣٣)

عمر نزل يزيد من محبسه وخرج حتى أتى المسكان الذى فيه إبله ، وقد واعدهم إليه ، فاحتمل ، وخرج ، فلما جاوز كتب إلى عمر : إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسى ، ولكنى لم آمن يزيد بن عبد الملك ، فقال عمر : اللهم إن كان يريد بهذه الأمة شراً فكفهم شره ، واردد كيده فى نحره ، ومضى يزيد ابن المهلب .

وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب : إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر

قلت : وجدت فى مَسَوْدَةِ تاريخ القاضى كمال الدين بن العديم الحلبي ، أن عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب ، وهربا منها ، والله أعلم .
ثم توفى عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة — وقيل : الأربعاء — لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، رحمه الله تعالى ! بدير سمعان ، وقيل : إنه مات لعشر بقين من رجب من السنة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر .
وقيل : إنه مات بَخَنْصِرَة ، وخناصرة — بضم الخاء المعجمة ، وبعدها نون ، وبعد الألف صاد مهملة مكسورة ، وبعد الراء هاء — وهى بليدة قديمة بالقرب من حمص ، وذكرها المتنبي فى قوله [من المنسرح] :
أحب حمصاً إلى خناصرة وكل نفس تحب حياها

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ! وكان يقال له « أشج بن أمية » ، وذلك أن دابة من دواب أبيه كانت شجته .
قال نافع مولى ابن عمر : كنت أسمع ابن عمر كثيراً ما يقول : ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً .

وقال سالم الأفطس : إن عمر بن عبد العزيز رحمته دابة ، وهو غلام بدمشق ، فأتى أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه ! — وهو يبكي فضمته إليها ، وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، ودخل أبوه عليها وهو على تلك

الحال ، فأقبلت عليه تعذله وتلومه ، وتقول : ضيعت ابني ، ولم تضم إليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا ، فقال لها : اسكتي يا أم عاصم ، فطوبى لك إن كان هذا أشجج بني أمية .

وقال حماد بن زيد : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بعجوز تبديع لبناً معها في سوق الليل ، فقال لها : يا عجوز لا تغشى المسلمين وزوار بيت الله تعالى ولا تشوبى اللبن بالماء ، فقالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مر بها بعد ذلك ، فقال لها : يا عجوز ، ألم أقدم إليك أن لا تشوبى لبنك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلته ، فقالت : ابنة لها من داخل الحباء : أغشا وكذبا جمعت على نفسك ؟ فسمعها عمر ، فهم بمعاقبة العجوز ، فتركها لكلام ابنتها .

ثم التفت إلى بنيه ، فقال : أيكم يتزوج هذه ، فعمل الله عز وجل يخرج منها نسمة طيبة مثلها ؟ فقال عاصم بن عمر : أنا أنزوجها ، فزوجها إياه ، فولدت له أم عاصم ، فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز . ثم تزوج بعدها حفصة ، وفيها قيل : ليست حفصة من نساء أم عاصم .

وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأغلى بن عبد الله ، سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزى في كتاب «جوهرة الزمان» ، في تذكرة السلطان «عن ابن عمر قال : بينما أبى يعس بالمدينة ، إذ سمع امرأة وهى تقول لابنتها : يا بنية ، قومى فشوبى اللبن بالماء ، فقالت : يا أماه ، أما سمعت منادى أمير المؤمنين أنه نادى : أن لا يشاب اللبن بالماء ؟ فقالت : وأين أنت من مناديه الساعة ؟ فقالت : إذا لم يرني مناديه ، ألم يرني رب مناديه ؟ .

وفي رواية أخرى ، قالت : والله ما كنت لأطيعه في الملا ، وأعصيه في الخلا ! قال : فبكى عمر رضى الله عنه ، فلما أصبح دعا المرأة وبابنتها ، وسأل : هل لها زوج ؟ فقالت : ليس لها زوج ، فقال : يا عبد الله ، تزوج هذه ، فلو كانت بي

حاجة إلى النساء لتزويجها ، فقلت : أنا في غنى عنها ، فقال : يا عاصم تزويجها ،
فتزويجها ، فجاءت بابتنة ، فحملت بعمر بن عبد العزيز .

ولما مات عمر بن عبد العزيز - رضى الله تعالى عنه ! - ولى مكانه يزيد بن
عبد الملك بن مروان .

ثم إن يزيد بن المهلب لحق بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن
عبد الملك وهو عدى بن أوطاة الفزارى ، فحبسه ، وخلع يزيد بن عبد الملك
ورام الخلافة لنفسه ، فجاءته إحدى خطاياه ، وقبلت الأرض بين يديه ، وقالت :
السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فأنشدها [من الطويل] :

رؤيدك حتى تنظري عمّ تنجلي غمامة هذا العارض المتألق

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات لبشر بن قطنة الأسدي ، قلت : ولا
حاجة إلى تفصيل الحال فيه ، فان شرحه يطول ، وهذه خلاصته .

ثم إن يزيد بن عبد الملك جهز لقتاله أخاه مسامة بن عبد الملك ، وابن
أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، ومعهما الجيش ، وخرج يزيد بن المهلب
للقائهم ، واستخف على البصرة ولده معاوية بن يزيد وعنده الرجال والأموال
والأسرى ، وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العققر .

قلت : هي عقّر بابل ، وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء ، الموضع الذي
قتل فيه الحسين ، رضى الله عنه ! .

والعقّر : بفتح العين المهملة ، وسكون القاف ، وبعدها راء ، وهو في الأصل
اسم القصر .

والمواضع المسماة بالعقّر أربعة : أحدها هذا ، ولا حاجة إلى ذكر الباقي ،
وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعاً ،
الختلف صقعا » .

قال الطبري : ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب فاصطفوا ، ثم اقتتل القوم ، فشد أهل البصرة على أهل الشام ، فكشفوهم ، ثم إن أهل الشام كروا عليهم فكشفوهم ، وكان على مقدمة جيش يزيد أخوه عبد الملك ، فلما انكشف جاء إلى أخيه يزيد ، وكان الناس يباليون يزيد ابن المهلب ، وكانت مبايعته على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن لا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم ، ولا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ، وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحرض الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس إلى أخيه يزيد ، وكان الحسن البصري - رضى الله عنه ! - يثبط الناس عن يزيد بن المهلب ، فقال يوما في مجلسه : يا عجبا لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين غبر برهة من دهره ، ينهك الله في هؤلاء القوم كل حرمة ، ويركب له فيهم كل معصية ، ويأكل ما أكلوا ، ويقتل من قتلوا ، حتى إذا منعوه لمأظفة كان يتلمظها ، قال : أنا لله غضبان فاغضبوا ، ونصب قصبا عليها خرق ، وتبعه رجاجة رعا عبا ما لهم أفئدة ، وقال : أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز ، ألا وإن من سنة عمر : أن توضع رجلاه في قيد ، ثم يوضع حيث وضعه عمر فقال له رجل : أتعذر أهل الشام يا أباسعيد ؟ يعنى بنى أمية ، فقال : أنا أعذرهم ؟ لا أعذرهم الله ! والله لقد حدث ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم إني حرمت المدينة بما حرمت به بلدك مكة » ، فدخلها أهل الشام ثلاثا لا يغلق لها باب إلا أحرق بما فيه ، حتى إن الأقباط والأنباط ليدخلون على نساء قریش ، فيمتزعون حُرهن من رؤوسهن وخالخلهن من أرجلهن بسيوفهم على عواتقهم ، وكتاب الله تعالى تحت أرجلهم ، أنا أقتل نفسى لفاسقين تمارعا هذا الأمر ؟ والله لوددت أن الأرض أخذتهما خسفا

جميعا ، فبلغ ذلك يزيد بن المهلب ، فأتى الحسن ، هو وبعض بنى عمه إلى
حلقتة في المسجد متمكرين ، فسلموا عليه ، ثم خلوا به ، وصار الناس ينظرون
إليهم ، فلاحاه يزيد ، فدخل في ملاحتهما ابن عم يزيد ، فقال له الحسن :
فما أنت وذاك يا ابن اللخناء ؟ فاختلط سيفه ليضربه به ، فقال يزيد : ما تصنع ؟ قال :
أقتله ، فقال له يزيد : اغمد سيفك ، فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا .
قلت : ويزيد بن المهلب المذكور ، هو الذى عنه ابن دريد في مقصورته
المعروفة بالدريدية بقوله [من الرجز] :

وقد سما قبلى يزيدُ طالباً شأوا العلافها وهى ولاؤُ

وكلُّ من شرح الدريدية تكلم على هذا البيت ، وشرح قصته
وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية أيام ،
حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صفر سنة اثنتين ومائة أمر مسلمة أن تحرق
السفن ، فأحرقت ، والتقى الجمعان ، وشبت الحرب ، فلما رأى الناسُ الدخان ،
وقيل لهم : احترق الجسر ، انهزموا فقتل يزيد : قد انهزم الناس ، فقال : مم انهزموا ؟
فقتل له : أحرق الجسر ، فلم يلبث أحد ، فقال : قبحهم الله ! بق دخن عليه فطار ،
وكان يزيد لا يتحدث نفسه بالفرار ، وجاءه من أخيه أن أخاه حبيباً قد قتل ، فقال :
لا خير في العيش بعد حبيب ، قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله
ما زددت لها إلا بغضا ، امضوا قدماً ، قال أصحابه : فعملنا أن الرجل قد استقتل ،
وأخذ من يكره القتال ينكص ، وأخذوا يتسللون ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو
يزدلف ، فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن
أصحابه ، فنجأ أبو روبة المرجى وقال : ذهب الناس ، فهل لك أن تنصرف إلى
واسط فانها حصن تنزلها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في
السفن وتضرب خندقاً ؟ فقال له : قبح الله رأيك ! ألى تقول ؟ ذا الموت أيسر على
من ذلك ، فقال له : فاني أخوف عليك ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ؟ فقال

له : فأننا أبا إليها أجبال حديد كانت أو جبال نار ؟ اذهب عنا إن كنت لا تريد قتلا معنا ، وأقبل على مسلمة لا يريد غيره ، حتى إذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركبه ، فعطفت عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب ، وقتل معه أخوه محمد وجماعة من أصحابه ، وقال القحل - بفتح القاف ، وسكون الحاء المهملة ، وآخره لام - ابن عياش السكبي ، لما نظر إلى يزيد : يا أهل الشام ، هذا يزيد والله لا تقتلنه أو لتقتلنني إن دونه بأساً ، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه ، حتى أصل إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحن نحمل معك ، فحملوا بأجمعهم ، فاضطر بوا ساعة ، وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قليلا ، وعن القحل بن عياش بآخر رمق ، فأومأ إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ، وجاء برأس يزيد مولى لبني صرة ، فقيل له : أنت قتلتهم ؟ فقال : لا ، وفي أثناء الواقعة نظر الحواري بن زياد إلى بردون عائر ، فقال : الله أكبر ! هذا بردون الفاسق ابن المهلب ، قد قتله الله إن شاء الله تعالى ، فطلبوه ، فأتى مسلمة برأسه ، فلم يعرف الرأس ، فقال حبار النبطي : مهما ظننتم فلا تظنوا أن الرجل هرب ، ولقد قتل ، فقال مسلمة : وما علامة ذلك ؟ فقال : إني سمعته أيلم ابن الأشعث يقول : قبح الله ابن الأشعث ! هبوه غلب على أمره ، أكان يغلب على الموت ؟ ألا مات كريما ؟

قلت : ذكر الأمير أبو نصر بن ما كولا في باب « الفحل ، والقحل ، والعجل » مامثاله . وأما القحل فمثل الفحل إلا أن أوله قاف فهو القحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عزيز ، قتل يزيد بن المهلب ، وقتله يزيد ، ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله ، فلما أتى برأس يزيد إلى مسلمة لم يعرف ولم يشكر ، فقيل له : صر برأسه فليغسل ثم ليعمم ، ففعل به ذلك ، فعرفه ، فبعث به إلى أخيه يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط

وقال خليفة بن خياط : ولد يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين ، وتوفي

مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة ، والله أعلم
ولما جاءت هزيمة يزيد واسطأ خرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين
أسيراً كانوا في يديه فضرب أعناقهم ، منهم عدى بن أرطاة ، ثم خرج وقد قال
له القوم : ويحك ! لانراك تقتلنا إلا أن أباك قد قتل ، ثم أقبل حتى أتى البصرة
ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب ، واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة
وقد كانوا يتخوفون الذي كان ، فأعدوا السفن البحرية ، وتجهزوا بكل الجهاز ،
وأراد معاوية بن يزيد بن المهلب أن يتأمر على آل المهلب ، فاجتمعوا ، وأمروا
عليهم المفضل بن المهلب ، وقالوا : المفضل أكبرنا سناً ، وإنما أنت غلام حدث
السن كبعض فتيان أهلك ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كرمان ،
وبكرمان فولد كثيرة فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة عبد الملك في طلب
آل المهلب وطلب الغلول ، فأدركوهم في عقبة بفارس ، فاشتد قتالهم ، فقتل المفضل
وجماعة من خواصه ، ثم قتل آل المهلب عن آخرهم ، إلا أبا عيينة وعثمان بن
المفضل فإنهما نجوا ولحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث مسلمة برؤسهم إلى أخية يزيد وهو
على حلب ، فلما نصبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس المفضل ،
والله لسكأنه جالس معي يحدثني

وقال غير الطبري : لما حمل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال
منه بعض جلسائه ، فقال له : مه إن يزيد طلب جسيماً ، وركب عظيماً ، ومات كريماً ،
ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة
وخراسان في هذه السنة

ولما قتل يزيد بن المهلب رثاه شاعره ثابت قطنة بمرث كثيرة حسنة ، منها
قوله [من الكامل] :

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه وتابعوك وساروا
حتى إذا اشتجر القنا وتركتمهم رهن الأسنة أسلموك وطاروا

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عارا عليك ، ورب قتل عار
قلت : وهذا ثابت قطنة من شعراء خراسان وفرسانهم ، وذهبت عينه ،
فكان يحشوها قطنة ، وقد كان يزيد بن المهلب قد استعمله على بعض كور خراسان
فلما علا المنبر أرتج عليه ، فلم ينطق حتى نزل فدخل عليه الناس فقال [من الطويل] :
فإن لا أقم فيكم خطيباً فإننى بسبقى إذا جد الوغى لخطيب
فقالوا : لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس ، ذكره ابن قتيبة
في كتاب « طبقات الشعراء »

وقال ابن الكلبي في جمهرة النسب : هو ثابت بن كعب بن جابر بن كعب
ابن كرمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن تميم بن الأسد بن الحارث بن العتيك
ابن الأسد بن عمران بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء ، وفيه يقول صاحب
الفيل الحنفي ، وكانا يتهاجيان [من البسيط]

أبا العلاء لقد لا قيت مغلطة يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوى اللسان إذا رمت الكلام كما هوى زلق من شاهق الشيق
لمارمتك عيون الناس ضاحية أنشأت تجرّض لما قت بالريق (١)
وقال غير الطبري : إن الذي قتل يزيد بن المهلب هو الهذيل بن زفر بن
الحارث الكلبي

وقال الكلبي : نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء (٢) ،
وبالسكر يوم العقر

وقال محمد بن واسع : لما جاء نعي يزيد أتتني باكية عمانية تندب لي قتل آل
المهلب ، وقال عباد بن عباد : مكثنا نيفاً وعشرين سنة بعد قتل آل المهلب لا تولد
فيها جارية ولا يموت منا غلام

(١) تجرّض : تشرق وتغص ، ويقال « جرّض فلان بريقه » كناية عن حصره
وعيه عن الكلام (٢) يريد قتل الحسين بن علي ، رضي الله عنهما !

وقال خليفة بن خياط : سنة اثنتين ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر ، وهو ابن تسع وأربعين سنة ، رحمه الله تعالى ! فلقد كان من النجباء الكرماء العظماء الفرسان

وروى أن مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك حين خلعه يزيد بن المهلب ، فراه في ثوب مصبوغ ، فقال له : ألبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه [من البسيط] :

قوم إذا حاربوا شَدُّوا مآزرهم

دُونَ النساء ولو باتتْ بأطهارِ

فقال له مسلمة : ذاك ونحن نحارب أ كفاءنا من قریش ، فأما إن نعق ناعق

فلا ولا كرامة

قلت : وهذا البيت للأخطل التغلبي النصراني الشاعر المشهور

(٧٨٨)

أبو العلاء يزيد

أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار ، الثقفي ، مولاهم

بن دينار
الثقفي

كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وكتابه ، وكان فيه كفاية ونهضة ، قدمه الحجاج بسببهما ، وقد تقدم في ترجمة يزيد بن المهلب أن الحجاج لما حضرته الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ، ولم يغير عليه شيئاً ، وقيل : إن الوليد هو الذي ولاه بعد موت الحجاج ، وقال الوليد يوماً : مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً ، ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان عزل يزيد بن أبي مسلم وبعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المذكور قبله ، وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة^(١) ، وكان رجلاً قصيراً دميماً قبيح الوجه عظيم البطن تحقره العين ، فلما نظر إليه سليمان قال : أنت يزيد بن أبي مسلم ؟ قال : نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال : لعن الله من أشركك في أمانته ، وحكمك في دينه ! قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فانك رأيتني والأمور مدبرة عني ، ولو رأيتني والأمور مقبلة على لاستعظمت ما استصغرت ولا استجلبت ما احتقرت ، فقال له سليمان : قاتله الله ! فما أشد عقله ، وأعصب لسانه ! ثم قال سليمان : يا يزيد ، أترى صاحبك الحجاج يهوى بعدد في نار جهنم أم قد استقر في قعرها ؟ فقال يزيد : لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين ، فإن الحجاج عادي عدوك ، ووالي وليكم ، وبذل مهجته لكم ، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد ، فاجعله حيث أحببت ، وفي رواية أخرى أنه يحشر غداً بين أبيك وأخيك ، فضعهما حيث شئت ، فقال سليمان : قاتله الله ! فما أوفاه لصاحبه ! إذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا ، فقال رجل من جلساء سليمان : يا أمير المؤمنين ، اقتل يزيد ولا تستبقه ، فقال يزيد : من هذا ؟ فقالوا : فلان بن فلان ، فقال يزيد : لقد بلغني أن أمه ما كان شعرها

(١) الجامعة : القيد والغل ، وسيشرحها المؤلف بعد

يوارى أذنيها ، فلم يتمالك سليمان أن ضحك ، وأمر بتخليته ، ثم كشف عنه سليمان ، فلم يجد عليه خيانة لا درهما ولا ديناراً ، فهم باستكتابيه ، فقال له عمر ابن عبد العزيز : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحي ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه ، فقال : يا أبا حفص ، إني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة ، فقال عمر : أنا أوجدك مَنْ هو أَعف عن الدينار والدرهم منه ، فقال سليمان : من هو ؟ قال : إبليس ، مامس ديناراً ولا درهما بيده ، وقد أهلك هذا الخلق ، فتركه سليمان وحدث جويرية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز بلغه أن يزيد بن أبي مسلم خرج في جيش من جيوش المسلمين ، فكتب إلى عامل الجيش أن يرده ، وقال : إني لا أكره أن أستنصر بجيش هو فيهم

ونقل الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب أنه قال : في سنة إحدى ومائة أمر يزيد بن أبي مسلم على إفريقية ، ونزع إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بنى مخزوم ، فصار أحسن سيرة ، وفي سنة اثنتين ومائة قتل يزيد

وقال الطبري في تاريخه الكبير : وكان سبب ذلك أنه كان فيها ذكر عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الزمة ، فأسلم بالعراق ممن ردهم إلى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم على ذلك تأمروا ، فاجتمع رأيهم على قتله ، فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان قبل يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا عن الطاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملاً ، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على إفريقية ، وكان ذلك في سنة اثنتين ومائة

وقال الواضح بن أبي خيثمة : أمرني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه باخراج قوم من السجن ، وفيهم يزيد بن أبي مسلم ، فأخرجتهم وتركته ، ففقد على ، فبينما أنا بأفريقية إذ قيل : قدم يزيد والياً ، فهربت منه ، وعلم بمكاني ، فأمر بطلبي ، فظفرتني ، وحملت إلي ، فلما رأيته قال : طالما سألت الله تعالى أن يمكنني منك ، فقلت : وأنا والله لطالما سألت الله أن يعينني منك ، فقال : ما أعاذك الله ، والله لأقتلنك ولو سابقتني فيك ملك الموت لسبقته ، ثم دعا بالسيف والنطع ، فأتى بهما ، وأمر بالوضح ، فأقيم بالنطع ، وكثف ، وقام وراءه رجل بالسيف ، وأقيمت الصلاة ، فخرج يزيد إليها ، فلما سجد أخذته السيوف . وأدخل إلى الواضح من قطع أكتافه ، وأطلقه ، وأعيد إلى الولاية محمد بن يزيد مولى الأنصار ، والله أعلم

قلت : كان الواضح حاجب عمر بن عبد العزيز ، فلما مرض أمر الواضح باخراج المحابيس ، فأخرجهم سوى يزيد المذكور ، فلما مات عمر هرب الواضح إلى إفريقية خوفاً من يزيد ، وجرى ما جرى ، وكان مرض عمر بخنصرة ، هكذا قاله الطبري « محمد بن يزيد » وابن عساكر ، قال : إسماعيل بن عبيد الله ، والله أعلم بالصواب

وقوله « وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة » فالجامعة : القل ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق
وقوله « وكان رجلاً قصيراً دميماً » بالذال المهملة ، القبيح المنظر ، ومنه قول عمر رضي الله عنه « لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم » ، فانه يعجبهن منه ما يعجبه منهن « وأما الدميم بالذال المعجمة ، فانه المذموم ، وكذا قول ابن الرومي الشاعر المشهور [من الكامل] :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبُغضاً إنه لدميم^(١)
— بالذال المهملة أيضاً — وإنما قيدته بالضبط لأنه يتصحف على الناس كثيراً .

وخُنْصَرة — بضم الخاء المعجمة ، ثم نون ، وبعد الألف صاد مهملة
مكسورة ، ثم راء بعدها هاء — وهى بليدة قديمة من أعمال الأحص^(١) من ولاية
حلب ، بالقرب من قنسرين ، كان عمر بن عبد العزيز أميراً بها من جهة
سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وهى التى عنها المتنبي بقوله [من السكامل] :
أحبُّ حصاً إلى خُنْصَرة وكل نفس تحبُّ محيّاها
وذكرها عدى بن الرقاع العاملى الشاعر المشهور فى قصيدته الدالية
المشهورة فقال [من السكامل] :

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه فسقى خُنْصَرة الأحص وجادها

(١) عبارة ياقوت « بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية ، وهى قصبة
كورة الأحص التى ذكرها الجعدى فقال * فقال تجاوزت الأحص وماءه * » ثم
ذكر بيت عدى وأبيات المتنبي فيها البيت الذى أنسده المؤلف

(٧٨٩)

أبو خالد يزيد بن أبي المثنى عمر بن هبيرة بن معية بن
سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد
ابن عدى بن فزارة

أبو خالد يزيد
بن عمر بن
هبيرة الفزاري

ونسب فزارة معروف ، فلاحاجة إلى الإطالة بذكره
قال ابن دريد : معية تصغير معى ، وهو الواحد من أمعاء البطن ، وقد ردوا
على ابن دريد هذا القول ، فقالوا : بل صوابه أنه تصغير معاوية
وسكين : بضم السين المهملة ، وفتح الكاف
وخديج : بضم الخاء المعجمة
وبغيض : بفتح الباء الواحدة
والباقي معلوم لا حاجة إلى ضبطه
ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه الكبير أن أصله من الشام ،
وأنه ولى قنسرين الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان مع مروان بن محمد آخر
ملوك بني أمية يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراق
ومولده سنة سبع وثمانين . وذكره ابن عياش في تسمية من ولى العراق
وجمع له المصران ، وهما البصرة والكوفة . وكذلك ذكره ابن قتيبة في كتاب
« المعارف » في تسمية من ولى العراقيين ، وعده من الولاة الذين جمع لهم العراقان
فكان أولهم زياد بن أبيه الذى استلحقه ^(١) معاوية بن أبي سفيان ، وآخرهم يزيد
ابن عمر بن هبيرة صاحب هذه الترجمة ، ثم قال : ولم يجمع العراقان لأحد بعد
هؤلاء ، وذكره أيضاً قبل هذا فى ترجمة أبيه عمر ، فقال : وكان أبو جعفر المنصور
حصر يزيد بواسط شهوراً ، ثم أمنه ، وافتتح البلد صلحاً ، وركب إليه يزيد فى
أهل بيته ، وكان أبو جعفر يقول : لا يعز ملك هذا فيه ، ثم قتله

(١) فى ب « الذى استلحقه معاوية »

وقال خليفة بن خياط : وفي سنة ثمان وعشرين ومائة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق ، وذلك قبل قتل الضحاك - يعني ابن قيس الشيباني الخارجي - فسار حتى نزل هيت ، وكان شيخا جسيما طويلا خطيبا أكولا شجاعا ، وكان فيه حسد

وذكره أبو جعفر الطبري في تاريخه في سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال : وفي هذه السنة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج ، ثم ذكر في سنة اثنتين وثلاثين ومائة خروج قحطبة بن شبيب أحد دعاة بني العباس لما أظهروا أمرهم بخراسان وتلك النواحي ، وكان أبو مسلم الخراساني المقدم ذكره في حرف العين أعظم الأعوان وأصل تلك القضية حتى انتظمت أمورها كما هو مشهور ، وقد سبق في ترجمة أبي مسلم طرف من هذا الحديث ، ولا حاجة إلى التطويل فيه ، وكان خروج قحطبة بأرض العراق وقصد محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة ، وجرت وقائع يطول شرحها ، وحاصل الأمر أن قحطبة خاض الفرات عند الفلوجة القرية المشهورة بالعراق ، ليقاتل يزيد بن هبيرة ، وكان في قبائله ، فغرق قحطبة في عشية الأربعاء عند غروب الشمس ثمان خلون من الحرم من السنة ، وقام ولده الحسن بن قحطبة مقامه في مقدمة الجيش ، وهي واقعة مشهورة طويلة ، وليس هذا موضع ذكرها ، وكان معن بن زائدة الشيباني المقدم ذكره من أتباع يزيد بن هبيرة المذكور من أكبر أعوانه في الحروب وغيره فيقال : إنه في تلك الليلة ضرب قحطبة بن شبيب بالسيف على رأسه ، وقيل : على عاتقه فوقع في الماء ، فأخرجه حيا فقال : إن مت فادفنوني في الماء لئلا يوقف أحد على خبري وقيل في غرقه غير ذلك ، والله أعلم

عدنا إلى حديث ابن هبيرة - وكان من خبره أن جيوش خراسان التي كان مقدمها قحطبة ثم ولده الحسن من بعده استظهرت عليه ، فهزمت عسكره ، ولحق ابن هبيرة بمدينة واسط فتمحصن بها ، ثم وصل أبو العباس عبد الله بن محمد بن

على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد الملقب بالمنصور من الحميمة - بضم الحاء المهملة - القرية التي كانت مسكن بني العباس في أطراف الشام من أرض البلقاء إلى الكوفة وبها جماعة من أشياعهم ونوا بهم ومن قام معهم باقامة دولتهم وإزالة دولة بني أمية التي أميرها إذ ذاك مروان بن الحكم الأموي المعروف بالجعدى والمنبوز^(١) بالحمار آخر ملوكهم ، فلما وصلوا إلى الكوفة بويع أبو العباس السفاح بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

وقيل : إن المبايعة كانت في شهر ربيع الأول ، والأول أصح .
وظهر أمر بني العباس ، وقويت شوكتهم ، وأدبرت دولة بني مروان ، فعند ذلك وجه السفاح أخاه أبا جعفر المنصور إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة ، فجاء المنصور إلى العسكر الذي مقدمه الحسن بن قحطبة ، وهو مقابل يزيد بن [عمر بن] هبيرة بواسط ، فترزل عليه .

وقال أبو جعفر الطبرى في تاريخه الكبير : وجرت السفراء بين أبي جعفر المنصور وبين ابن هبيرة ، حتى جعل له أمانا ، وكتب له كتابا ، فكث يشاور فيه العلماء أربعين ليلة ، حتى رضيه ابن هبيرة ، ثم أخذه إلى أبي جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس السفاح ، فأمر بامضائه له ، وكان رأى أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه .

وكان أبو العباس السفاح لا يقطع أمراً دون أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة ، وكان لأبي مسلم عين على السفاح يكتب إليه بأخباره كلها ، فكاتب أبو مسلم إلى السفاح : إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد ، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة .

ولما تم كتاب الأمان خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من

(١) المنبوز : أى الملقب ، من النبز وهو اللقب ، وفي ب « المنبوز »

البخارية ، فأراد أن يدخل الحجرة على دابته ، فقام إليه الحاجب ، فقال : مرحبا بأبي خالد ، انزل راشداً ، وقد أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان ، فنزل ودعاه بوسادة ليجلس عليها ، ثم دعا بالقواد ، فدخلوا ، ثم قال له الحاجب : ادخل يا أبا خالد ، فقال : أنا ومن معي ، فقال : إنما استأذنت لك وحدك ، فقام فدخل ، ووضعت له وسادة وحادثه ساعة ، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره ، حتى غاب عنه ، ثم مكث يغيب عنه يوماً ويأتيه يوماً في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل ، فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر : أيها الأمير ، إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر ، وما نقص من سلطانه شيء ، فقال أبو جعفر للحاجب : قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا في حاشيته ، فقال له الحاجب ذلك ، فتغير وجهه ، وجاء في حاشيته نحو من ثلاثين ، فقال له الحاجب : كأنك تأتينا متأهباً فقال : إن أمرتم أن نمشي إليكم مشيناً ، فقال : ما أردنا بك استخفافاً ولا أمر الأمير بما أمر به إلا نظراً لك ، فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة .

وقال محمد بن كثير : كلم ابن هبيرة يوماً أبا جعفر فقال : يا هناء ، أيا أيها المرء ، ثم رجع فقال : أيها الأمير إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به ، فسبقني لساني بما لم أرد .

وأخ أبو العباس السفاح على أبي جعفر يأمره بقتله ، وهو يراجع ، فكتب إليه : والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرج من حجرتك ثم يقتله ، فأزع على قتله ، فبعث أبو جعفر من ختم بيوت المال ، ثم بعث إلى وجوه [من] مع ابن هبيرة فحضروا ، وخرج الحاجب من عند أبي جعفر وطلب ابن الحوثة ومحمد بن نباتة وهما من الأعيان ، فقاما فدخلوا ، وقد أجلس أبو جعفر ثلاثة من خواصة في مائة من جماعته في حجرته ، فنزعت سيوفهما ، وكتفا ، ثم أدخلوا بعدها اثنين ففعل بهما كذلك ، وبعدهم جماعة أخرى فعل بهم كذلك ، فقال موسى بن عقيل . أعطيتمونا عهد الله ثم ختم ، إنا لترجو أن يدمركم الله ، وجعل ابن نباتة يضبط

في حمية نفسه ، فقال له ابن الحوثره : إن هذا لا يغنى عنك شيئاً ، فقال : كأنى كنت أنظر إلى هذا ، فقتلوا وأخذت خواتمهم ، وانطلق حازم والهيثم بن شعبة والأغلب ابن سالم في نحو من مائة ، فأرسلوا إلى ابن هبيرة : إنا نريد هذا المال ، فقال ابن هبيرة لحاجبه : انطلق فدلهم عليه ، فأقاموا عند كل بيت نفرًا ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكتبه عمر بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه وبنى له صغير في حجره ، فجعل ينكر نظرهم ، فقال : أقسم بالله إن في وجوه القوم لشرًا ، فأقبلوا نحوه ، فقام حاجبه في وجوههم ، وقال : وراءكم ، فضر به الهيثم بن شعبة على جبل عاتقه فصرعه ، وقاتل ابنه داود فقتل ، وقتل مواليه ، ونحى الصبي من حجره ، وقال : دونكم هذا الصبي ، وخر ساجدًا ، فقتل وهو ساجد ، ومضوا برؤوسهم إلى أبي جعفر ، فنادى بالأمان للناس .

وقال أبو عطاء السندی — واسمه مروزق ، وقيل : أفلاح — مولى بنى أسد يرثى ابن هبيرة [من الطويل] :

ألا إن عينًا لم تجد يوم واسط عليك يجارى دمعها لجود
عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدي ماتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فرما أقام به بعد الوفود وفود
وإنك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد

قلت : وهذه المراثية ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة في باب المراثي قلت : إلى هنا انتهى ما نقلته من تاريخ الطبرى مقتضبًا فاني قد جمعته من عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة .

وأما غير الطبرى فانه قال : لما قدم أبو جعفر على الحسن بن قحطبة تحول له الحسن من سرادقه ، فأنزله فيه ، وأقاموا يمتثلون أياما ، وثبت معن بن زائدة مع ابن هبيرة ، وطال الحصار عليهم ، وكان أبو جعفر المنصور يقول : ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء ، وبلغ ابن هبيرة ذلك ، فأرسل إليه : أنت القائل

كذا وكذا ، ابرز إلى لثرى ، فأرسل إليه المنصور : ما أجد لك ولى مثلاً إلا كأسد لقي خنزيراً ، فقال له الخنزير : بارزنى ، فقال له الأسد : ما أنت لى بكفو فان بارزتك فنالتى منك شر كان ذلك عاراً على ، وإن قتلتك قتلت خنزيراً ، فلم أحصل على حمد ، ولا فى قتلك فخر ، فقال له الخنزير . لنن لم تبارزنى لأعرفن السباع أنك جبننت عنى ، فقال له الأسد : احتمال عار كذبك أيسر من تلطيش برائثى بدمك ، ثم إن المنصور كاتب القواد ، وفهم ابن هبيرة ، فطلب الصلح ، فأجابه المنصور ، وكتبوا كتاب الصلح والأمان ، وسيره المنصور إلى أخيه السفاح فأمضاه ، وكتب فيه : فان غدر ابن هبيرة أونسكت فلاعهده ولاأمان ، وكان من رأى المنصور الوفاء له

وقال أبو الحسن المدائنى : لما كتب المنصور بينه وبين ابن هبيرة كتاب الصلح خرج إلى المنصور وبينه وبينه ستر ، فقال ابن هبيرة : أيها الأمير إن دولتكم بكر فاذا بقوا الناس حلاوتها ، وجنبوهم مرارتها ، تصل محبتكم إلى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم ، وما زلنا منتظرين لدعوتكم ، قال : فرفع المنصور الستر بينه وبينه ، وقال فى نفسه : عجباً لمن يأمرنى بقتل مثل هذا ، وصار ابن هبيرة يخرج إلى المنصور فى آخر أمره فى ثلاثة من أصحابه يتغدى ويتعشى عنده وكان يشئى له وسادة .

فيقال : إنه كان يكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ! ويدعو إليهم وإلى خلع السفاح ، وجاءه كتاب أبى مسلم الخراسانى يحثه على قتل ابن هبيرة ، فكتب السفاح إلى المنصور يأمره بقتله ، فقال : لا أفعل وله فى عنقى بيعة وإيمان فلا أضيعهما بقول أبى مسلم ، فكتب إليه السفاح : إني لا أقتله بقول أبى مسلم ، بل بنكته وغدره ودسيسته إلى آل أبى طالب ، وقد أبيع لنا دمه ، فلم يجبه المنصور ، وقال : هذا فساد الملك ، فكتب إليه السفاح : لست منى ولست منك إن لم تقتله ، فقال المنصور للحسن بن قحطبة : اقتله أنت ،

فامتنع ، فقال حازم بن خزيمة : أنا أقتله ، فدخل عليه وهو في جماعة من قواد خراسان ، وهو في القصر ، وعنده ابنه داود ، وكاتبه ومواليه ، وعليه قميص مصري وملاءة ماردة ، وعنده الحجام ، وهو يريد أن يحجمه ، فلما رآهم سجد ، فقتلوه وقتلوا ابنه وكاتبه ومن كان معه ، وحملوا رأسه إلى المنصور ، وكان معن بن زائدة غائباً عن واسط عند السفاح ، فسلم ، وبعث المنصور برأس ابن هبيرة إلى السفاح ، وكان ذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

قال الهيثم بن عدى : لما قتل ابن هبيرة قال بعض الخراسانيين لبعض أصحاب ابن هبيرة : ما كان أكبر رأس صاحبكم ! فقال له الرجل : أمانكم له كان أكبر

وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي ، في كتاب شرح الحماسة ، في باب المرائي ، عند ذكره أبيات أبي عطاء السندی الدالية المقدم ذكرها التي رثى بها يزيد المذكور ، فقال : وكان المنصور قد حلف له ، وأكده الأيمان ، فلما قتله وحمل رأسه إليه قال المنصور للحرسى : أترى طينة رأسه ؟ ما أعظمها ! فقال الحرسى : طينة أيمانه أعظم من طينة رأسه ، وهدم المنصور قصر واسط

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير : كان ابن هبيرة إذا أصبح أتى بعُس (قلت : العس — بضم العين المهملة ، وبعدها سين مهملة مشددة — وهو القدح الكبير) قال : وفيه لبن قد حلب على عسل ، وأحياناً على سكر ، فيشر به قبل صلاة الغداة ، فإذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تحل الصلاة فيصلى ، ثم يدخل ، فيحركه اللبن ، فيدعو بالغداء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدى وألواناً من اللحم ، والناهض — بالنون ، وبعدها الهاء المكسورة ضادمعجمة — وهو الفرخ من الحمام ، قال : ثم يخرج فينظر في أمور الناس إلى نصف النهار ، ثم يدخل فيدعو جماعة من خواصه وأعيان الناس ، ويدعو بالغداء ، فيتغدى ويضع منديلاً على صدره ، ويعظم اللقم ، ويتابع ، فإذا فرغ من الغداء تفرق

من كان عنده ، ودخل إلى نسائه ، فلا يزال حتى يخرج إلى صلاة الظهر ، ثم ينظر بعد الظهر في أمور الناس ، فإذا صلى العصر وضع له سرير ، ووضعت الكراسي للناس ، فإذا أخذ الناس مجالسهم أتوهم بعساس اللبن والعسل وألوان الأشربة (قلت : والعساس - بكسر العين - جمع عُسّ ، وقد تقدم الكلام عليه) ثم توضع السفرة والطعام للعمامة ويوضع له ولأصحابه خوان مرتفع ، فيأكل معه الوجوه إلى المغرب ، ثم يتفرون للصلاة ، ثم تأتية سماره ، فيحضرون مجلساً يجلسون فيه حتى يدعوه ، فيسامروه حتى يذهب عامة الليل ، وكان يسأل في كل ليلة عشرة حوائج ، فإذا أصبحوا قضيت ، وكان رزقه ستمائة ألف درهم ، فكان يقسم كل شهر في أصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوه وأهل البيوتات جملة مستكثرة ، فقال عبد الله بن شبرمة الضبي القاضي الفقيه الكوفي وكان من سماره [من الطويل] :

إذا نحن أعتما و مال بنا الكرى أتانا بأحدى راحتين عياض
وعياض : بوابه ، وإحدى راحتين : الدخول والانصراف ، ولم يكن له منديل ، فكان إذا دعا بالمنديل قام الناس .

وقال شيخ من قریش : أذن يزيد بن عمر بن هبيرة في يوم صائف شديد الحر للناس ، فدخلوا عليه ، وعليه قميص خلق مرقوع الجيب ، فجعلوا ينظرون إليه ويتعجبون منه ، ففطن لهم ، فتمثل بقول إبراهيم بن هرمة [من الكامل] :
قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه خلقٌ وجيب قميصه مرقوع
وأخباره ومحاسنه كثيرة مشهورة .

وقال خليفة بن خياط : قتل ابن هبيرة بواسط يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، رحمه الله تعالى !
وقال أبو جعفر الطبري في تاريخه : توفي الحسن بن قحطبة في سنة إحدى وثمانين ومائة .

(٧٩٠)

أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، الأزدي
بن حاتم
الأزدي
قد تقدم ذكر بقية نسبه في ترجمة جده المهلب بن أبي صفرة ، وقد ذكرت
أخاه روح بن حاتم في حرف الزاء ، وعم أبيه يزيد بن المهلب ، ومن ولده الوزير
أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى المقدم ذكره .
وهم أهل بيت كبير ، اجتمع فيه خلق كثير من الأعيان الأجداد النجباء .
ذكر ابن جرير الطبرى في تاريخه أن الخليفة أبا جعفر المنصور عزل حميد
ابن قحطبة عن ولاية مصر ، فولاها نوفل بن الفرات ، ثم عزله وولى يزيد بن
حاتم ، وذلك فى سنة ثلاث وأربعين ومائة ، ثم إن المنصور عزله عن مصر فى سنة
اثنيتين وخمسين ومائة ، وجعل مكانه محمد بن سعيد .
وقال أبو سعيد بن يونس فى تاريخه : ولى يزيد بن حاتم مصر فى سنة أربع
وأربعين ومائة ، وزاد غيره فى منتصف ذى القعدة .
ثم إن المنصور خرج إلى الشام وزيارة بيت المقدس فى سنة أربع وخمسين
ومن هناك سير يزيد بن حاتم إلى إفريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن
حفص ، وجهاز معه خمسين ألف مقاتل ، سارت معه ، واستقر يزيد المذكور والياً
بإفريقية من يومئذ ، وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج فى سنة خمس
وخمسين ، ودخل مدينة القيروان فى هذا التاريخ .
وكان جواداً سرى مقصوداً ممدوحاً ، قصده جماعة من الشعراء فأحسن
جوائزهم .

وكان أبو أسامة ربيعة بن ثابت الأسدى الرقى — وقيل : إنه من موالى
سليم — قد قصد يزيد بن أسيد — بضم الهمزة وفتح السين المهملة — بن
زافر بن أسماء بن أسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف ابن امريء

امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو يومئذ والى أرمينية ، وكان قد
وليها زماناً طويلاً لأبى جعفر المنصور ، ثم من بعده لولده المهدي ، وكان يزيد المذكور
من أشرف قيس وشجعانهم ، ومن ذوى الآراء الصائبة ، ومدحه ربيعة المذكور
بشعر أجاد فيه ، فقصر في حقه ، ومدح يزيد بن حاتم ، فبالغ في الإحسان إليه ،
فقال ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد ، وكان في لسان
يزيد بن أسيد متممة ، فعرض بند كرها في هذه الأبيات ، فقال [من الطويل] :

حلفت يميناً غير ذى مشنوية يمين امرئ آلى بها غير آثم
لشتان ما بين اليزيد بن فى الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال ، والفقى أخو الأزد للأموال غير مسلم
فهم الفقى الأزدي إتلاف ماله وهم الفقى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنى هجوته ولكننى فضلت أهل المسكارم
فيا أيها الساعى الذى ليس مدركا

بمَسَعَاتِهِ سَعَىَ الْبَحُورِ الْخَضَارِمِ

سمعت ولم تدرك نوال ابن حاتم لفك أسير واحتمال العظام
كفأك بناء المسكرات ابن حاتم ونمت ، وما الأزدي عنها بنائم
فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم فتقرع إن ساميته سنّ نادم
هو البحر إن كلفت نفسك خوَضَه تهالكت فى آذيه المتلاطم
تمنيت مجدداً فى سليم سفاهة أمانى خال أو أمانى حالم
ألا إنما آل المهلب غرة وفى الحرب قادات لكم بالخزائم

هم الأنف فى الخرطوم والناس بعدهم

مناسم ، والخرطوم فوق المنام

قضيت لكم آل المهلب بالاعلا وتفضيلكم حق على كل حالم

لكم شيم ليست تخلقى سواكم . سماح وصدق الناس عند الملاحم
مُؤينون للأموال فيما ينوبكم مناعيش دفاعون عن كل جارم
قال دعبيل بن علي الخزاعي المقدم ذكره : قلت لروان بن أبي حفصة الشاعر
— وقد تقدم ذكره أيضاً — : يا أبا السمط ، من أشعركم من جماعة المحدثين ؟ قال :
أيسرنا بيتاً ، قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

لستان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
وكننت قد ذكرت بعض هذه الأبيات في ترجمة أخيه روح بن حاتم ، ثم إنني
ظفرت بها أكل من تلك فأحببت أن أفرد له ترجمة وأذكر ما جرى له ، لأن مثله
لا يصلح لأن يكون ضميمته في ترجمة أخيه .
وكان ربيعة بن ثابت الرقي قد قصده قبل هذه المرة ، فلم ير منه من الإحسان
ما كان يرجوه ، فنظم أبياتاً من جملتها [من الطويل] :

أرأني ولا كفران لله راجعاً بخفي حنين من نوال ابن حاتم
ولما عقد أبو جعفر المنصور ليزيد المهلبى المذكور على بلاد إفريقية وليزيد
السامى المذكور على ديار مصر خرجا معاً ، فساكن يزيد المهلبى يقوم بكفاية الجيشين
فقال ربيعة الرقي المذكور [من الوافر] :

يزيد الخير ، إن يزيد قومي سميك لا يجود كما تجود
نقود كتيبة ويقود أخرى فترزق من تقود ومن يقود
قلت : وهذا يدل على أن ربيعة المذكور مولى لبني سليم لقوله : « يزيد
قومي » .

وقدم أشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر ، فجلس في مجلسه ، فدعا
بغلامه فساره ، فقام أشعب فقبل يده ، فقال له يزيد : لم فعلت هذا ؟ فقال : لأني
رأيتك تسار غلامك فظننت أنك قد أمرت لى بشيء ، فضحك منه ، وقال : ما
فعلت هذا ، ولكننى أفعل ، ووصله ، وأحسن إليه .

وقال الطرطوشي في كتاب «سراج الملوك» قال سحنون بن سعيد : كان
يزيد بن حاتم حكيمًا يقول : والله ما هبت شيئًا قط هبتي لرجل ظلمته وأنا أعلم أنه
لا ناصر له إلا الله تعالى ، فيقول : الله حسبك ، الله بيني وبينك .
وذكر أبو سعيد السمعاني في كتاب «الأنساب» أن المسهر التميمي الشاعر وفد
على يزيد بن حاتم بافرقة فأنشده [من الطويل] :

إليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نواصله
فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا لديك ، وليسكن أهنأ البر عاجله
فأمر يزيد بوضع العطاء في جنده جميعه ، وكان معه خمسون ألف مرتزق ،
فقال : من أحب أن يسرني فامض لزاأرى هذا من عطاياه درهمين ، فاجتمع
له مائة ألف درهم ، وضم يزيد إلى ذلك مائة ألف أخرى ، ودفعهما إليه .

قلت : ثم وجدت البيتين المذكورين لمروان بن أبي حفصة ، والله أعلم .
وقد ذكره الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق فقال ، بعد ذكر
أحواله وولايته : إن يزيد بن حاتم قال جلسائه : انسقوا لي ثلاثة أبيات ، فقال
صفوان بن صفوان من بني الحارث بن الخزرج : أفيك؟ فقال : فيمن شئتم ، فكانها
كانت في فمه فقال [من البسيط] :

لم أدر ما الجود إلا ما سمعت به حتى لقيت يزيداً عصمة الناس
لقيت أجود من يمشي على قدم مفضلاً برداء الجود والباس
لو نبيل بالجود مجد كنت صاحبه وكنت أولى به

قال صفوان : ثم كففت ، فقال : أعمم ، فقلت :
وقلت : لا يصالح ، فقال : لا يسمع من هذا منك أحد
من آل عباس

وقال يموت ابن المزرع : قال لي الأصمعي يوما ، وقد جئته مسلماً عليه إلى
أن ذكر شعر الشعراء المحسنين المداحين من المولدين ، فقال لي : يا أبا عثمان ،
ابن المولى من المحسنين المداحين ، ولقد أسهرني في ليالي هذه حسن مديحه

يزيد بن حاتم حيث يقول [من الكامل]:

وإذا تُباعُ كريمة أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا تُخيل من سحابك لامع سبقت مخيلته يد المستمطر

وإذا صنعت صنعة أتمتها يمين ليس نداهما بمكدر

وإذا الفوارس عدت أبطالها عدوك في أبطالهم بالخنصر (١)

ولما قدم عليه ابن المولى المذكور أنشده وهو أمير مصر [من مجزوء الكامل]:

يا واحد العرب الذي أضحي وليس له نظير

لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

فدعا يزيد بخازنه وقال : كم في بيت مالى ؟ قال : فيه من الورق والعين

ما يبلغه عشرون ألف دينار ، فقال : ادفعها إليه ، ثم قال : يا أخى ، المعذرة

إلى الله تعالى وإليك ، ولو أن فى ملكى غيرها لما ادخرتها عنك

وهذا ابن المولى هو أبو عبد الله محمد بن مسلم ، وعرف بابن المولى

وروى الأصمعى أيضاً أن يزيد لما كان بأفريقية جاءه البشير يخبره أنه ولد له

مولود بالبصرة ، فقال : قد سميت المعيرة ، وكان عنده المسهر التميمى ، فقال :

بارك الله لك أيها الأمير فيه ، وبارك له فى بنيه ، كما بارك لجدّه فى أبيه !

ولم يزل يزيد والياً بأفريقية إلى أن توفى بها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة

بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بالقيروان ، ودفن بباب سلم ، واستخلف

على إفريقية ولده داود بن يزيد ، فعزله هرون الرشيد فى سنة اثنتين وسبعين ومائة ،

وولاه أمه روح بن حاتم المقدم ذكره ، والله تعالى أعلم !

(١) عدوك بالخنصر : هذه كناية عن كونه أول من يعد فى الفرسان ، لأن

العاد بأصابعه يبدأ عدّه بالخنصر .

(٧٩١)

أبو خالد ، وأبو الزبير ، يزيد بن يزيد بن زائدة ، وهو ابن أخي
معن بن زائدة ، الشيباني ، المقدم ذكره

أبو خالد
يزيد بن يزيد
ابن زائدة
الشيباني

وقد استوفيت ذكر نسبه هناك ، فلا حاجة إلى إعادته ههنا

كان يزيد المذكور من الأمراء المشهورين ، والشجعان المعروفين ، كان والياً
بأرمينية فعزله عنها هرون الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولاه إياها وضم
إليه أذربيجان في سنة ثلاث وثمانين ، وقد سبق طرف من خبره في ترجمة الوليد
ابن طريف الشيباني الخارجى فإنه هو الذى تولى محاربته وقتله

ثورة الوليد
ابن طريف
ومقتله

وذكر أرباب التاريخ أن الوليد بن طريف الشيباني لما خرج على هرون
الرشيد ببلاد الجزيرة — وهى فيما بين الفرات وشط الموصل — وذلك فى سنة
ثمان وسبعين ومائة ، وكثر جمعه من الشراة حتى انتشروا فى تلك البلاد ، ونهض
إليهم عامل ديار ربيعة ، فقتلوه ، وساروا إلى ديار مضر ، فحصره عبد الملك بن
صالح بن على العباسى بالركة ، فاستشار هرون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى فيمن
يوجهه لحرب الوليد بن طريف ، فقال له يحيى بن خالد البرمكى : وجه موسى بن
حازم التميمى ، فان فرعون كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه السلام ، فوجهه إليه
الرشيد فى جيش كثيف ، فلاقاه الوليد فى أصحابه ، فهزمه الوليد ، وقتله ، فلما بلغ
ذلك الرشيد وجهه إليه معمر بن عيسى العبدى ، فكانت بينهما عدة وقائع بناحية
دارا من ديار ربيعة ، فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وظهر هذا الظهور
العظيم قال الرشيد : ليس لها إلا الأعرابي يزيد بن يزيد الشيباني ، فقال بكر
ابن النطاح الشاعر [من الكامل] :

لا تبعثن إلى ربيعة غيرها إن الحديد بغيره لا يفلح

فوجه الرشيد إليه يزيد المذكور فى عسكر ضخم ، وأمره بمناجزته ، فقصده

وجعل الوليد يراوغه ، ويزيد يتبعه ، وكان الوليد ذا مكر ودهاء ، ثم كانت بينهما حروب صعبة ، وبلغ الرشيد مماطلة يزيد بن يزيد له ، فوجه إليه خيلا بعد خيل ، ثم بعث إليه من يُعَفِّهُ ، فسار يزيد في طلبه ، ثم نزل يصلي الصبح ، فلم يتم صلاته حتى طلع الوليد عليه في عسكره ، واصطفت الخيلان ، وتزاحف الناس فلما شبت الحرب ناداه يزيد : يا وليد ، ما حاجتك إلى التستر بالرجال ؟ ابرز لي ، فقال : نعم ، والله ، فبرز الوليد ، وبرز إليه يزيد ، ووقف العسكران ، فلم يتحرك منهما أحد ، فتطاردا ساعة ، وكل واحد منهما لا يقدر على صاحبه ، حتى مضت ساعات من النهار ، فأمكنك يزيد فيه الفرصة ، فضرب رجله ، فسقط ، وصاح بخيله ، فسقطوا عليه ، واحتروا رأسه

وذكر أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن الفرات الهروى ، في تاريخه أن الوليد بن طريف قتله يزيد بن يزيد بالحديثة من أرض الجزيرة قلت : وهذه الجزيرة هي الجزيرة الفراتية ، والحديثة بالقرب من عانة ، وتعرف بحديثة النورة ، وهي على فراسخ من الأنبار ، وهي غير حديثة الموصلى ووجه يزيد برأس الوليد إلى الرشيد ، وبكتاب الفتح مع ابنه أسد بن يزيد وفي ذلك يقول أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصارى الشاعر المشهور ، وكان منقطعا إلى يزيد ومختصا به [من البسيط] :

سَلَّ الخليفة سيفاً من بنى مطر يمضى فيخترق الأجسام والهاما
لولا يزيدُ ومقدارُ له سبب عاش الوليد مع العامين أعواما
أكرم به وبآباء له سلفوا أبقوا من المجد أياما وأياما
ولما انصرف يزيد إلى باب الرشيد قدمه ورفع رتبته ، وقال له : يا يزيد ، ما أكثر أسراء المؤمنين في قومك ؟ قال : نعم ، إلا أن منابرهم الجذوع ، يعنى الجذوع التى يصلبون عليها إذا قتلوا

وكان قتل الوليد بن طريف في سنة تسع وسبعين ومائة ، كما سبق ذكره
في ترجمته

ورثته أخته الفارعة ب تلك الأبيات الفائية المذكورة هناك ، وقالت أخته
الفارعة فيه أيضاً [من الخفيف] :

يا بني وائل لقد فجعتكم من يزيد سيوفه بالوليد
لوسيف سوى سيف يزيد قاتلته لاقت خلاف السعود
وائل بعضها يقتلُ بعضاً لايفل الحديد غير الحديد

وقد روى أن هرون الرشيد لما جهز يزيد بن يزيد إلى حرب الوليد بن
طريف أعطاه ذا الفقار سيف النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : خذه يا يزيد ،
فانك ستنصر به ، فأخذه ومضى ، وكان من هزيمة الوليد وقتله ما قد شرحناه ،
وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد الأنصاري من جملة قصيدة يمدح بها يزيد بن
مزيد المذكور [من البسيط] :

أذكرت سيف رسول الله سنته وبأس أول من صلى ومن صاما

يعنى بأس على بن أبي طالب رضى الله عنه إذ كان هو الضارب به

وقد ذكر هشام بن الكلبي في جمهرة النسب شيئاً يتعلق بنى الفقار ، وهى
فائدة يحسن ذكرها ههنا ، فانه قال في نسب قريش : منبه ونبيه ابنا الحجاج
ابن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم القرشي ، كانا سيدي بنى سهم في الجاهلية
قتلا يوم بدر كافرين ، وكانا من المطعمين ، والعاص بن نبيه قتل مع أبيه ، وكان له
ذو الفقار ، فقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه يوم بدر ، وأخذه منه

وقال غير ابن الكلبي : إن ذا الفقار أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لعلى
رضى الله عنه .

والفقار — بفتح الفاء — جمع فقارة الظهر ، يقال فى جمعها : فقار ،

ذو الفقار
سيف
رسول الله

وفَقَّارات ، ويقال ذوالفَقَّار — بكسر الفاء أيضاً — والفَقَّار : جمع فقرة — بكسر
الفاء وسكون القاف — ولم يأت مثله في الجُمُوع إلا قولهم إبرة وإبار
رجعنا إلى حديث ذى الفقار :

وكان سبب وصوله إلى هرون الرشيد ما ذكره أبو جعفر الطبري بإسناد متصل
إلى عمر بن المتوكل عن أمه ، وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين بن علي رضي
الله عنها ! قالت : كان ذو الفقار مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنهم يوم قتل في محاربته لجيش أبي جعفر المنصور
العباسي ، والواقعة مشهورة ، فلما أحس محمد بالموت دفع ذا الفقار إلى رجل من
التجار كان معه ، وكان له عليه أربعائة دينار ، وقال له : خذ هذا السيف فانك
لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلا أخذته منك وأعطاك حقه ، فكان السيف
عند ذلك التاجر حتى ولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن
عبد المطلب رضي الله عنه اليمن والمدينة ، فأخبر عنه ، فدعا بالرجل ، فأخذ منه
السيف ، وأعطاه أربعائة دينار ، فلم يزل عنده حتى قام المهدي بن المنصور ،
واتصل خبره به ، فأخذه ، ثم صار إلى موسى الهادي ، ثم إلى أخيه
هارون الرشيد .

وقال الأصمعي : رأيت الرشيد بطوس متقلداً سيفاً ، فقال : يا أصمعي ، ألا
أريك ذا الفقار ؟ قلت : بلى جعلني الله فداك ، فقال : استل سيفي هذا ، فاستلته
فرايت فيه ثمانى عشرة فقاراً .

قلت : خرجنا عن المقصود ، فلنرجع إلى تنمة حديث يزيد بن يزيد :
ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخ بغداد أن
يزيد المذكور دخل على الرشيد ، فقال له الرشيد : يا يزيد ، من الذي يقول فيك
[من البسيط] :

لا يعبق الطيب كفيه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل
قال : لا أدري يا أمير المؤمنين ، فقال : أفيقال فيك مثل هذا الشعر ولا
تعرف قائله ؟ فانصرف خجلاً ، فلما صار إلى منزله قال لحاجبه : من بالباب من
الشعراء ؟ فقال : مسلم بن الوليد الأنصاري ، قال : ومنذ كم هو مقيم على الباب ؟
قال : منذ زمان طويل منعه من الوصول إليك لما عرفته من إضاقتك ، قال :
أدخله ، فأدخله ، فألشده هذه القصيدة حتى ختمها ، فقال لو كيـله : بع ضيعتي
الفلانية وأعطه نصف ثمنها ، واحتبس نصفاً لنفقتنا ، فباعها بمائة ألف درهم ،
فأعطى مسلماً خمسين ألفاً ، فرفع الخبر إلى الرشيد ، فاستحضر يزيد ، وسأله عن
الخبر ، فأعلمه الحديث ، فقال : قد أمرت لك بمائتي ألف درهم لتسترجع الضيعة
بمائة ألف درهم ، وتزيد شاعرك خمسين ألفاً ، وتحبس خمسين ألفاً لنفسك .
قال أبو بكر بن الأنباري : قال أبي : سرق مسلم بن الوليد هذا المعنى من
قول النابغة الذبياني حيث يقول [من الطويل] :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
يصاحبهم حتى يفزن مغازم من الضاريات بالدماء الدوارب^(١)
جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفها إذا عرض الخطى فوق الكواكب
الكواكب — بالثناء المثلثة ، وبعدها الباء الموحدة — جمع كائبة ، وهي ما
يقرب من منسج الفرس أمام قربوس السرج .

قلت : وأول قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري [من البسيط] :
أَجَرَّتْ ذَيْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَاغِزْلِ وَقَصَّرَتْ هِمَمَ الْعُدَالِ عَنْ عَذْلِي^(٢)
حَاطَ الْخِلَافَةَ سَيْفٌ مِنْ بَنِي مَطَرٍ أَقَامَ قَائِمَهُ مِنْ كَانَ ذَا مَيْلٍ
كَمْ صَائِلٌ فِي ذِرَا عَلِيَاءَ مَمْلَكَةِ لَوْلَا يَزِيدُ بَنِي شَيْبَانَ لَمْ يَصِلْ^(٣)

(١) في بعض الأمهات « يصاحبهم حتى يغرن مغارهم »

(٢) كذا ، وفي ديوان مسلم « وشمرت همم العذال في العذل »

(٣) في الديوان « في ذرى تمهيد مملكة »

ناب الإمام الذي يفتر عنه إذا ما افترت الحرب عن أنيابها العُصْل
 يفتر عند افترار الحرب مبتسماً إذا تغير وجه الفارس البطل
 ينال بالرفق ما تعيا الرجال به كالموت مستعجلاً يأتي على مهل
 لا يرحل الناس إلا عند حجرتة كالبيت يضحي إليه ملتقى السبل^(١)
 يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ
 يغدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعا تتحدى الناس بالأجل
 إذا طغت فئة عن غب طاعته عباً لها الموت بين البيض والأسل
 تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
 وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » في ترجمة مسلم بن الوليد
 الأنصاري أن يزيد بن يزيد قال : أرسل إلى الرشيد يوماً في وقت لا يرسل فيه
 إلى مثلي ، فأتيته لا بساً سلاحي مستعداً لأمر إن أراد ، فلما رأي ضحك إلى
 وقال : من الذي يقول فيك [من البسيط] :

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
 لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل
 فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سواة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا
 الشعر ولا يعرف قائله ! وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن
 الوليد ، فأنصرفت ودعوت به ووصلته وواليته .
 قلت : وهذان البيتان من جملة القصيدة التي ذكرت منها الأبيات
 التي قبلها .

وقد روى أن عمه معن بن زائدة كان يقدمه على أولاده ، فعاتبته امرأته في
 ذلك ، وقالت له : لم تقدم يزيد ابن أخيك وتؤخر بنيك ؟ ولو قدمتهم لتقدموا
 ولو رفعتهم لارتفعوا ، فقال لها : إن يزيد قريب مني ، وله على حق الولد ، إذ

(١) في الديوان « لا يرحل الناس إلا نحو حجرتة »

كنت عمه ، و بعد فان بنى ألوط بقلبي ، وأدنى من نفسي ، ولسكنى لأجد عندهم
من الغناء ما أجده عنده ، ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيد لصار قريباً أو عدو
لصار جيبياً ، وسأريك في هذه الليلة ما تبسطين به عذرى ، يا غلام ، اذهب
فادع جساساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على جميع أولاده ، فلم
يلبثوا أن جاءوا في الغلائل المطيبة ، والنعال السندسية ، وذلك بعد هذأة من
الليل ، فسلموا وجلسوا ، ثم قال معن : يا غلام ادع يزيد ، فلم يلبث أن دخل
عجلاً وعليه سلاحه ، فوضع راحه بيباب المجلس ثم دخل ، فقال له معن : ما هذه
الهيئة يا أبا الزبير ؟ فقال : جاءني رسول الأمير ، فسبق وهى إلى أنه يريدني
لهم ، فلبست سلاحى وقلت : إن كان الأمر كذلك مضيت ولم أعرج ، وإن
كان غير ذلك فترع هذه الآلة عني من أيسر شيء ، فقال معن : انصرفوا في
حفظ الله ، فلما خرجوا قالت زوجته : قد تبين لى عذرك ، فأنشد متمثلاً
[من الرجز] :

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته السكر والإقداما

وصيرته ملكاً هماً^(١)

وإلى هذه الحالة أشار مسلم بن الوليد بقوله [من البسيط] :

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

وقد روى أن مسلم بن الوليد لما انتهى في إنشاده هذه القصيدة إلى هذا

البيت قال له يزيد بن مزيد المدوح : هلا قلت كما قال أعشى بكر بن وائل في

مديح قيس بن معديكرب [من الكامل] :

وإذا تجيء كتيبة ملهومة شهباء تجتنب الكماة نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلماً أبطلها

فقال مسلم : قولى أحسن من قوله ، لأنه وصفه بالخرق ، وأنا وصفتك بالخرزم !

(١) هذا الرجز للناطقة الديباني يقوله في عصام حاجب النعمان بن المنذر

والخرق — بضم الخاء المعجمة ، وسكون الراء ، وبعدها قاف — وهو الاسم من عدم معرفة العمل .

قلت : وقيس الذى مدحه الأعشى هو والد الأشعث بن قيس الكندى أحد الصحابة رضوان الله عليهم ! .

قلت : وقد تقدم الكلام على قوله : * قد عود الطير عادات وثقن بها * وأنه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة الذبياني فى البائية التى تقدم ذكرها ، وقد وافقه فى أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو نواس ، قال عمر الوراق : سمعت أبانواس ينشد قصيدته الرائية التى أولها [من المديد] :

أبها المنتاب من عفره لست من ليلي ولا سمره
لا أذود الطير عن شجره قد بلوت المر من ثمره

قال : فحسده عليها ، فلما بلغ إلى قوله :

وإذا مج القنا علقاً يتراى الموت فى صوره
راح يثنى عن مفاضته أسد يدمى شبا ظفره
وتتأياً الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

قلت له : ما تركت للنابغة شيئاً حيث قال [من الطويل] :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
فقال : اسكت ، فلئن لم أحسن الاختراع لما أسأت فى الاتباع .

وأخذ هذا المعنى أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فقال [من الطويل] :

وقد طُلّلت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل
أقامت على الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقا تل

وقال المتنبي أيضاً [من البسيط] :

يطمع الطير فيهم طول أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقع

ولمتنبي أيضاً فى صفة جيش ، وقد ألم بهذا المعنى [من الطويل] :

وذى لجب لا ذو جناح أمامه بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهى ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم
إذا ضوءها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم
ولما كان يزيد واليا على اليمن قصده أبو الشمقمق مروان بن محمد مولى
مروان الجعدى الشاعر المشهور السكوفى ، وكنيته أبو محمد ، وكان مشهوراً بأبى الشمقمق
وهو فى حال رثة ، وكان راجلاً ، فمدحه وشرح حاله بقوله [من الكامل] :
رحل المطىَّ إليك طلابُ الندى

ورحلت نحوك ناقة نعليه
إذ لم تسكن لى يا يزيد مطية فجعلتها لى فى السفار مطية
تحدو أمام اليعملات وتعتلى فى السير تترك خلفها المهريه
من كل طاوية الحشى مزورة قطعاً لكل تنوفة دويه
تنتاب أكبر وائل فى بيتها حسباً وقبة مجدها مبنيه
أعنى يزيداً سيف آل محمد فرَّاج كل شديدة مخشيه
يوماه يوم للمواهب والجدأ خضل ويوم دم وخطف منيه
ولقد أتيتك واثقاً بك علماً أن لست تسمع مدحة بنفسيه
فقال : صدقت يا شمقمق ، ولست أقبل مدحة بنفسية ، أعطوه ألف
دينار .

ومدحه أبو الفضل منصور بن سلمة النمرى الشاعر المشهور بقصيدة طويلة
بائية أحسن فيها كل الإحسان منها قوله [من البسيط] :

لو لم يكن لبنى شيبان من حسب
سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب
ما أعرف الناس أن الجود مدفة
للنم لسكره يأتى على النشب

وذكر أبو العباس المبرد في كتاب « السكامل » أن يزيد بن يزيد المذكور نظر إلى رجل ذي لحية عظيمة ، وقد تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنك من لحيتك في مؤنة ، فقال : أجل ، ولذلك أقول [من الطويل] :

لها درهم للدهن في كل ليلة وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن يزيد لصوت في حافاتها الجلمان

قلت : الجلمان — بفتح الجيم واللام — تشنية جلم ، وهو المقص وقال هرون الرشيد يوما : يا يزيد ، إنى قد أعددتك لأمر كبير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل قد أعد لك منى قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة لطاعتك ، وسيفاً مشحوداً على عدوك ، فإذا شئت فقل

وذكر المسعودي في كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجوهر » أن هذه المقالة دارت بين هرون الرشيد ومعن بن زائدة عم يزيد المذكور ، ثم قال بعد هذا وقيل : إن هذا الكلام من كلام يزيد بن يزيد

قلت أنا : وهذا لا يمكن أن يكون بين الرشيد ومعن أصلا ، لأن معن أقتل في خلافة أبي جعفر المنصور حسبا تقدم ذكره في ترجمته ، على الاختلاف في السنة ، وهو بعد الخمسين ومائة ، فكيف يمكن أن يقول له الرشيد ذلك والرشيد ولي الخلافة في سنة سبعين ومائة ؟

وذكر ابن عون في كتاب « الأجوبة المسكتة » أن الرشيد قال ليزيد المذكور في لعب الصوالة : كن مع عيسى بن جعفر ، فأبى يزيد ، فغضب الرشيد وقال : أتأنف أن تكون معه ؟ فقال : قد حلفت لأمر المؤمنين أن لا أكون عليه في جد ولا لعب

ورأيت في بعض الجاميع حكاية عن بعضهم أنه قال : كنت مع يزيد بن يزيد ، فإذا صأح في الليل : يا يزيد بن يزيد ، فقال : على بهذا الصأح ، فلما جىء به قال له : ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم ؟ فقال : نفقت دابقي ،

ونفدت نفقتى ، وسمعت قول الشاعر فتيمنت به ، فقال : وماقال الشاعر ؟ فأنشده
[من الطويل] :

إذا قيل من للمجد والجود والندى فناد بصوت يا يزيد بن مزيد
فلما سمع يزيد مقالته هش له ، وقال له : أتعرف يزيد بن مزيد ، قال : لا
والله ، قال : أنا هو ، وأمر له بفرس أبلق كان معجباً به ، وبمائة دينار
وقد أطلنا القول فى هذه الترجمة ، لكن الكلام شجون ، يتعلق بعضه
ببعض ، ومحاسن يزيد كثيرة

وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ، ورثاه أبو محمد عبد الله بن أيوب النعمى
الشاعر المشهور ، وقيل : هذه المراثية لأبى الوليد مسلم بن الوليد الأنصارى الشاعر
المشهور ، والصحيح أنها للنعمى المذكور ، وهى [من الوافر] :

أحقاً أنه أودى يزيد	تبين أيها الناعى المشيد
أندرى من نعمت وكيف فاهت	به شفتاك ؟ كان بها الصعيد ^(١)
أحامى المجد والإسلام أودى	فما للأرض ويحك لايمد
تأمل هل ترى الإسلام مالت	دعائمه وهل شباب الوليد
وهل شيمت سيوف بنى نزار	وهل وضعت على الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد ثقال مزن	بدرتها وهل يخضر عود
أما هدت لمصرعه نزار	بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه	طريف المجد والحسب التليد
أما والله ما تنفك عيني	عليك بدمعها أبداً تجود
وإن تجمد دموع لئيم قوم	فليس لدمع ذى حسب جمود
أبعد يزيد تخزن البواكى	دموعاً أو يصاب لها خدود
لتبكك قبة الإسلام لها	وهت أطناها وهى العمود
ويبكى شاعر لم يبق دهر	له نشباً وقد كسد القصيد

(١) الصعيد : التراب ، دعا عليه أن يمتلىء فيه تراباً

فان يهلك يزيد فكل حي فريس للمنية أو طريد
لقد عزى ربيعة أن يوماً عليها مثل يومك لا يعود
قلت : وهذا البيت الأخير قد استعمله الشعراء كثيراً ، من ذلك قول مطيع
ابن إياس يرثي يحيى بن زياد الحارثي من جملة أبيات [من المنسرح] :
فاذهب بمن شئت إذ ذهبت به ما بعد يحيى في الرزء من ألم
وقول أبي نواس يرثي الأمين [من الطويل] :

وكننت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لى شىء عليه أحاذر
وقول إبراهيم بن العباس الصولى يرثي ابنه [من مجزوء الكامل] :
أنت السواد لمقلة تمسكى عليك وناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وذكر أبو الفرج لأصبهاني في كتاب « الأغاني » في ترجمة مسلم بن الوليد
باسناد متصل إلى أحمد بن أبي سعيد قال : أهديت إلى يزيد بن مزيد جارية ،
وهو يأكل ، فلما رفع يده من الطعام وطأها ، فلم ينزل عنها إلا ميتة ، وهو ببردة
فدفن في مقابر بردعة ، وكان مسلم بن الوليد معه في جملة أصحابه فقال يرثيه
[من الكامل] :

قبر ببردة استسر ضريحه خطراً تقاصر دونه الأخطار
أبقى الزمان على ربيعة بعده حزناً لعمر الله ليس يعار
سلكت بك العرب السبيل إلى العلا حتى إذا سبق الردى بك حاروا
نفضت بك الأحلاس آمال القنى واسترجعت زوارها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غواذى مزنة أثنى عليها السهل والأوعار

وقيل : إن هذا البيت الأخير أبلغ شىء قيل في المراثى ، وهذه الأبيات في
كتاب الحماسة في باب المراثى

وبردعة - بفتح الباء الموحدة ، وسكون الراء ، وبعدها دال مهملة ، ثم عين مهملة - وهى مدينة من أقصى بلاد أذربيجان

قلت : هكذا رأيته فى التواريخ ؟ وأهل تلك البلاد يقولون بردعة من إقليم إيران ، والله أعلم ، ويقال : بردعة أيضاً - بالذال المعجمة ، وكذلك بردعة الدابة يقال بالذال والذال

وقد قيل : إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمى ، وقيل : بل رثى بها مالك بن على الخزاعى ، وإن أول الأبيات * قبر بُحْلوان استسّر ضريحه * لأن الذى قيلت فيه مات بُحْلوان - بضم الحاء المهملة - وهى آخر مدينة بأرض السواد من أعمال العراق ، والله أعلم بالصواب فى ذلك كله
وذكر أبو عبيد الله المرزبانى فى كتاب « معجم الشعراء » أن أبا البلهاء عمير ابن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيبانى هو القائل [من السكامل] :

نعم الفتى فجعت به إخوانه يوم البقيع حوادث الأيام
سهل الفناء إذا حلت ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام
وإذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر أيهما ذرو الأرحام

وذكر أبو تمام الطائى هذه الأبيات فى كتاب الحماسة فى باب المراثى لعمد ابن بشير الخارجى ، وقيل : ابن يسير بالسين المهملة ، وهو فعيل من اليسر ، وبشير من البشارة ، وهو من خارجة عدوان قبيلة ، وليس من الخوارج ، والله أعلم بالصواب فى ذلك كله

ورثاه منصور النمرى ، وهو فى كتاب الحماسة ، بقوله [من الطويل] :

أبا خالد ، ما كان أدهى مصيبة أصابت معداً يوم أصبحت ثاوى
لعمري لئن سر الأعدى فأظهروا شمانا لقد مرّوا بربعك خاليا
فان يك أفته الليالى وأوشكت فان له ذكرا سيفنى الليالى

وكان ليزيد ولدان نجيبان جليلان سيدان : أحدهما خالد بن يزيد ، وهو
أولاد
يزيد بن يزيد
ممدوح أبي تمام الطائي ، وله فيه أحسن المدائح ، وقد تضمنها ديوانه ، فلاحاجة
إلى ذكر شيء منها الشهرة ديوانه . والآخر محمد بن يزيد ، كان موصوفاً بالكرم ، وأنه
لا يرد طالباً ، فان لم يحضره مال لم يقل لا ، بل يعد ، ثم يعجل العدة ، ومدحه
أحمد بن أبي قتن صالح بن سعيد بقوله ، ثم وجدت هذه الأبيات لأبي الشيص
الخراعي في كتاب البارع [من الكامل] :

عشق المكارم فهو مشغول بها والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقاً للثناء ولم تكن سوق الثناء تعد في الأسواق
بث الصنائع في البلاد فأصبحت تحبب إليه محامد الآفاق
وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهة المأمون ، فوصل إليها وفي صحبته
أبو الشمقمق الشاعر الذي ذكرته في هذه الترجمة ، فلما دخل خالد إلى الموصل
نشب اللواء الذي لخالد في سقف باب المدينة ، فاندق ، فتطير خالد من ذلك ،
فأنشده أبو الشمقمق ارتجالاً [من الكامل] :

ما كان مندق اللواء لربيعة تخشى ، ولا سوء يكون معجلاً
لكن هذا الرمح أضعف منه صغر الولاية فاستقل الموصل
فبلغ الخليفة ما جرى ، فكتب إلى خالد بن يزيد : قد زدنا في ولايتك
ديار ربيعة كلها ، لكون رحلك استقل الموصل ، وفرح بذلك ، وأجزل جائزة
أبي الشمقمق .

ولما انتقض أمر أرمينية في أيام الواثق جهز إليها خالد بن يزيد المذكور في
جيش عظيم ، فاعتل في الطريق ، ومات في سنة ثلاثين ومائتين ، ودفن بمدينة
دبيل أرمينية ، رحمه الله تعالى .

(٧٩٢)

أبو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذى العشرة بن الحارث
ابن دلال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن
مسروق بن يزيد بن يحصب ، الحميري

أبو عثمان يزيد
ابن زياد بن
مفرغ ، الحميري

و بقية النسب من يحصب معروفة فلا حاجة إلى ذكرها .

هكذا ساق هذا النسب ابن السكبي في كتاب « جهرة النسب » غير أنه
لم يذكر ترجمة يزيد ، بل ذكرها صاحب الأغاني ، وأكثر العلماء يقولون : هو
يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زياداً ، وقال صاحب الأغاني : إنما لقب جده
مفرغاً لأنه راهن على سقاء من لبن يشربه كله ، فشربه حتى فرغه فسمى مفرغاً .
وذكر في ترجمة حفيده « السيد الحميري » في كتاب الأغاني أيضاً أن ابن
عائشة قال : مفرغ هو ربيعة ، ومفرغ لقبه ، ومن قال : ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ ،
والله أعلم .

وقال الفضل بن عبد الرحمن النوفلي : كان مفرغ المذكور حداداً باليمن ،
فعمل لامرأة قفلاً وشرط عليها عند فراغه منه أن تجميه باليمن كرش ، ففعلت ،
فشرب منه ووضعها ، فقالت له : رد على الكرش ، فقال : ما عندي شيء أفرغه
فيه ، قالت : لا بد منه ، ففرغه في جوفه ، فقالت : إنك لمفرغ ، فعرف به ، وهو
من حمير فيما يزعم أهله .

وذكر ابن السكبي وأبو عبيدة أن مفرغاً كان شعباً بقبيلة .

قلت : تبالة — بفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعدها باء موحدة ، ثم ألف
ولام ، وفي آخرها هاء — وهي بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة ، وهذا
المكان كثير الخصب ، له ذكر في الأخبار والأمثال والأشعار ، وهي أول ولاية
وليها الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولم يكن رآها قبل ذلك ، فخرج إليها ، فلما قرب

منها سأل عنها ، فقيل له : إنها وراء تلك الأكمة ، فقال : لا خير في ولاية تسترها أكمة ، ورجع عنها محتقراً لها ، وتركها ، فضربت العرب بها المثل ، وقالت للشيء الحقير : أهون من تبالة على الحجاج

قال الراوى : فادعى يزيد أنه من حمير ، وهو حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموى ، وقيل : إنه كان عبداً للضحك بن عوف الهلالى ، وأنعم عليه ، وكان يزيد شاعراً غزلاً محسناً .

والسيد الحميرى الشاعر المشهور من ولده ، وهو إسماعيل بن محمد بن بكار السيد الحميرى
الشاعر ابن يزيد المذكور ، كذا ذكره ابن ماكولا فى كتاب « الإكمال » ولقبه السيد وكنيته أبو هاشم ، وهو من كبار الشيعة ، وله فى ذلك أخبار وأشعار مشهورة . ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها مروان بن الحسك الأموى ، وكان قد أحسن مروان إليه [من السكامل] :

وأقتم سوق الشئ ولم تكن سوق الشئ تقام فى الأسواق

فكأنما جعل الإله إليكم قبض النفوس وقسمة الأرزاق

والبيت الأول من هذين البيتين تقدم ذكره فى ترجمة يزيد بن يزيد بن زائدة الشيبانى منسوباً إلى أحمد بن أبي نهن يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد المذكور من جملة أبيات ، والله أعلم بالصواب فى ذلك .

ولما ولى سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه خراسان عرض على يزيد ابن مفرغ أن يصحبه ، فأبى ذلك ، وصحب عباد بن زياد بن أبيه ، فقال له سعيد : أما إذ أبيت أن تصحبني وآثرت صحبة عباد فاحفظ ما أوصيك به ، إن عباداً رجل لئيم ، فاياك والدالة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه ، فانها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته فانه ملول ، ولا تفاخره وإن فاخره فانه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله ، ثم دعا سعيد بمال فدفعه إليه ، وقال له : استعن به على سفرك فان صح لك مكانك من عباد ، وإلا فمكانك عندي مهدي فائتنى ، ثم صار سعيد إلى خراسان .

وخرج ابن مفرغ مع عباد ، فلما بلغ عبيد الله بن زياد أمير العراقيين صحبة
يزيد أخاه عباداً شق عليه ، فلما سار عباد شيعة أخوه عبيد الله ، وشيعة الناس
وجعلوا يودعونهم ، فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له : إنك
سألت عباداً أن يصحبك فأجابك ، وقد شق على ، فقال له : ولم أصلحك الله ؟
قال : لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل
الظن يقيناً ، ولا يعذر في موضع العذر ، وإن عباداً يقدم على أرض حرب
فيشتغل بحروبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت وتكسونا شراً وعاراً ، فقال له :
لست كما ظن الأمير ، وإن لمعروفه عندي شكراً كثيراً ، وإن عندي إن أغفل
أمرى عذراً ممهداً ، فقال : لا ، ولكن تضمن لي إن أبطأ عليك بما تحبه أن لا
تعجل عليه حتى تسكتب إلي ، قال : نعم ، قال : امض إذاً على الطائر الميمون
قال : فقدم عباد خراسان ، وقيل : سجستان ، فاشتغل بحروبه وخراجه ، فاستبطأه
ابن مفرغ ، ولم يكتب لأخيه عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكنه بسط
لسانه فذمه وهجاه .

وكان عباد كبير اللحية كأنها جوالق ، فسار ابن مفرغ مع عباد يوماً ، فدخلت
الريح فيها فنفتشتها ، فضحك ابن مفرغ ، وقال لرجل من لحم كان إلى جانبه [من
الوافر] :

ألا ليت الأحمى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمين

فسعى بها اللخمى إلى عباد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : لا تجمل
بي عقوبته في هذه الساعة مع صحبته لي ، وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي منه ،
فانه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواضع ، وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال : إني لأجد
ريح الموت من عباد ، ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ، إني قد كنت مع سعيد بن
ابن عثمان ، وقد بلغك رأيه في وجهي أثره على ، وقد اخترتك عليه فلم أحظ
منك بظائل ، وأريد أن تأذن لي بالرجوع ، فلا حاجة لي في صحبتك ، فقال له :

أما اختيارك إياي فقد اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتني ، وقد أعجلتني عن بلوغ حجتي فيك ، وطلبت الإذن لترجع إلى قومك فتفضحني عندهم وأنت على الإذن قادر بعد أن أفضى حقتك ، وبلغ عباداً أنه يسبه ويدكره وينال من عرضه ، فدس إلى قوم كان لهم عليه دين أن يقدموه إليه ، ففعلوا فحبسه وضر به ثم بعث إليه أن بعني الأراكة وبرداً ، وكانت الأراكة قينة لابن مفرغ ، وبرد غلامه ، رباهما ، وكان شديد الضن بهما ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيع المرء نفسه وولده ؟ فأخذهما عباد منه ، وقيل : إنه باعهما عليه ، فاشترهما رجل من أهل خراسان ، فاماد خلا منزه له برد ، وكان داهية أرباباً : أتدرى ما اشتريت ؟ قال : نعم اشتريتك ، وهذه الجارية ، قال : لا والله ، ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبداً ما حييت ، فجزع الرجل وقال له : كيف ذلك ؟ ويليک ! قال : نحن ليزيد بن مفرغ ، والله ما أصاره إلى هذه الحالة إلا لسانه وشره ، أفتراه يهجو عباداً وهو أمير خراسان ، وأخوه عبيد الله أمير العراقيين وعمه الخليفة معاوية ابن أبي سفيان ، في أن استبطأه ، ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفس التي بين جنبيه ؟ والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك ، فقال : أشهدك أنك وإياها له ، فان شئتما أن تمضيا إليه فامضيا ، وعلى أنى أخاف على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد ، وإن شئتما أن تكونا له عندى فافعلا ، قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ إلى الحبس بما فعله ، فكتب إليه يشكر فعله ، وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

وقال عباد لحاجبه : ما أرى هذا — يعني ابن مفرغ — يبالي بالمقام في الحبس ، فبغ فرسه وسلاحه وأثاثه ، واقسم ثمنها بين غرمائه ، ففعل ذلك وبقيت عليه بقية حبسه بها ، فقال ابن مفرغ في بيعهما [من البسيط] :

شَرَيْتُ بَرْدًا وَلَوْ مَلَكَتْ صَفْقَتَهُ لِمَا تَطَلَبْتَ فِي بَيْعِ لَه رَشْدًا

لولا الدُّعَى ولولا ما تعرض لى من الحوادث ما فارقتنه أبداً
يا برد ما مسنا دهر أضربنا من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
معنى « شريت » بعت ، وهو من الأضداد ، يقع على الشراء والبيع ،
والآبيات أكثر من هذا ، فتركت الباقي .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه زاد نفسه شراً ،
فكان يقول للناس إذا سألوه عن حبسه : رجل أدبه أميره ليقيم من أوده ويكف
عن غربه ، وهذا لعمرى خير من جر الأمير ذيله على مداهنة صاحبه ، فلما بلغ
ذلك عباداً رق له ، وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها
إلى الشام ، وجعل يمتقل في مدنها هارباً ، ويهجو زياداً وولده ، فمن ذلك قوله في
تركه سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه واتباعه عباد بن زياد ويند كر بيع
برد عليه [من مجزوء السكامل] :

أصرمت جملك من أمامه	من بعد أيام برامه
فالريح تبكي شجوها	والبرق يضحك في الغمامه
لهفى على الأمر الذى	كانت عواقبه نداهه
تركى سعيداً ذا الندى	والبيت ترفعه الدعامه
ليثاً إذا شهد الوغى	ترك الهوى ومضى أمامه
فتحت سمرقند له	وبنى بعرضها خيامه
وتبعته عبد بنى علا	ج ، تلك أشرط القيامه
جاءت به حبشية	سكاه تحسبها نعامه
من نسوة سود الوجوه	ه ترى عليهم الدمامه
وشريت برداً ليتنى	من بعد برد كنت هامه
ياهامه تدعو صدئى	بين المشقر واليمامه
فالهل يركبه الفقى	حذر المخازى والسامه

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

قلت : قوله « وتبعت عبد بنى علاج » بنو علاج بطن من ثقيف ، وسيأتى ذكره عند ذكر الحارث بن كَلْدَة فى هذه الترجمة إن شاء الله تعالى ، قاله أبو بكر بن دريد فى كتاب « الاشتقاق » وأنشد عليه [من مخرج البسيط] :

آل أبى بكرة استفتيقوا هل تعدل الشمس بالسراج

إن ولاء النجى أعلى من دعوة فى بنى علاج

وهذا القول له سبب يذكر عند ذكر أبى بكرة نفيص بن الحارث فى هذه الترجمة ، إن شاء الله تعالى

وقوله فى البيت الآخر * سكاء تحسبها نعامه * يقال : أذن سكاء ، إذا كانت صغيرة ، والسكاء أيضا : التى لا أذن لها ، والعرب تقول : كل سكاء تبيض ، وكل شرقاء تلد ، والشرقاء : التى لها أذن طويلة ، والسكاء - بفتح السين المهملة وتشديد الكاف - والشرقاء - بفتح الشين المعجمة ، وسكون الراء ، وبعدها قاف - والضابط عندهم فيه أن كل حيوان له أذن ظاهرة فانه يلد ، وكل حيوان ليست له أذن ظاهرة فانه يبيض

قال الراوى : ثم إن ابن مفرغ لج فى هجاء بنى زياد ، حتى تغنى أهل البصرة بأشعاره ، فطلبه عبید الله طلباً شديداً ، حتى كاد يؤخذ ، فلحق بالشام ، واختلف الرواة فىمن رده إلى ابن زياد ، فقال بعضهم : رده معاوية بن أبى سفيان ، وقال بعضهم : بل رده يزيد بن معاوية ، والصحيح أنه يزيد ، لأن عبداً إنما ولى سجستان فى أيام يزيد

قلت : ثم ذكر صاحب « الأغانى » عقيب هذا الفصل أن سعيد بن عثمان ابن عفان رضى الله عنه دخل على معاوية بن أبى سفيان فقال له : علام جعلت ولدك يزيد ولى عهدك ؟ فوالله لأبى خير من أبيه ، وأمى خير من أمه ، وأنا خير منه ، وقد وليناك فما عز لناك ، وبنا نلت ما نلت ، فقال له معاوية : أما قولك

إن أباك خير من أبيه فقد صدقت ، لعمر الله إن عثمان خير مني ، وأما قولك إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها ، وأن يرضاها بعلمها ، وينجب ولدها ، وأما قولك إنك خير من يزيد ، فوالله يا بني ما يسرنى أن لي بيزيد ملء الغوطة ذهباً مثلك ، وأما قولك : إنكم وليتموني فما عزلموني ، فما وليتموني ، وإنما ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأقررتموني ، وما كنت بئس الوالي لكم ، لقد قتت بشاركم ، وقتلت قتلة أبيكم ، وجعلت الأمر فيكم ، وأغنيت فقيركم ، ورفعت الوضيع منكم ، فكلما يزيد في أمره ، فولاه خراسان

رجعنا إلى حديث ابن مفرغ :

قال الراوى : ولم يزل يتنقل في قرى الشام ويهجو بنى زياد ، وأشعاره تنقل إلى البصرة ، فسكتب عبد الله بن زياد أمير العراق إلى معاوية - وقيل : إلى يزيد وهو الأصح - يقول : إن ابن مفرغ هجا زياداً وبنى زياد ، بما هتكه في قبره ، وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدى إلى أبى سفيان ، فقتله بالزنا ، وسب ولده ، وهرب من سجستان ، وطلبته حتى لفظته الأرض ، وهرب إلى الشام يتمضغ لحومنا ، ويهتك أعراضنا ، وقد بعثت إليك بما قد هجانا به ، لتنصف لنا منه ، ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم ، فأمر يزيد بطلبه ، فجعل يتنقل في البلاد ، حتى لفظته الشام ، فأتى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس

قلت : وهو الذى يضرب به المثل في الحلم ، وقد سبق ذكره ، واسمه الضحاك - قال : فاستجار به ، فقال له الأحنف : إني لأجبر على ابن سمية فأعزله ، وإنما يجير الرجل على عشيرته ، وأما على سلطانه فلا ، ثم إنه مشى إلى غيره فلم يجره أحد ، فأجاره المنذر بن الجارود العبدى ، وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، وأدل بموضعه منه ، وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة ، فقبل له : أجاره المنذر بن الجارود

فبعث عبيد الله إلى المنذر ، فأتاه ، فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره ، وأتوه بابن مفرغ ، فلم يشعر ابن الجارود إلا بابن المفرغ قد أقبل على رأسه ، فقام ابن الجارود إلى عبيد الله فكلّمه فيه ، فقال : أذكرك الله أيها الأمير أن تخفر جوارى ، فاني قد أجرته ، فقال عبيد الله : يا منذر إنه ليمدحن أباك ويمدحنك ، وقد هجاني وهجا أبي ، ثم تجيره على ، لاهال الله لا يكون ذلك أبداً ، ولا أغفرها له ، فغضب المنذر ، فقال له : لعلك تدل بكر يمتك عندي ، إن شئت والله لأبنتها بتطليق البتة ، فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له : بتس ماصحبت به عبادا ، فقال : بتس ماصحبتني عباد ، اخترته لنفسى على سعيد بن عثمان ، وأنفقت على صحبته جميع ما أملكه ، وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش ، فعدل عن ظنى كله ، ثم عاملنى بكل قبيح ، وتناولنى بكل مكروه من حبس وغرم وشم وضرب فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فأراق دماء طمعا فيه فمات عطشا ، وما هربت من أخيك إلا لما خفت أن يجري فيما يندم عليه ، وقد صرت الآن في يديك ، فشأنك فاصنع بي ماشئت ، فأمر بحبسه ، وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله ، فكتب إليه يزيد : إياك وقتله ، ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ، ولا يبلغ نفسه فإن له عشيرة هي جندى وبطانى ، ولا ترضى بقتله منى ، ولا تقنع إلا بالقود منك ، فاحذر ذلك ، واعلم أنه الجد منهم ومنى ، وأنت مرتين بنفسه ، ولك في دون تلفها مندوحة تشفى من الغيظ ، فورد الكتاب على عبيد الله ، فأمر بابن مفرغ فسقى نبذاً حلواً قد خلط معه الشبرم ، وقيل النرد ، فأسهل بطنه ، فطيف به وهو على تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه ، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط ، فقيل لعبيد الله : لا تأمن أن يموت ، فأمر به أن يغسل ، ففعلوا ، فلما اغتسل قال [من الخفيف] :

يقسل المساء ما فعلت وقولى راسخ منك فى العظام البوالى
فرده عبید الله إلى الحبس ، وقيل لعبید الله : كيف اخترت له هذه العقوبة :
فقال : لأنه سلح علمنا ، فأحببت أن تسلح الخنزيرة عليه

وكان مما قاله ابن مفرغ فى عباد بن زیاد من جملة أبيات عديدة [من الوافر] ؟

إذا أودى معاوية بن حرب فبشر شعب قعبك بانصداع
فأشهد أن أمك لم تبأشر أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس على وجل شديد وارتياع
وقال أيضا [من الوافر] :

ألا أبلغ معاوية بن صخر مغلفة عن الرجل اليانى
أنغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهد أن رَحْمَك من زياد كرحم الفيل من ولد الأنان
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سمية غير دان

قلت : قوله « فأشهد أن رَحْمَك من زياد » البيت الثالث ، أخذه من قول
أبي الوليد ، وقيل : أبي عبد الرحمن ، حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه
فى بيت من جملة أبيات ، وهى قوله [من الوافر]

لعمرك إن إلك من قریش كاللأسقب من رأل النعام

الإل — بكسر الهمزة ، وتشديد اللام — وهو الرحم ، والأسقب — بفتح
السين المهملة ، وسكون القاف ، وبعدها باء موحدة — وهو الذكر من ولد الناقة ،
والرأل — بفتح الراء ، وبعدها همزة ، وفى آخره لام — وهو ولد النعام ، وهذه
الآبيات قالها حسان فى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبى
صلى الله عليه وسلم ، وكان أخاه من الرضاعة أرضعهما حليلة ابنة أبي ذؤيب السعدية
وكان من أكثر الناس شجهاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له فيه هجاء ،
وكان حسان يجاوب عنه ، فمن ذلك هذه الأبيات الميمية ، ومن ذلك قوله أيضاً
[من الوافر] :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى
مغلغلة فقد برّح الخلفاء
هجوت مجداً فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهمجوه ولست له بكفء
فشركا خيرا كما الفداء
فان أبى ووالده وعرضى
لعرض مجد منكم وقاء

وقوله « فشركا خيرا كما الفداء » فيه كلام لأهل العلم لأجل خير^(١) وشر ،
لأنهما من أدوات التفضيل ، وتقتضى المشاركة ، وإنما أجابته حسان بأمر النبي
صلى الله عليه وسلم له في ذلك

الدين كانوا
يشبهون
رسول الله
من قومه

قلت : والجماعة الذين كانوا يشبهون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته
خمس^(٢) : أبوسفيان المذكور ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، وجعفر بن أبي طالب ،
وقثم بن العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وهو جد الشافعي ، رضى الله
عنهم أجمعين !

ثم إن أبا سفيان أسلم عام الفتح ، وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة ،
وحسن إسلامه ، وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحنين ، ولما
انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم حتى رجع المسلمون إليهم ، وكانت النصره لهم ، وكسبوا من الغنائم
سنة آلاف رأس من الرقيق ، ثم من النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فأطلقهم ،
والشرح في ذلك يطول ، وليس هذا موضعه

وكان أبو سفيان المذكور يومئذ ممسكا لجام بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ،
ولم يفارقها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إني لأرجو أن يكون فيه
خلف من حمزة بن عبد المطلب ، وشهد له بالجنة ، فقال : أبو سفيان بن الحارث
من شباب أهل الجنة ، أو سيد فتيان أهل الجنة ، والله أعلم .

(١) حاصل ما قاله أن « خير » و « شر » في هذا البيت مجردة عن معنى التفضيل
وقد رجحنا في شرحنا على الأشموني أن « خير » و « شر » ههنا صفتان مشبهتان
وليسا من أفعال التفضيل في شيء وبيننا ذلك بيانا وإيضاحاً . (٢) لم يذكر غير أربعة

وأكثر العلماء يقولون : اسمه كنيته ، ليس له اسم سواها ، وقيل : اسمه
المغيرة ، وقيل : المغيرة أخوه ، وهو أبو سفيان لا غير ، ويقال : إنه ما رفع رأسه
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه لما تقدم من هجائه .
رجعنا إلى حديث ابن مفرغ :

وهو من شعراء الحماسة ، وهو القائل [الطويل] :

ألا طرقتنا آخر الليل زينبُ سلام عليكم هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا نقر بئنا فكيف وأنتم حاجي أنجب
يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل خطب الشيب إن كان كلما بدت شيبة يعرى من اللهو مركب
وذكر مظفر الأندلسي في تاريخه الكبير في جملة هذه الأبيات :

فلو أن لحى إذ وهى لعبت به كرام ملوك أو أسود وأذؤب
لهون من وجدى وسلى مصيدتى ولكننا أودى بلحمى أ كلب

ولما بلغ الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما وفاة معاوية بن أبي
سفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها
كما هو مشهور في هذه الواقعة التي قتل فيها الحسين رضى الله عنه ، فكان في
تلك المدة يتمثل كثيراً بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة أبيات
[من الخفيف] :

تمثل
الحسين بن علي
رضي الله عنه
بأبيات لابن
مفرغ

لا ذعرت السّوام في غلس الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى على الخافة ضيا والمنيا يرسدنى أن أحيدا

فعلم من سمع ذلك منه أنه سينازع يزيد بن معاوية في الأمر ، فخرج
الحسين إلى الكوفة ، وأميرها يومئذ عبيد الله بن زياد ، فلما قرب منها سير إليه
جيشاً مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص ، رضى الله عنه ! فقتل الحسين رضى الله

عنه بالطف^(١) ، وجرى ماجرى .

وروى أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى الحسين رضى الله عنه : إني لأظن في رأسك نزوة ، ولا بد لك من إظهارها ، ووددت لو أدركتها فأغترفها لك .
وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه قال : لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لى وأدخلنى الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقال غميد الله بن زياد الحارثي بن بدر العدواني : ما تقول في وفى الحسين يوم القيامة ؟ قال : يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم ، ويشفع لك أبوك وجدك ، فأعرف من هنا ما تريد .

ونقلت من تاريخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزغلي المعروف بسبط الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ الذي سماه « مرآة الزمان » رأيته بخطه في أربعين مجلدًا بدمشق ، وقد رتبته على السنين ، فقال في السنة التاسعة والخمسين للهجرة ، بعد أن قص حديث يزيد بن مفرغ مع بنى زياد ، فقال في آخر الحديث : مات يزيد بن مفرغ في سنة تسع وستين للهجرة ، والله أعلم .
وقال أبو اليقظان في كتاب « النسب » : مات عباد بن زياد في سنة مائة للهجرة بمجرود .

قلت : وجرد — بفتح الجيم ، وضم الراء ، وسكون الواو ، وبعدها دال مهملة — وهى قرية من أعمال دمشق من جهة حمص ، ويكون فى أرضها من حمير الوحش شئ كثير يجاوز الحصر ، ولما وصل بعض عسكر الديار المصرية إلى الشام فى أثناء سنة ستين وستائة وتوجهوا بعسكر الشام إلى أنطاكية ، وكنت يومئذ بدمشق — أقاموا عليها قليلا ، ثم عادوا فدخلوا مصر فى سلخ شعبان من السنة ، وأخبرنى بعضهم بقضية غريبة يصلح أن نذكرها هنا لغرابتها ، وهى :

(١) الطف — بفتح الطاء وتشديد الفاء — أرض من ضاحية السكوفة فى طريق البرية ، وفيها وقع قتل الحسين رضى الله تعالى عنه !

أنهم نزلوا على جرود المذكورة ، واصطادوا من الحمار الوحشية شيئا كثيرا على ما قالوا ، فذبح واحد من الجماعة حماراً وطبخ لحمه الطبخ المعتاد ، فلم ينضج ولا قارب النضج ، فزاد في الحطب والإيقاد ، فلم يؤثر فيه شيئا ، ومكث يوما كاملا يفعل ذلك وهو لا يفيد شيئا ، فقام شخص من الجند وأخذ الرأس يقلبه فوجد على أذنه وسما ، فقرأه ، فاذا هو « بهرام جور » فلما وصلوا إلى دمشق أحضروا تلك الأذن عندي ، فوجدت الوسم ظاهرا ، وقد رق شعر الأذن إلى أن بقي كالهباء وموضع الوسم بقي أسود ، وهو بالقلم الكوفي .

وهذا بهرام جور من ملوك الفرس ، وكان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ، وكان من عاداته أنه إذا كثرت عليه ما يصطاده وسمه وأطلقه والله أعلم كم كان عمر الحمار لما وسمه ، والله أعلم لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش ، وعلى الجملة فإن حمار الوحش من الحيوانات المعمرة ، وهذا الحمار لعله عاش ثمانمائة سنة أو أكثر .

وهذه جرود في أرضها جبل المدخن المشهور ، وقد ذكره أبو نواس في قصيدته التي ذكر فيها المنازل لما قصد الخصب بمصر ، فقال [من الطويل] :

وأقفر إشراقا كنائس تدمر وهنّ إلى رُعن المدخن صور

والمدخن : بضم الميم ، وبالดาล المهملة ، وفتح الخاء المعجمة المشددة و بعدها نون - وسمى المدخن لأنه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب ، ثم بعد هذا وجدت في كتاب « مفاتيح العلوم » تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الخوارزمي أن بهرام جور بن بهرام بن سابور ، ذى الأكتاف ، وسمى بهرام جور لأنه كان مولعا بصيد الغير ، وهو الحمار الوحشي والأهلي أيضا ، انتهى كلامه .

ثم حسبت مدة ملكهم بعد هذا فكانت إلى سنة الهجرة النبوية مقدار

مائتين وست عشرة سنة ، فقد عاش هذا الحمار منذ وسمه بهرام جور إلى أن ذبح في سنة ستين وستمائة مقدار ثمانمائة سنة وأكثر ، والله أعلم .

زياد بن أبيه
واستلحاقه

قلت : وقد تكرّر في هذه الترجمة حديث زياد وبنيه وسمية وأبي سفيان ومعاوية ، وهذه الأشعار التي قالها يزيد بن مفرغ فيهم ، ومن لا يعرف هذه الأسباب قد يتشوف إلى الاطلاع عليها ، فنورد منها شيئاً مختصراً ، فأقول : إن أبا الجبر الملك الذي ذكره أبو بكر بن دريد في المقصورة المشهورة في البيت الذي يقوله فيها ، وهو [من الرجز] :

وَحَاَمَرْتُ نَفْسَ أَبِي الْجَبْرِ جَوَى

حَتَّى حَوَاهُ الْخَتَفُ فِيمَنْ قَدْ حَوَى

كان أحد ملوك اليمن ، واسمه كنيته ، وقيل : هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندي ، وقيل : أبو الجبر بن عمرو ، تغلب عليه قومه فخرج إلى بلاد فارس يستجيش عليهم كسرى ، فبعث معه جيشاً من الأساورة ، فلما ساروا إلى كاظمة ونظروا وحشة بلاد المغرب وقلة خيرها قالوا : إلى أين نمضي مع هذا ؟ فعمدوا إلى سم ، فدفعوه إلى طبائخه ووعدوه بالإحسان إليه إن ألقى ذلك السم في طعام الملك ، ففعل ذلك ، فلما استقر الطعام في جوفه حتى اشتد وجعه ، فلما علم الأساورة ذلك دخلوا عليه ، فقالوا له : إنك قد بلغت إلى هذه الحالة ، فاكتب لنا إلى الملك كسرى أنك قد أذنت لنا في الرجوع ، فكتب لهم بذلك .

ثم إن أبا الجبر خف مابه ، فخرج إلى الطائف البليدة التي بقرب مكة ، وكان بها الحارث بن كعدة طبيب العرب الثقفي ، فعالجه ، فأبرأه ، فأعطاه سمية — بضم السين المهملة ، وفتح الميم ، وتشديد الياء المثناة من تحتها ، وفي آخره هاء — وعبيداً — بضم العين المهملة تصغير عبد — وكان كسرى قد أعطاهما أبا الجبر في جملة ما أعطاه ، ثم ارتحل أبو الجبر يريد اليمن ، فانتقضت عليه العلة ، فمات في الطريق .

ثم إن الحارث بن كدّة النخعي زوّج عبيدا المذكور سمية ، فولدت سمية زياداً على فراش عبيد ، وكان يقال له : زياد بن عبيد ، وزياد بن سمية ، وزياد ابن أبيه ، وزياد بن أمه ، وذلك قبل أن يستلحقه معاوية كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وولدت سمية أيضاً أبا بكره نفيح بن الحارث بن كدّة المذكور ، ويقال : نفيح بن مشروح ، وهو الصحابي المشهور بكنيته رضى الله عنه ، وولدت أيضاً شبل بن معبد ، ونافع بن الحارث ، وهؤلاء الإخوة الأربعة هم الذين شهدوا على المغيرة بن شعبه رضى الله عنه بالزنا ، وسيأتي خبر ذلك بعد الفراغ من حديث زياد إن شاء الله تعالى .

وكان أبو سفيان صخر بن حرب الأموي ، والد معاوية بن أبي سفيان يتهم في الجاهلية بالترداد إلى سمية المذكورة ، فولدت سمية زياداً في تلك المدة ، ولكنها ولدت على فراش زوجها عبيد .

ثم إن زياداً كبر وظهرت منه النجابة والبلاغة ، وهو أحد الخطباء المشهورين في العرب بالفصاحة والدهاء والعقل الكثير ، حتى إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد استعمل أبا موسى الأشعري رضى الله عنه على البصرة ، فاستكتب زياداً ابن أبيه .

ثم إن زياداً قدم على عمر رضى الله عنه من عند أبي موسى ، فأعجب به عمر رضى الله عنه ، فأمر له بألف درهم ، ثم تذكرها بعد ماضى ، فقال : لقد ضاع ألف أخذها زياد ، فلما قدم عليه بعد ذلك قال له : ما فعل ألفك يا زياد ؟ قال : اشتريت بها عبيداً فأعتقته ، يعنى أباه ؟ فقال : ما ضاع ألفك يا زياد ، هل أنت حامل كتابي إلى أبي موسى الأشعري في عزلك عن كتابته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن لم يكن ذلك عن سخطه ، قال : ليس عن سخطه ، قال :

فلم تأمره بذلك ؟ قال : كرهت أن أحمل الناس على فضل عقلك .

واستكتب أبو موسى بعد زياد أبا الحصين بن أبي الحر العنبري ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه كتابا فلحن في حرف منه ، فكتب إليه « أن قنع كاتبك سوطا » . وكان عمر رضي الله عنه إذا وفد عليه من البصرة رجل أحب أن يكون زياداً ليشفيه من الخبر ، وكان عمر رضي الله عنه قد استعمله على بعض أعمال البصرة ثم عزله ، وقال : ما عزلتك لجريمة ، ولكن كرهت أن أحمل الناس على فضل عقلك ، وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في إصلاح فساد وقع باليمن ، فرجع من وجهه ، وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها ، فقال عمرو بن العاص : أما والله لو كان هذا الغلام من قریش لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه ، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ومن هو يا أبا سفيان ؟ قال : أنا ، قال : مهلاً أبا سفيان ، فقال أبو سفيان [من الوافر] :

أما والله لولا خوف شخص يرانى يا على من الأعدى
لأظهر سره صخر بن حرب وإن تكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملي ثقيفا وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فلما صار الأمر إلى علي رضي الله عنه وجه زيادا إلى فارس ، فضبط البلاد وحمل ، وجبى ، وأصلح الفساد ، فكتبه معاوية يروم إفساده على علي رضي الله عنه ، فلم يفعل ، ووجه بكتابه إلى علي رضي الله عنه ، وفيه شعر تركته ، فكتب إليه علي : إني ما وليتك إلا وأنت أهل لذلك عندي ، ولن تدرك ما تريده مما أنت فيه إلا بالصبر واليقين ، وإعسا كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر رضي الله عنه لا يستحق بها نسباً ولا ميراثاً ، وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه ، فاحذره ثم احذره ، والسلام . فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد لي أبو الحسن وربي الكعبة ، فذلك الذي جرأ يزيد بن معاوية على ما صنع .

فلما قتل على رضى الله عنه وتولى ولده الحسن رضى الله عنه ، ثم فوّض الأمر إلى معاوية كما هو مشهور ، أراد معاوية استمالة زياد إليه ، وقصد تأليف قلبه ليسكون معه كما كان مع على رضى الله عنه ، فتملق بذلك القول الذى صدر من أبيه بحضرة على وعمر بن العاص ، فاستلحق زياداً فى سنة أربع وأربعين للهجرة ، فصار يقال له : زياد بن أبى سفيان

فلما بلغ أخاه أبا بكر أن معاوية استلحقه ، وأنه رضى بذلك حلف يميناً أن لا يكلمه أبداً ، وقال : هذا زنى أمه ^(١) ، وانتفى من أبيه ، والله ما علمت شمية رأت أبا سفيان قط ، وبله ما يصنع بأُم حبيبة بنت أبى سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أريد أن يراها ، فان حجبته فضحته ، وإن رآها فيا لها من مصيبة يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة .

وحج زياد فى زمن معاوية ، ودخل المدينة ، فأراد الدخول على أُم حبيبة ، لأنها أخته على زعمه وزعم معاوية ، ثم ذكر قول أخيه أبى بكر ، فانصرف عن ذلك . وقيل : إن أُم حبيبة حجبته ولم تأذن له فى الدخول عليها ، وقيل : إنه حج ولم يزر من أجل قول أبى بكر ، وقال : جزى الله أبا بكر خيراً ! فما يدع النصيحة على كل حال .

وقدم زياد على معاوية وهو نائب عنه ، وحمل معه هدايا جلييلة ، من حملتها عقد نفيس ، فأعجب به معاوية ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ، دوخت لك العراق ، وجيئت لك برها وبحرها ، وحملت إليك لبها وقشرها ، وكان يزيد ابن معاوية جالسا ، فقال له : أما إنك إذ فعلت ذلك فانا نقلنك من ثقيف إلى قریش ، ومن عبيد إلى أبى سفيان ، ومن القلم إلى المنابر ، فقال له معاوية : حسبك ورئت بك زنادى .

وقال أبو الحسن المدائنى : أخبرنا أبو الزبير الكاتب عن ابن إسحاق قال :

(١) زنى أمه — بتشديد النون — أى نسبها إلى الزنى ، ومثله قولك « فسقته » و « كذبته » بالتضعيف — أى نسبته إلى الفسق والكذب

اشترى زياد أباه عبیداً ، فقدم زياد على عمر رضى الله عنه ، فقال له : ما صنعت بأول شيء أخذت من عطائك ؟ قال : اشتريت به أبى ، قال : فأعجب ذلك عمر رضى الله عنه ! وهذا ينافى استلحاق معاوية إياه .

ولما ادعى معاوية زياداً دخل عليه بنو أمية ، وفيهم عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم الأموى ، فقال له : يا معاوية ، لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم عاينا قلة وذلة ، فأقبل معاوية على أخيه مروان بن الحكم ، وقال : أخرج عنا هذا الخليع ، فقال مروان : والله إنه لخليع ما يطاق ، قال معاوية : والله لو لا حلمى وتجاوزى لعلمت أنه يطاق ، ألم يبلغنى شعره فى وفى زياد ؟ ثم قال لمروان : أسمعننيه ، فقال [من الوافر] :

ألا أبلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بما يأتى اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان

وقد تقدم ذكر بقية هذه الأبيات منسوبة إلى يزيد بن مفرغ ، وفيها خلاف : هل هو ليزيد بن مفرغ ، أم لعبد الرحمن بن الحكم ؟ فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الأول على تلك الصورة ، ومن رواها لعبد الرحمن رواها على هذه الصورة .

ولما استلحق معاوية زياداً وقربه وأحسن إليه وولاه ، صار من أكبر الأعوان على بنى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، حتى قيل : إنه لما كان أمير العراقيين طلب رجلاً يعرف بابن سرح من أصحاب الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ! وكان فى الأمان الذى كتب لأصحاب الحسن رضى الله عنه لما نزل عن الخلافة لمعاوية ، فكتب الحسن إلى زياد : من الحسن إلى زياد ، أما بعد ، فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا من الأمان ، وقد ذكر لى ابن سرح أنك عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير ، والسلام . فلما أتاه الكتاب وقد بدأ فيه بنفسه ، ولم ينسبه إلى أبى سفيان غضب وكتب إليه : من زياد

ابن أبي سفيان إلى الحسن ، أما بعد ، فانه أتاني كتابك في فاسق تأويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وإيم الله لأطلبه ولو كان بين جلدك ولحمك ، وإن أحب الناس إلى لحمي أن آكله للحم أنت منه . فلما قرأه الحسن رضى الله عنه بعثه^(١) إلى معاوية ، فلما قرأه غضب وكتب إلى زياد : من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد ، أما بعد ، فان الحسن بن علي بعث إلى بكتابك إليه جواب كتاب كان كتبه إليك في ابن سرح ، فأكثر التّعجب منه ، وقد علمت أن لك رأيين : رأياً من أبي سفيان ، ورأياً من سمية ، فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سمية فكما يكون رأى مثلها ، ومن ذلك كتابك إلى الحسن تسبه وتعرض له بالفسق ، ولعمري لأنت أولى بذلك منه ، فان كان الحسن ابتداءً بنفسه ارتفاعاً عنك فان ذلك لن يضعك ، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فخطبته عن نفسك إلى من هو أولى به منك ، فاذا أتاك كتابي فخل ما بيدك لابن سرح ولا تعرض له فيه ، فقد كتبت إلى الحسن يخبره : إن شاء أقام عنده ، وإن شاء رجع إلى بلده ، وإنه ليس لك عليه سبيل بيد ولا لسان ، وأما كتابك إلى الحسن باسمه ولا تنسبه إلى أبيه ، فان الحسن ويحك ممن لا يرمى به الرجوان ، أفأستصغرت أباه ، وهو علي ابن أبي طالب رضى الله عنه ؟ أم إلى أمه وكلته وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فذلك أفخر له إن كنت عقلت ، والسلام قوله « لا يرمى به الرجوان » بفتح الراء والجيم — وهو لفظ مثني ، ومعناه المهالك .

قلت : وقد رويت هذه الحكاية على صورة أخرى وهي : كان سعيد بن سرح مولى كرز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب رضى الله عنه فلما قسم زياد ابن أبيه السكوفة والياً عليها أخافه وطلبه ، فأتى المدينة ، فنزل على الحسن بن علي رضى الله عنه ، فقال له الحسن : ما السبب الذي أشخصك وأزعجك ؟ فذكر له قصته وصنيع زياد به ، فكتب إليه الحسن : أما بعد فانك

(١) في ب « بعث به إلى معاوية »

عمدت إلى رجل من المسلمين ، له مالههم وعليه ما عليهم ، فهدمت عليه داره ، وأخذت ماله وعياله ، فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره ، واردد عليه ماله وعياله ، فاني قد أجرته فشنعني فيه ، فكتب إليه زياد : من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة ، أما بعد ، فقد أناني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي ، وأنت طالب للحاجة ، وأنا سلطان وأنت سوقة ، وكتابك إلى في فاسق لا يأويه إلا فاسق مثله ، وشر من ذلك توليه أباك ، وقد آوئته إقامة منك على سوء الرأي ، ورضى بذلك ، وإيم الله لا تسبقني إليه ولو كان بين جلدك ولحمك ، فإن أحب لحم إلى أن آكله لأحم أنت منه ، فأسله بجزيرته إلى من هو أولى به منك ، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك ، وإن قتلته لم أقتله إلا بحجة إياك^(١)

فلما قرأ الحسن رضى الله عنه الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه ، وإجابة زياد إياه ، ولف كتابه في كتابه ، وبعث به إليه ، وكتب الحسن إلى زياد : من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زياد بن سمية عبد بن ثقيف « الولد للفراس ، وللعاهر الحجر » فلما قرأ معاوية كتاب الحسن رضى الله عنه ضاقت به الشام ، وكتب إلى زياد : أما بعد ، فإن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما بعث إلى بكتابك جواب كتابه إليك في ابن سرح ، فأكثر التعجب منه ، وعلمت أن لك رأيين : أحدهما من أبي سفيان ، وآخر من سمية ، فأما الذي من أبي سفيان فلم وحزم ، وأما الذي من سمية فكما يكون رأى مثلها ، ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه ، وتعرض له بالفسق ، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسن ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه ، فإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عنك فإن ذلك لم يضره ، وأما تشفيعه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك ، فإذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك

(١) في ب « إلا بحجة أباك »

لسعيد بن سرح ، وابن له داره ، ولا تغدر به ، واردد عليه ماله ، فقد كتبت إلى الحسن أن يحبر صاحبه بذلك ، فان شاء أقام عنده ، وإن شاء رجع إلى بلده ، فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان ، وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه ، ولا تنسبه إلى أبيه فان الحسن — ويلاك ! — ممن لا يرمى به الرجوان ، أفاستصغرت أباه وهو على بن أبي طالب ، أم إلى أمه وكلته لا أم لك ، فهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فتلك أفر له إن كنت تعقل ! والسلام وقال عبيد الله بن زياد : ما هجيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ [من البسيط] :

فَكَرُّ فِي ذَاكَ إِنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبِرٌ
هَلْ نِلْتَ مَكْرُمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ
عَاشَتْ سُمَيَّةٌ مَا عَاشَتْ وَمَا عَلِمَتْ
أَنَّ ابْنَهَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِ
وقال قتادة : قال زياد لبنيه ، وقد احتضر : ليت أباكم كان راعياً في أدناها وأقصاها ، ولم يقع بالذي وقع فيه قلت : فهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الأشعار في زياد وبنيه ، ويقول : إنهم أدعياء ، حتى قال في زياد وأبي بكر ونافع أولاد سمية [من المنسرح] :

إِنْ زِيَادًا وَنَافِعًا وَأَبَا بَكْرَةَ عِنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
هُمْ رَجَالٌ ثَلَاثَةٌ خَلَقُوا فِي رَحِمِ أُنْثَى وَكُلُّهُمْ لَابِ
ذَا قُرَشِي كَمَا يَقُولُ ، وَذَا مَوْلَى ، وَهَذَا ابْنُ عَمِّهِ عَرَبِي
وهذه الأبيات تحتاج إلى زيادة إيضاح ، فأقول : قال أهل العلم بالأخبار : إن الحارث بن كعدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة ابن عوف بن قسّى ، وهو ثقيف ، هكذا ساق هذا النسب ابن السكلي في كتابه

« الجهرة » وهو طبيب العرب المشهور ، ومات في أوّل الإسلام ، وليس يصح إسلامه .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتي الحارث بن كعدة يستوصفه في مرض نزل به ، فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله ، وكان ولده الحارث بن الحارث من المؤلفة قلوبهم ، وهو معدود في جملة الصحابة ، رضى الله تعالى عنهم !
ويقال : إن الحارث بن كعدة كان رجلاً عقيماً لا يولد له ، وإنه مات في خلافة عمر رضى الله عنه !

ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف ، قال : أيما عبد تدلى إلى فهو حر ، فنزّل أبو بكر رضى الله عنه من الحصن في بكرة .
قلت : وهى بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء ، وهى التى تسكون على البئر ، وفيها الحبل يستقى به ، والناس يسمونها بكرة — بفتح الكاف — وهو غلط ، إلا أن صاحب كتاب « العين » حكاهما بالفتح أيضاً ، وهى لغة ضعيفة لم يحكمها غيره .

قال : فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبا بكر » لذلك ، وكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأراد أخوه نافع أن يدلى نفسه في البكرة أيضاً ، فقال له الحارث بن كعدة : أنت ابنى فأقم ، فأقام ، ونسب إلى الحارث ، وكان أبو بكر قبل أن يحسن إسلامه ينسب إلى الحارث أيضاً . فلما حسن إسلامه ترك الانتساب إليه

ولما هلك الحارث بن كعدة لم يقبض أبو بكر من ميراثه شيئاً تورعاً ، هذا عند من يقول : إن الحارث أسلم ، وإلا فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين ، فلهذا قال ابن مفرغ الأبيات الثلاثة البائية ، لأن زياداً ادعى أنه قرشى باستلحاق معاوية له ، وأبو بكر اعترف بولاء رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ونافع كان يقول : انه ابن الحارث بن كلدة الثقفي ، وأمه واحدة ، وهي صمية المذكورة .

وهذا سبب نظم البيتين في آل أبي بكر كما تقدم ذكره ، وعلاج جد الحارث بن كلدة كما ذكرته .

هذه قصة زياد وأولاده ذكرتها مختصرة .

قلت : إلا أن قول ابن مفرغ في البيت الثاني « وكلهم لأب » ، ليس بجيد ، فان زياداً ما نسبته أحد إلى الحارث بن كلدة ، بل هو ولد عبيد ، لأنه ولد على فراشه .

وأما أبو بكر ونافع فقد نسبوا إلى الحارث ، فكيف يقول : « وكلهم لأب » فتأمل .

وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه الفهرست : أن أول من ألف كتاباً في المثالب زياد ابن أبيه ، فانه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده ، وقال لهم : استظفروا به على العرب ، فانهم يكفون عنكم .

وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي والشهادة عليه ، فان عمر بن الخطاب

حديث المغيرة
بن شعبة الثقفي

رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميراً على البصرة ، وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار ، وكان أبو بكر يلقاه ، فيقول : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : في حاجة ، فيقول : إن الأمير يزار ولا يزور .

قالوا : وكان يذهب إلى امرأة يقال لها : أم جميل بنت عمرو ، وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشمي . وقال ابن الكلبي في كتاب « جهرة النسب » : هي أم جميل بنت الأرقم بن محجن بن أبي عمرو بن شعبة ابن الهرم ، وعدادهم في الأنصار ، وزاد غير ابن الكلبي ، فقال : الهرم بن ربيعة ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، والله أعلم .

قال الراوى : فبينما أبو بكر في غرفة مع إخوته ، وهم نافع وزيد المذكوران وشبل بن معبد ، والجميع أولاد سمية المذكورة ، فهم إخوة لأم ، وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة ، فضربت الرمح باب غرفة أم جميل ففتحت ، ونظر القوم فاذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع ، فقال أبو بكر : هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا ، فنظروا حتى أثبتوا ، فنزل أبو بكر فجلس حتى خرج عليه المغيرة فقال له : إنه كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا ، قال : وذهب المغيرة ليصلى بالناس الظهر ، ومضى أبو بكر ، فقال أبو بكر : لا والله لا تصل بنا ، وقد فعلت ما فعلت ، فقال الناس : دعوه فليصل فإنه الأمير ، واكتبوا بذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فكتبوا إليه ، فأمرهم أن يقدموا عليه جميعاً المغيرة والشهود ، فلما قدموا عليه جلس عمر رضى الله عنه ، فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبو بكر فقال له : رأيته بين فخذيهما ؟ قال : نعم والله لكأنى أنظر إلى تشريم جدري بفخذيهما ، فقال له المغيرة : لقد ألطفت في النظر ، فقال أبو بكر : لم آل أن أثبت ما يحزنك الله به ، فقال عمر رضى الله عنه : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها ولوج المروءة في المكحلة ، فقال : نعم أشهد على ذلك ، فقال : اذهب مغيرة ذهب ربّك ، ثم دعا نافعاً ، فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكر ، قال : لا ، حتى تشهد أنه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة ، قال : نعم حتى بلغ قذذه (قلت : القذذ — بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهى ريش السهم) قال الراوى : فقال له عمر رضى الله عنه : اذهب مغيرة قد ذهب نصفك ، ثم دعا الثالث فقال له : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبي ، فقال له عمر رضى الله عنه : اذهب مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك ، ثم كتب إلى زياد ، وكان غائباً وقدم ، فلما رآه جلس له في المسجد ، واجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصار ، فلما رآه مقبلاً قال : إني أرى رجلاً لا يخزى الله على لسانه رجلاً من المهاجرين ، ثم إن عمر رضى الله عنه رفع رأسه إليه فقال : ما

عندك يا سلع الحبارى ؟ فقل : إن المغيرة قام إلى زياد فقال : لا خبأ لعطر بعد عروس (قلت : وهذا مثل للعرب لا حاجة إلى الكلام عليه ، فقد طالت هذه الترجمة كثيراً) .

قال الراوى : فقال له المغيرة : يا زياد ، اذ كر الله تعالى واذ كر موقف يوم القيامة ، فان الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي ، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت ، فلا يحملنك سوء منظر رأيته على أن تتجاوز إلى ما لم تر ، فوالله لو كنت بين بطنى وبطنها مارأيت أن يسلك ذكرى فيها ، قال : فدمعت عينا زياد ، واحمر وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما إن أحق ما حق القوم فليس عندي ، ولكن رأيت مجلساً ، وسمعت نفساً حثيثاً ، وانهازاً ، ورأيت مستبطنها ، فقال له عمر رضى الله عنه : رأيته يدخل كليل في المسحلة ؟ فقال : لا ، وقيل : قال زياد : رأيته رافعاً رجلها ، فرأيت خصيته تردد إلى ما بين فخذيها ورأيت حفراً شديداً ، وسمعت نفساً عالياً ، فقال عمر رضى الله عنه : رأيته يدخله ويخرجه كليل في المسحلة ؟ فقال : لا ، فقال عمر رضى الله عنه : الله أكبر قم يا مغيرة إليهم فاضر بهم ، فقام إلى أبى بكر فضر به ثمانين ، وضرب الباقين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ الحمد عن المغيرة ، فقال أبو بكر بعد أن ضرب : أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا ، فهم عمر رضى الله عنه أن يضربه حداً ثانياً ، فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن ضربته فارجم صاحبك ، فتركه ، واستتاب عمر أباً بكر فقال : إنما تستبينى لتقبل شهادتى ، فقال : أجل ، فقال : لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا ، فلما ضربوا الحد قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذى أخزاكم ، فقال عمر رضى الله عنه : بل أخزى الله مكاناً رأوك فيه

وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن أباً بكر لما جلد أمرت أمه بشاة فذبحت ، وجعلت جلدها على ظهره ، فكان يقال : ما ذاك إلا من ضرب شديد

وحكى عبد الرحمن بن أبي بكرة أن أباه حلف لا يكلم زياداً ما عاش ، فلما مات أبو بكرة كان قد أوصى أن لا يصلى عليه إلا أبو برزة الأسلمي ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما ، وبلغ ذلك زياداً فخرج إلى الكوفة ، وحفظ المغيرة ابن شعبة ذلك لزياد وشكره .

ثم إن أم جميل وافت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالموسم ، والمغيرة هناك فقال له عمر : أتعرف هذه المرأة يا مغيرة ؟ قال : نعم ، هذه أم كلثوم بنت علي ، فقال عمر : أتتجاهل علي ؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيته إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء .

قلت : ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب «المهذب» : وشهد على المغيرة ثلاثة أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد ، وقال زياد : رأيت استأثنوا ، ونفسا يعلو ، ورجلين كأنهما أذنا حمار ، ولا أدرى ما وراء ذلك ، فجلد عمر الثلاثة ، ولم يحذ المغيرة

قلت : وقد تكلم الفقهاء على قول علي رضى الله عنه لعمر « إن ضربته فارجم صاحبك » فقال أبو نصر بن الصباغ المقدم ذكره ، وهو صاحب كتاب «الشامل» في المذهب : يريد أن هذا القول إن كان شهادة أخرى فقد تم العدد ، وإن كان هو الأول فقد جلده عليه ، والله أعلم .

وذكر عمر بن شبة في البصرة أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال لعمر رضى الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعني البحرين ، فقال : ومن يشهد لك بذلك ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فأبى أن يجيز شهادته ، قلت : وقد طال هذه الترجمة ، وسببه أنها اشتملت على عدة وقائع ، فدعت الحاجة إلى الكلام على كل واحدة منها ، فانتشر القول لأجل ذلك ، وما خلا عن فوائد .

(٧٩٣)

أبو المكشوح يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن
كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، المعروف بابن الطثرية،
الشاعر المشهور

أبو المكشوح
يزيد بن سلمة
(ابن الطثرية)
الشاعر

هكذا ساق نسبه أبو عمرو الشيباني، وإنما قيل لجدّه «سلمة الخير» لأنه
كان لقشير ولد آخر يقال له سلمة الشر، قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشر بن
سلمة، وذكر ابن السكبي أنه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير،
وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير، وذكره أبو الحسن علي بن عبد الله
الطوسي في أول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور، وكان الطوسي قد اعتنى به
وجمعه، فقال: كان ابن الطثرية شاعراً مطبوعاً، عاقلاً، فصيحاً، كامل الأدب
وافر المروءة، لا يعاب، ولا يطن عليه، وكان سخياً شجاعاً، له أصل ومحل في
قومه من قشير، وكان من شعراء بني أمية، مقدماً عندهم.

وقال غير الطوسي: كان يزيد بن الطثرية يسمى مودقاً، تسمى بذلك لحسن
وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء
ودقن — يقال: استودقت المرأة وودقت إذا مالت إلى الفحل لأجل الجماع،
والأصل في هذه اللفظة أن تكون لذوات الخوافر، ثم نقلت إلى بني آدم، وهي
بالدال المهملة والقاف، والمودق: هو الذي يجعل النساء يملن عليه — وكان يزيد
كثيراً ما يجلس عند النساء ويتحدث معهن، ويقال: إنه كان عنيماً لا يأتي
النساء، وليس له عقب، وهو من أعيان الشعراء، ذكره أبو تمام الطائي في
كتاب «الحماسة» في عدة مواضع، فمن ذلك قوله في باب النسيب [من
الطويل]:

عقيلية أما ملّث إزارها فدِغصٌ وأما خصرها فبتيل^(١)

(١) في ب «وأما خصرها فبتيل» محرفاً

تَقِيْظُ أَكْنَافَ الْحَمَى وَيُظْلِمُهَا بِنِعْمَانِ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلِ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ ، وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلِ
فِيَا خَلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخْلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلِ
وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حَبَهُ لَمْ يَطْعَ بِهِ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمِنْ عَلَيْهِ دَخِيلِ
أَمَّا مَنْ مَقَامَ أَشْتَكَى غُرْبَةَ النَّوَى وَخُوفَ الْعَدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلِ
فَدَيْتِكَ ، أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشَقِي بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلِ ^(١)
فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتَ ضَعِيفَةٌ فَحَمَلْتُ يَوْمَ الْحِسَابِ ثَقِيلِ
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ لَعَلَّةً فَأَفْنَيْتِ عَلَاتِي فَكَيْفَ أَقُولِ
فَمَا كُلُّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ وَلَا كُلُّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولِ
وَكَانَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ « الْأَغَانِي » قَدْ جَمَعَ شَعْرَ يَزِيدَ بْنِ
الطُّرَيْقَةِ فِي دِيْوَانٍ ، وَأَوْرَدَ لَهُ قَوْلَهُ [مِنَ الطُّوِيلِ] :

أَلَا بَابِي مَنْ قَدْ بَرَى الْجِسْمَ حَبَهُ وَمَنْ هُوَ مَوْمُوقٌ إِلَى حَبِيبِ
وَمَنْ هُوَ لَا يَزِدَادُ إِلَّا تَشْوِيقًا وَلَيْسَ يُرَى إِلَّا عَلَيْهِ رَقِيبِ
وَبَنِي وَإِنْ أَحْمَوْا عَلَى كَلَامِهَا وَحَالَاتِ أَعَادِ دُونَنَا وَحُرُوبِ
لَمَنْ عَلَى لَيْلِي ثَنَاءٌ يَزِينُهَا قَوَافِ بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ تَطْيِيبِ
أَلَيْلِي أَحْذَرِي نَقْضَ الْقَوَى لَا يَزِلُّ لَنَا عَلَى النَّأْيِ وَالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبِ
وَكُونِي عَلَى الْوَاشِينَ لَدَاءَ شَغَبَةٍ كَمَا أَنَا لِلْوَاشِي أَلَدِ شَغُوبِ
فَإِنْ خَفْتُ أَلَا تَحْكُمِي مَرَّةَ الْهَوَى فَرْدِي فَوَادِي وَالْمَزَارِ قَرِيبِ
وَأَوْرَدَ لَهُ أَيْضًا [مِنَ الطُّوِيلِ] :

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بِرَدٍّ بَنَانَهُ عَلَى كَبْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنْأَمَلُهُ
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَبْتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ

وأما أبو الحسن الطوسي فإنه أورد له [من الطويل] :
 وإني لأستحي من الله أن أرى رديفاً لوصل أو على رديف
 وأن أورد الماء الموطأ حسبة وأتبع وصلاً منك وهو ضعيف
 قلت : ورأيت في موضع آخر بعد البيت الأول :

وإني للماء المخالط للقذى وإن كثرت ورأده لعيوف
 وأورد له الطوسي أيضاً [من الطويل] :

ألا رب راج حاجة لا ينالها وآخر قد تقضى له وهو جالس
 يجول لها هذا ، وتقضى لغيره ، وتأتي الذي تقضى له وهو آيس
 وأورد له أيضاً من جملة أبيات [من الطويل] :

برغمي أطيل الصدعنها إذ نأت أحاذر أسماها عليها وأعينا
 أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
 فصادف قلباً خاليا فتمكننا
 وأورد له أيضاً [من الطويل] :

وقولا إذا عدت ذنوباً كثيرة علينا تجنّها ذرى ما تعيبا
 هبيني امرأً إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً تاب بعدُ وأعتبا
 فلما أبت لا تقبل العذر وارتمى بها كذب الواشين شأوا مغربا
 تعزيت عنها بالسلو ولم أكن لمن ضنّ عني بالمودّة أقربا
 وكنت كذى داء تبغى لدائه طيبيا فلما لم يجده تطيبا

وأورد له أبو عبد الله المرزباني في كتاب «معجم الشعراء» وهي في الخامسة أيضاً ،
 وقد رويت أيضاً لعبد الله بن الدمينه الخثعمي ، والله تعالى أعلم (الدمينه بوزن
 جهينة) [من الطويل] :

بنفسى وأهلى من إذا عرّضوا له

ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عذر البريء ، ولم تزل به رعدة حتى يقال مريب
وأورد له المرزبانى فى المعجم أيضا [من الطويل] :

حنفت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الأمر طائعا وتجزع إن داعى الصبابة أسمعنا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحنى وقل لنجد عندنا أن يودعا^(١)
ولما رأيت البشر أعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحنن نزا^(٢)
وليست عشيات الحى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليمى فلما زجرتها عن الجهل بعد الشيب أسبلتاما
تلفت نحو الحى حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا^(٣)
وأذكر أيام الحى ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تقطعا

قلت : وهى أبيات فى غاية الرقة واللاطفة ، وذكرها أبو تمام الطائى فى كتاب
« الحماسة » فى أول باب النسيب ، وقال : إنها للصمة بن عبد الله القشبرى ، والله أعلم
بالصواب فى ذلك .

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » فى أخبار
الصحابه رضى الله عنهم ، وقد تقدم ذكره ، فى كتاب بهجة المجالس ، ما مثاله :
للصمة بن عبد الله القشبرى [من الطويل] :

أما وجلال الله لو تذكرينى كذكرىك ما كفكفت للعين أدمعا
فقال بلى والله ذكرأ لو أنه يصب على الصخر الأصم تصدعا
ثم قال بعد ذلك : وأكثروهم ينسبون إليه هذا الشعر :

حنفت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا
وذكر الأبيات بكاملها كما ذكرها فى الحماسة ، وبعد الفراغ منها قال : ومنهم من ينسبها^(٤)

(١) فى ب « وقولا لنجد عندنا أن نودعا » محرفا ، وهذا مثل من تحريفات
كثيرة وردت فى أصول هذا الكتاب فى شعر هذه الترجمة ، وورد فى غيرها مما
نهى ونهى عليه (٢) فى ب « يحسن نزا » (٣) فى ب « وجدت من الإطعان
ليتا وأخدعا » محرفا (٤) فى ب « ومنهم من ينسبها » .

إلى قيس بن ذريح ، وإلى المجنون أيضاً ، والأكثر أنها للصة ، والله أعلم
قلت : فقد وقع الاختلاف في أن هذه الأبيات العينية هل هي ليزيد بن
الطهرية ، أم للصة بن عبد الله القشيري ، أم لقيس بن ذريح ، أم للمجنون ؟
والله أعلم .

قلت : وذكره المرزباني في كتاب « المونق » فقال : أنشدني أبو الجيش
لابن الطهرية [من الطويل] :

وحنث قلوصى بعد هدء صبابة فيا روعة ما راع قلبي حنينها
فقلت لها صبراً فكل قرينة مفارقها ، لا بد يوماً ، قرينها
وأورد له أيضاً [من الكامل] :

كيف العزاء وأنت أومق من مشى

والنفس معولة ودارك نائيه

بيديك قتلى إن أردت مني وشفاء نفسي إن أردت شفاييه
ولقد عرفت فما أويت لمدنف ما النفس عنك وإن نأيت بساليه
وأورد له أيضاً [من الطويل] :

إذا نحن جئنا لم نجمل بزينة حذار الأعادى وهى بادٍ جمالها
ولا نبتديها بالسلام ولم نقل لهم من توفى شرهم كيف حالها
وأورد له أشياء كثيرة غير هذا ، فلنقتصر على هذا القدر .

وقال أبو بكر أحمد بن يحيى [بن جابر] البلاذرى في كتاب « أنساب الأشراف »
بعد ما ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموى الحكيم ووقائع
جرت في سنة ست وعشرين ومائة ، فكان في أثناء ذلك وقعة قتل فيها المندلث
ابن إدريس الحنفى ، وقتل معه يزيد بن الطهرية المذكور على قرية يقال لها الفلج
— بفتح الفاء واللام ، وفي آخره الجيم ، وأظنها من قرى اليمامة ، ثم وجدت في
كتاب أبي بكر الخازمى الذى صنفه في أسماء المواضع أن فلج بفتح الفاء واللام

وأخره جيم قرية عظيمة لبنى جمعة بها منبر يقال له الفلج من ناحية اليمامة ، وقال غيره : فلج بينها وبين هَجَرَ التي هي قصبة البحرين ستة أيام ، والله أعلم .

وذكر أبو إسحاق الزجاج في كتاب «معاني القرآن الكريم» في سورة الفرقان أن الرس قرية باليمامة يقال لها فلج ، فتسكون هي هذه القرية على ما قال ، وأما الذي جاء في قول الشاعر [من الطويل] :

وإن الذي حانت بفَلَجٍ دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
فانه بفتح الفاء وسكون اللام ، وهو واد بين البصرة وحى ضرية قرية بالقرب من مكة شرفها الله تعالى ، وأما فلجة الذي جاء في شعر العرب [من الطويل] :

ألا حبذا أعلام فلجة بالضحي وخيم رواي حلتها المنصب
يقولون ملح ماء فلجة آجن أجل هو مملوح إلى القلب طيب
فهذا الاسم يقع على موضعين : أحدهما : منزل بين مكة والبصرة ، والثاني : موضع بالعقيق ، وكانت به الواقعة في السنة التي قتل فيها الوليد بن يزيد الأموي المذكور .

رجعنا إلى ما كنا فيه : وكان قتل الوليد في جمادى الآخرة يوم الخميس لليلتين بقيتا منها بالبخراء — بفتح الباء الموحدة ، وسكون الخاء المعجمة ، وبعد الراء ألف ممدودة — وهي من سنة ست وعشرين ومائة ، وذكر أبو الحسن الطوسي المذكور في هذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطثرية ، فلما قتل المنداث وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية بالراية ، وكانت عليه جبة خز فتشبثت في عشرة — وهي بضم العين المهملة وفتح الشين وبعدها راء مفتوحة ثم هاء — وهي شجرة لها صمغ من شجر العَصَاة قال : فعثر ، فضر به بنو حنيفة حتى قتلوه .

قلت : وذكر هذه الواقعة بعد قتل الوليد في التاريخ المذكور فيكون قتل يزيد

ابن الطثرية بين تاريخ قتل الوليد بن يزيد وبين آخر سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في أول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثرية أن بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس ، والأول أصح .

ولما قتل يزيد بن الطثرية رثاه القحيف بن عمير بن سليم الندي بن عبد الله العقيلي بقوله [من الوافر] :

ألا تبكي سراً بني قشير على صنديدها وعلى فتّاها
أبا المكشوح بعدك من يحامى ومن يُزجى المطى على وجّاها
ورثى القحيف أيضاً الوليد بن يزيد ، ورثاه أخوه نور بن سلمة بقوله [من الطويل] :
أرى الأثل من بطن العقيق مجاورى مقبها وقد غالت يزيد غوائله
وهى من الشعر المختار .

وذكر أبو تمام الطائي في « الحماسة » أن هذه الأبيات لأخته زينب بنت الطثرية وقيل : إنها لأمه ، والله أعلم .

وذكر الطوسي المذكور أن هذه الواقعة كانت بالعقيق ، وقال ياقوت الحموي في كتاب المشترك وضعاً : إن العقيق عشرة مواضع ، قال الأصمعي : إن الأعقة الأودية التي تشقها السيول ، ثم عد المواضع فقال : الثالث « عقيق عارض » بأرض اليمامة ، وهو واد واسع مما يلي العرمة تندفق فيه شعاب العارض ، وفيه عيون وقرى ، ثم قال : والعقيق من قرى اليمامة لبني عقيل ، وهو عقيق مرة في طريق اليمن من اليمامة .

قلت : فيحتمل أن يكون المراد بقوله « بطن العقيق » في هذا البيت العقيق الأول ، ويحتمل العقيق الثاني ، والله أعلم

وإنما كنى ابن الطثرية بأبي المكشوح لأنه كان على كشحه كي نار ، والكشوح - بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة ، وبعدها الحاء المهملة - وهى الخاصرة

والطثرية : بفتح الطاء المهملة ، وسكون التاء المشددة^(١) ، وبعدها راء ، ثم ياء النسب ، وهاء التأنيث ، وهى أمه ، ينسب يزيد المذكور إليها ، وهى من بنى طثر ابن عنز بن وائل ، والطثر : الخصب وكثرة اللبن ، ويقال : إن أمه كانت مولعة باخراج زبد اللبن ، ويقال إن أمه ولدت فى عام هذا وصفه ، وقيل : بل ولدت فى عام هذا شأنه ، فسميت الطثرية ، وطثرة الابن : زبدته ، والله أعلم .

قلت : وهذا الكلام فى النفس منه شىء ، فانهم قالوا : إن أمه من بنى طثر ابن عنز بن وائل ، فعلى هذا تكون أمه منسوبة إلى هذه القبيلة ، فلا معنى حينئذ لقولهم : إن أمه ولدت فى عام هذا وصفه ، أو ولد هو فى عام هذا شأنه ، أو كانت أمه تخرج الزبد من اللبن ، فتأمله ، إلا أن يكون عندهم فيه خلاف : هل هو منسوب إلى القبيلة أم إلى هذا المعنى الثانى ؟ والله أعلم بالصواب فى ذلك

ويروى لزئيب بنت الطثرية أخت يزيد المذكور شىء كثير من الشعر ، فمن ذلك قولها فى المديح [من الطويل] :

أشم إذا ما جئت للعرف طالبا حباك بما تحنو عليه أنامله
ولم يكن فى كفنه غير نفسه لجاد بها ، فليبق الله سائله

وينسب هذان البيتان الى زياد الأعجم أيضا ، والبيت الثانى منهما يوجد فى ديوان أبى تمام الطائى أيضا فى قصيدته التى أولها [من الطويل] :

أجل أيها الربع الذى خف أهله لقد أدركت فىك النوى ما تحاوله^(٢)
والله أعلم بالصواب .

(١) قال المجد فى القاموس « وطثر : بطن من الأزد ، وطثرية - محركة - أم يزيد ابن الطثرية الشاعر القشيري » اهـ .

(٢) فى ب « فقد أدركت » وما أثبتاه موافق لما فى الديوان ٢٣٢

(٧٩٤)

أبو يوسف يعقوب بن أبي سلامة دينار

— وقيل : ميمون — الملقب بالماجشون

القرشي ، التيمي

من موالى آل المنكدر من أهل المدينة

أبو يوسف

يعقوب بن دينار

(الماجشون)

القرشي ،

التيمي

سمع ابن عمر رضى الله عنهما ، وعمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن المنكدر ،
وعبد الرحمن ابن هرمز الأعرج ، وروى عنه ابنه يوسف وعبد العزيز ، وابن
أخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلامة ، وقال يعقوب بن شيبة : الما-
جشون يعقوب بن أبي سلامة مولى الهدير ، وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز رضى الله
عنه في ولاية عمر المدينة يحدثه ويأنس به ، فلما استخلف عمر رضى الله عنه
قدم عليه الما-جشون فقال له عمر : إنا تركناك حيث تركنا لبس الخنز ،
فانصرف عنه .

وذكره محمد بن سعد في كتاب « الطبقات » وقال يعقوب بن شيبة : قال
مصعب : وكان الما-جشون يعين ربيعة الرأي على أبي الزناد ، لأن أبا الزناد كان
معاديا لربيعة الرأي ، فكان أبو الزناد يقول : مثلي ومثل الما-جشون مثل ذئب
كان يلج على أهل قرية فيأكل صبيانهم ، فاجتمعوا له ، وخرجوا في طلبه ، فهرب
منهم فانقطعوا عنه ، إلا صاحب فخار ، فانه ألح في طلبه ، فوقف له الذئب ،
فقال : هؤلاء أعذرهم ، فأنت مالى ومالك ، والله ما كسرت لك فخارة قط ،
والما-جشون ما كسرت له كبرا ولا بربطاً^(١) قط .

وقال ابن الما-جشون : عرج بروح الما-جشون ، فوضعه على سرير الغسل
وقلنا للناس : نروح به ، فدخل غاسل إليه يغسله ، فرأى عرجاً يتحرك في أسفل

(١) السكر : طبل له وجه واحد ، والبربط : ضرب من عود الغناء ، وميشرحهما

المؤلف ويضبطهما آخر الترجمة

قدمه ، فأقبل علينا ، وقال : أرى عرقاً يتحرك ، ولا أرى أن أعجل عليه ، فاعتلنا على الناس بالأمر الذي رأيناه ، وفي الغد جاء الناس وغدا الغاسل عليه ، فرأى العرق على حاله ، فاعتذرنا إلى الناس ، فكث ثلاثاً على حاله ، ثم إنه استوى جالساً ، فقال : ائتوني بسويق ، فأتى به ، فشربه ، فقلنا له : خبرنا ما رأيت ، قال : نعم عُرْج بروحي ، فصعد بي الملك ، حتى أتى سماء الدنيا ، فاستفتح ، ففتح له ، ثم هكذا في السموات حتى انتهى إلى السماء السابعة ، فقليل له : من معك ؟ قال : الماجشون ، فقليل له : لم يؤذن له بعد ، بقي من عمره كذا كذا سنة ، وكذا كذا شهراً ، وكذا كذا يوماً ، وكذا كذا ساعة ، ثم هبط بي ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وعمر بن عبد العزيز بين يديه ، فقلت للملك الذي معي : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، قلت : إنه لقريب المقعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنه عمل بالحق في زمن الجور ، وإنهما عملاً بالحق زمن الحق ، ذكر ذلك يعقوب بن شيبه في ترجمة الماجشون .

وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق ، أن يعقوب الماجشون مات سنة أربع وستين ومائة ، رحمه الله تعالى !
هكذا نقلته كله من تاريخ الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر الذي جعله تاريخاً لدمشق .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف » في ترجمة محمد بن المنسكير ، أن الماجشون من مواليه ، واسمه يعقوب ، وكان فقيهاً .

ثم قال بعد ذلك : وكان للماجشون أخ يقال له : عبد الله بن أبي سلمة ، وابنه عبد العزيز بن عبد الله ، يكنى أبا عبد الله ، توفي ببغداد ، وصلى عليه المهدي ، ودفنه في مقابر قریش ، وذلك في سنة أربع وستين ومائة .

قلت : وقد تقدم في هذا الكتاب ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز ابن عبد الله ، وذكرنا ما قاله العلماء في معنى الما جشون ، فأغنى عن الإعادة هنا ، والله أعلم .

قوله « ما كسرت له كبراً ولا بربطاً » السكبر — بفتح السكاف والباء الموحدة ، وبعدها راء — وهو طبل ذو وجه واحد ، والبربط — بفتح الباء بين الموحدين بينهما راء ساكنة ، وفي آخره طاء مهملة — وهو نوع من العود الذي للغناء ، وأصله بر ، وهو الصدر بالفارسي ، و ب ط ، وهو الطائر المعروف ، فلما كان هذا الملمهى يشبه صدر البط سمي به ، واسمه بالعربي العود ، والمزهر أيضاً — بكسر الميم ، وسكون الزاى ، وفتح الهاء ، وبعدها راء — وبالعجمى البربط كما ذكرناه ، والله أعلم .

(٧٩٥)

القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد
ابن حبة ، الأنصاري
وسعد بن حبة أحد الصحابة ، رضى الله عنهم ! وهو مشهور في الأنصار
بأمه ، وهى حبة بنت مالك ، من بنى عمرو بن عوف .
وأما أبو سعد بن حبة : فهو عوف^(١) بن يحيى بن معاوية بن سلمى ، من^(٢)
بجيلة ، حليف بنى عمرو بن عوف الأنصارى ، هكذا ساق نسب سعد بن حبة
فى الاستيعاب .

وأما الخطيب أبو بكر البغدادى فإنه قال فى تاريخه : هو سعد بن يحيى بن
معاوية بن قحافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن أبى سامة بن شحمة
ابن سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن القوث بن بجيلة
كان القاضي أبو يوسف المذکور من أهل الكوفة ، وهو صاحب أبى
حنيفة رضى الله عنه ! وكان فقيها عالماً حافظاً ، سمع أبا إسحاق الشيبانى ،
وسليمان التيمى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، والأعمش ، وهشام بن عروة ،
وعطاء بن السائب ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وتلك الطبقة ، وجالس محمد
ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، ثم جالس أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه النعمان
ابن ثابت ، وكان الغالب عليه مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ، وخالفه فى
مواضع كثيرة ، وروى عنه محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى ، وبشر بن الوليد
الكندى ، وعلى بن الجعد ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين فى آخرين .
وكان قد سكن بغداد ، وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء : المهدي ، وابنه
الهادى ، ثم هارون الرشيد ، وكان الرشيد يكرمه ويجله ، وكان عنده حظياً مكيناً ،
وهو أول من دعى بقاضى القضاة .

(١) فى الاستيعاب « سعد بن يحيى بن معاوية » بدون ذكر عوف

(٢) فى ب « سلمى بن بجيلة » وما أثبتناه موافق لما فى الاستيعاب

ويقال : إنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان ، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً ، لا يتميز أحد عن أحد بلباسه ، ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل . وذكر أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب «الاستيعاب» في كتابه الذي سماه كتاب «الانتهاء» ، في فضائل الثلاثة الفقهاء^(١) أن أبا يوسف المذكور كان حافظاً وأنه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين [أو]^(٢) ستين حديثاً ، ثم يقوم فيمليها على الناس ، وكان كثير الحديث .

وقال محمد بن جرير الطبري : وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه ، وتفريعه الفروع والأحكام ، مع صحبة السلطان وتقلده القضاء .

وحكى أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف قال : كنت أطلب الحديث والفقه ، وأنا مقل رث الحال ، نجاءني أبي يوماً ، وأنا عند أبي حنيفة ، فأنصرفت معه ، فقال : يا بني ، لا تمد رجلك مع أبي حنيفة ، فإن أبا حنيفة خبزه مشوى ، وأنت تحتاح إلى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب ، وآثرت طاعة أبي ، ففقدني أبو حنيفة رضى الله عنه ! وسأل عني ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لي : ما شغلك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدي ، فجلست ، فلما انصرف الناس دفع إلى صرة ، وقال : استمتع بها ، فنظرت ، فاذا فيها مائة درهم ، وقال لي : الزم الحلقة ، وإذا فرغت هذه فأعلمني ، فلزمت الحلقة ، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلى مائة أخرى ، ثم كان يتهمدني ، وما أعلمته بخلة قط ، ولا أخبرته بنفاد شيء ، وكأنه كان يخبر بنفادها ، حتى استغنيت وتموت .

ثم قال الخطيب : وحكى أن والد أبي يوسف مات ، وخلف أبا يوسف طفلاً

(١) طبع الكتاب باسم «الانتقاء...» وذكره حاجي خليفة باسم «الانتقاء» ، للذهاب الثلاثة للعلماء »
(٢) زيادة يقتضيها السياق

صغيراً ، وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة .
ثم روى الخطيب أيضاً بسند متصل إلى علي بن الجعد ، قال : أخبرني
أبو يوسف القاضي قال : توفي أبي وخلّفتني صغيراً في حجر أمي ، فأسلمتني إلى
قصار أخدمه ، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة رضي الله عنه !
فأجلس أسمع ، فكانت أمي تجيء خلّفتني إلى الحلقة فتأخذ بيدي ، فتذهب بي
إلى القصار ، وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يعني بي ، لما يرى من حضوري
وحرصى على التعلم ، فلما كنز ذلك على أمي وطال عليها هجري ، قالت لأبي حنيفة :
ما لهذا الصبي فساد غيرك ! هذا صبي يتيم لا شيء له ، وإنما أطعمه من مغزلي ،
وأمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه ، فقال لها أبو حنيفة : مرّى يارعناء ،
ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق ، فانصرفت عنه ، وقالت له : أنت
شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، ثم لزمته ، فنفعني الله تعالى بالعلم ، ورفعني حتى
تقلدت القضاء ، وكنت أجالس الرشيد ، وآكل معه على مائدته ، فلما كان في
بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالوذجة ، فقال لي : يا يعقوب كل منها ،
فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها ، فقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه
فالوذجة بدهن الفستق ، فضحكك ، فقال لي : مم ضحكك ؟ فقلت : خيراً ،
أبقي الله أمير المؤمنين ! قال : لتخبرني ، وألح عليّ ، فأخبرته بالقصة من أولها
إلى آخرها ، فتعجب من ذلك ، وقال : لعمري إن العلم لينفع دنيا ودينا ،
وترحم على أبي حنيفة ، وقال : كان ينظر بعين عقله مالا ينظره بعين رأسه .

وحكى علي بن الحسن التنوخى عن أبيه عن جده قال : كان سبب اتصال
أبي يوسف بالرشيد أنه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رضي الله عنه !
فحث بعض القواد في يمين ، فطلب فقهما يستفتيه ، فجاء له بأبي يوسف ،
فأفتاه أنه لم يحنث ، فوهب له دنانير ، وأخذ له داراً بالقرب منه ، ودخل ذلك
القائد يوماً على الرشيد ، فوجده مغموماً ، فسأله عن سبب غمه ، فقال : شيء

من أمر الدين قد أحزننى ، فاطلب لى فقيها كى أستفتيه ، فجاءه بأبى يوسف .
قال أبو يوسف : فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا ، عليه أثر
الملك ، وهوى حجرة محبوس ، فأومأ إلىَّ بأصبعه مستغيثا ، فلم أفهم منه إرادته ،
وأدخلت إلى الرشيد ، فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت ، فقال لى : ما سمكت ؟
فقلت : يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين ! . قال : ماتقول فى إمام شاهد رجلا يزنى
هل يحده ؟ قلت : لا ، فحين قلتها سجد الرشيد ، فوقع لى أنه قد رأى بعض
أهله على ذلك ، وأن الذى أشار إلىَّ بالاستغاثه هو الزانى ، ثم قال الرشيد : من
أين قلت هذا ؟ قلت : لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ادروا الحدود
بالشبهات » وهذه شبهة يسقط الحد معها ، قال : وأى شبهة مع المعاينة ؟ قلت :
ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحدود لا تكون بالعلم ،
وليس لأحد أخذ حقه بعلمه ، فسجد مرّة أخرى ، وأمر لى بمال جزيل ، وأن
ألزم الدار ، فما خرجت حتى جاءتنى هدية الفتى وهدية أمه وجماعته ، وصار
ذلك أصلا للنعمة ، ولزمت الدار ، فكان هذا الخادم يستفتينى ، وهذا يشاورنى ،
ولم يزل حالى يقوى عند الرشيد حتى قلدى القضاء .

قلت : وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من أنه ولى القضاء لثلاثة من الخلفاء ،
والله أعلم بالصواب

وقال طلحة بن محمد بن جعفر : أبو يوسف مشهور الأمر ، ظاهر الفضل ،
وهو صاحب أبى حنيفة ، وأفقه أهل عصره ، ولم يتقدمه أحد فى زمانه ، وكان
النهاية فى العلم والحكم والرياسة والقدر ، وهو أول من وضع الكتب فى أصول
الفقه ، على مذهب أبى حنيفة ، وأملى المسائل ، ونشرها ، وبث علم أبى حنيفة
فى أقطار الأرض

قال عمار بن أبى مالك : ما كان فى أصحاب أبى حنيفة مثل أبى يوسف ،

لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ، ولا محمد بن أبي ليلى ، ولكنه هو الذى نشر قولهما ، وبثّ علمهما .

وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة : مرض أبو يوسف فى زمن أبي حنيفة مرضاً خيف عليه منه ، فعاده أبو حنيفة ونحن معه ، فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه ، وقال : إن ىمت هذا الفقى فانه أعلم من عليها ، وأوماً إلى الأرض .

وقال أبو يوسف : سألتى الأعمش عن مسألة ، فأجبتة عنها ، فقال لى : من أين لك هذا ؟ فقلت : من حديثك الذى حدثتنا أنت ، ثم ذكرت له الحديث ، فقال لى : يا يعقوب ، إنى لأحفظ هذا الحديث قبل أن ىجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن .

وقال هلال بن يحيى : كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب ، وكان أقل علومه الفقه ، ولم يكن فى أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف .

وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى فى كتاب « الجليس والأنيس » عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : مضى أبو يوسف ليستمع المغازى من محمد بن إسحاق أو من غيره ، وأخل بمجلس أبي حنيفة أياما ، فلما أتاه قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف ، من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال له أبو يوسف : إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤس الملا أئما كان أولا وقعة بدر أو أحد ؟ فانك لا تدرى أيهما كان قبل الآخر ، فأمسك عنه .

وذكر فى الكتاب المذكور أيضا عن عليّ بن الجعد أن القاضى أبا يوسف كتب يوماً كتابا ، وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه ، ففطن له أبو يوسف ، فلما فرغ من الكتابة التففت اليه ، وقال له : هل وقفت على شىء من خطأ ؟ فقال : لا والله ولا حرف واحد ، فقال له أبو يوسف : جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤنة قراءته ، ثم أنشد [من السريع] :

كأنه من سوء تأديبه أسلم فى كتاب سوء الأدب

وقال حماد بن أبي حنيفة : رأيت أبا حنيفة يوماً وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زُفَر ، وهما يتجادلان في مسألة ، فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده زُفَر ، ولا يقول زُفَر قولاً إلا أفسده أبو يوسف ، إلى وقت الظهر ، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زُفَر ، وقال : لا تطمع في رئاسة ببلدة فيها أبو يوسف ، وقضى لأبي يوسف على زُفَر ، ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زُفَر .

وقال طاهر بن أحمد الزبيري : كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت ، فقال له أبو يوسف : ألا تتكلم ، فقال : بلى ، متى يفطر الصائم ؟ فقال : إذا غابت الشمس ، قال : فان لم تغب إلى نصف الليل ، فضحك أبو يوسف وقال : أصبت في صمتك ، وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ، ثم تمثل [من الطويل] :

عجبت لإزراء الغي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلماً
وفي الصمت ستر للغبي ، وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلماً
ومن كلام أبي يوسف : صحيفة من لا يخشى العار عار يوم القيامة .
وكان يقول : رؤوس النعم ثلاثة : أولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها ،
والثانية : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها .

وقال علي بن الجعد : سمعت أبا يوسف يقول : العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر .
وكان أبو يوسف راكباً وغلّامه يعدو وراءه ، فقال له رجل : أتستحل أن يعدو غلامك وراءك ؟ لم لا تركبه ؟ فقال له : أيجوز عندك أن أسلم غلامى مكارياً ؟
قال : نعم ، قال أبو يوسف : فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكارياً .
وقال يحيى بن عبد الصمد : خوصم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبي يوسف

في بستان ، وكان الحكم في الظاهر للهادي ، وفي الباطن خلاف ذلك ، فقال
الهادي للقاضي أبي يوسف : ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه ؟ فقال :
خصم أمير المؤمنين يسأني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق ،
فقال له الهادي : وترى ذلك ؟ قال : فقد كان ابن أبي ليلى يراه ، فقال : اردد
البستان عليه ، وإنما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن أمير المؤمنين الهادي
لا يحلف .

وقال بشر بن الوليد السكندی : قال لي القاضي أبو يوسف : بينا أنا البارحة
قد أويت إلى فراشي ، فاذا داق يدق الباب دقا شديداً ، فأخذت على إزارى
وخرجت ، فاذا هرمة بن الأعين ، فسلمت عليه ، فقال : أجب أمير المؤمنين ،
فقلت : يا أبا حاتم ، لي بك حرمة ، وهذا وقت كاترى ، ولست آمن أن يكون
أمير المؤمنين قد دعانى لأمر من الأمور ، فان أمكنك أن تدفع عني ذلك إلى غد
فلعله أن يحدث له رأى ، فقال : مالى إلى ذلك سبيل ، قلت : كيف كان السبب ؟
قال : خرج إلى مسرور الخادم فأمرنى أن آتى بك أمير المؤمنين ، فقلت : أناذن
لي أن أصب على ماء وأتحنط ؟ فان كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأنى
وإن رزق الله العافية فلن يضرنى ، فأذن لى ، فدخلت فلبست ثيابا جددًا ، وتطيبت
بما أمكن من الطيب ، ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هرون الرشيد
فاذا مسرور واقف ، فقال له هرمة : قد جئت به ، فقلت لمسرور : يا أبا هاشم ،
خدمتى وحرمتى وميلى ، وهذا وقت ضيق ، أفتردى لم طلبنى أمير المؤمنين ؟ قال :
لا ، فقلت : فمن عنده ؟ قال : عيسى بن جعفر ، قلت : ومن ؟ قال : ما عندهما
ثالث ، ثم قال لى : مر ، فاذا صرت في الصحن فانه في الرواق ، وهو ذاك جالس
فحرك رجله في الأرض ، فانه سيسألك ، فقل : أنا ، قال أبو يوسف : فجئت
ففعلت ذلك ، فقال : من هذا ؟ فقلت : يعقوب ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاذا
هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر ، فسلمت ، فرد السلام على ، وقال : أظننا

روّعناك ؟ فقلت : إى والله وكذلك من خلفي ، فقال : اجلس ، فجلست حتى سكن روعى ، ثم التفت إلى وقال : يا يعقوب ، أتدرى لم دعوتك ؟ قلت : لا ، قال : دعوتك لأشهدك على هذا إن عنده جارية سألته أن يهبها لى فامتنع ، وسألته أن يبيعها فأبى ، والله لئن لم يفعل لأقتلنه ، قال أبو يوسف : فالتفت إلى عيسى فقلت : وما بلغ الله بمجارية تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك فى هذه المنزلة ؟ فقال لى : عجبت على فى القول قبل أن تعرف ما عندى ، قلت : وما فى هذا من الجواب ؟ قال : إن على يميناً بالطلاق والعناق وصدقة ما أملك أن لا أهب هذه الجارية ولا أبيعها ، فالتفت إلى الرشيد فقال : هل لك فى ذلك من مخرج ؟ قلت : نعم ، قال : وما هو ؟ قلت : يهب لك نصفها ، ويبيعك نصفها ، فيكون لم يهب ولم يبع ، فقال عيسى : ويجوز ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : فأشهدك أنى قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقى بمائة ألف دينار ، فقال له الرشيد : قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار ، ثم طلب منه الجارية ، فأبى بالجارية والمال ، فقال : خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها ، فقال الرشيد : يا يعقوب بقيت واحدة ، فقلت : وما هى ، فقال : هى مملوكة ولا بد أن تستبرأ ، والله لئن لم أبت معها ليلتى هذه إنى لأظن أن نفسى ستخرج ، فقلت : يا أمير تعنتها وتزوجها ، فان الحرة لا تستبرأ ، قال : فابى قد أعتقتها فمن يزوجها ؟ فقلت : أنا ، فدعا بمسرور وحسين ، فخطبت وحدث الله تعالى ثم زوجته إياها على عشرين ألف دينار ، ودعا بالمال فدفعه إليها ، ثم قال لى : يا يعقوب انصرف ، ورفع رأسه إلى مسرور وقال : يا مسرور ، فقال : لبيك ، قال : احمل إلى يعقوب مائتى ألف درهم ، وعشرين تخماً ثياباً ، فحمل معى ذلك ، قال بشر بن الوليد : فالتفت لى أبو يوسف وقال : هل رأيت بأساً فيها ففعلت ؟ فقلت : لا ، قال : خذ حقك من هذه المال ، قلت : وما حقى ؟ قال : العشر ، قال بشر : فشكرته ودعوت له ، وذهبت لأقوم ، فاذا بعجوز قد دخلت فقالت : يا أبا يوسف إن ابنتك تقرأك السلام وتقول لك : والله ما وصل إلى فى ليلتى هذه

من أمير المؤمنين إلا المهر الذي قد عرفته ، وقد حملت إليك النصف منه ، وخلفت
الباقى لما احتاج إليه ، فقال : رديه ، فوالله لا قبلتها ، أخرجتها من الرق وزوجتها
أمير المؤمنين وترضى لى بهذا ، قال بشر : فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتى حتى
قبلها ، وأمر لى منها بألف دينار .

وقال أبو عبد الله اليوسفى : إن أم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد
كتبت إلى أبى يوسف : ما ترى فى كذا ، وأحب الأشياء إلى أن يكون الحق فيه
كذا ، فأفتاها بما أحببت ، فبعثت إليه بحق فضة فيه حقائق فضة مطبقات ، فى كل
واحد لون من الطيب ، وفى جام دراهم وسطها جام فيه دنانير ، فقال له جليس له
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها ،
فقال أبو يوسف : ذاك حين كانت الهدايا اللبن والتمر !

وقال يحيى بن معين : كنت عند أبى يوسف القاضى ، وعنده جماعة من أصحاب
الحديث وغيرهم ، فوافته هدية أم جعفر احتوت على نخوت من ديبقى ومصمت
وشرب وطيب وتمائيل ند ، وغير ذلك ، فذا كرنى رجل بحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها » فسمعه أبو يوسف
فقال : أنى تعرض ذلك ؟ إنما قاله النبى صلى الله عليه وسلم والهدايا يومئذ الأقط
والتمر والزبيب ، ولم تكن الهدايا ما ترون ، يا غلام أشل إلى الخرائن

ونقلت من كتاب اسمه « اللفيف » ولم يند كرفيه من هو مصنفه ، قال :
كان عبد الرحمن بن مسهر أخو على بن مسهر قاضيا على المبارك (قلت : المبارك
بضم الميم ، وبعدها باء موحدة ، وبعده الألف راء مفتوحة ، وبعدها كاف ،
وهى : بليدة بين بغداد وواسط على شاطىء دجلة) قال : فبلغ القاضى خروج
الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضى فى الحراقة ، فقال عبد الرحمن
القاضى لأهل المبارك : أثنوا على عند أمير المؤمنين ، وعند القاضى أبى يوسف ،
فأبوا عليه ذلك ، فلبس ثيابه ، وقلنسوة طويلة ، وطيلسانا أسود ، وجاء إلى

الشريعة ، فلما أقبلت الحراقة رفع صوته وقال : يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضينا قاضي صدق ، ثم مضى إلى شريعة أخرى وقال مثل مقالته الأولى ، فالتفت هارون الرشيد إلى أبي يوسف وقال : يا يعقوب هذا شر قاض في الأرض ، قاض في موضع لا يثنى عليه إلا رجل واحد ، فقال له أبو يوسف : وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضي يثنى على نفسه ، قال : فضحك هارون ، وقال : هذا أظرف الناس ، هذا لا يعزل أبدا ، وكان الرشيد إذا ذكره يقول : هذا لا يعزل أبدا .

وقيل لأبي يوسف : أتولى مثل هذا القضاء ؟ فقال : إنه أقام بباني مدة ، وشككا إلى الحاجة ، فوليته .

قال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب ، صاحب كتاب الفصيح : أخبرني بعض أصحابنا أن الرشيد قال لأبي يوسف : بلغني أنك تقول : إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنعة ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ، ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم تقبله ، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا السر وأبطنوا غيره ، فنبسم الرشيد ، وقال : صدقت .

وقال محمد بن سماعة : سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول : اللهم إنك تعلم أني لم أجز في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمداً ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وكل ما أشكل على جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندى والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه .

قلت : وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقد روى يمسح على خفيه ، فقيل له : أتجوز المسح ؟ قال : نعم ، قد مسح عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن جعل

عمر بينه وبين الله فقد استوثق ، ذكر هذا ابن قنينة في ترجمة على رضي الله عنه ! .

وأخبار أبي يوسف كثيرة ، وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ألفاظاً عن عبدالله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، ويزيد بن هارون ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، وأبي الحسن الدارقطني ، وغيرهم ، ينبو السمع عنها ، فتركت ذكرها ، والله أعلم بحاله .
وكانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة .

وتوفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة ، ببغداد . وقيل : توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة ، والأول أصح .

وولي القضاء سنة ست وستين ومائة ، ومات وهو على القضاء ، رحمه الله تعالى ! .

وأما ولده يوسف : فانه كان قد نظر في الرأي ، ووقفه ، وسمع الحديث من يوسف بن القاضي يعقوب

يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، والسري بن يحيى ، وغيرها .

وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه ، وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد ، ولم يزل على القضاء إلى أن مات في رجب سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد .

وذكر الخطيب البغدادي : أن أبا يوسف القاضي لما مات ولي الرشيد مكانه أبا البختری وهب بن وهب القرشي

قلت : وقد تقدم ذكره في حرف الواو .

وكان أبو يعقوب الخريجي الشاعر المشهور صديقاً لأبي يوسف ولابنه يوسف ، فلما توفي أبو يوسف سمع الخريجي رجلاً يقول : اليوم مات الفقه ، فأنشد الخريجي [من السريع] :

يا ناعى الفقه إلى أهله إن مات يعقوب ولا تدرى
لم يمت الفقه ولكنهُ حُولَ من صدر إلى صدر
ألقاه يعقوب إلى يوسف فزال من صلب إلى ظهر
فهو مقيم فاذا ما ثوى وحلّ حلّ الفقه فى قبر
رحمهما الله تعالى ١ .

وخنيس — بضم الخاء المعجمة — تصغير أخنس ، وهو الذى تأخر أنفه
عن وجهه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة ، فالرجل أخنس ، والمرأة خنساء ، وهذا
التصغير يسمى تصغير ترخيم ، وحقيقته : أن تحذف منه الحروف الزوائد ، ويصغر
الباقى ، كما قالوا : أزهر وزهير ، وأسود وسويد ، وأحمد وحמיד ، وغير ذلك .
وحبته — بفتح الخاء المهملة ، وسكون الباء الموحدة ، وبعدها تاء مثناة من
فوقها ، ثم هاء ساكنة — وكشفت عن معنى هذا الاسم فى عدة مواضع من
كتب اللغة وغيرها ، فلم أجده .

وبحير — بفتح الباء الموحدة ، وكسر الخاء المهملة ، وقيل : هو بضم الباء
وبالجيم المفتوحة^(١) ، والأول أصح .
والباقى معروف لاحتاجة إلى ضبطه .

وسعد بن حبة من جملة من استصغر يوم أحد ، هو والبراء بن عازب ،
وأبو سعيد الخدرى ، رضى الله عنهم ! فردهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ورآه
النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يقاتل قتالا شديدا مع حدة سنة ،
فدعاه ، وقال له : من أنت ؟ فقال : سعد بن حبة ، فقال : أسعد الله جدك !
ومسح على رأسه ، رضى الله عنه ! .

وخنيس هو صاحب جهاز سوج خنيس بالكوفة ، وهو لفظ عجمى تفسيره بالعربى
أربع طرق ، لأن هذا المكان رحبة مربعة ، تفتقر إلى أربع جهات ، والله تعالى أعلم .

(١) وبالثانى الذى ضعه المؤلف ورد هذا الاسم فى الاستيعاب لابن عبد البر
كما ذكرنا فى أول الترجمة

(٧٩٦)

أبو محمد يعقوب
ابن إسحاق
الحضرمي
المقري

أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق
الحضرمي بالولاء ، البصري ، المقري المشهور

وهو أحد القراء العشرة ، وهو المقري الثامن ، وله في القراءات رواية مشهورة منقولة عنه ، وهو من أهل بيت العلم بالقراءات والعربية وكلام العرب ، والرواية الكثيرة للحروف والفقه ، وكان من أقرأ القراء ، وأخذ عنه عامة حروف القرآن مسنداً وغير مسند من قراءة الحرمين والعراقيين وأهل الشام وغيرهم ، وأخذ هو القراءات عرضاً عن سلام بن سليمان الطويل ، ومهدي بن ميمون ، وأبي الأشهب العطاردي ، وغيرهم . وروى عن حمزة حروفاً ، وسمع الحروف من أبي الحسن الكسائي ، وسمع من جده زيد بن عبد الله وشعبة .

وأما إسناده في القراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه قرأ على سلام المذكور ، وقرأ سلام على عاصم بن أبي النجود ، وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي ، وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ! وقرأ على علي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى القراءة عن يعقوب المذكور عرضاً جماعة : منهم روح بن عبد المؤمن ، ومحمد بن المتوكل ، وأبو حاتم السجستاني ، وغيرهم ، وسمع منه الزعفراني ، واقتدى به في اختياره عليه البصريين بعد أبي عمرو بن العلاء ، فهم أو أكثرهم على مذهبه ، وكان طاهر بن عبد المؤمن بن غلبون إمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب . وكان أبو الحسين بن المنادي : قرأ يعقوب على أبي عمرو ، وغلط في ذلك ، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن يعقوب الحضرمي ، فقال : صدوق .

وسئل أبو حاتم الرازي عنه ، فقال : صدوق .

وقال أبو حاتم السجستاني : كان يعقوب الحضرمي أعلم من أدركننا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن الكريم وتعليقه ، ومذاهب النحويين في القرآن الكريم ، وله كتاب سماه « الجامع » جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراآت ، ونسب كل حرف إلى مَنْ قرأ به .

وبالجملة فإنه كان إمام أهل البصرة في عصره في القراآت ، وكان يأخذ أصحابه بعدد آي القرآن العزيز ، فان أخطأ أحدهم في العدد أقامه .

وتوفي يعقوب المذكور في ذى الحجة ، وقيل : في جمادى الأولى ، سنة خمس ومائتين ، وهو الأصح .

وعاش هو وأبوه إسحاق وجده زيد ، كل واحد منهم ^(١) ثمانيا وثمانين سنة ، رحمهم الله أجمعين ! .

وأما جد أبيه : عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فإنه كان من الأئمة الأعلام المشار إليهم في علومهم .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أوّل من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ، ثم ميمون الأقرن ، ثم غنبة الغيل ، ثم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي .

وقد جاء في رواية أخرى أن غنبة قبل ميمون ، والله أعلم بالصواب . وكان في زمان عبد الله بن أبي إسحاق عيسى بن عمر النخعي ، وأبو عمرو ابن العلاء ، ومات عبد الله قبلهما .

وذكر أبو عبد الله المرزباني في كتاب « المقتبس » ، في أخبار النحويين « أن المبرد قال : أجمعت العلماء باللغة أن أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي وأنه لقن ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم أخذ النسخو عن أبي الأسود غنبة بن معدان المهري ، وأخذ عنه ميمون الأقرن ، وأخذ عنه

(١) في ب « كل واحد منهما » والمحدث عنه جماعة ثلاثة : هو ، وأبوه ، وجده

عبد الله الحضرمي ، وأخذه عنه عيسى بن عمر ، وأخذه عنه الخليل بن أحمد ، وأخذه عنه سيديويه ، وأخذه عنه الأخفش .

وكان بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قد جمع بين عبد الله وأبي عمرو بن العلاء ، وبلال يومئذ متولى البصرة .

قال أبو عمرو : فغلبنى أبو إسحاق بالهمز ، فنظرت فيه بعبد ذلك ، وبالغت فيه .

وكان عبد الله كثيرا ما يأخذ عن الفرزدق الغلط في شعره ، فقال الفرزدق : والله لأهجوته ببيت يسير بين أهل الأدب ، ويتمثلون به ، فعمل [من الطويل] :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولمكن عبد الله مولى مواليا^(١) وإنما قال الفرزدق ذلك لأن عبد الله مولى الحضرميين ، وهما حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف ، والحليف عند العرب مولى ، ولهم على ذلك شواهد ولولا خوف الإطالة لذكرت طرفا من ذلك ، لكن ليس هذا موضع ذكره .

(١) يروى أن عبد الله لما سمع هذا البيت قال : أخطأ في هذا أيضا ، فقد كان ينبغي أن يقول « ولكن عبد الله مولى موال » والمتأخرون من النحاة يذكرون أن في هذا ومثله لفتين ، إحداهما كما قال الفرزدق ، والأخرى - وهي الأكثر كما قال عبد الله .

(٧٩٧)

أبو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَيْدِ النِّيسَابُورِيِّ
ثُمَّ الْإِسْفَرَايِينِيِّ ، الْحَافِظُ ، صَاحِبُ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ
الْمُخْرَجِ عَلَى كِتَابِ مُسْلِمَ بْنِ الْحُجَّاجِ

أبو عوانة
يعقوب بن
إسحاق
النيسابوري
الإسفرائيئي
الحافظ

كَانَ أَبُو عَوَانَةَ أَحَدَ الْحَفَظِ الْجَوَادِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ الْمَكْثَرِينَ ، طَافَ الشَّامَ وَمِصْرَ
وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَوَأَسْطَ وَالْحِجَازَ وَالْجَزِيرَةَ وَالْيَمِينَ وَأَصْبَهَانَ وَالرِّيَّ وَفَارَسَ .
قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : سَمِعَ
أَبُو عَوَانَةَ بِدِمَشْقَ يَزِيدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الصَّمَدِ ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ قَيْرَاطَ ،
وَشُعَيْبَ بْنَ شُعَيْبَ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَغَيْرَهُمْ ، وَبِمِصْرَ يُونُسَ بْنَ عَبْدِ الْأَعْلَى ، وَابْنَ
أَخِي وَهَبَ ، وَالْمَزْنِيَّ ، وَالرَّبِيعَ ، وَمُحَمَّدًا وَسَعْدًا ابْنَيْ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَبِالْعِرَاقِ
سَعْدَانَ بْنَ نَصْرَ ، وَالْحُسَيْنَ الزَّعْفَرَانِيَّ ، وَعُمَرَ بْنَ شُبَةَ ، وَغَيْرَهُمْ ، وَبِخُرَاسَانَ مُحَمَّدَ
ابْنَ يَحْيَى الذَّهْلِيَّ وَمُسْلِمَ بْنَ الْحُجَّاجِ وَمُحَمَّدَ بْنَ رَجَاءِ السَّنْدِيَّ ، وَغَيْرَهُمْ ، وَبِالْجَزِيرَةِ
عَلَى بْنَ حَرْبَ وَغَيْرَهُ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّازِيُّ ،
وَأَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأَبُو أَحْمَدَ عَلِيٍّ ، وَسُلَيْمَانَ الطَّبْرَانِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنَ
إِسْمَاعِيلَ الْحَافِظَ ، وَأَبُو الْوَلِيدِ الْفَقِيهَ ، وَابْنَهُ أَبُو مُصْعَبَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عَوَانَةَ ، وَحِجَّاجَ خَمْسَ
مَرَّاتٍ ، وَقَالَ : كُنْتُ بِالْمُصَيْصَةِ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، فَكَانَ
فِي كِتَابِهِ [مِنْ الْوَافِرِ] :

فَإِنْ نَحْنُ التَّقِينَا قَبْلَ مَوْتٍ شَفِينَا النَّفْسَ مِنْ مَضَضِ الْعِتَابِ
وَإِنْ سَبَقَتْ بَنَاءُ أَيْدِي الْمَنَاءِ فَسَكَمٌ مِنْ غَائِبٍ تَحْتَ التَّرَابِ

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَالِمُ : أَبُو عَوَانَةَ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَأَثْبَاتِهِمْ ، وَمِنْ
الرَّحَلَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ لَطَلَبِ الْحَدِيثِ .

توفي سنة ست عشرة وثلثمائة .

وقال حمزة بن يوسف السهمي : روى بجرجان سنة اثنتين وتسعين ومائتين .
قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : حدثني الشيخ صالح الأصيل أبو عبد الله
محمد بن محمد بن عمر الصفار الإسفرائيني أن قبر أبي عوانة بأسفراين مزار العالم ،
ومتبرك الخلق ، وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك بن أبي الحسن
الأزهر الإسفرائيني في مشهد واحد داخل المدينة ، على يسار الداخل من باب
نيسابور من إسفراين ، وقریب من مشهد مشهد الإمام الأستاذ أبي إسحاق
الإسفرائيني على يمين الداخل من نيسابور ، وبجنب قبره قبر الأستاذ أبي منصور
البغدادی الإمام الفقيه المتكلم صاحبه الصاحب بالجانب حيا وميتا ، المتظاهرين
لنصرة الدين بالحجج والبراهين ، سمعت جدي الإمام عمر بن الصفار ، رحمه الله
تعالى ، ونظر إلى القبور حول قبر الإمام الأستاذ أبي إسحاق ، وأشار إلى المشهد
وقال : قد قيل ههنا من الأئمة والفقهاء على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه
أربعون إماما ، كان كل واحد منهم لو تصرف في المذهب وأفتى برأيه واجتهاده
- يعني على مذهب الشافعي - لكان حقيقا بذلك ، والعوام يتقربون إلى مشهد
الأستاذ أبي إسحاق أكثر مما يتقربون إلى أبي عوانة ، وهم لا يعرفون قدر هذا
الإمام الكبير المحدث أبي عوانة لبعده العهد بوفاته ، وقرب العهد بوفاته الأستاذ
أبي إسحاق ، وأبو عوانة هو الذي أظهر لهم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه
بأسفراين بعد ما رجع من مصر وأخذ العلم عن أبي إبراهيم المزني رحمه الله تعالى !
وكان جدي إذا وصل إلى مشهد الأستاذ لا يدخله احتراماً ، بل كان يقبل عتبة
المشهد وهي مرتفعة بدرجات ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير ثم يعبر عنه
كالمودع لعظيم الهيبة ، وإذا وصل إلى مشهد أبي عوانة كان أشد تعظيماً وإجلالاً
وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك ، رحمهم الله تعالى أجمعين !

وعوانة : بفتح العين المهملة ، وبعد الألف نون .

وقد تقدم الكلام على النيسابوري والإسفرائيني فلا حاجة إلى الإعادة .

(٧٩٨)

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، المعروف بابن السكيت ، صاحب كتاب

« إصلاح المنطق » وغيره

أبو يوسف
يعقوب بن
إسحاق (ابن
السكيت)

ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ، فقال : حكى عن أبي عمرو
إسحاق بن مرار الشيباني ، ومحمد بن مهنا ، ومحمد بن صبح بن السماك الواعظ
وحكى عنه أحمد بن فرح المقرئ ، ومحمد بن عجلان الأخباري ، وأبو عكرمة
الضبي ، وأبوسعيد السكري ، وميمون بن هارون السكاتب ، وغيرهم ، وكان يؤدب
أولاد المتوكل ، وقال : قال محمد بن السماك : من عرف الناس داراهم ، ومن جهلهم
ماراهم ، رأس المداواة ترك المداواة ، وروى ابن السكيت أيضا عن الأصمعي
وأبى عبيدة والفراء وجماعة غيرهم ، وكتبه جيدة صحيحة ، منها : « إصلاح
المنطق » وكتاب « الألفاظ » وكتاب في « معاني الشعر » وكتاب « القلب
والإبدال » ولم يكن له نفاذ في علم النحو ، وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى
مذهب من يرى تقديم على بن أبي طالب رضي الله عنه ! .

قال أحمد بن عبيد : شاورني ابن السكيت في منادمة المتوكل ، فنهيته ،
فحمل قولي على الحسد ، وأجاب إلى ما دُعِيَ إليه من المنادمة ، فبينما هو مع
المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد ، فقال المتوكل : يا يعقوب أيما أحب إليك ،
ابنای هذان ، أم الحسن والحسين ؟ فغض ابن السكيت من ابنيه ، وذكر الحسن
والحسين رضي الله عنهما بما هما أهل ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، فحمل إلى
داره ، فمات بعد غد ذلك اليوم ، وكان ذلك في سنة أربع وأربعين ومائتين .
وقال عبد الله بن عبد العزيز ، وكان نهى يعقوب عن اتصاله بالمتوكل [من الطويل] :

نهيتك يا يعقوب عن قرب شادن إذا ماسطأ أربى على كل ضيغم
فدق واحس ما استحسنيته لأقول إذ عنرت «لعا» ، بل «لليدين وللغم» (١)

(١) «لعا» كلمة دعاء للعائر بالانتعاش ، و «لليدين وللغم» كلمة دعاء عليه
وشماته به مثل «لالعا»

وحكى أن الفراء سأل ابن السكيت عن نسبه فقال : خوزى أصلحك الله من دُورق .

قلت : وهى بفتح الدال المهملة ، وبعد الواو الساكنة راء ، ثم قاف ، وهى بليدة من أعمال خوزستان من كور الأهواز .

قلت : والأهواز من خوزستان أيضاً

قال : فبقى الفراء أربعين يوماً فى بيته لا يظهر لأحد من أصحابه ، فسئل عن ذلك ، فقال : سبحان الله ! أستحي أن أرى ابن السكيت ، لأنى سألته عن نسبه فصدقنى ، وفيه بعض القبح .

قال أبو الحسن الطوسى : كنا فى مجلس أبى الحسن على اللحيانى ، وكان عازماً على أن يملى نوادره ضعف ما أملى ، فقال يوما : تقول العرب « مُثْقَلٌ استعان بذقنه » فقام إليه ابن السكيت وهو حدث فقال : يا أبا الحسن إنما هو « مثقل استعان بدفيه » يريدون الجمل إذا نهض بحمله استعان بجنبديه ، فقطع الإملاء ، فلما كان المجلس الثانى أملى فقال : تقول العرب « هو جارى مكاشرى » فقام إليه ابن السكيت فقال : أعزك الله وما معنى مكاشرى ؟ إنما هو « مكاسرى » كسر بيتى إلى كسر بيته ، قال : فقطع اللحيانى الإملاء ، فما أملى بعد ذلك شيئاً .

وقال أبو العباس المبرد : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكيت فى المنطق .

وقال أحمد بن محمد بن أبى شداد : شكوت إلى ابن السكيت ضائقة ، فقال : هل قلت شيئاً ؟ قلت : لا ، قال : فأقول أنا ، ثم أنشدنى [من البسيط] :

نفسى تروم أموراً لست مدرکها مادمت أحذر ما يأتى به القدر

ليس ارتحالک فى کسب الغنى سَفراً لکن مقامک فى ضره السفر

وقال ابن السكيت : كتب رجل إلى صديق له : قد عرضت لى قبلاًك حاجة ، فان نجحت فالفانى منها حظى والباقى حظك ، وإن تعذرت فالخير مظنون بك ، والعذر مُقدّم لك ، والسلام .

ونقل من خطه ما مثاله : عرض سلمان بن ربيعة الباهلي الجند ، فمر عمرو بن معديكرب الزبيدي على فرس له ، فقال له سلمان : إن هذا الفرس هجين ، فقال عمرو : بل هو عتيق ، فقال سلمان : هو هجين ، فقال عمرو : هو عتيق ، فأمر سلمان فعمطش ، ثم دعا بطست فيه ماء ، ودعا بخيل عتاق فشربت ، وجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب ، وهذا صنيع الهجين ، فقال له سلمان : أوترى ؟ فقال عمرو : أجل ، الهجين يعرف الهجين ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إلى عمرو : قد بلغنى ما قلت لأميرك ، وبلغنى أن لك سيفاً تسميه الصمصامة ، وعندى سيف أسميه مصمما ، وإيم الله إئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به رهابتك ، فان شرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ، والسلام .

والرهابة - على وزن السحابة - عَظُمَ في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان ، والله أعلم .

وقال أبو عثمان المازني : اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، فقال محمد بن عبد الملك : سل أبا يوسف عن مسألة ، فكرهت ذلك ، وجعلت أتباطأ وأدافع مخافة أن أوحشه لأنه كان صديقا لى ، فألح على محمد بن عبد الملك وقال : لم لا تسأله ؟ فاجتهدت في اختيار مسألة سهلة لأقارب يعقوب ، فقلت له : ما وزن نكتل من الفعل من قول الله تعالى (فأرسل معنا أخانا نكتل) فقال لى : نفعل ، قلت : ينبغى أن يكون ماضيه كتل ، فقال : لا ، ليس هذا وزنه ، إنما هو نفتعل ، فقلت له : نفتعل كم حرف هو ؟ قال : خمسة أحرف ، قلت : فنكتل كم حرف هو ؟ قال : أربعة أحرف ، فقلت : أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف ؟ فاقطع وخجل وسكت ، فقال محمد بن عبد الملك : فانما تأخذ كل شهر ألفى درهم على أنك لا تحسن وزن نكتل ، قال : فلما خرجنا قال لى يعقوب : يا أبا عثمان ، هل تدري ما صنعت ؟ فقلت له : والله لقد قاربتك جهدى ، ومالى في هذا ذنب قلت : وذكر أبو الحسن بن سيده هذه الحكاية في أول خطبة كتبه «الحكم» في

اللغة ، ولكنه قال : إن ذلك كان بين يدي المتوكل ، والله أعلم .
وقال غير ابن عساكر : كان يعقوب بن السكيت يؤدّب مع أبيه بمدينة السلام
في درب القنطرة صبيان العامة ، حتى احتاج إلى السكيب ، فجعل يتعلم النحو .
وحكى عن أبيه أنه كان قد حج ، فطاف بالمبيت وسعى ، وسأل الله تعالى
أن يعلم ابنه العلم ، فتعلم النحو واللغة وجعل يختلف إلى قوم من أهل القنطرة ، فأجروا
له كل دفعة عشرة دراهم وأكثر حتى اختلف إلى بشر وهارون ابني هارون أخوين
كانا يكتبان لمحمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، فمازال يختلف إليهما وإلى
أولادهما دهرًا ، فاحتاج ابن طاهر إلى رجل يعلم أولاده ، وجعل ولده في حجر إبراهيم
ابن إسحاق المصعبي ، فرتب يعقوب ، وجعل له رزقا خمسمائة درهم ، ثم جعلها
ألف درهم .

وقال أبو العباس ثعلب : كان ابن السكيت يتصرف في أنواع العلوم ، وكان
أبوه رجلا صالحًا ، وكان من أصحاب أبي الحسن السكائي حسن المعرفة بالعبدية ،
وكان سبب قعود يعقوب للناس وقصدهم إياه أنه عمل شعر أبي النجم العجلي وجرده
فقلت : ادفعه لي لأنسخه ، فقال : يا أبا العباس ، حلفت بالطلاق أنه لا يخرج من
يدي ، ولكنه بين يديك فأنسخه ، واحضر يوم الخميس ، فلما وصلت إليه عرف
بي ، فحضر بحضور قوم ، ثم انتشر ذلك ، فحضر الناس .

وقال ثعلب أيضاً : أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من
ابن السكيت ، وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله ، فلما جلس عنده
قال له : بأي شيء يحب الأمير أن نبدأ ؟ يريد من العلوم ، فقال المعتز : بالانصراف ،
قال يعقوب : فأقوم ، قال المعتز : فأنا أخف نهوضاً منك ، فقام ، فاستعجل فعثر
بسرأويله فسقط ، والتفت إلى يعقوب خجلاً وقد احمر وجهه ، فأنشد يعقوب
[من الطويل] :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فَعَثَرَتْهُ فِي الْقَوْلِ تَذْهَبُ رَأْسَهُ وَعَثَرَتْهُ بِالرَّجْلِ تَبَرَّأَ عَلَى مَهْلٍ
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ يَعْقُوبُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى، فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: قَدْ بَلَغْنِي الْبَيْتَانِ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْ أَبِي بِالنَّحْوِ، وَأَبِي أَعْلَمُ مِنِّي بِالشَّعْرِ وَاللُّغَةِ.
وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْمَوْصِلِيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ السَّكَيْتِ يَقُولُ فِي مَجْلَسِ أَبِي
بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ [مَنْ الْخَفِيفُ]:

وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَحْبُوكَ حَبَا ظَاهِرَ الْحَبِّ لَيْسَ بِالتَّقْصِيرِ
فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ عُسْرَ فَلَسِ الْحَقُّ الْحَبُّ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ
وَكَانَ لِابْنِ السَّكَيْتِ شَعْرٌ، وَهُوَ مِمَّا تَثِقُ النَّفْسُ بِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ [مَنْ الْوَافِرُ]:

إِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبَ وَضَاقَ لَمَّا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيمُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَاسْتَقَرَّتْ وَأَرَسَتْ فِي أَمَا كُنْهَا الْخَطُوبُ
وَلَمْ تَرِ لَانِكْشَافِ الضَّرِّ وَجْهَهَا وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَنَّاكَ عَلَى قَنُوطٍ مِنْكَ غَوْتُ يَمُنُ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلَّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَوُصُولُ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: إِصْلَاحُ الْمُنْطَقِ كِتَابٌ بِلا خُطْبَةٍ، وَأَدَبُ السَّكَاتِبِ تَأْلِيفُ
ابْنِ قَتَيْبَةَ خُطْبَةٍ بِلا كِتَابٍ، لِأَنَّهُ طَوَّلَ الْخُطْبَةَ وَأَوْدَعَهَا فَرَائِدَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَا عَبَّرَ عَلَى جَسَرِ بَغْدَادِ كِتَابٌ فِي اللُّغَةِ مِثْلُ إِصْلَاحِ الْمُنْطَقِ،
وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ السَّكَاتِبِ النَّافِعَةِ الْمُمْتَعَةِ الْجَامِعَةِ لِكَثِيرٍ مِنَ اللُّغَةِ، وَلَا نَعْرِفُ فِي
حِجْمِهِ مِثْلَهُ فِي بَابِهِ، وَقَدْ عَنِيَ بِهِ جَمَاعَةٌ، فَاخْتَصَرَهُ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَغْرِبِيِّ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ، وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ أَبُو زَكْرِيَّا التَّبْرِيزِيُّ، وَتَسْكُمُ
عَلَى الْأَبْيَاتِ الْمُوَدَّعَةِ فِيهِ ابْنُ السَّيْرَانِيِّ، وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ، وَلِابْنِ السَّكَيْتِ أَيْضًا
كِتَابُ «الزَّبْرَجِ» وَكِتَابُ «الْأَلْفَاظِ» وَكِتَابُ «الْأَمْثَالِ» وَكِتَابُ «الْمَقْصُورِ»
وَالْمَمْدُودِ» وَكِتَابُ «الْمَذْكُورِ وَالْمُؤْنَثِ» وَكِتَابُ «الْأَجْنَاسِ» وَهُوَ كَبِيرٌ، وَكِتَابُ

« الفرق » وكتاب « السرج والجام » وكتاب « الوحوش » وكتاب « الإبل » وكتاب « النوادر » وكتاب « معاني الشعر الكبير » وكتاب « معاني الشعر الصغير » وكتاب « سرقات الشعراء » وكتاب « فَعْلٌ وأَفْعَلٌ » وكتاب « الحشرات » وكتاب « الأصوات » وكتاب « الأضداد » وكتاب « الشجر والنبات » و « ما اتفقوا عليه » وغير ذلك من الكتب ، ومع شهرته لا حاجة إلى الإطالة في ذكر فضله .

وقد روى في قتله غير ما ذكرته أولاً ، فقليل : إن المتوكل كان كثير التحامل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وقد تقدم في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن بسام أبيات تدل على هذا أيضاً ، وكان ابن السكيت من المغالين في محبتهم والتولى لهم ، فلما قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن السكيت : والله إن قنبراً خادماً على رضي الله عنه خير منك ومن ابنك ، فقال المتوكل : سلوا لسانه من قفاه ، ففعلوا ذلك به ، فمات ، وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ، وقيل : سنة ست وأربعين ، وقيل : سنة ثلاث وأربعين ، والله أعلم بالصواب .

وبلغ عمره ثمانياً وخمسين سنة ، ولما مات سير المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم ، وقال : هذه دية والدك ، رحمه الله تعالى ! .

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحاس : كان أول كلام المتوكل مع ابن السكيت مزاحاً ، ثم صار جدّاً

وقيل : إن المتوكل أمره أن يشتم رجلاً من قریش وأن ينال منه ، فلم يفعل ، فأصر القرشي أن ينال منه ، فأجابه ابن السكيت ، فقال له المتوكل : أمرتك فلم تفعل ، فلما شتمك فعلت ، وأمر به فضرب ، وحمل من عنده صريعاً ، والله أعلم أى ذلك كان . وقد تقدم في ترجمة عبد الله بن المبارك مثل هذه القضية لما سئل عن معاوية وعمر بن عبد العزيز أيهما أفضل .

والسكيت : بكسر السين المهملة ، والكاف المشددة ، وبعدها ياء مثناة من

تحتها ، ثم تاء مشناة من فوقها ، وعرف بذلك لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت .

وكل ما كان على وزن فَعِيل أو فَعْلِيل فانه مكسور الأول .
وقوله « خوزى » بضم الخاء المعجمة ، وبعد الواو اى ، هذه النسبة إلى خوزستان ، وهو إقليم بين البصرة وبلاد فارس .

(٧٩٩)

أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار ، الخارجى

أبو يوسف
يعقوب بن
الليث الصفار
الخارجى

قد أكره أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد ، وقتلا من العباد ، وما جرى للخلفاء معهما من الوقائع ، وقد اخترت من ذلك ما أودعته فى هذه الأوراق ، فأقول :

قال أبو عبد الله بن محمد الأزهر الأخبارى : حدثنى على بن محمد ، وكان عالماً بأمور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربه .

وأول أمره أنه وأخاه عمراً كانا صفارين فى حدائتهما ، وكانا يظهران الزهد ، وأن رجلاً من أهل سجستان كان مشهوراً بالتطوع فى قتال الخوارج ، يقال له صالح بن النضر الكناني المطوعى من أهل بستان ، فصحباه وحظيا به ، فقتلت الخوارج الذين يقال لهم الشراة أخا يعقوب المذكور ، وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة ، ثم هلك صالح المذكور ، فتولى مكانه درهم بن الحسين من المطوعة أيضاً ، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح .

ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به ، فحمل إلى بغداد ، فحبس بها

ثم أطلق وخدم السلطان ، ثم لزم بيته يظهر الذسك والحج ولاقتصاد ، حتى غلظ أمر يعقوب .

وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير في تاريخه في سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور ، فقال : في هذه السنة تغلب إنسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث ، فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، أمير خراسان ، واستنقذها منه ، ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين من المطوعة فغلب عليها ، وكان غير ضابط لأمر عسكريه ، وكان يعقوب بن الليث قائد عسكريه ، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث ، وملكوه أمرهم ، لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم ، فلما تبين له ذلك لم ينازعه في الأمر وسلمه إليه ، واعتزل عنه ، فاستبد يعقوب بالأمر ، وضبط البلاد ، وقويت شوكته ، وقصدته العساكر من كل ناحية ، فصار من أمره ما سندكره .

رجعنا إلى تمام ما ذكره علي بن أحمد^(١)

قال : فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر المطوعة ، وحارب الخوارج الشراة ، فرزق الظفر بهم ، حتى أفناهم وأخرب ضياعهم ، وأطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحداً كان قبله . ثم اشتدت شوكته ، وزادت صولته ، فغلب على سجستان وهرة و بوشنج ، وما والاها . وكان الترك بتخوم سجستان وملكهم رتبيل ، ويسمى هذا القبيل من الترك الدراري ، فخرضه أهل سجستان على قتالهم ، وأعلموه أنهم أضرت من الشراة الخوارج ، وأوجب محاربة فقراء الترك ، فقتل رتبيل ملكهم ، وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل ، ويسمى كل ملك لهم رتبيل ، وانصرف يعقوب إلى سجستان ، وقد حمل رؤسهم مع رؤس ألوف منهم ، فرهبته الملوك الذين حوله ، منهم ملك المولتان

(١) كذا ، والراوى السابق سماه « علي بن محمد » فيما مضى .

وملك الرخج ، وملك الطبسين ، وملك زابلستان ، وملك السند ومكران ، وغيرهم ، وأذعنوا له ، وكان قصده هَرَاةَ و بوشنج في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وأمير خراسان يومئذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، وعامله عليها محمد بن أوس الأنباري ، فخرج لمحاربتة في تعبئة ، وبأس شديد ، وزى جميل ، وأحسن مقاومته حتى احتال له يعقوب ، فحال بينه وبين دخول المدينة ، وهي بوشنج ، وأنحاز محمد بن أوس منهزما ، فقليل : إنه لم يقاتله أحد أحسن مواقمته كما أحسنها ابن أوس ، ودخل يعقوب بوشنج وهراة ، وصارت المدينتان في يده ، وظفر بجماعة من الطاهرية ، وهم المنسوبون إلى طاهر بن الحسين الخزاعي ، فحملهم إلى سجستان ، حتى وجه الخليفة المعتز بالله إليه المعروف بابن بلعم ، وهو رجل من الشيعة برسالة وكتاب ، فأطلقهم .

قال ابن الأزره الأخباري المذكور : حدثني محمد بن عبد الله بن مروان ، قال : حدثني ابن بلعم المذكور قال : صرت إليه بكتاب أمير المؤمنين المعتز بالله إلى زَرْنج .

قلت : وهي بفتح الزاي والراء ، وسكون النون ، وبعدها جيم ، وهي كرسى بلاد سجستان .

قال ابن بلعم : فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت ولم أسلم عليه ، وجلست بين يديه من غير أمره ، ودفعت إليه الكتاب ، فلما أخذه قلت له : قَبِّلْ كتاب أمير المؤمنين ، فلم يقبله ، وفضسه ، فتراجعت القهقري إلى باب مجلسه الذي كان فيه ، ثم قلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ، فأعجبه ذلك ، وأحسن مَثْوَايَ ، ووصلني ، وأطلق الطاهرية .

وقال ابن بلعم المذكور أيضا : دخلت على يعقوب الصفار يوما ، فقال لي : ينبغي أن يجيئنا رجل مستأمن من ناحية فارس ، ومعه ثلاثة أنفس أو أربعة ، بل هو تمام الخمسة ، قال : فأنكرت هذا منه ، وأمسكت ، فما علمت إلا وحاجبه

قد دخل فسلم ، وقال : أيها الأمير ، بالباب رجل مستأمن ، ومعه أربعة أنفس ، فقال : أدخله ، فدخل وسلم ، وقال : أيها الأمير ، معي أربعة أنفس ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فالتفت إلى الحاجب ، وقلت : قد أخذتم في المخاريق (١) ، فخلف لي أيما مغلظة أنهم جاؤا بغتة ما علم بهم أحد من الناس ، وسألت يعقوب بعد ذلك ، وقلت له : أيها الأمير ، لقد رأيت منك عجبا في أمر المستأمنة فكيف علمت بهم ؟ فقال : أخبرك أني فكرت في أمر فارس ، ورأيت غرابا واقفا بازاء طريقها ، واختلجت إحدى أصابع رجلي ، ثم تبع بعضها بعضا ، فعملت أنه عضو غير شريف ، وأنه سيأتينا من ذلك الصقع قوم مستأمنة ، أو رسل ليسوا بأجلة ، فكانوا هؤلاء .

وقال علي بن الحكم : سألت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة التي على وجهه ، وهي منكورة على قصبة أنفه ووجنته ، فذكر أن ذلك أصابه في بعض وقائع الشراة ، وأنه طعن رجلا منهم ، فرجع عليه ، فضربه هذه الضربة ، فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط ، قال : فكشيت عشرين يوما في فمي أنبوبة قصب ، وفي مفتوح لثلا يتقرح رأسي ، وكان يصب في حلقى الشيء بعد الشيء من الغذاء . قال حاجبه : وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعبى أصحابه للحرب ويقاثل . وأرسل يعقوب إلى المعتز بالله هدية سنية ، من جملتها مسجد فضة مخلم يصلى فيه خمسة عشر إنسانا ، وسأل أن يعطى بلاد فارس ، ويقرر عليه خمسة عشر ألف درهم ، على أن يتولى إخراج علي بن الحسين بن قريش ، وكان على فارس ، ثم شخص يعقوب من سجستان في أثر كتابه إلى المعتز ، يريد كرمان ، ثم نزل بم .

قلت : وهي بالباء الموحدة المفتوحة ، وبعدها ميم مخففة ، وهي الحد الفاصل بين سجستان وكرمان .

(١) المخاريق : جمع مخارقة ، وهو التويه والكذب ، والياء ناشئة من إشباع كسرة الراء .

قال : وكان بكرمان العباس بن الحسين بن قريش ، أخو علي بن الحسين المذكور ، ومعه أحمد بن الليث الكردي ، فخرجوا عن كرمان يريدان شيراز ، وقدّم يعقوب أخاه علي بن الليث إلى السيرجان .

قلت : وهي بكسر السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، ثم راء وجيم ، وبعد الألف نون ، وهي مدينة كرمان .

قال : وضم إليه جماعة ، فأقام هو على بَمَ ، فرد أحمد بن الليث الكردي إليه من الطريق في جمع كثير من الأكراد وغيرهم ، فصاروا إلى دَرَا بَجَرْدَ .

قلت : وهي بفتح الدال المهملة ، ثم راء وألف ، وبعدها باء موحدة ، ثم جيم مكسورة ، ثم راء وبعدها دال مهملة ، وهذا الاسم يقع بالاشتراك على ثلاثة مواضع .

الأول : كورة عظيمة مشهورة بفارس ، قصبتها دَرَا بَجَرْدَ .

والثاني : قرية بفارس أيضاً ، من أعمال اصطخر فيها معدن الزئبق ، فيحتمل أن يكون مصيرهم إلى الأولى ، أو إلى الثانية .

وأما الثالثة : فهو موضع بنيسابور ، ولا يحتمل مصيرهم إليه ، لأنه بخراسان فلا تعلق له بفارس .

قال الراوى : فظفر أحمد بن الليث بجماعة من أصحاب يعقوب يطلبون العلف ، فقتل بعضهم ، وهرب منهم جماعة ، ووجه أحمد بن الليث برؤس من قتل من أصحاب يعقوب إلى فارس ، فنصب علي بن الحسين رؤسهم ، فبلغ الخبر يعقوب ، فدخل كرمان ، فندب علي بن الحسين لمحاربتهم طوق بن المفلس في خمسة آلاف من الأكراد ، سوى من تقدم مع أحمد بن الليث الكردي ، وسار طوق حتى نزل على مدينة إياس من عمل كرمان ، فورد عليه كتاب يعقوب يعلمه أنه أخطأ إذ دخل عملاً ليس إليه ، فرد عليه طوق : أنت بعمل الصمّير أعلم منك بعمل الحروب ، فعظم ذلك على يعقوب ، وكان في عسكر طوق

ثلثمائة رجل من الأبناء ، فوافى يعقوب مدينة إياس ، فأوقع بطوق ، وقتل أصحابه ، وهزم من بقى منهم ، وصبر الأبناء الثمانية ، حتى أشجوا يعقوب ، فأعطاهم الأمان ، فلم يقبلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، وقتل يعقوب في هذه الواقعة ألفى رجل ، وأسر ألفاً ، وأمر طوق بن المفلس ، وقيده ب قيد خفيف ، ووسع عليه في مطعمه وغيره ، واستخرج منه الأموال ، ورحل يعقوب عن إياس ودخل عمل فارس ، فخذق على بن الحسين على نفسه بشيراز ، وذلك في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين ومائتين .

وكتب على بن الحسين إلى يعقوب يعلمه أن طوق بن المفلس فعل ما فعل من غير أمره ، وأنه لم يأمره بمحاربتة ، وقال له : إن كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك ، وإن كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنصرف ، فرد عليه يعقوب : إن كتابا من السلطان معه لا يتيها أن يوصله حتى يدخل البلد وإنه إن أخلى له البلد فقد ودع وأزاح علقته ، وإلا فالسيوف بيننا ، والموعد مرج سنكان ، وهو مرج واسع بينه وبين شیراز ثلاثة فراسخ ، وكتب صاحب البريد ووجه البلد إلى يعقوب يعلمونه أنه ما ينبغي له — مع ما وهب له الله تعالى من التطوع والديانة ، وقتل الخوارج ، ونفيهم عن بلاد خراسان وسجستان — التسرع إلى سفك الدماء ، لأن على بن الحسين لن يسلم البلد إلا بكتاب الخليفة ، واعتد أهل شیراز للحصار ، وقد كانت المنهزمة من أصحاب طوق أسروا ثلاثة أنفس من أصحاب يعقوب ، فحبسهم على بن الحسين ، وقد كان طوق وقت خروجه إلى يعقوب اشترى دارا بشيراز بسبعين ألف درهم ، وقدر للنفقة عليها مالا ، فكتب طوق إلى ابنه : لا تقطع البناء عن الدار ، فان الأمير يعقوب قد أكرمني وأحسن إلي ، وسأل في إطلاق الثلاثة المأسورين من أصحاب يعقوب ، وكان يعقوب سأل ذلك ليطلقه إذا وفدوا عليه ، فقال على بن الحسين : اكتبوا إلى يعقوب ليصلب طوق بن المفلس ، وإن أقل عبد من عبيده أكبر عنده منه (٢٩ - ٥٥ ج)

وسأل يعقوب طوق بن المفلس عن أمور علي بن الحسين ، فضعف أمره عنده ، فتقرب طوق إلى يعقوب بمال عنده بشيراز ، وأنه يكتب إلى أهله في حملة إليه ليقوى به على حرب ، فأمره يعقوب أن يفعل ذلك ، فكتب إلى ابنه فوقع الكتاب في يد علي بن الحسين ، فأخذ المال وغيره من دار طوق ، وحمله إلى داره ، وزحف يعقوب ، واحتشد علي بن الحسين .

قال أحمد بن الحكم : قال لي يعقوب : أخبرني عن علي بن الحسين أسلم هو ؟ قلت : نعم ، قال : أفرأيت مسلماً يوجه بالأكراد الكيفار إلى بلاد المسلمين فيقتلونهم ، ويحملون نساءهم ، ويأخذون أموالهم ؟ ألم تعلم أن أحمد ابن الليث الكردي قتل بكرمان سبعمائة إنسان على دم واحد ، واقتض الأكراد مائتي بكر من أهل البيوتات ، وحملوا معهم نحو ألفي امرأة إلى بلادهم ؟ أفرأيت مسلماً يرضى بهذا ؟ قال : قلت : فعل أحمد هذا من غير أمره . ثم قال له يعقوب في بعض مناظراته : قل لعلي بن الحسين : إن معي قوما أحرار أجئت بهم وليس يتأتى لي ردهم إلا بما يحبون ، فوجه إلى بما يرضيهم ، ووجه لي في نفسي ما يشبه مثلي من البر ، فاذا فعلت فأنا أخوك وعونك علي من حاربك وأدفع لك كرمات كلها ، وأنصرف إلى عملي ، وارتحل يعقوب ، فنزل قرية يقال لها خوزستان ، ووافي أحمد بن الحكم إلى علي بن الحسين يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة ، وعلى يده كتاب يعقوب .

قال ابن الحكم : فلم يفهم علي بن الحسين شيئاً مما جئت به من الدهش ، وحاصل الكتاب بعد الدعاء له : فهمت كتابك ، وذكرك أن ورودى هذا البلد العظيم خطأ بغير إذن أمير المؤمنين ، فاني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ، ولا ممن يمكنه ذلك ، وقد أسقطت عنك مؤنة الاهتمام في هذا الباب ، فان البلد لأمر المؤمنين ، ونحن عبيده نتصرف بأمره في أرضه وسلطانه ، وفي طاعة الله وطاعته ، وقد استمعت من رسولك ، ورجعت إليه في جواب معاملته وأدائه

ما يورده عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحا ، فان استعملته ففيه السلامة إن شاء الله تعالى ، وإن أبيت فان قدر الله تعالى نافذ لا محيص عنه ، ونحن نعتصم بالله من الهلكة ، ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ، ونرغب إليه في السلامة في ديننا ودنيانا بلفظه ، مد الله في عمرنا ! .

وكتب يوم الاثنين ، ليلة خلت من جمادى الأولى ، سنة خمس وخمسين ومائتين .

ثم تزاحف الفريقان ، وقد اجتمع في عسكر على بن الحسين خمسة عشر ألف إنسان ، ووجه أحمد بن الليث في طلائع يعقوب ، وذلك في غداة الأربعاء خلون من الشهر المذكور .

ولما كان يوم الخميس وافت طلائع يعقوب ، ثم التقى الجيشان ، فحملوا حملة ، وفي الثانية أزالوا أصحاب على بن الحسين عن مواضعهم ، وصدقت المجادلة ، فانهزموا وروا على وجوههم لا يلوى أحد على أحد ، وعلى بن الحسين يتبع أصحابه ، ويصيح فيهم : أن ارجعوا وقفوا ، يناشدكم الله تعالى ، فلم يلتفتوا إليه ، وبقي في عدة من أصحابه ، فوافق المهزومة أبواب شيراز مع العصر يوم الخميس المذكور ، وكانت الوقعة بعد الظهر ، فضاقت عليهم الأبواب ، فروا على وجوههم في نواحي شيراز ، وبلغت هزيمتهم الأهواز ، وكانت القتلى منهم مقدار خمسة آلاف ، وأصاب على بن الحسين ثلاث ضربات ، واعتورته أسياف أصحاب يعقوب ، وسقط عن دابته فأرادوا قتله ، فأعلمهم أنه على بن الحسين ، فأخذوا عمامته ووضعوها في وسطه ، وقادوه إلى يعقوب ، وطلب الذي أسره الثواب من يعقوب ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يأخذها ، فقال : إنما جئتني بكتاب أسرته ، مالك عندي غيرها ، فانصرف الرجل وقف يعقوب عليا عشرة أسواط بيده ، وأخذ حاجبه بالحيته فنتفأ أكثرها ، وأمر يعقوب أن يقيد بقيد فيه عشرون رطلا ، وصيره مع طوق بن المفلس في الخيمة ، وكان قد أنفذ إلى ابن المفلس وقيده أيضاً

وسار يعقوب من فوره إلى شيراز ، وتفرق أصحاب على بن الحسين في

النواحي ، ثم دخل يعقوب إلى شیراز والطبول تضرب بين يديه ، وظن أن أهل شیراز يؤذونه ويستحل دماءهم وأموالهم بحربهم . فلم ينطق أحد لأنه كان وعد أصحابه إن هو ظفر أن يطلقهم وينهب شیراز ، وبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم ، ورجع يعقوب من ليلته إلى عسكره بعد أن طاف شیراز ، فلما أصبح نادى بالأمان ليخرجوا إلى الأسواق ، فخرج الناس ، ونادى في كتاب على بن الحسين : أن برئت الذمة ممن آوأم ، وحضرت الجمعة فأمر الخطيب فدعا للامام المعتر بالله ، ولم يدع لنفسه ، فقليل له في ذلك ، فقال : الأمر لم يقدم بعد ، وقال : إنما مقامي عندكم عشرة أيام ، ثم أرجع إلى عمل سجستان ، وبعث أخاه إلى منزل على بن الحسين فأحضر الفرش والأثاث ، وفكش على الأموال فلم يقف عليها ، فأحضر علياً قتهده وتوعده ، فذكر أنه يدهم على المال ، فحمل إلى منزله فأحضر ألف بدره ، وقيل : أربعمئة بدره ، وعوض يعقوب أصحابه من نهب شیراز كل رجل ثلثمائة درهم .

ثم عذب يعقوب علياً بأنواع العذاب ، وعصر أنثيه ، وشد الجوزتين على صدغيه ، فقال على : قد أخذت ما أخذت ، أخذت مني فرشي وقيمتي أربعون ألف دينار ، وألح عليه بالعذاب ، وقيده بأربعين رطلا ، فدهم على موضع في داره ، فاستخرجوا منه أربعة آلاف ألف درهم ، وجوهرا كثيرا ، ثم ألح عليه بالعذاب وسلمه إلى الحسن بن درهم ، فضر به وعذبه وشتمه ، وعذب طوق بن المفلس أيضاً ، وحبسهما في بيت واحد .

وارتحل يعقوب من شیراز يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى من السنة إلى بلاده ، وحمل على بن الحسين وطوق بن المفلس معه ، فلما أتى كرمان ألبسهما المصبغ من الثياب ، وقنعهما بمقانع ، ونادى عليهما وحبسهما ، ومضى إلى سجستان ، وخلع الخليفة المعتر بالله لثلاث خلون من رجب من السنة المذكورة ، وتولى الخلافة الإمام المهتدى مع صلاة الظهر من يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت

من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، ثم بويغ المعتمد على الله ، ولم يكن ليعقوب الصفار في خلافة المهتدي كبير أمر ، بل كان يغزو ويحارب من يليه من الملوك بسجستان وأعمالها ، ويتطرق كور خراسان وما قرب من قوهستان ونواحى هراة وبوشنج وما اتصل بسجستان ، ثم عاد يعقوب إلى بلاد فارس وجي غلاتها ورجع بمئتين ألف ألف درهم ، وسار إلى سجستان ، وأقام محمد بن واصل بفارس يتولى الحرب والخراج ، ويكتب الخليفة ، ويحمل بعض ما يجي من الأموال ، فكان مقدار ما يحمل في السنة خمسة آلاف ألف درهم من الخراج ببلاد فارس ، وكان مقياً بها غلبة عليها ، ولو أمكن الخليفة صرفه عنها ببعض أوليائه لما أقره ، ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة من سنة ثمان وخمسين ومائتين بدخول يعقوب مدينة بلخ ، ثم خرج منها ودخل نيسابور في ذى القعدة من سنة تسع وخمسين ومائتين ، واحتاط على محمد بن طاهر الخزاعي أمير خراسان وجميع الطاهرية ، ثم خرج عنها في الحرم من سنة ستين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيداً ، ونيف وستون من أهله .

وتوجه نحو جرجان للقاء الحسن بن زيد العلوى أمير طبرستان وجرجان ، ولما بلغ الحسن بن زيد أن يعقوب يقصده أخذ من أموال الخراج ثلاثة عشر ألف ألف درهم بقايا وسلفاً ، وتخلص من جرجان إلى طبرستان ، ودخل يعقوب جرجان ، ووجه من أصحابه من أخذ شاوية طبرستان ، وكان بجرجان يعلق على دوابه كل يوم ألف قفيز ، ثم خرج يعقوب إلى طبرستان ، وخرج إليه الحسن بن زيد في خلق كثير ، وأعلم يعقوب أصحابه أنه يقتل من انهزم منهم ، وتقدم بنفسه للحرب ، فتبعه خمسمائة فارس من عبيده ، فحمل على الحسن وأصحابه حملة واحدة فكانت الهزيمة على القوم ، وكان الحسن بن زيد قد أعد في كل قرية مركوباً في طريقه لانهزامه ، وكان برذوناً وبغلاً لأنه كان رجلاً ثقيلاً كثير اللحم ، وتلاحق أصحاب يعقوب به فتبع الحسن بن زيد في خمسة آلاف خيل جريرة ، وأخذ

يعقوب مما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مالا أكثرها عين ، وظفر بجماعة من آل أبي طالب فأساء إليهم وأسرهم ، وكانت الوقعة يوم الإثنين لأربع بقين من رجب سنة ستين ومائتين .

ثم تقدم يعقوب فدخل آمل (قلت : وهى بالهمزة الممدودة والميم المضمومة وبعدها لام ، وهى كرسى بلاد طبرستان) قال : وهرب الحسن بن زيد إلى مدينة يقال لها سالوس ، فلم يجد من أهلها ما كان يعهده منهم ، فتنحى عنهم ، ثم خرج يعقوب من آمل في طلب الحسن بن زيد ، فرحل مرحلة واحدة ، وبلغه الخبر أن الحسين بن طاهر بن عبد الله قد دخل مرو والروذ ومعه صاحب خوارزم فى ألفى تركى ، فانزعج يعقوب لذلك ، وقصر فى الإيغال فى طلب الحسن بن زيد ، فرجع وكتب إلى أمير الرى فى ذى الحجة من سنة ستين يأمره أن يخرج من الرى ، ويأمره أن أمير المؤمنين قد ولاه إياه ، فبلغ ذلك الخليفة فأنكره وعاقب غلمانه الذين كانوا ببغداد بالحبس وأخذ الأموال .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين ويعقوب ببلاد طبرستان ، فخرج فى الحرم يريد جرجان ، فلحقه الحسن بن زيد من ناحية البحر فيمن اجتمع إليه من الديلم وأهل الجبال وطبرستان ، فشقت يعقوب ، وقتل من لحق من أصحابه ، فانهزم يعقوب إلى جرجان ، فجاءت زلزلة عظيمة قتلت من أصحابه ألفى إنسان ورجعت طبرستان إلى الحسن بن زيد ، وهى آمل وشاوية وما يتصل بهما ، وأقام يعقوب بجرجان يعسف أهلها بالخراج ، ويأخذ أموال الناس ، ودامت الزلزلة ثلاثة أيام ، وأتى جماعة من أهل جرجان إلى بغداد فسئلوا عن يعقوب الصفار ، فذكروه بالجهروت والعسف ، فعزم الخليفة على النهوض إليه ، واستعد لذلك ، ولما رجع الصفار إلى خوار الرى ورجع الحاج عن الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ متولى العراق بأن يجمع الحاج من أهل خراسان وطبرستان وجرجان والرى ويقرأ عليهم كتابا

منه إليه ، فجمع الحاج القادمين من أقاصى البلاد ، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين بالوقوع فى الصفار ، وعمل ثلاثين نسخة ، ودفع إلى أهل كل كورة نسخة لتذيع الأخبار بهذه النسخ فى الآفاق ، ونمى الخبر إلى يعقوب الصفار بما كان من حبس غلمانه ، وما كان من الحاج فى دار عبيد الله ، وما دفع إليه من النسخ ، وانكشف له رأى الخليفة فى قصده ، فرجع إلى نيسابور ، وإنما رجع لأنه لم يجد عدة تصلح للقاء الخليفة ، ولما دخل إلى نيسابور أساء إلى أهلها بأخذ الأموال ورجع يريد جهة سجستان فى جمادى الأولى من سنة إحدى وستين ، ولما رجع إلى سجستان كتب الخليفة إلى أصحاب الممالك بخراسان وذوى الجاه والعدد بقولية كل رجل ناحية ، فوردت الكتب وأصحاب الصفار متفرقون فى كور خراسان ، ثم إن الصفار وصل إلى عسكر مكرم من أعمال خوزستان وكاتب الخليفة ، وسأله ولاية خراسان وبلاد فارس وما كان مضموماً إلى طاهر بن الحسين الخزاعى من السكور وشرطى بغداد وسر من رأى ، وأن يعقده على طبرستان وجرجان والرى وأذربيجان وقزوین ، وأن يعقده على كرمان وسجستان والسند ، وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التى نسخت فى دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ عليهم أولاً من ذكره ، لبيطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب ، ففعل ذلك الموفق بالله أبو أحمد طلحة بن المتوكل على الله ، وهو أخو الخليفة المعتمد على الله ، وكان الموفق مستولياً على الأمور كلها ، وليس المعتمد معه سوى اسم الخلافة لا غير ، وأجابه إلى ما طلب ، وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه الصفار ، وأجيب إلى الولاية التى طلبها ، واضطربت الموالى بسر من رأى من إجابة الخليفة إلى ما طلبه الصفار ، وتحركوا .

ثم إن الصفار لم يلتفت إلى ما أجيب إليه من ذلك ، ودخل السوس ، وهى أيضاً مدينة من أعمال خوزستان بالقرب من عسكر مكرم ، ولما دخلها عزم على محاربة الخليفة المعتمد وتأهب له الخليفة لينحدر إليه فى دجلة ، ثم تقدم الصفار

وتقدم إليه عسكر الخليفة ، وقد كانت الموالى ارتابت واتهمت الخليفة الموفق ، وتوهمت أن إقبال الصفار بسبب ما أنفذ إليه من الكتب ، وإلا فأى عجب أعجب من خارج قصد من زرنج كرسى سجستان ، وهى الحد الفاصل بين السند والترك وخراسان ، الوصول إلى بلاد العراق لمحاربة الخليفة ، وهوفى جيوشه وعدده وتقادم مملكته فى شرق الأرض وغربها ، والصفار منفرد بجيشه ليس معه من يعضده ولا يشاركه فى هذا الأمر ، ولما بلغ الخليفة ذلك دعا ببرد النبى صلى الله عليه وسلم وقضيبه ، وأخذ القوس ليكون أول من رمى ، ولعن الصفار ، فطابت أنفس الموالى .

ولما كان صبيحة الأحد لتسع خلون من رجب وردت عساكر الصفار فى التعبئة إلى موضع يقال له اضطر بند ، وهى قرية بين السيب ودير العاقول من النهر وان إلى واسط ، وجمع أصحابه ليحمل بهم ، وتقدم بنفسه كما كان يفعل قبل ذلك ، وأقبل وعليه دراعة ديباج أسود ، ولما تواقف الصفان خرج من الموالى خشتج القائد فقام بين الصفين وقال لأصحاب الصفار : يا أهل خراسان وسجستان ، ما عرفناكم إلا بطاعة السلطان ، وتلاوة القرآن ، وحج البيت ، وطلب الآثار ، وإن دينكم لا يتم إلا بطاعة الإمام ، وما نشك أن هذا الملعون قدموه عليكم ، وقال لكم : إن السلطان قد كتب إليه بالحضور ، وهذا السلطان قد خرج لمحاربته ، فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الإسلام فلينفرد عنه أن كان شاقا للعصا محاربا للسلطان ، فلم يجيبوه عن كلامه ، وكان هذا خشتج شجاعا مقداما ، ولما تخلص محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان من أسر الصفار - وقد تقدم ذكر أسره وحملة مقيداً - قال له خشتج : يا آل طاهر ، اشترىتمونا بأموالكم وأهدىتمونا إلى ولد العباس ، فاستخلفونا وملكونا الضياع والأموال ، حتى قدنا الجيوش ، وحاربنا عن بيضة الاسلام ، فما خرجنا من الدنيا حتى حاربنا الصفار عنك يا والى خراسان مع مولانا أمير

المؤمنين ، وخلصناك بعد الأسر والقييد الثقيل من مدينة إلى مدينة على بغل
إكاف ورددناك من العراق إلى خراسان ، فالحمد لله على ما تفضل به مولانا من
خلاصك ، وأولانا هذا الفعل الجميل فيك .

رجعنا إلى تمة خبر الصفار - قال الراوى : وحزر^(١) عسكر الصفار فكانت
مساحة معسكره ميلا في ميل ، وكانت دوابهم في غاية الفراهية ، وقيل : إن جمعهم
كان يزيد على عشرة آلاف إنسان ، ووضع الخليفة العطاء في الجند ، وقطع مافي
الطريق من الشجر والدغل ، واستعدوا للحرب ، وجدوا فيها وشمروا ، وقيل :
ماهو إلا أن تنصروا أو تنهزموا فلا ترجع دولتكم إليكم ، ووقف الخليفة المعتمد
بنفسه وإلى جانب ركابه محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني ،
وقد تقدم ذكر جده يزيد ، ووقف معه جماعة ا كتنفوا الخليفة من أهل البأس
والنجدة ، وتقدم بين يديه الرماة بالنشاب ، وكشف الموفق أخو الخليفة رأسه ،
وقال : أنا الغلام الهاشمي ، وحمل على أصحاب الصفار ، وقتل بين الطائفتين
خلق كثير ، فلما رأى الصفار تلك الحال ولى راجعاً تاركا أمواله وخزائنه وذخائره ،
ومر على وجهه فلم يتبعه العساكر ، وما أفلت من أصحابه رجل إلا بسهم أصابه ،
وأدركهم الليل فتساقطوا في الأنهار لاذحامهم ، وثقل الجراح بهم ، قال أبو الساج
داود بن دوست ، وهو الذي تنسب إليه الأجناد الساجية ببغداد ، للصفار لما نهزم :
مارأيت معك شيئاً من تدبير الحروب ، وكيف كنت تغلب الناس ، فانك جعلت
ثقلك وأموالك وأسراك أمامك وقصدت بلداً على قلة المعرفة منك به وبغايصه
وأنهاره بغير دليل ، وقاتلت يوم الأحد والربيع عليك ، وسرت من السوس إلى
واسط في أربعين يوماً ، وأحوال العسكر مختلة ، فلما توافقت عددهم وجاءتهم
أموالهم واستحكم أمرهم عليك أقبلت من واسط إلى دير العاقول في يومين ،
وتأخرت عند إمكان الفرصة وأقبلت تعدو في موضع التثبيت ، فقال الصفار :
لم أعلم أنى أحارب ، ولم أشك في الظفر ، وتوهمت أن الرسل ترد إلى ، فبدروا

(١) في ب « وحرر عسكر الصفار » بهملات

الأمر فأتيت بما قدرت عليه .

قلت : هذا آخر ما نقلته من كلام ابن الأزرع مع الاختصار .

ونقلت من تاريخ أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن طاهر الذي جعله ذيلًا على تاريخ أبيه في أخبار بغداد ، وقد أطال القول فيه فاختصرته ، وحذفت ما تكرر منه ، فقال : كان وثوب يعقوب بن أليث على درهم وغلبته على سجستان يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين ، وكانت ولاية درهم ثلاث سنين بعد إخراج صالح بن النضر ، وهو رجل من بني كنانة ، من سجستان في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ولم يزل يعقوب الصفار مقيمًا بسجستان يحارب الشراة والأتراك ، ويظهر أنه متطوع ، حتى كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، فخرج إلى هراة ، ثم قصد بوشنج وحاصرها وأخذها عنوة ، وكان ذلك في خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب على حاله ، ولم يزل على ذلك إلى أيام المعتز على الله ، ثم دخل بلخ وخرج منها ، ثم وصل إلى رامهرمز وهو يظهر الطاعة للخليفة المعتز ، وذلك في المحرم من سنة اثنتين وستين ومائتين ، ثم أرسل رسوله إلى المعتز فدخلوا بغداد لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ثم سار إلى واسط ، وأقام بها نائبًا عنه ، ثم سار إلى دير العاقول يوم السبت لثمان خلون من رجب ، ثم سار إلى اصطخر بندفزل بها ، ولما اتصل خبره بالمعتز وأنه يقصد بغداد جمع أصحابه من الأطراف ، وخرج من سر من رأى قاصدًا لمحاربتة ، ودخل بغداد يوم الأحد لخمس بقين من ذي الحجة من السنة .

قال أبو الفرج كاتب القاضي أبي عمر : ولما نهض الخليفة لمحاربة الصفار لم تزل كتبه تسير إليه من الطريق يأمره بالانصراف ، ويحذره سوء عاقبة فعله ، وأن أمير المؤمنين قد نهض إليه في العدد والعدد ، وكتب الصفار واردة بأنى قد علمت نهوض أمير المؤمنين ليشر فني وينبهه على موقعي منه ، ثم عي الخليفة جيشه

للقتال على القرية المذكورة ، وأرسلوا الماء على طريق الصفار ، فكان سبب هزيمته ، فانهم أخذوا عليه الطريق وهولا يدرى ، واصطف الفريقان ، ولم يزل القوم يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصفار ، فغنم الناس من أثقاله غنيمة عظيمة ، وتوهموا أن ذلك حيلة منه ومكر ، ولولا ذلك لاتبعوه ، ولقد حدثني من حضر ذلك أن رشق الجند الموالي كان في ذلك الوقت عشرين ألف سهم ، وانصرف الخليفة مسروراً بما فتح الله عليه .

وكان ممن تخلص من أسره ذلك اليوم أبو عبد الله محمد بن طاهر أمير خراسان وجاء إلى الخليفة وهو في قيده ، ففك الخليفة عنه القيد ، وخلع عليه خلعة سلطانية .

وذكر المعتمد ذلك النهار أنه رأى تلك الليلة في المنام كأن إنسانا كتب على صدره (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) وقص الرؤيا على خواصه ، وقال لهم : قد وثقت بنصر الله تعالى .

وقبل الواقعة وردت كتب الصفار إلى الخليفة وفيها خضوع وتضرع ، ويخبر بأنه لم يجيء إلا لخدمة أمير المؤمنين ، والتشرف بالمشول بين يديه ، والنظر إليه ، وأن يموت تحت ركابه ، فقال المعتمد : نحن في محاريق الصفار بعد ، أعلموه أنه ماله عندي إلا السيف ، وأمر الخليفة بالكتابة إلى أبي أحمد عميد الله بن عبد الله ابن طاهر ، وهو عم محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، يخبره بالفتح وخلاص ابن أخيه محمد بن طاهر ، فكتب إليه وهو يومئذ متولى الشرطة ببغداد نيابة عن أخيه المذكور ، فانه كان يتولى خراسان وشرطى بغداد وسر من رأى ، وفي الكتاب فصول طويلة ، وحاصله أنه عدّد ذنوب الصفار ، وما قابله به الخليفة من الإحسان والإنعام ، وأنه قلده خراسان والبلاد التي تقدم ذكرها قبل هذا ، وأنه رفع مرتبته ، وأمر بتكنيته في كتبه ، وأقطع الضياع السنية ، ولم يُبق شيئا مما يقدر فيه استصلاحه إلا فعله ، فما زاده ذلك إلا البغى والطغيان ، والتمس أشياء

إنزرد عنها قصد أبواب الخليفة لإثارة الفتنة ، وابتغاء الغلبة ، فلم ير أمير المؤمنين إجابته إلى ما التمس ، وتابع الكتب بالرجوع إلى أعماله الجليلة التي ولاه إياها ، وحذره التعرض لزوال النعم التي أنعم الله عليه بها ، فقد خالفه وعصاه ، وخرج عن طاعته ، وعرفه أنه إن أقام على المصير إلى الباب فقد عصاه ، وخرج عن طاعته ، ثم وجه إليه في ذلك مرة بعد أخرى مع جماعة من القضاة والفقهاء والقواد ، وقدر بتوجههم إليه أنه يرجع إلى ما هو ألزم به وأوجب عليه ، فأقام على سبيل واحد في البغي والعناد والعصيان ، ولم يثنه الإرشاد ، ولم يزل استحوذ الشيطان عليه يقوده إلى الحين ، ويصده عن سبيل النجاة إلى مهوى الهلكة ، فلما تبين لأمير المؤمنين ذلك منه رأى أن يقضى عليه في أمر مثله ، فنهض متوكلاً على الله تعالى معتمداً على كفايته لدفع الملعون عما يحاوله ، وهو يُعَدُّ السير إلى المصرع الذي سبق به قضاء الله تعالى فيه ، حتى توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر أعلاماً على بعضها الصليبان ، واستنجد أهل الشرك على الإيمان ، وبارز الله بسريرته ليسامه بجريرته ، وفارق شرائع الإسلام وأحكامه ، نقضاً للعهود ونكثاً ، وخفراً للذمة ، وإعلاناً للمشاقة ، فقدم أمير المؤمنين أخاه الموفق بالله أحمد ولي عهد المسلمين ومعه جماعة من موالى أمير المؤمنين الذين أخلصوا لله طاعتهم وثبت في الحمامة عن دولته بصائرهم ، وأتبعهم أمير المؤمنين الرغبة إلى الله تعالى في تأييدهم ونصرهم على عدوهم ، ولعنه أمير المؤمنين في الأوقات والمواقف التي علم الله صدق نيته فيها ، وألحقه وبأكلاً ، ووقف أمير المؤمنين يتأمل ما يكون من أخيه ومواليه وأوليائه ، ويواصل الإمداد والجيش إلىهم ، وكان الموفق بالله في قلب العسكر ، فنهض الملعون عدو الله في أشيع ضلالته قد أدرع العصيان ، وتسربل البغي ، واعتمد على وفور حشده وكثرة أشياعه وأتباعه ، فلما تراءى الجمعان شهر عدو الله وأشياع ضلالته السلاح ، وأسرعوا إلى موالى أمير المؤمنين وأتباعه وأوليائه ، وشرعت في الملعون وضلاله سيوف الحق بآثرة ، ورماحه طاعنة ، وسهامه نافذة ،

حتى أثنى الملعون بالجراح ، ورأى أتباع ضلالتة ما حل به ، فبادروا بالويل والثبور ، وأكب عليهم موالى أمير المؤمنين وأوليائه ، يقتلون فيهم ويأسرون منهم ، وعجل الله إلى النار من جماعته من لا يُخصى عدده ، ولم يزل الأمر كذلك حتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين سالماً من أيديهم ، وحسروا عن مستقرهم ، فولّى الباقيون منهزمين مفلولين ، لا يلوون على شيء ، وأسلم الله تعالى الملعون ، وهم وما كانوا حووه وملكوه في سالف الأيام التي أملى الله تعالى لهم فيها أقطار الأرض من الأموال والأمتعة والأثاث والإبل والدواب والبغال والحمير ، فأفاده الله على الموالى وسائر الأولياء ، وملكهم إياه ، وساروا به إلى رحالهم .

وعلى الجملة فإن هذا الكاتب أطال القول في ذلك ، فاختصرته ، ثم كتب في آخره : وكتبه عبيد الله بن يحيى يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين ومائتين .

ثم قال هذا المؤرخ بعد هذا : ومضى الصفار منهزماً إلى واسط يتخطف أصحابه أهل القوى ، وتأخذ أسلحتهم وأسلابهم ، ولم يتبعه الموالى مخافة رجعته ولاشتغالهم بالنهب والكسب ، فأمسكوا عنه ، ورجع الخليفة إلى معسكره ، ثم رجع الصفار إلى السوس وجبى الأموال ، ثم قصد تستر وحاصرها ، وأخذها ، ورتب فيها نائباً ، وكثر جمعه ، ثم رحل إلى فارس في شوال ، وكان الخليفة قد رجع إلى المدائن وأقام بها يومين ، ثم دخل بغداد ومنها إلى سر من رأى ، ودخلها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان .

ثم ذكر المؤرخ بعد هذا : وورد الخبر إلى الخليفة ب وفاة يعقوب بن الليث الصفار يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال ، والذي أصيب في بيوت أمواله من العين أربعة آلاف ألف دينار ، ومن الورق خمسون ألف ألف درهم ، ووافى أحمد بن الأصبع يوم الخميس لسبع بقين من شوال ، وقد كان الخليفة أنفذه

ليصلح أمر يعقوب ، فانصرف من عند يعقوب ، فلما قرب من واسط اتصل به [نبأ]
وفاة يعقوب ، وقد كان قلد خراسان وفارس وكرمان والرى وقم وأصبهان ، وصيرت
إليه الشرطتان ببغداد وسر من رأى ، على أن يوليها من أحب ، وعلى أن يوجه
ثلثي ما يجبي من خراج البلاد التي يتولاها من جميع الأموال .

وتولى أخوه عمرو ابن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ، ووردت
كتب عمرو إلى الموفق أخى الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة ، وأن يتولى
ما كان أخوه يتولاه ، فأجيب إلى سؤاله ، وولاه في ذى القعدة من السنة .

قلت : سياقة هذا التاريخ يدل على أن يعقوب الصفار توفى في بقية سنة
اثننتين وستين ومائتين ، لأنه حكى الواقعة في هذه السنة ، وأن يعقوب انهزم .
ثم قال عقيب هذا : وورد الخبر بوفاة يعقوب في شوال ، ولم يذكر السنة ،
فيدل على موته في تلك السنة .

والذى أعرفه من عدة تواريخ خلاف هذا ، فان أبا الحسين السلمي ذكر
في كتاب تاريخ ولاية خراسان ، في أول الفصل المختص بعمر بن الليث الصفار ،
أنه أصابه القولنج ، فأشير عليه بالعلاج ، فامتنع منه ، واختار الموت عليه ،
فمات بجنديسابور من خوزستان يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال
من سنة خمس وستين ومائتين .

وقال أبو الوفاء الفارسي : رأيت على قبر يعقوب بن الليث صحيفة ، وقد
كتبوا عليها [من الطويل] :

ملكك خراسانا وأكناف فارس

وما كنت من ملك العراق بآيس

سلام على الدنيا وطيب نسيمها

إذا لم يكن يعقوب فيها بجالس

ورأيت بخطي في جملة مسوداتي : أن يعقوب بن الليث بن الصفار ، توفى

خمس وستين ومائتين بالأهواز ، وحمل تابوته إلى جندیسابور ، فدفن بها ،
وكتب على قبره : هذا قبر يعقوب المسكين ، وكتب بعده [من البسيط] :

أحسنْتَ ظنَّكَ بالأَيامِ إذْ حسنْتَ

ولم تخفْ سوءَ ما يأتِي به القدر

وسألتكَ الليالي فَاغترَّتْ بها

وعند صفوِ الليالي يحدثُ الكدرُ

ورأيت بخطي أيضاً في موضع آخر ، أنه توفي بجندیسابور ، ومات بها ،
وبها قبره ، والله أعلم ، وهو قاصد العراق في التاريخ المذكور .

وكانت وفاته بعلة القولنج ، وأخبره طبيبه أن لا دواء له إلا الحقنة ، فامتنع
منها ، واختار الموت عليها ، وكانت مدة علته بالقولنج والفؤاق ستة عشر يوماً .

ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحي أربع عشرة سنة وشهوراً .

وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه في سنة خمس وستين ومائتين أنه مات
فيها يعقوب بن الليث في تاسع عشر شوال من السنة ، وذكر حديث القولنج
وامتناعه من الحقنة ، وأنه مات بجندیسابور من كور الأهواز .

قلت : وهي من أعمال خوزستان بين العراق وبلاد فارس .

وقال شيخنا أيضاً : وكان الخليفة المعتمد قد أنفذ إليه رسولا يتراضاه
ويستميله ، ويقبله أعمال فارس ، فوصل الرسول إليه ويعقوب مريض ،
فجلس له ، وجعل عنده سيفاً ورغيفاً من خبز الخشكنان ، ومعه بصل ،
وأحضر الرسول ، فأدى الرسالة ، وقال له : قل للخليفة إني عليل ، فإن مت فقد
استرحمت منك واسترحت مني ، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا السيف
هذا حتى آخذ بثأري ، أو تسكرني وتفقرني ، فأعود إلى هذا الخبز والبصل ،
وعاد الرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات .

وقال ابن حوقل في كتاب «المسالك والممالك» إن جنديسابور مدينة خصبة واسعة الخير ، وبها نخل وزرع كثير ومياه ، وقطنها يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالمير الكثير .

وكان الحسن بن زيد العلوي يسمى يعقوب «السندان» لثباته ، وكان قل أن يرى متبسما ، وكان عاقلا حازما ، وكان يقول : كل من عاشرته أربعين يوما ولا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة .

ولما تولى عمرو أحسن في التدبير والسياسة غاية الاحسان ، حتى يقال : ما أدرك في حسن السياسة للجنود والهداية إلى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل عمرو بن الليث .

وذكر السلمي في كتاب «أخبار خراسان» شيئا كثيرا من كفايته ، ونهضته ، وقيامه بقواعد المملكة والولاية ، فتركته طلبا للاختصار .

وذكر أنه كان ينفق في الجند في كل ثلاثة أشهر مرة ، ويحضر بنفسه على ذلك ، وأن عارض الجيش يقعد ، والأموال بين يديه ، والجند بأسرهم حاضرون وينادي المنادي أولا باسم عمرو بن الليث ، فتقدم دابته إلى العارض بجميع آلة الفارس ، فيفتقدها ويأمر بوزن ثلثمائة درهم باسم عمرو ، فتحمل إليه في صرة فيأخذ الصرة فيقبلها ، ويقول : الحمد لله الذي وفقني لطاعة أمير المؤمنين حتى استوجبت منه الرزق ، ثم يضعها في خفه ، فتكون لمن ينزع خفه ، ثم يدعى بعد ذلك بأصحاب الرسوم على مراتبهم ، فيتعرض لآلاتهم التامة ولدوابهم الفره ، ويطالبون بجميع ما يحتاج إليه الفارس والراجل من صغير آلة وكبيرها ، فمن أخل باحضار شيء منها حرموه رزقه ، فاعترض يوما فارس كانت له دابة في غاية الهزال ، فقال له عمرو : يا هذا تأخذ ما لنا تنفقه على امرأتك فتسمنها ، وتهزل دابتك التي عليها تحارب وبها تجد الأرزاق ؟ امض فليس لك عندي شيء ، فقال له الجندي : جعلت لك الفداء ، لو اعترضت امرأتى لاستسمنت دابتي^(١) ،

(١) يريد أن امرأته أشد هزلا من دابته

فضحك عمرو ، وأمر باعطائه ، وقال : استبدل بدايتك .

قلت : ذكر القاضي كمال الدين ، المعروف بابن العسديم الحنبلى ، فى تاريخ حلب حكاية يلىق أن أذكرها ههنا ، لأنها مثل هذه الحكاية ، وهى :

كان كسرى أنوشروان ابن قباد قد ولى رجلا من الكتاب نبيها ، معروفا بالعقل والكفاية ، يقال له : بابك بن النهروان ، ديوان الجند ، فقال لكسرى : أيها الملك ، إنك قد قلتنى أمرا من صلاحه أن تحتمل لى بعض الغلظة فى الأمور وهى عرض الجنود فى كل أربعة أشهر ، وأخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة المؤدبين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروسية والرمى والنظر فى مبالغتهم فى ذلك وتقصيرهم ، فان ذلك ذريعة إلى إجراء السياسة مجاريها ، فقال كسرى : ما المجاب بما سأل بأحظى من المجيب ، لا اشترا كهما فى فضله ، وانفراد المجيب بعد بالراحة ، حقق مقالتك ، فأمر فبنيت له فى موضع العرض مصطبة ، وبسط له عليها الفرش الفاخرة ، ثم جلس ونادى مناديه : لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر للعرض ، فاجتمعوا ، ولم ير كسرى فيهم ، فأمرهم فانصرفوا ، وفعل ذلك فى اليوم الثانى ، ولم ير كسرى فيهم ، فأمرهم فانصرفوا ، فنادى فى اليوم الثالث : أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ، ولا من أكرم بالتاج والسرير ، فانه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة ، فبلغ كسرى ذلك ، فتسلح بسلاحه ، ثم ركب ، فاعترض على بابك ، وكان الذى يؤخذ به الفارس تجفافا ودرا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وحرزا تلزمه منطقة وطبرزينا وعمودا ، وجعبة فيها قوسان وبوترها وثلاثين نشابة ، ووترين ملفوفين يعلقهما الفارس فى مغفره ظهر يا ، فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ، خلا الوترين اللذين يستظهر بهما ، فلم يحز بابك على اسمه ، فذكر كسرى الوترين ، فعلقهما فى مغفره ، واعترض على بابك ، فأجاز على اسمه ، وقال : لسيد الكفاة

أربعة آلاف درهم ودرهم ، وكان أكثر ماله من الرزق أربعة آلاف درهم ،
ففضل كسرى بدرهم واحد .

فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى ، فقال : أيها الملك ، لا تثنى
على ما كان من إغلاظي ، فما أردت به إلا الدربة للمعدلة والإنصاف ، وحسم
مادة المحابة .

قال كسرى : ما أغلظ علينا أحد فيما يريد به إقامة أودنا وصلاح مملكتنا
إلا احتملنا له غلظته ، كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه ، لما يرجوه
من منفقته .

رجعنا إلى تيمة أخبار عمرو بن الليث الصفار :

قال السلمي أيضا : كان رافع بن هرثمة تبعاً لأبي ثور ، وكان أبو ثور أحد
قواد محمد بن طاهر الخزاعي ، فلما وافى يعقوب الصفار نيسابور كان أبو ثور من
جملة من مايل يعقوب على محمد بن طاهر ، فلما انصرف يعقوب إلى سجستان
صحبه أبو ثور ، ومعه رافع بن هرثمة ، وكان رجلاً طويلاً اللحية ، كره الوجه ،
قليل الطلاقة ، فدخل يوماً إلى يعقوب ، فلما خرج من عنده قال يعقوب : إني
لا أميل إلى هذا الرجل فيلحق بحيث شاء ، فباع رافع جميع آلاته ، ثم
انصرف إلى منزله بمامين ، وهي من قرى كنج ورستاقه ، وأقام هناك إلى أن
استقدمه أحمد بن عبد الله الخجستاني .

وخجستان : من جبل هرة ، من قرى بادغيس .

وكان الخجستاني من أتباع يعقوب الصفار ، ثم خلع طاعته وتغلب على
نيسابور وبسطام في سنة إحدى وستين ومائتين ، وكان يظهر الميل إلى الطاهرية
مستميلاً بذلك قلوب أهل نيسابور إليه ، حتى إنه كان يكتب في كتبه :
أحمد بن عبد الله الطاهري .

ثم كتب الخجستاني إلى رافع بن هرثمة ، وهو في بلده ، يستقدمه ، فقدم عليه ، فجمله صاحب جيشه .

والخجستاني حروب ومواقف مشهورة ، وليس الغرض ذكر شيء منها هنا ثم إن غلامين من غلمانها اتفقا عليه وقتلاه ، وقد سكر ونام ، وذلك في ليلة الأربعاء لست بقين من شوال سنة ثمان وستين ومائتين .

وكان رافع بن هرثمة غائبا ، فقدم بمد ذلك على جيش الخجستاني ، فقدموه عليهم وبايعوه بمدينة هراة ، وقيل : بنيسابور .

ثم عزل الموفق بالله عمرو بن الليث الصفار عن ولاية خراسان ، وجعلها لأبي عبد الله محمد بن طاهر الخزازي في سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وهو مقيم ببغداد ، فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمة ، ما خلا أعمال ما وراء النهر فان الموفق بالله أقر عليها نصر بن أحمد بن أسد الساماني خليفة لمحمد بن طاهر . ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان وطبرستان ، وكانتا للحسن ابن زيد العلوي ، وتوفي سنة سبعين ومائتين ، واستولى عليهما أخوه محمد ابن زيد ، فجاءه رافع في سنة أربع وسبعين ، ففارقهما محمد بن زيد إلى استراباذ فحاصره بها رافع مدة سنتين ، ثم فارقها ليلا في نفر يسير إلى بلاد الديلم .

واستولى رافع على طبرستان في سنة سبع وسبعين ومائتين

ثم توفي الخليفة المعتمد على الله في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، وتولى الخلافة بعده المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق المذكور ، وولى المعتضد أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد الساماني ما وراء النهر بعد وفاة أخيه نصر ابن أحمد (١) المذكور .

قلت : وكانت وفاة نصر لسبع بقين من جمادى الآخرة ، سنة تسع وسبعين بسمرقند .

(١) في ب « أخيه أحمد بن نصر المذكور » وهو كما ترى

قال : وعزل رافع بن هرثمة عن خراسان ، وولاه عمرو بن الليث ، وبقى رافع بالري ، ثم إنه هادن الملوك المجاورين له ليستعين بهم على عمرو بن الليث ، فلما تم له ذلك خرج إلى نيسابور ، فواقعه عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وهزمه عمرو ، وتبعه إلى أبيورد ، وقصد رافع أن يخرج منها إلى هراة أو مرو ، فعلم عمرو أن مقصده سرخس ، فقصدتها عمرو ليأخذ عليه الطريق ، فعلم رافع ذلك ، فخرج من أبيورد ومعه دليل ، فأخذ به على جبال طوس حتى أورده باب نيسابور فدخلها ، فعاد عمرو إليها ، وحاصره بها فانهزم رافع وأصحابه ووصل إلى نواحي خوارزم على الجمازات ، وحمل ما كان معه من آلة ومال في شردمة قليلة ، وذلك يوم السبت لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين فوجه إليه أمير خوارزم نائباً يقوم بخدمته وما يحتاج إليه إلى أن يصل خوارزم ، فوجده النائب في خف من أصحابه ، فقتله لسبع خلون من شوال يوم الجمعة سنة ثلاث وثمانين ، وحز رأسه ، وحمله إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور ، فأنفذ عمرو رأسه إلى المعتضد بالله ، ولم يكن رافع ابن هرثمة ، وإما هرثمة زوج أمه ، وانتسب رافع إليه لشهرته ، ورافع ابن تومرد ، وقال ابن جرير الطبري في تاريخه في سنة ثلاث وثمانين . وفي يوم الجمعة ثمان بقين من ذي القعدة قرئت السكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة ، وقدم رسول عمرو ابن الليث الصفار برأس رافع إلى بغداد يوم الخميس لأربع خلون من المحرم سنة أربع وثمانين ومائتين على المعتضد ، فأمر بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ، ثم نحوله إلى الجانب الغربي بقيمة النهار إلى الليل ، ثم رده إلى دار السلطان ، قال السلاحي : وصفت خراسان إلى شط جيحون لعمر بن الليث .

قلت : وقد مدح البحتری الشاعر المشهور رافع بن هرثمة ، وكناه أبا يوسف في مديحه ، وأرسلها إليه ، فأرسل له عشرين ألف درهم وهو بالعراق .

قال السلاحي : ولما توجه عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة إلى المعتضد

سأل أن يولوه عمل ما وراء النهر مثل ما كان يرسم عبد الله بن طاهر، فوعده بذلك ثم أرسل إليه المعتضد هدايا فوصلته وهو في نيسابور ، فأبى أن يقبلها دون الوفاء بما وعده من تولية أعمال ما وراء النهر ، فكتب الرسول إلى المعتضد بالله بن المعتضد ، وكان بالرى وعنده جماعة من خواص أبيه ، بما سأله عمرو ، فأفندوا إليه العهد بها ، فحمل إليه العهد و الهدايا التي سيرها له المعتضد بالله و امتنع من أخذها ، وكان في الهدايا سبع دسوت خلع ، فوضعت بين يديه ، وأفاض عليه الرسول الخلع واحدة بعد أخرى ، وكلا لبس خلة صلى ركعتين ، ثم وضع العهد قدماه ، فقال : ما هذا ؟ قال : هذا الذي سألته ، فقال عمرو : ما أضع به ؟ فان إسماعيل ابن أحمد لا يسلم إلى ذلك إلا بمائة ألف سيف ، فقال : أنت سألته فشمّر الآن لتتولى العمل في ناحيته ، فأخذ العهد وقبله ووضعه بين يديه ، ثم أفند عمرو إلى الرسول ومن معه سبعمائة ألف درهم ، وصر فهم ، ثم جهز عمرو جيشا إلى إسماعيل ابن أحمد ، فعبر إسماعيل إليهم نهر جيحون وقتلهم ، فقتل بعضهم بعضا وهزم الباقين ، وعمرو بن الليث الصفار في نيسابور ، وكانت الواقعة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمانين ومائتين ، وعاد إسماعيل إلى بخارا ، وهي من أعمال ما وراء النهر .

قال السامعي : انتدب عمرو بن الليث لمحاربة إسماعيل بن أحمد محمد بن بشر ، فلما عبر إسماعيل جيحون دخل موسى السنجرى على محمد بن بشر وهو يخلق رأسه فقال له : هل استأذنت إسماعيل في خلق رأسك ؟ يعني أن رأسه لإسماعيل لأنه انتصب لمحاربتة ، فقال له محمد : اغرب^(١) عني لعنك الله ، ثم تحاربوا من الغد ، ثم انكشف أصحاب بشر ، وقبضوا عليه ، وحز رأسه في جملة سائر الرؤوس وحملوها إلى إسماعيل ، وأدخلوا جماعة من أصحابه ليميزوا الرؤوس عن رأس ابن بشر ، فأعلم بعضهم إسماعيل بما قال موسى السنجرى لابن بشر ، فتعجب بما جرى الغال به .

وذكر الطبري في تاريخه في سنة سبع وثمانين ومائتين ، ما مثاله : وفي يوم الاربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى ورد كتاب فيما ذكر على السلطان أنه كانت بين إسماعيل بن أحمد وبين عمرو بن الليث وقعة ، فأمر عمرًا واستباح عسكره .

وكان من خبر عمرو وإسماعيل أن عمرًا سأل السلطان أن يولييه ما وراء النهر فوله ذلك ، ووجه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع على ما وراء النهر ، لمحاربة إسماعيل ابن أحمد ، فكتب إليه إسماعيل : إنك قد وليت دنيا عريضة ، وأنا في يدي ما وراء النهر ، وأنا في ثغر ، فاقنع بما في يدك ، واتركني مقيمًا بهذا الثغر ، فأبى إجابته إلى ذلك ، وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره ، فقال عمرو : لو شئت أن أسكره ببدر الأموال وأعبره لفعلت ، فلما يتس إسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه من الدهاقين وعبر النهر إلى الجانب الغربي ، وجاء عمرو بن الليث فنزل بلخ ، وأخذ إسماعيل عليه النواحي ، فصار كالمحاصر ، وندم على ما فعل ، وطلب المحاجة فيما ذكر ، فأبى إسماعيل عليه ذلك ، ولم يكن بينهم قتال كثير حتى هزم عمرو ، فولى هاربًا ، ومر بأجمة في طريقه قيل له : إنها أقرب ، فقال لعامة من معه : امضوا في الطريق الواضح ، ومضى في نفر يسير ، فدخل الأجمة ، ووحلت به دابته ف وقعت ، ولم يكن له في نفسه حيلة ، ومضى من معه ولم يلوا عليه ، وجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيرًا ، فلما بلغ المعتضد ما جرى مدح إسماعيل وذم عمرًا ، وقال : يقلد أبو إبراهيم إسماعيل كل ما في يد عمرو ، ويوجه إليه بالخلع .

ثم ذكر الطبري أيضًا في سنة ثمان وثمانين ، ما مثاله : وفي أول جمادى الأولى يوم الخميس أدخل عمرو بن الليث بغداد ، وذكر لي أن إسماعيل بن أحمد خيره بين المقام عنده أسيرًا وبين توجيهه إلى أمير المؤمنين ، فاختر توجيهه إلى أمير المؤمنين ، فوجهه .

وقال السلامي في أخبار خراسان : ثم خرج عمرو إلى بلخ ، فلاقاه بها إسماعيل ، فهزمه وقبض عليه ، وذلك يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائتين ، وأنفذه مقيداً إلى سمرقند (قلت : وهي من بلاد ما وراء النهر أيضاً ، والنهر هو جيحون) .

قال : وضم إليه أخاه أبا يوسف ليخدمه ، إلى أن ورد عليه من عند المعتضد عبد الله بن الفتح بهد خراسان والواء والتاج والخلع في سنة ثمان وثمانين ، وقدم معه أشناس ليتولى حمل عمرو بن الليث إلى بغداد ، فسلمه إسماعيل إليه ، فحمله .

وقال ابن أبي طاهر المذكور قبل هذا في تاريخه : إن عمرو بن الليث الصفار انهزم ، وقتل خلق كثير من أصحابه .

وكانت الواقعة على باب بلخ يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين ، وقبل ذلك هرب ابن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث إلى إسماعيل بن أحمد ، ومعه قائد من قواده في خلق كثير ، فأصبح عمرو في يوم الواقعة وقد عرف الخبر ، ثم كثر هرب أصحابه إلى إسماعيل ، فضعف قلب عمرو ، وهرب ، واشتغل إسماعيل بالعسكر ، وبحث في طلب عمرو جيشاً ، فوجدوه واقفاً على فرس ، فقبضوا عليه ، وسيره إسماعيل إلى المعتضد ، وأخبره بما جرى ، وأنه سيره إلى سمرقند ، حتى يرد عليه [أمر] أمير المؤمنين ، فاشتد سرور الخليفة بذلك ، وتلد الخليفة إسماعيل ما كان مقلده عمرو مضافاً إلى عمله . وتوجه عبد الله بن الفتح إلى إسماعيل في طلب عمرو ، فلما وصل إلى إسماعيل وجه إليه ، فأحضر عمرأً ، فقيده فأرسله إلى جانبه رجل من أصحاب إسماعيل بيده سيف مشهور ، وقيل لعمرو : إن تحرك في أمرك أحد دميئنا رأسك إليهم ، فلم يتحرك أحد ، ووصلوا إلى النهروان يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع

الآخر سنة ثمان وثمانين ، وحلّ قيد عمرو ، فلما كان يوم الخميس مستهلّ جمادى الأولى ركب الجند للقائه وعمرو في القبة قد أُرخی جلالها عليه ، فلما بلغ باب السلامة أنزل عمرو من القبة ، وألبس دُرّاعة ديباج وبرنس السخط ، وحمل على جمل له سنامان ، يقال له إذا كان ضحفا على هذه الصورة « الفالج » في غاية الارتفاع ، وكان عمرو قد أهداه فيما أهدى للخليفة ، وقد ألبس الجمل الديباج ، وحلّى بدوائب وأرسان مفضضة ، وأدخل بغداد فاشتقها في الشارع الأعظم إلى دار الخليفة بقصر الحسنى ، وعمرو رافع يديه يدعو ويتضرع دهاء منه ، فرقت له العامة ، وأمسكت عن الدعاء عليه ، ثم أدخل إلى الخليفة وقد جلس له واحتفل به ، فوقف بين يديه ساعة ، وبينهما قدر خمسين ذراعا ، وقال له : هذا بيبغيك يا عمرو ، ثم أخرج من بين يديه إلى حجرة قد أعدت له ، وكان أخوه يعقوب الصفار قد تزوّج امرأة من العرب ، من بلاد سجستان ، فلما توفي يعقوب تزوّجها أخوه عمرو ، ثم توفيت ولم تخلف ولدا ، وكان لها ألف وسبعمائة جارية .

قال بعضهم : كنتُ عند أبي عليّ الحسين بن محمد بن فهم المحدث ، فدخل رجل من أصحاب الحديث ، فقال له : يا أبا عليّ ، رأيت عمرو بن الصفار أمس على جمل فالج من الجمال التي كان أهداها عمرو منذ ثلاث سنين إلى الخليفة فأنشد أبو عليّ [من الطويل] :

وحسبك بالصفار نبلاً وعزة يروح ويفدو في الجيوش أميراً
حباهم بأجمالٍ ولم يذرِ أنه على جملٍ منها يُقَادُ أسيراً
وعمل في ذلك على بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر ، المقدم ذكره [من مجزوء الرمل] :

أيها المغتر بالدنيا أما أبصرت عمراً

أركبَ الفالج بعد الملك والعزة قسراً
وعليه برنسٌ للسخط إذلالاً وقهراً
رافعاً كفيه يدعو الله إسراراً وجهراً
أن ينجيه من القتل وأن يعمل صفراً

قال الطبري : وتوفي المعتضد بالله ليلة الاثنين ثمان بقين من شهر ربيع
الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وتولى الخلافة ولده المكتفي بالله أبو محمد
على ، وكان غائباً في الرقة عند موت أبيه ، فقدم بغداد ، وأمر يوم الثلاثاء ثمان
خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بهدم المطامير التي كان أبوه احتفرها
لأجل الجرائم .

ومات عمرو بن الليث الصفار في غد هذا اليوم ، ودفن بالقرب من القصر
الحسني ، وقد كان المعتضد عند موته لما امتنع من الكلام أمر بقتل عمرو بالإيماء
والإشارة ، ووضع يده على رقبته وعلى عينه : أي اذبح الأعور ، وكان عمرو أعور
فلم يفعل صافي الحرمي^(١) ذلك ، وهو الذي أمره المعتضد بقتله ، وإنما امتنع من
قتله لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته ، وكره قتل عمرو .

ولما دخل المكتفي بغداد سأل ، فيما قيل ، القاسم بن عبد الله عن عمرو :
أحي هو ؟ فقال : نعم ، فسر بحياته ، وقال : أريد أن أحسن إليه .
وكان عمرو يهدي إلى المكتفي ويسير إليه برا كثيراً أيام مقامه بالرى في
حياة أبيه المعتضد ، فذكر أن القاسم كره سؤاله عنه ، ودس إليه من قتله .

وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة تقريباً .
قلت : وإنما قيل ليعقوب الصفار لأنه كان يعمل الصفر ، وهو النحاس
وهو بضم الصاد المهملة ، وسكون الفاء ، وبعدها راء . وكان أخوه عمرو
يكري الحير .

(١) قد تكون محرفة عن « الحرسى »

حكى شيخ من الصفارين قال : كان يعقوب وهو غلام فى دكانه يتعلم عمل
الصفى ، ولم أزل أتأمل بين عينيه وهو صغير ما آل أمره إليه ، قيل له : وكيف
ذلك ؟ قال : ما تأملت قط من حيث لا أعلم بنأى إياه إلا وجدته مطرقاً إطراق
ذى همّة وفكر وروية ، فكان من أمره ما كان .

وقال على بن المرزبانى الأصفهانى الكاتب : سألت بعض أصحاب بنى
الصفار عن عمرو بن الليث أخى يعقوب الصفار وصناعته ، وعمرو يومئذ محبوس
بمدينة السلام ، فسكت عنى ، فلما توفى عمرو قال لى : كنت سألتنى عن عمرو
وصناعته ، ولم يكن من الحزم إخبارك وهو يرحى ويخشى ، فاعلم الآن أنه لم يزل
مكارياً إلى أن عظم شأن أخيه يعقوب ، وتمكن من خراسان ، فلهق به وترك
إكراء الحير .

قلت : ذكر جماعة من أرباب التواريخ فى كتبهم أن أبا أحمد عبيد الله
ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى المقدم ذكره فى هذا التاريخ ، كان
يقول : عجائب الدنيا ثلاث : جيش العباس بن عمرو الغنوى يؤسر العباس وحده
وينجو من القتل ثم يطلق ، ويقتل جميع جيشه ، وكانوا عشرة آلاف . وجيش
عمرو بن الليث يؤسر عمرو وحده ويموت فى السجن ويسلم جميع جيشه وكانوا
خمسین ألفاً ، وأنا أترك فى بيتى بطالا ويولى ابنى العباس الجسر بن بغداد .

قلت : وكان من حديث العباس بن عمرو الغنوى أن القرامطة لما اشتد
أمرهم وانتشروا فى البلاد وبالفوا فى الفتك أرسل إليهم المعتضد بالله فى سنة
سبع وثمانين ومائتين جيشاً مقدمه العباس المذكور ، فأمره أبو سعيد القرمطى
رئيس القرامطة فى الوقعة ، وأسر جميع من معه من الجيش . وفى اليوم الثانى من
الوقعة أحضر أبو سعيد القرمطى الأسرى ، فقتلهم بأسرهم وأحرقهم ، وأطلق
العباس ، فجاء إلى المعتضد وحده ، وكان ذلك فى آخر شعبان من السنة ، وكانت
الوقعة بين البصرة والبحرين .

وهي قصة طويلة مشهورة ، وهذا خلاصتها إذ ليس هذا موضع التطويل في شرحها ، وسيأتى ذكرها مع الاستقصاء في التاريخ الكبير إن شاء الله تعالى .
قلت : والبيتان المذكوران قبل هذا ، وأنها مكتوبان على قبر يعقوب الصفار ، وآخر البيت الأول منهما :

* وما كنت من ملك العراق بآيس *

هذا نصف بيت من جملة أبيات تترنم بها معاوية بن أبي سفيان الأموي لما تغلب على الشام ، وجاءه جرير بن عبد الله البجلي برسالة من علي بن أبي طالب - رضى الله عنه ! - وكان على إذ ذاك مقيا بالكوفة ، فلما أدى جرير الرسالة إلى معاوية وانفض المجلس أمر معاوية بنزول جرير في مكان قريب منه ، وجعل يترنم بهذه الأبيات تلك الليلة لسمع جرير ، فيعيد ذلك على على رضى الله عنه ! والأبيات المشار إليها هي [من الطويل] :

تطاول ليلي واعترائي وساوسى	لأتى أتى بالثرهات البساسبى
أتانى جرير والحوادث حمة	بتلك التى فيها انجداع المعاطس
أكابدها والسيف بينى وبينه	ولست لأثواب الذنى بلباس
إن الشام أعطت طاعة يمنية	تواصفها أشياخها فى المجالس
فان يفعلوا أصدر عليا بجبهة	تغث عليه كل رطب ويابس
وإنى لأرجو فوق ما أنا سائل	وما أنا من ملك العراق بآيس

قلت : «الثرهات» بضم التاء المثناة من فوقها ، وتشديد الراء ، وبعدها هاء والألف تاء ثانية .

والبساسبى : بفتح الباء الموحدة ، وبعدها سين مهملة ، وبعدها الألف باء ثانية مكسورة ، ثم سين ثانية ، وهى الباطل .

وأصل الثرهات : الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها ، الواحدة : ترهة

فارسی معرب، ثم استعير في الباطل، فقيل: الترهات البساس، والجبهة: الخيل، والجبهة: الجماعة من الناس أيضا، فكأنه قال: أصدره بالخيل والرجال، والباقي معروف لاحاجة إلى تفسيره.

ورأيت بخط بعض أهل هذا الفن أن عمرو بن الليث لما أسر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث المذكور لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين، ثم قبض عليه غلام جده سبك السبكري في سنة ست وتسعين ومائتين ومعه أخوه يعقوب بن محمد، وبعث بهما إلى مدينة السلام ثم ولى بعده الليث بن علي بن الليث، وهو ابن أخى يعقوب وعمرو بن الليث المذكورين، كان تغلب على بلاد سجستان في سنة ست وتسعين ومائتين، وجرى بين سبك السبكري وطاهر بن محمد المذكور ماجرى، واستقرت البلاد بيد السبكري، فاستخلف الليث المذكور على سجستان أخاه المعدل بن الليث، وسار إلى بلاد فارس، فهرب السبكري منه يطلب من الخليفة النجدة، فجرد المقتدر بالله الجيوش في شهر رمضان سنة ست وتسعين، وقدم عليها مؤنسا المظفر، و بدرأ الكبير، والحسين بن حمدان، والتقوامع الليث بن علي، فانهزم جيشه، وأسر هو وأخوه محمد وابنه إسماعيل، وعاد مؤنس إلى بغداد ومعه الأسرى في الحرم سنة سبع وتسعين، وشهر الليث بن علي على الفيل، وولى المعدل بن علي بن الليث على سجستان، فسار إليه أحمد بن إسماعيل الساماني في خلق كثير من الفارس والراجل، فأخذ منه البلاد.

ثم ملك سبك السبكري الصفارى مدة، ثم حمل معه محمد بن علي بن الليث إلى بغداد، وانقضى أمر الصفارية والله أعلم.

قد تم - بحمد الله تعالى وعونه - مراجعة الجزء الخامس من كتاب
« وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان » لقاضي القضاة شمس الدين
ابن خلكان ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء السادس ، ومطلعه
ترجمة « يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي
القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب » وبانتهائه ينتهي الكتاب ، وسيكون
ومعه الفهارس العامة للكتاب ، نسأل الله الذي بيده ملكوت كل شيء
أن يعين على إكماله بمنه وفضله ، إنه ولي ذلك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ما

كتاب لقمان في مسائل الدنيا والآخرة
 من تأليف الشيخ الفاضل...

١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

١ ٧٧٧ ٧١١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٢ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٣ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٤ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٥ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٦ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٧ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٨ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٩ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

١٠ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

فهرس الجزء الخامس من كتاب

« وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان »

لقاضي القصاة ابن خلدكان

١ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٢ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٣ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٤ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٥ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

٦ ٨٢٧ ٨٢١ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

فهرس التراجم الواردة فى الجزء الخامس من كتاب

« وفيات الاعيان ، وأنباء أبناء الزمان » لابن خلكان

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
حرف النون			
٤	٧٢٧	* ١١٧	نافع ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم !
٥	٧٢٨	* ١٦٩	نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم ، أبو رويم ، المقرئ المدنى
٦	٧٢٩	٦١٠	ناصر بن أبى المسكارم عبد السيد بن على ، أبو الفتح ، المطرزى ، الخوارزمى ، الأديب ، الفقيه ، الحنفى
٨	٧٣٠	٣٨٦	نزار بن المعز المنصور بن القاسم بن المهدي ، أبو منصور العزیز بالله ، العبيدى ، صاحب مصر وبلاد المغرب
١٢	٧٣١	* ٣١٧	نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون ، أبو القاسم ، البصرى الخبزأرزى ، الشاعر
١٩	٧٣٢	٥٨٨	نصر بن منصور بن الحسن بن جوش بن حميد ، أبو المرهف ، النخبرى ، الضرير ، الشاعر
٢١	٧٣٣	٥٦٧	نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على ، ابن قلاقس ، أبو الفتوح ، القاضى الأعز ، اللخمى ، الأزهرى ، الشاعر
٢٥	٧٣٤	٦٣٧	نصر الله بن أبى السكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، أبو الفتح ، ضياء الدين ، ابن الاثير ، الشيبانى ، الجزرى

- (١) لم نذكر فى هذه الفهرس غير الدين بنى المؤلف كتابه عليهم ، وبوب لهم ،
فأما الذين يذكرون عرضا فتركتنا ذكرهم إلى الفهارس العامة
- (٢) النجمة التى توضع بجوار سنة الوفاة تشير إلى أن المؤلف قد حكى خلافا فى
تحديد سنة الوفاة

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٣٣	٧٣٥	*٢٠٤	النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم، أبو الحسن التميمي، المازني، النحوي، البصري
٣٩	٧٣٦	*١٥٠	النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، أبو حنيفة، الإمام الفقيه، الكوفي
٤٨	٧٣٧	٣٦٣	النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون، أبو حنيفة، الفقيه الإمامي، قاضي المعز الفاطمي
٥٦	٧٣٨	٢٠٨	نقيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين !
حرف الواو			
٦٠	٧٣٩	١٨١	واصل بن عطاء، أبو حذيفة، المعتزلي، المعروف بالغزال، مولى بني ضبة
٦٤	٧٤٠	٢٣٧	وثيمة بن موسى بن الفرات، أبو يزيد، الوشاء، الفارسي، الفسوي
٧٤	٧٤١	*٢٨٤	الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شمال، أبو عبادة الطائي، البختری، الشاعر
٨٤	٧٤٢	١٧٩	الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق، الشيباني، الشاري
٨٨	٧٤٣	*١١٠	وهب بن منبه، أبو عبدالله، صاحب الأخبار والقصاص
٩٠	٧٤٤	٢٠٠	وهب بن وهب بن كثير بن عبدالله بن زمعة، أبو البختری، القرشي، الأسدي، المدني .
حرف الهاء			
٩٦	٧٤٥	٥٤٢	هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة، أبو السعادات، المعروف بالشریف ابن الشجرى، البغدادي، النحوي.
١٠١	٧٤٦	٥٣٤	هبة الله بن الحسين بن يوسف، أبو القاسم، المنعوت بالبديع الأسطرولابي، الأديب الفلكي .

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
١٠٤	٧٤٧	٥٥٨	هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد ، أبو القاسم المشهور بابن القطان ، البغدادي ، الشاعر .
١١٢	٧٤٨	٦٠٨	هبة الله بن جعفر بن محمد بن هبة الله بن محمد ، القاضي السعيد ، المشهور بابن سناء الملك ، السعدي ، المصري . الشاعر .
١١٧	٧٤٩	٥٩٨	هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت ، أبو القاسم وأبو الكرم ، المعروف بالبوصيري الأنصاري ، الحزرجي المنستيري ، المصري .
١١٩	٧٥٠	٥٦٠	هبة الله بن أبي الغنائم بن التميمي ، أبو الحسن ، أمين الدولة ، المعروف بابن التميمي ، النصراني ، البغدادي ، الطبيب
١٢٧	٧٥١	٢٨٨	هارون بن علي بن يحيى ، أبو عبد الله ، البغدادي ، الأديب ، المنجم .
١٢٩	٧٥٢	* ١٤٦	هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، أبو المنذر ، القرشي ، الأسدي ، المحدث .
١٣١	٧٥٣	* ٢٠٤	هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ، أبو المنذر ، الكلبي ، الكوفي ، النسابة .
١٣٤	٧٥٤	٢٠٩	هشام بن معاوية ، أبو عبد الله ، الضرير ، النحوي ، الكوفي
١٣٥	٧٥٥	* ١١٠	همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ، أبو فراس ، الفرزدق ، التميمي ، الشاعر .
١٥٢	٧٥٦	٤٤٨	هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حيون ، أبو الحسن ، الصابي ، الحراني ، الكاتب
١٥٧	٧٥٧	* ٢٠٦	الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد ، أبو عبد الرحمن ، الطائي ، البحتري ، الكوفي ، الأخباري

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
حرف الياء			
١٦٨	٧٥٨	٥٦٤	ياروق بن أرسلان التركاني
١٧٠	٧٥٩	٦١٨	ياقوت بن عبد الله ، أبو الدر ، أمين الدولة ، المعروف بالملكي ، الموصلي .
١٧٣	٧٦٠	٦٢٢	ياقوت بن عبد الله ، أبو الدر ، مهذب الدين ، الروحي ، الشاعر .
١٧٨	٧٦١	٦٢٦	ياقوت بن عبد الله ، أبو عبد الله ، شهاب الدين ، الروحي ، الحموي ، البغدادي ، صاحب «معجم الشعراء» و «معجم الأدباء» و «معجم البلدان» .
١٩٠	٧٦٢	٢٣٣	يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن ، أبو زكريا ، المري ، البغدادي ، الحافظ
١٩٤	٧٦٣	٢٣٤	يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شمال ، بن منفايا ، أبو محمد ، الليثي ، راوي موطأ مالك
١٩٧	٧٦٤	* ٢٤٢	يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سيمعان بن مشننج ، أبو محمد ، التميمي ، المروزي ، قاضي القضاة
٢١٤	٧٦٥	٢٥٨	يحيى بن معاذ ، أبو زكريا ، الرازي ، الواعظ ، أحد رجال الطريقة
٢١٧	٧٦٦	٥١٢	يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق ، أبو زكريا ، ابن منده ، المحدث
٢١٩	٧٦٧	٥٦٧	يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد ، أبو بكر ، صائن الدين ، الأزدي ، القرطبي
٢٢٢	٧٦٨	١٢٩	يحيى بن يعمر ، أبو سليمان - وقيل أبو سعيد - العدواني الوشقي ، النحوي ، البصري
٢٢٥	٧٦٩	٢٠٧	يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، أبو زكريا ، المعروف بالفراء ، الديلمي ، شيخ نخاة الكوفة

صاحب الترجمة

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٢٣١	٧٧٠	٢٠٢	يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو محمد ، المعروف باليزيدي ، العدوى ، المقرى ، النحوى
٢٣٨	٧٧١	٥٠٢	يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام ، أبو زكرياء ، المعروف بالخطيب ، التبريزى ، الشيبانى ، اللغوى
٢٤٣	٧٧٢	٦٢٨	يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور ، أبو الحسين ، زين الدين ، الزواوى ، الحنفى
٢٤٤	٧٧٣	٣٠٠	يحيى بن على بن يحيى ، أبو أحمد ، المعروف بابن المنجم ، نديم الموفق والمعتضد
٢٤٨	٧٧٤	٥٤٠	يحيى بن عبد الرحمن بن بقى ، أبو بكر ، الأندلسى ، القرطبى ، الشاعر صاحب الموشحات
٢٥١	٧٧٥	*٥٥١	يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد ، أبو الفضل ، معين الدين ، المعروف بالخطيب الحمصطفى
٢٥٦	٧٧٦	٥٠٩	يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، أبو طاهر ، الحميرى ، صاحب إفريقية وما والاها
٢٦٥	٧٧٧	١٩٠	يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل ، وزير هارون الرشيد
٢٧٤	٧٧٨	٥٦٠	يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد ، أبو المظفر ، عون الدين ، وزير المقتدى لأمر الله
٢٨٨	٧٧٩	٥٩٤	يحيى بن سعيد بن هبة الله بن على بن فرغلى بن زيادة ، أبو طالب ، قوام الدين ، الشيبانى ، الواسطى ، البغدادى ، الكاتب
٢٩٣	٧٨٠	٥٥٤	يحيى بن نزار بن سعيد ، أبو الفضل ، المتبجى ، الشاعر
٢٩٨	٧٨١	٦١٦	يحيى بن منصور بن الجراح بن الحسين بن محمد بن داود بن الجراح ، أبو الحسين ، تاج الدين ، المصرى ، الكاتب
٣٠٢	٧٨٢	٦٤٩	يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن على بن حمزة ، أبو الحسن ، جمال الدين ، ابن مطروح ، الشاعر ، وزير الملك الصالح أيوب

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٣١٠	٧٨٣	٤٩٣	يحيى بن عيسى بن جزلة ، أبو علي ، الطبيب
٣١٢	٧٨٤	٥٨٧	يحيى بن حبش بن أميرك ، أبو الفتوح ، شهاب الدين ، السهروردي ، الحكيم ، المقتول بحلب
٣١٨	٧٨٥	* ١٣٢	يزيد بن القعقاع ، أبو جعفر ، المدني ، الخزومي عتاقة ، القاري ،
٣٢١	٧٨٦	١٣٠	يزيد بن رومان ، أبو روح ، مولى الزبير بن العوام ، المدني ، القاري ،
٣٢٢	٧٨٧	١٠٢	يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، أبو خالد ، الأزدي ، والي خراسان في عهد عبد الملك بن مروان ووالي العراق ثم خراسان في عهد سليمان بن عبد الملك
٣٥٣	٧٨٨	١٠٢	يزيد بن دينار ، أبو العلاء ، الثقفى ، كاتب الحجاج ومولاه
٣٥٧	٧٨٩	١٣٢	يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج ، أبو خالد ، الفزارى ، والى قنسرين للوليد بن يزيد
٣٦٥	٧٩٠	١٧٠	يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، الأزدي ، والى مصر لأبي جعفر المنصور ، ووالى إفريقية لهرون الرشيد
٣٧٠	٧٩١	١٨٥	يزيد بن مزيد بن زائدة ، أبو خالد ، وأبو الزبير ، الشييباني ، ابن أخى معن بن زائدة ، والى أرمينية للرشيد
٣٨٤	٧٩٢	٦٩	يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذى العشيرة بن الحارث ، أبو عثمان ، الحميرى ، الشاعر
٤١٠	٧٩٣	* ١٢٦	يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير ، أبو المكشوح ، المعروف بابن الطثرية ، الشاعر
٤١٨	٧٩٤	١٦٤	يعقوب بن أبي سلمة دينار ، أبو يوسف ، الملقب بالمجشون القرشى ، التيمى
٤٢١	٧٩٥	* ١٨٢	يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس ، أبو يوسف ، الأنصارى ، الفقيه الحنفى ، قاضى الرشيد

صاحب الترجمة

ص
رقم
الترجمة
سنة
الوفاة

٤٣٣	٧٩٦	٢٠٥	يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق ، أبو محمد ، الحضرمي بالولاء ، البصري ، المقرئ
٤٣٦	٧٩٧	٣١٦	يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، أبو عوانة ، النيسابوري ، الإسفرائيني ، الحافظ
٤٣٨	٧٩٨	٢٤٤	يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف ، المعروف بابن السكيت ، اللغوي
٤٤٤	٧٩٩	٢٦٥	يعقوب بن الليث ، أبو يوسف ، الصفار ، الخارجي

تمت فهرس الجزء الخامس من كتاب « وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان »
لقاضى القضاة أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
ابن خلكان ، والحمد لله تعالى أولا وآخرآ ،
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه

مركز الوثائق والبحوث



30018000014907

المكتبة



